الحضارات

لبيب عبد السّاتر

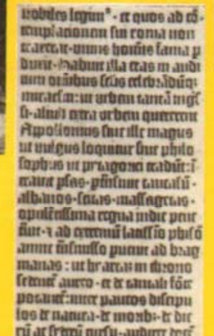

لمزيد من الحصريات زورونا على مدونة الكتب الحصرية
http://koutoub-hasria.blogspot.com/
https://www.facebook.com/koutoubhasria/

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria http://koutoub-hasria.blogspot.com/

دار المشرق - بيروت

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

لبيب عبد الساتر
مجاز في التاريخ

الحضارات

الطبعة السابعة عشرة

دار المشرق ش م م
بيروت - لبنان

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

جميع الحقوق محفوظة، طبعة سابعة عشرة ٢٠٠٨

دار المشرق ش.م.م.

ص. ب. ١٦٦٧٧٨

الأشرفية، بيروت ٢١٥٠ ١١٠٠

لبنان

http://www.darelmachreq.com

ISBN 2-7214-7074-4

التوزيع: **المكتبة الشرقيَّة ش.م.ل.**

الجسر الواطي - سنّ الفيل

ص.ب: ٥٥٢٠٦ - بيروت، لبنان

تلفون: ٤٨٥٧٩٣ (٠١)

فاكس: ٤٨٥٧٩٦ - ٤٩٢١١٢ (٠١)

Website: www.librairieorientale.com.lb
E-mail: admin@librairieorientale.com.lb
E-mail: libor@cyberia.net.lb

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

مُقَدِّمَة

حرصت في هذا الكتاب على مراعاة امرين: الشمول والوضوح. ولست ادري الى اي حد وُفّقت، فلك قارئي العزيز ان تحكم.

أما الشمول فلم اقصد به التطويل لان كتابًا كهذا غايته ان يمد القارئ، طالبًا كان ام مطالعًا، بقدر من المعلومات قد يرضي فضوله دون ان يكون مرجعًا اخيرًا. والمعلومات المرصوصة في صفحات معدودة يطلب منها الكثير. واهم ما يطلب منها اعتماد اللفظة الملائمة والسرد الموضوعي.

اما الوضوح فقد طلبته ايضًا – ما وسعني ذلك – في المستند والصورة الموضوعين مقابل النص، بحيث يصبح الكل وحدة كاملة.

وقد راعيت بصفة خاصة موضوعين اثنين؛ اعني الحضارتين العربية والفينيقية، يقينًا مني بان هذا بعض ما يفترض في كل مؤلف لبناني عربي.

ولا يسعني اخيرًا إلّا ان اوجه كلمة العرفان الى من تفضلوا بقراءة المخطوط ولم يضنّوا بتوجيهاتهم وآرائهم. ولكني اؤكد في كل الاحوال مسؤوليتي انا بمفردي عن كل خطإ وارد في الكتاب. واملي في كل مطّلع صريح ألّا يوفر تقصيري، اذ الصراحة دائماً غير هيّابة في نصرة الحق.

والله ولي التوفيق.

ل. ع. س.

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

المـوضوعـات

٦	الحضارة المصرية
٣٤	حضارات ما بين النهرين
٦٢	الحضارة الفارسية
٧٤	الحضارة الفينيقية
١٢٨	الحضارة الاغريقية
١٨٤	الحضارة الرومانية
٢٢٦	الحضارة العربية
٣٠٤	الحضارة الهندية
٣١٤	الحضارة الصينية
٣٢٨	النهضة في الغرب

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

المصريون وتاريخهم

١ – أصلهم المصريون خليط من عناصرَ متعددةٍ لا يغلب فيها أصل معيّن. بعضهم أتى من بلاد النوبة في الجنوب أو من ليبيا في الغرب أو من الفئات السامية في الشرق او الحامية في الشمال. تمازجت كل هذه العناصر في وادي النيل فكونت شعبًا لا يزال حتى اليوم محافظًا على ميزاته. (انظر ص ١١)

٢ – التمركز ولم تجد هذه العناصر صعوبة في التمركز، لان فيضان النيل يجعل الارض خصبة موحلة لا تحتاج إلّا الى القليل من الحراثة. كما ان فصل الشتاء لا يتخلله امطار أو بَرْد ليحدّا من نشاط الانسان. وبذلك تكون قد توافرت للمصريين افضل شروط السكن والانتاج.

ومع تراكم الرواسب (الطَمْي) التي تجرفها مياه النيل اتّسعت المناطق الزراعية لتستوعب قادمين جُددًا. وأدّى التزاوج بين العناصر المختلفة الى تجدّد دائم في الدم، ممّا زادها حيوية وقدرة على الانتاج؛ فأُتيح للمصريين ان يشيدوا احدى اقدم الحضارات في العالم.

ولكن موجات الهجرة المتعاقبة فرضت على كلّ مجموعةٍ ان تتمركز في منطقة مستقلة عمن سبقها، وهكذا تكونت القرى. وغدا التجمع السكني ضرورة من ضرورات الانتاج، لان اعمال الري تتطلب التنسيق والتعاون والمناوبة لتوزيع المياه في الاقنية بالتساوي. وأدّى هذا التعاون في النهاية الى تمكين الوحدة بين السكان.

٣ – التنظيم بالرغم من الحياة المتشابهة التي عاشتها مختلف المجموعات، فرضت طبيعة البلاد على سكانها ان ينقسموا في مجموعتين هما: مصر العليا ومصر السفلى.

أ – مصر العليا: يعتقد العلماء بان منطقة «الفيُّوم» كانت اول ناحية اجتذبت السكان. اما الدلتا، وهي اوسع المناطق الخصبة، فكانت لا تزال مستنقعات تفتقر الى رواسب النيل. وانطلاقًا من منخفض الفيوم تعدّدت المجموعات السكنية الى جنوب اسيوط الحالية، وغدت نواة البلاد المعروفة بمصر العليا أو الوجه القِبْلي. وانفردت كل من هذه المجموعات بعقائدها

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

لوحة نارمر
تمثل احدى حملاته على مصر السفلى

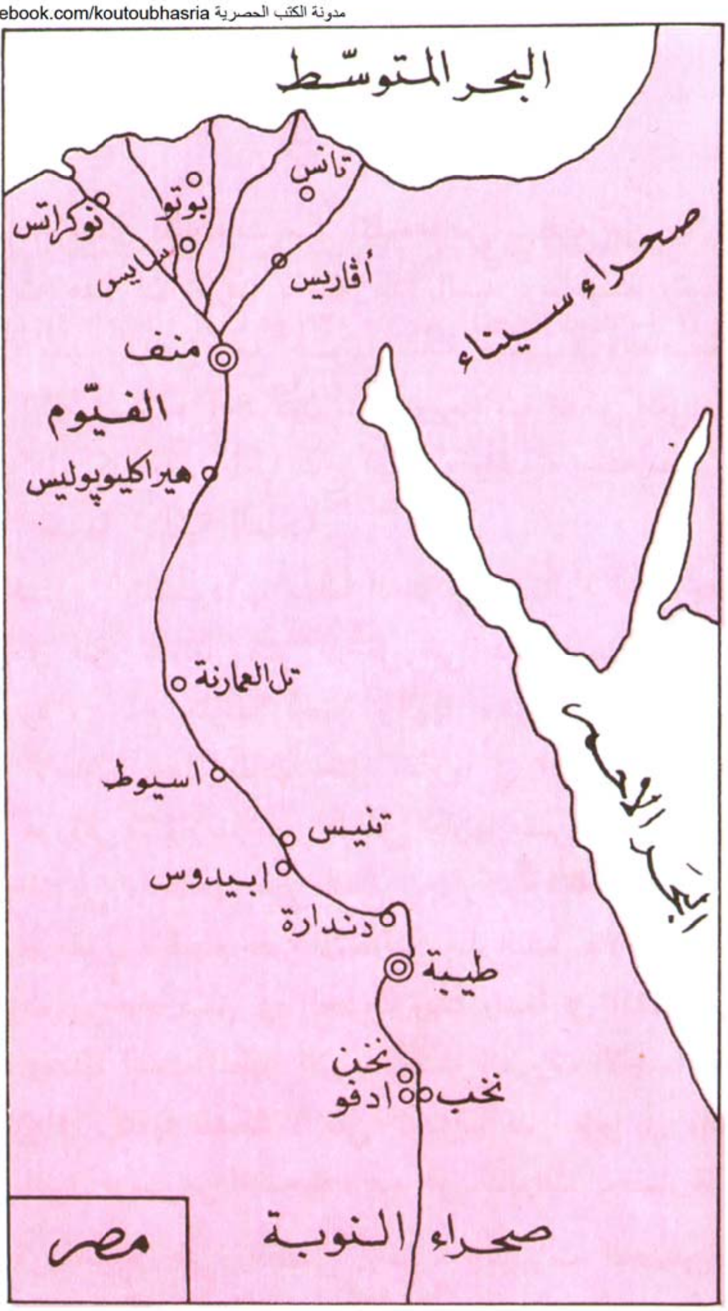

خريطة مصر القديمة

مراسم التتويج ،
ويرى التاج الأبيض الى اليمين ،
والاحمر الى الشمال ،
والپشنت في الوسط

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

وآلهتها الى ان قُيّض لاحدى المقاطعات سيدٌ كفوء فرض سيطرته على سائر المقاطعات. فاضطُرّت هذه ان تعترف بسلطة هذا السيد وبعاصمته وتعبد آلهته. فبرزت مثلًا مدينة «نَخْن» مع صنوتها مدينة «نَخَبْ» (العاصمة الدينية)، كما برز الإله «سيت» Set دون سواه (ويرمز اليه بشكل افعى). وتُوِّج السيد الجديد على كل مصر العليا بتاج ابيض، واعتبرته رعيته نصف إله. فكانت بداية الصبغة الالهية للملكية.

ب - مصر السفلى: والمقصود بها منطقة الدلتا في الشمال، أو الوجه البحري. وقد مرت في طور نشوئها بنفس المراحل التي عرفتها مصر العليا. عاصمتها مدينة «بوتو». تاج ملوكها احمر وإلهها «هوروس» ويتمثل بالصقر. وحِيْكت الاساطير حول ملوكها حتى اعتبروا في النهاية انصاف آلهة «خدامًا للإله هوروس». وبزّت مصر السفلى جارتها مصرَ العليا تقدمًا ورقيًا، لقربها من الشاطئ وانفتاحها على بلدان الجوار.

ولا بد من تفسير مقبول لانقسام مصر الى دولتين منذ البدء. فالاعتبارات الجغرافية، التي ميزت بين واد ضيق في الجنوب ودلتا واسعة في الشمال، هي المظهر الاشمل ولكنها ليست المظهر الاوحد. فثمة الظروف الاجتماعية والسياسية التي عاش في كنفها السكان؛ ففي الجنوب قد انعزلوا في وادٍ ضيقِ الافقِ محدودِ المدى قريبٍ من الصحراء وبعيدٍ عن التأثيرات الحضارية.

أما في الشمال فالطبيعة اغنى والطقس أرحم، والتأثيرات الحضارية اقرب منالًا. والانفتاح على العالم الخارجي أَسْهَمَ في التقدم والرّقي. فغدا طبيعيًا ان ينتج عن هذا التناقض بين الشمال والجنوب طمع مصر العليا بمصر السفلى. فتمكن العداء بين شطري مصر.

ج - توحيد الدولتين: بدأ العداء بين شطري مصر منذ ما قبل التاريخ. وهيّأت ظروف الحياة القاسية في الجنوب رجالًا اشداء، قادهم مليكهم «نارمر» أو «ميناس» في حملتين على الشمال (٣٢٠٠ ق. م). وفرض الوحدة بالقوة. واتخذ من «منف» أو «ممفيس» عاصمة لموقعها الوسيط. ولبس التاجين متداخلين معًا في تاج واحد عرف باسم «پشنت» (Pschent) إذّاك تبدلت النظرة الى الملك. فاكتسب صفةً إلهية، وعُرف باسمه الجديد «الفرعون» أو «الصرح الكبير». (انظر ص٧)

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

تاريخ المصريين مَرَّ التاريخ المصري بعد الوحدة باربع مراحل تخللتها فترات انتقالية :

١ً – الدولة القديمة (من ٣٢٠٠ ق.م الى ٢١١١ ق.م).

وبرز فيها الفراعنة «خوفو» و «خفرن» و «منكورع» بناة الاهرام. وانتهت هذه الدولة بثورات حَدَّت من سلطة الفراعنة حيالَ طبقة الاشراف. ونَجَمَ عنها تأخرٌ في الحياة الاقتصادية.

٢ً – الدولة الوسطى (من ٢١١١ ق.م. الى ١٥٨٦ ق.م).

وقد انتقلت عاصمتها الى «طيبة». وأَدَّى ازدهار البلاد الى طمع قبائل البدو «الهِكسوس» (الملوك الرعاة) بها. فغزوها واخضعوا اهلها بفضل عرباتهم واسلحتهم البرونزية. واعلنوا انفسهم فراعنة. وشادوا مدينة «أڤاريس» Avaris في الدلتا عاصمة لهم.

٣ً – الدولة الحديثة (من ١٥٨٦ ق.م. الى ١١٠١ ق.م.).

كانت غزوة «الهكسوس» درسًا قاسيًا تلقاه المصريون. فصمموا على التوسع في الخارج حتى لا يُفاجأوا في عقر دارهم. فاحتلوا سوريا ولبنان حتى «كركميش» على الفرات. وانتصر الفرعون «تحوطمس» الثالث في معركة «مَجِدُّو» (١٤٧٩ ق.م) على امراء سوريا، واحتل «قادش». فامتدت السلطة المصرية حتى الفرات.

وخلال مُلْكِ الفرعون «أخناتون» هزت مصر ثورة دينية (انظر ديانة المصريين)، وضعفت السلطة الملكية. فاستفاد «الحثيون» القادمون من آسيا الصغرى من هذه الفترة ليهددوا شمالي سوريا ولبنان. ولكن «رعمسيس» الثاني هو الذي أَبْعَدَ الخطر الحثي عن شمالي سوريا. (انظر ص ٧٥)

٤ً – فترة الانحطاط (من ١١٠١ ق.م حتى ٣٣٢ ق.م).

حصلت اثناءها غزوات شعوب البحر او «الإيجيين». فَصُدت هذه الغزوات عن مصر. ولكنها تمكنت من مدن الساحل الفينيقي. انما الخطر على مصر تجدد من قِبَل دول الاشوريين والكلدانيين ثم الفرس. وما إنْ تخلّصت مصر من حكم الفُرس حتى خضعت لحكم اليونان مع الاسكندر المقدوني.

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

٢ المجتمع المصري

الطبقية كانت الطبقيةُ اساسًا في المجتمع المصري. ولكنها اقتصرت على طبقتين اثنتين شديدتي الترابط، هما: الطبقة العليا وطبقة العامة. بل يجوز القول طبقة حاكمة واخرى محكومة. فلا مجال للعمل امام الطبقة الثانية إلا فيما تهيئه لها الطبقة الاولى من امكانات.

الطبقة العليا وهي المستأثرة بمقدّرات البلاد، وعناصرها:

١ – الفرعون ولفظة فرعون مشتقة من (Peraa) ومعناها «الصرح الكبير». وقد عَنَت هذه التسمية في الأصل القصرَ الملكي ثم ما لبثت ان دلَّت على الفرعون نفسه. وهي بذلك تشبه عبارة «الباب العالي» للدلالة على السلطان العثماني.

ويجمع الفرعون بين سلطتين زمنية ودينية، بل هو اكثر من ذلك؛ إنَّه ملكٌ إلَه. ومرجع ذلك الفترةُ التي سبقت توحيدَ مصر في دولة واحدة، اذ اعتُبِرَ الملك آنذاك نصف إلَه و «خادمًا للإله هوروس». وبعد الوحدة اضحت لفظة «هوروس» تعني الفرعون نفسه. فرسخت مفاهيم سلطته الروحية في اذهان الشعب. واعتُبرت المراسم الدينية الواجبةُ للآلهة واجبةً للفراعنة ايضًا. واستقر الرأي على اعتباره ابن الاله «رع».

ومنذ حكم الفرعون «نارمر» (٣٢٠٠ ق.م) تبلورت السلطة الزمنية وتعاظمت حتى تجاوزت كل حد. فكل ما في البلاد يتعلق بالفرعون؛ سواء شمل ذلك الاشخاصَ أم الاملاك. والطاعة للفرعون عمياء تظهر في عظمة المراسم المحيطة به. فهو يقيم العدل ويدأب على التنظيم ويسهر على الاقتصاد ويؤمّن الدفاع؛ لا لأنه مسؤول امام شعبه بل ليكسب رضى آلهة آبائه.

٢ – النبلاء اما الحاشية والطبقة النبيلة، فقد تكونتا تدريجيًا من ذوي الفرعون وانسبائه والمخلصين له والمحظيين. فمن بينهم قد اختار الوزراء والكتبة والكهنة والقادة وسائر الموظفين ليعاونوه في حكم البلاد.

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

طعام الاغنياء

«يجلس المصريون الى الطعام فُرَادى أو ازواجًا. ومن امـــامهم طاولة مستديرة (إسْكَمْلَه) تراكمت فوقها اطعمة مختلفة: لحم ودجاج وخضار وثمار، أو صُفَّت حولها قطع رغيف مخروطي الشكل... أما الاولاد فيجلسون على وسادة.

ولا تجتمع العائلة من اجل طعام الصباح. ويُقَدَّم الطعام لرب البيت حين ينتهي من الاغتسال. فيتناول الخبز والبيرة وقطعة لحم أخذت من الفخذ وبعض الحلوى... أما الوجبتان الاخريان فتشتملان على دجاج ولحم وخضار وفاكهة الموسم مع الخبز والحلوى، كلها مُغَمَّسة بالبيرة.»

عن مونتي، الحياة اليوميّة...

من الحياة اليوميّة.

الفرعون سيّد الأرضين

تمثال شيخ البلد

ألا ترى تشابها بين هذا الموظّف الفرعوني والرجل المصري الحديث؟

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

أ – **الوزير**: في اواخر الدولة القديمة تعاظمت سلطة الوزير حتى طغت على سلطة الفرعون نفسه. اسمه «لاتي» اي الوزير في لغتنا الحاضرة. لقبه «عيون وآذان الملك». اقتصرت مهمته في البدء على معاونة الملك في تصريف امور الدولة، من اشراف على الادارات والاقتصاد والقضاء. ثم اصبح مطلق الصلاحية خاصة اذا كان الفرعون ضعيف الشخصية. وهكذا تمكّن الوزراء من حفظ هذا المنصب بالوراثة لذريتهم من بعدهم.

ب – **الكهنة**: بين الكهنة من تضاعف نفوذه حتى اصبح فرعونًا مثل «أمينوفيس» الرابع (امنحوتب هي مرادف امينوفيس ١٣٧٠ ق.م ١٣٥٢ ق.م). وتَعَاظُمُ سلطةِ الكهنة ناتجٌ عن حاجة المجتمع اليهم وعن إنفرادهم في ادارة المعابد والتصرف باموالها والاستئثار بنذوراتها. فجمعوا نتيجة لذلك مالًا وفيرًا، وامتلكوا نصف الاراضي الزراعية في مصر تقريبًا. وتمرّسوا بالعلوم والسحر حتى تضخمت سلطتهم المعنوية، وغدوا طبقة اجتماعية مميزة. وفي «طيبة» عاصمة الدولة الوسطى كان مركز رئيس الكهنة: «كاهن أمون الاكبر»، الذي اعتبره الفراعنة مستشارهم الاول.

ج – **الموظفون**: واقتضى اتساع رقعة البلاد، واستطالةُ شكلِ وادي النيل، تقسيمَ الدولة الى مقاطعات (nomes) يرئِس كلًّا منها موظف يمثل الفرعونَ وينفّذ اوامره. وما لبث ان تكاثر عدد الموظفين حتى بلغ عشرات الالوف، من درجات متفاوتة ابرزهم مدير الادارة. وتوزعوا حسب صلاحياتهم؛ فمنهم من تَسَلّم شؤون الأمن ومنهم من اهتمّ باقامة العدل وغيرُهُمْ اهتمّ بادارة ممتلكات الفرعون وغيرُهُمْ سهر على جباية الضرائب. ونتيجة الصلاحيات التي أُعْطِيت لهم تعزز مركزهم الاداري واصبح بامكانهم فرض العقوبات. وَزَادَ في منزلتهم صعوبةُ الوصول الى الوظيفة. فهي رهن بالملمين بالقراءة والكتابة أو بابناء الفرعون وانسبائه. وبعد غزوة الهكسوس تضاءل نفوذ حكام المقاطعات وغدا القادة العسكريون سادة فيها.

د – **الكتبة**: الكاتب شخص بالغ الاهمية، نظرًا لقلة من يتقنون الكتابة والحساب. والكتابة جهد متواصل ومراس طويل، يوجب الكثير من الدقة والمران لفهم اوامر الفرعون وتنفيذ رغباته بحذافيرها. كذلك الكتابة أمرٌ

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

الضريبة . اثنان يحملان بواكير الغلال ليقدّماها ضريبة عن دخلهما

الحياة المدرسية

«من اراد ان يكرس نفسه للكتابة، عليه التخصص بها منذ حداثته وعليه الإكباب على دراسة طويلة. وعلى الكهنة ان يتعلموا الكتابة لانها ضرورة مطلقة بالنسبة للكاهن الملحق بالمعبد. ونظرًا للامكانات التي تهيّئها هذه الكفاءة، يمكننا تصور عدم استعداد المتعلمين لنقلِ «فن واسرار» مهنتهم الى مُضَارِبٍ مرتَقَب.

وقد استأثر كهنة مصر بالتعليم، في معاهد ملحقة بالمعبد. ونسبة المتعلمين كانت ضئيلة. لان هذه النسبة تؤخذ عادة من ابناء الطبقة الغنية؛ ان الفقراء يعجزهم تغطية سِنِي الدراسة الطويلة. في حين كانت المدارس داخلية. تضاف فيها نفقات الاقامة الى اتعاب الاستاذ. والاهل القادرون على تحمل هذه النفقات لا يطلبون اكثر من تأمين العلم لاولادهم، اذ هو مفتاح الوظائف الادارية».

تاريخ البشرية

ج ١، ص ٥٤٨ و ٥٤٩.

مباهاة موظف

«ستتسامرون بذلك فيما بينكم، والشيوخ منكم يعلمون الشبان... كنت انتمي الى عائلة فقيرة، واعيش في ناحية وضيعة، ولكن سيد الارضين (الفرعون) اكتشف كفاءاتي، فاحتلّيت مركزًا مرموقًا في قلبه. وفي جلال قصره رمقني الملك. فرفعني الى درجة أَسْمَى من التي لحاشيته حين ضمّني الى امراء القصر».

تاريخ البشرية

ج ١، ص ٣٨٨.

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

يَتُوقُ اليه الجميع ، لما يفتحه امام الفرد من مجالات الكسب والرفعة. فمن بين الكتبة يُهيَّأ الكاهن او الوزير احياناً.

وفي إطار الطبقة النبيلة يُذكر العديدون ممن جاد عليهم الفرعون بالهبات والاملاك فباتوا من الاغنياء او من الموظفين. وفي عهد الدولة الحديثة، أي حين اهتمت مصر بالفتوح في الخارج، برز القادة العسكريون وعلى رأسهم اولاد الفراعنة الذين احتفظوا بالقيادات وراثية. اما افراد الجيش فقد كانوا من طبقة العامّة.

طبقة العامة والمقصود بها الطبقة المحكومة واليها ينتمي السواد الاكبر من السكان.

أ – الفلّاحون معظم العامّة من الفلاحين غير الملاكين. فعملهم هو كل ما يتوفر لهم من مداخيل. يقيمون على خدمة الطبقة العليا أو يرتبطون بسيد؛ مما يُوْدِي بهم الى حياة الاستعباد احياناً. ويرتبطون بالارض ايضاً كما في النظام الاقطاعي، فاذا بيعت الارض انتقلوا معها الى السيد الجديد.

واتصفت طبقة الفقراء بالصبر والطاعة، وتعرضت للكثير من اعمال السخرة، لا سيما بعد فترة الحصاد او إبّان الفيضانات؛ وهما مرحلةُ ركودٍ في الحياة الزراعية وفترةُ راحةٍ بالنسبة للفلاح. واذا قلّ الانتاج صبر الفلاح على الحرمان وتَقَشَّفَ واكتفى بما يُقيم أَوَدَه ويستر عورته. ولكن الضرائب كانت مُرهقة. فلا مناص له من دفعها وإلّا تعرض للضرب مع افراد عائلته، أو طُرِدَ من الارض لأنها ملك للفرعون او للمعابد او للنبلاء. وقد يكون مناخ مصر مسؤولًا عن الخمول في بعض الحالات. لذلك ترى ان فُقْدَانَ الأمل بالبحبوحة لا يولّد لدى المصري نقمة عارمة. (انظر ص ١٣)

ولا يُسَرّ الفلاح بالفيضانات لأنها فترة راحة (فقد يتعرض للسخرة اثناءها)، بل لانها السبب في إخصاب الحقول، حتى اذا انحسرت المياه عمد الى الغَرْسِ في ارض موحلة سهلة الحراثة، لذلك كانت السكّة من الخشب او الحجر لا المعدن، ونَوَّعَ في المحاصيل فزرع الحبوب من قمح وشعير وبقول وخضار واشجار مثمرة من نخيل وكرمة وتين ونبات البردي والكتان لانه عنصر اساسي في صناعة النسيج، وربّى الماعز والغنم والجواميس

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

والابقار التي شاركته السكن احيانًا في بيته الوضيع. أمّا الخيول فقد اهتمت بها الطبقة العليا بعد غزوة الهكسوس لمصر.

٢ – العمّال أَما العمال فلم تكن حالُ معظمهم بافضلَ من حال الفلاحين. اقتصر نشاطهم على الحرَف التقليدية، يمثّلها ما وصل الينا من نقوش ورسوم. معظم انتاجهم يكاد لا يكفي الحاجاتِ الاستهلاكيةَ ومطالبَ الطبقة العليا بنوعٍ خاص. وفي طليعة انتاجهم النسيج والخزف والحُلِيّ، وكذلك الزجاج الذي اخذه عنهم الفينيقيون وجعلوه شفافًا.

ولو أمعنّا النظر في هذه المصنوعات لوجدناها تَمُتُّ الى الكماليات بصلة وثيقة، خاصة اذا اخذنا بعين الاعتبار مستوى المعيشة وطريقةَ الحياة آنذاك. لذا بدأ الحرَفيون عملهم كموظفين لدى الفرعون والكهنة والنبلاء. وأُتيح لبعضهم فيما بعد ان يكونوا احرارًا في مهنتهم. وقد نبغ كثيرون فاستحقوا جزيل الهبات حتى غدوا من الميسورين.

ولكن هذا لم يمنع ان تسوء حال البعض الآخر. فلا أهميّةَ لليد العاملة نظرًا لتوفرها باعداد ضخمة. وأحد الاهرامات مثلًا (هرم «خوفو») قد عمل في بنائه ما يقارب المائة الف عامل، مدة لا تقل عن عشرين سنة، وبتكاليف تكاد لا تذكر اذا ما قورنت بايامنا الحاضرة. وما ضخامة الابنية المصرية إلا الشهادة الصادقة على ضآلة قيمة اليد العاملة. (انظر ص ١٧)

٣ – الجيش المصريون بطبعهم شعبٌ مسالم، وهذا ما أخّر ظهور جيشهم النظامي. وانما في بعض الازمات، أو عندما يشعرون بخطر جيرانهم الليبيين والنوبيين، يعمدون الى اعلان تعبئة جزئية في المقاطعات. وتُعلن التعبئة عادة بعد الحصاد حتى لا يختل الميزان الاقتصادي.

ومع قيام الدولة الحديثة، والشعور باستراتيجية التوسع حتى لا يُباغتوا في ارضهم، صَمَّمَ الفراعنة على الاحتفاظ بجيش دائم. اختاروا افراده منذ حداثة سنهم. ولم يسمحوا للفلاحين بان ينخرطوا فيه حتى لا يتأثر القطاع الزراعي. وشمل هذا الجيش، الى جانب العناصر الوطنية، مرتزقةً بينهم الليبيون والسوريون والسودانيون والاحباش.

وحياة الجند اجمالًا مرهقةٌ، لان معظمهم من المشاة. أما الاسلحة فقد اقتصرت في البدء على السيوف والقِسِيّ، واخيرًا ظهرت عربات الحرب.

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

الحضارة المصرية
الكتابة والأدب والعلوم

الكتابة شعر المصريون بالحاجة الى تدوين افكارهم خوفاً عليها من الضياع، فتُهدر الفائدة من استمرار المعرفة. ولما كان الفكر مسخراً للدين بدا طبيعياً ان تتخذ الكتابة صبغةً مقدسةً فتسمى باسم «الهيروغليفية» اي الصُوَر المقدسة.

ومعرفتنا بالكتابة الهيروغليفية عائدة الى القرن التاسع عشر (١٨٢٢) حين اهتدى العالم الفرنسي «شامپوليون» (Champollion) الى قراءة «حجر الرشيد». وهو حجر وجده احد جنود حملة بوناپرت على مصر عام ١٧٩٩. فقرأ على هذا الحجر كتابة باليونانية تقابلها كتابة بالهيروغليفية. فخطر له ان يكون النص اليوناني ترجمةً للنص الهيروغليفي. وبعد بحث وتدقيق طويلين صحّت نظريته، فقرأ بعض الاحرف والعبارات. ومن هذا المنطلق تَمَكّنَ من حل معظم رموز هذه الكتابة.

١ – المرحلة التصويرية وقد مرت الهيروغليفية، شأن كل الكتابات، بمرحلة أوَّلِيّة تصويرية، حيث الصورةُ تعبر عن الفكرة. فصورة القدم تعطي فكرة المشي، وصورة العصفور تعطي فكرة الطيران. ولكن هذه الصور غير دقيقة من حيث أداؤها المعنى، اذ الصورة الواحدة قد تعطي اكثر من تأويل، أو تعجز أحياناً عن التعبير، فكيف يعبر مثلاً عن الكذب؟ إلا انهم لتمييز الاسم من الفعل جعلوا اشارة خاصة تتبع الفعل دائماً.

٢ – المقطع الصوتي اما المرحلة الثانية فكانت الكتابة المقطعية الصوتية. والمقصود بها ان تعبر الصورة عن مقطع كلمة فتحتفظ بقيمتها الصوتية فقط.

ولم ينتقل المصريون من مرحلة الى اخرى بصورة نهائية. بل كانوا يخلطون بين كلتيهما؛ مِمَّا يزيد في مشقّة الكتابة والقراءة. وشامپوليون الذي كان اول من مَرَّ في هذه التجربة بين المعاصرين قال: «انها طريقة معقدة، فهي في الوقت ذاته تصويرية ورمزية ومقطعية». ولا نستغرب بعد ذلك اذا رأينا ان عدد رموزها واشكالها وحروفها قد وصل الى السبعماية.

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

من الادب الوجداني

التشاؤم

الموت يبدو اليوم لعينيّ.
كما المريض المتماثل للشفاء.
او كما نتعافى بعد المرض.

* * *

الموت يبدو اليوم لعينيّ.
كما طريقٌ جدُّ مطروقةٍ.
او كما نعود الى البيت بعد الحرب.

* * *

الموت يبدو اليوم لعينيّ.
كما رائحة عرائس النيل (اللوتس).
او كما نتلهى على ضفاف النيل.

* * *

الموت يبدو اليوم لعينيّ
كما اكتشاف السماوات.
او كما نصل الى هدف مجهول.

تعبد الفرعون للإله « رع »

« تحياتي اليك ايتها الآلهة، سيدة السماء والارض والمحيط. عظيمة انت بالقرب من ابيك « رع ». انا ابنك، من ابدعته يداك. فانت، يا قوة الكون، من جعلني ابدو كالسيد حياة وصحة. انت اعطيتني الكمال على الارض، فانا اقوم بواجبي بسلام... أَعَدْت الى معابدك رونقها، وقد كانت من قبل في انحطاط. وقدمت لك تقادم فوق التي كانت فيها. بنيت لك القصور والمعابد والمدن. ونقشت عليها اسمك الى الابد. صَنَعْت لك آلاف الآنية مصفحة بالذهب والفضة والنحاس... »

تاريخ البشرية – الاونيسكو

تطوّر الكتابة الهيروغليفية

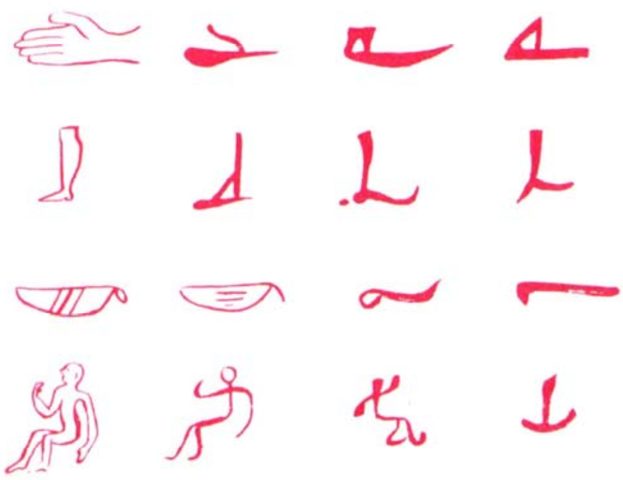

من الشمال الى اليمين:
١ – الصورة او المرحلة التصويرية
٢ – الهيروغليفية الأولى
٣ – الكتابة الهيراتيقية
٤ – الكتابة الدوميتيقية

الكتابة الهيروغليفية

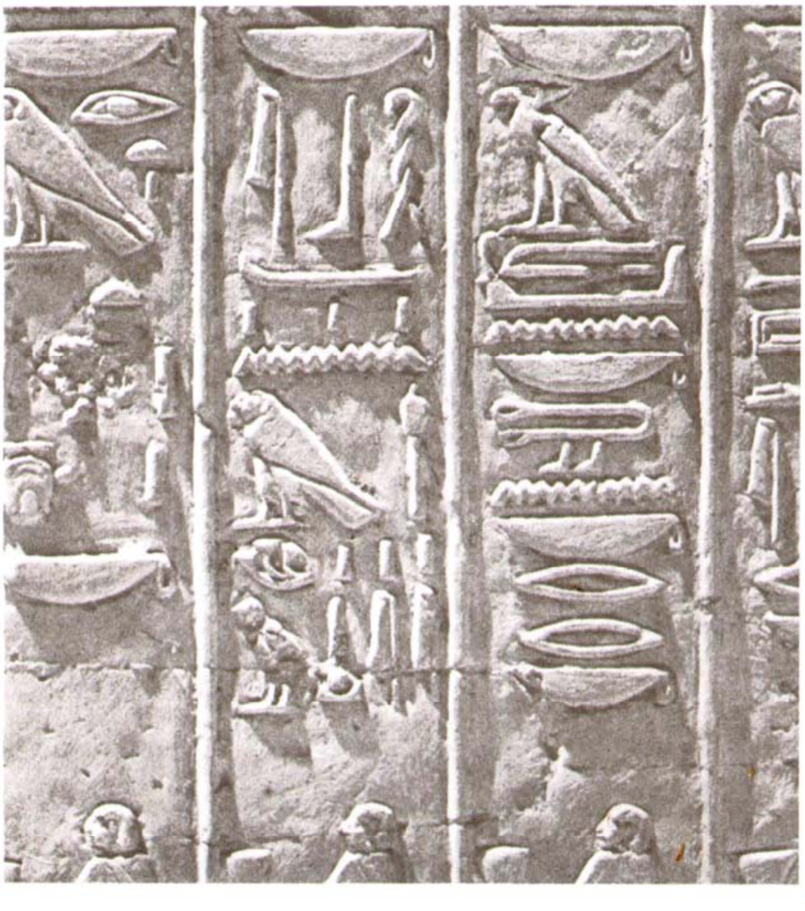

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

واذا كان الفنانون والفراعنة قد سُرُّوا بهذه الكتابة، لما تُضْفيه من رونق الزخرف على الاعمدة والجدران، فان الكهنة عمدوا الى اختزالها فكانت الكتابة «الهيراتيقية» (Hiératique). ومثلهم اختزلها العلمانيون منذ ٧٠٠ ق.م. فكانت «الدوميتيقية» (Dométique) التي ظلت حيّة في الكتابة القُبْطِيّة. (انظر ص ١٩).

الأدب وُجِدَت الآثار الادبية في اماكن مختلفة من مصر. وذلك عائد لاختلاف ازمان نَظْمها أو كتابتها. فبعضها وُجد محفورًا على جدران الاهرام وبعضها مكتوبًا على بَرْدِيّاتٍ (ورق البردي) محفوظةٍ في جِرَار، ومنسقة فوق رفوف. قسمٌ منها يتطرق للموضوعات الدينية والآخر للموضوعات الدنيوية.

ففي المجال الديني برزت قصائد الفرعون «أخناتون»، واشهرها «نشيد لآتون» (الاله الواحد المتمثل في قرص الشمس). والمزامير التي تجلّت في الادب العبراني مأخوذة في شكلها وجوهرها عن الادب المصري. وعن اقوال الحكيم «أمينيموبي» (Amenemope) اخذت التعاليم الموحدة فيما بعد، لما استشفّت فيها من تحسُّسٍ لروح العدالة ومسؤولية الانسان. و «كتاب الموتى» (راجع ديانة المصريين) دليل آخر على الصبغة الدينية في الادب.

أما الادب الدنيوي فقد ظهر متأخرًا. ووصلتنا بعض الاقاصيص لكتّاب مجهولين، برعوا في التصوير وسموا في الاحساس كقصة سَنُوحِيْ المطرود من بلاده بعد انقلاب فاشل (راجع ميزة المجتمع المصري) وقصة القائد تْحُوتْ. وبعض القصائد الدنيوية تطرقت الى مواضيع وجدانيةٍ في الغزل والزهد. (انظر ص ١٩ و ٢٥).

العلوم كان المصريون اول من قسم السنة الى اثني عشر شهرًا، وجعل اليوم أربعًا وعشرين ساعة. يقيسونها بواسطة الساعات المائية ليلًا والشمسية نهارًا.

أ – التقويم وعرفوا التقويم منذ القرن الخامس والعشرين قبل الميلاد. فقد لاحظوا ان فيضان النيل يتكرر بانتظام مدهش، فاخذوا يَعدّون الايام التي تفصل بين فيضانين، حتى استقر رأيهم على العدد ٣٦٥ يومًا. فكانت «السنة النيلية». وقسموا هذه السنة الى أربعة فصول اولها «فصل الفيضانات».

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

وانتبه علماؤهم فيما بعد ان نجم «الشِعْرَى اليمانية» وقد سمّوه «سوتيس ايزيس» يظهر قبل حدوث الفيضانات مباشرة. فاعتمدوا على ظهوره ليصححوا الفارق الذي يصل الى يوم كامل كل اربع سنوات. ولكنهم اغفلوا زيادة هذا اليوم الى السنة الرابعة (نحن اليوم نضيفه الى شهر شباط، ونسمي السنة الرابعة «سنة كبيس» وعدد ايامها ٣٦٦ يومًا).

وثمة آثار تدل انهم عرفوا التقويم القمري. ولكن الكهنة فقط اعتمدوه لضرورات دينية. إذ الاعياد الكبرى تقع في نهاية السنة القمرية لا الشمسية. واضطر الكهنة ان يتضلعوا بعلم الفلك من اجل مطابقة التقويم القمري على الحساب الشمسي.

اما التأريخ فلم يبدأوه من حدث طاغٍ مثل مجيء المسيح او هجرة النبي. بل كانوا يبدأونه منذ تولي الفرعون حكمه، فاذا مات عادوا منذ البداية يعدون سنوات حكم الفرعون الجديد؛ فيقولون مثلًا في العام السادس من حكم الفرعون فلان... (انظر ص ٢٣)

٢ – الاعداد ظلت معرفة المصريين بالاعداد محدودة. وجهلوا الصفر. وكان العدد الاول يرمز اليه بخط عمودي ويتكرر بقدر ما يُريدونه من مرات، حتى اذا وصلوا الى العدد عشرة رمزوا اليه بشارة خاصة (∩)، والماية (9) ولكنهم طوّروا علم الحساب، واتخذوا من الجمع اساسًا لعمليتي الضرب والقسمة، وعرفوا الكسور دون ان يطوروها فتوقفوا عند الثلثين $\frac{٢}{٣}$ والثلاثة ارباع $\frac{٣}{٤}$.

٣ – الهندسة وبرعوا في هندسة المساحة، لحاجتهم اليها في تحديد الممتلكات. لان النيل كلما فاض بَدَّلَ المعالم. فيقتضي إذًا، بعد كل فيضان، أَنْ تُعَاد الحدود الى ما كانت عليه سابقًا. وفي اعمال هندسة البناء، لم يعجزوا عن وضع التصاميم مع قياساتها اللازمة. فقد عرفوا الطريقة الصحيحة لحساب المساحة في المستطيلات والمثلثات والدوائر. (توصلوا الى النتيجة π = ٣,١٦٠٥ بينما هي في الواقع π = ٣,١٤١٦).

٤ – الطب دفع المصريون بالطب اشواطًا الى الامام. ولكنهم عجزوا عن تحريره كلية من السحر. وقد وجد المنقبون بَرْدِيّاتٍ تحمل معلومات طبية وفيرة ودقيقة، يشوبها احيانًا السحر إذ الاعتقاد السائد ان المرض ناتج عن الارواح الشريرة.

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

وأتِيح للمصريين ان يتعرفوا الى الجسم البشري واعضائه عن كثب. والتحنيط قد ساعدهم كثيرًا في هذا المجال. لان التحنيط يستدعي تجويف الجسد، دون القلب اذ له منزلة خاصة، وجوفوا الرأس ايضًا، ودرسوا ما يحيط بالنخاع. ولكنهم بالرغم من ذلك عجزوا عن فهم الدورة الدموية، ووظيفة الاعضاء وعلاقاتها المشتركة. وقد علّمتهم بعض الحوادث ان اصابة موضعٍ معين في النخاع قد يؤدي الى شلل بعض اعضاء الجسد. والوصفات الطبية التي تضمنتها البَرْدِيَّات، تتكلم عن الطريقة وعن العقاقير اللازمة لمعالجة الجراح والكسور والالتهابات والاضطرابات المعوية. ثم تنصح هذه البرديات بعدد معين من الوصفات، على الطبيب ان يختار من بينها، أو أن يستعملها بالتدريج، مراعيًا السن والطقس فيحذر من تناول بعض العقاقير خلال فصل الصيف.

٥ً – تقصير في نواحٍ اخرى

بالرغم من التقدم الذي احرزه المصريون في دنيا العلوم، فقد بقوا عاجزين عن تفسير بعض المظاهر الهامة في حياتهم، كفيضانات النيل مثلًا؛ لان النيل كل شيء بالنسبة اليهم، فهو الذي يمدهم بالخصب، وهو الذي ينظم حياتهم وسنيهم وفصولهم، ومن هنا سعيهم لمعرفة اسباب فيضانه المنتظم. فنسبته اساطيرهم الى دموع الإلهة إيزيس التي تبكي زوجها أوزيريس (واوزيريس يرمز به المصريون الى النيل). بينما يفسره آخرون بهبوب الرياح الشمالية الغربية التي تدفع بمياه المتوسط نحو داخل القارة، فتمنع انصباب مياه النيل في البحر، فتتضخم وتفيض لتغمر الوادي. والتفسير الثالث الذي اعطوه، هو ان النيل ينبع من اوقيانس واسع يحيط بالكون ويصعب الوصول اليه. وغيرهم يرى الفيضان ناجمًا عن ذوبان الثلوج في مناطق ما داخل القارة. وفي كل ما ادعّوه قد ابتعدوا عن التفسير الصحيح.

وحتى في المجالات التي حلّق فيها المصريون، وبنوع خاص الطب، لم يستح اطباؤهم في الاعتراف بالتقصير احيانًا، مما لم يقض نهائيًا على نفوذ السحرة والمنجمين. وتشهد على ذلك البرديات الطبية المختلفة.

ورغم نقاء سماء مصر، لم يستطع علماء الفلك فيها ان يجدوا الحدود الفاصلة بين ما هو تنجيم وما هو علم. فبقوا مقصرين اشواطًا عن البابليين معاصريهم في بلاد ما بين النهرين.

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

أخناتون وعائلته ،
ويرى آتون (قرص الشمس)
مضيئًا في اعلى

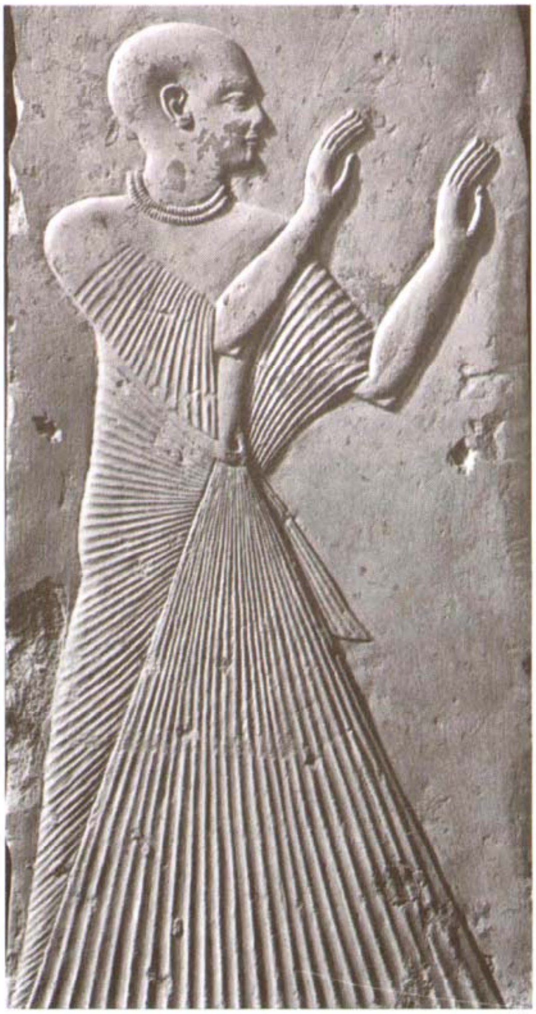

الكاتب

الجمع اساس الحساب

الضرب: عملية مشتركة من الجمع كما هي لدينا.

القسمة: هي ايضًا عملية جمع. فاذا اريد قسمةماية على خمسة وعشرين فتكون النتيجة: ٢٥+٢٥+٢٥+٢٥ اي ان الرقم (٢٥) قد تكرر اربع مرات. فنتيجة القسمة اذًا (٤).

اصطلاحات الازمنة

عندما اكتشفت اسرار الهيروغليفية، لاحظ العلماء ان المصريين رمزوا الى عدد الاعوام بعدد معين من العروق التي ترتسم على ورقة النخيل. ورمزوا الى الشهر بالهلال، والى اليوم بقرص الشمس مقسمًا الى ٢٤ ساعة؛ اثنتا عشرة ساعة للنهار ومثلها لِلّيل. اما اسبوع السبعة ايام فلم يعرفوه قبل القرن الخامس والعشرين. ففي عهد الدولة القديمة، قسموا الشهر الى فترات من عشرة ايام، وكانوا قد قسموه ايضًا الى فترتين من ١٥ يومًا.

عن اسكندر موريه «تاريخ الشرق».

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

٤ الحضارة المصرية
الدِّيانة وَالفُنُون

أ – تعدد الآلهة عبد المصريون آلهة عدة. ويرجع تعدد الآلهة الى الفترة التي سبقت وحدة شطري مصر. فقد انقسمت إذَّاك الى مقاطعات (nomes) كل منها تنصرف الى عبادة إله خاص. هكذا برزت عبادة الإله «سيت» المتمثل في الافعى وعبادة الإله «هوروس» المتمثل بالصقر. واحاط الملوك انفسهم بهالة من القدسية فَتَسَمَّوا «خدام الإله هوروس» واعتُبروا انصاف آلهة. وفيما بعد اعتبر الفرعون نفسه إلهًا. واشتهر في كل مدينة إله معين، ومنهم «فتاح» في منف و «توت» إله الفكر و «هاتور» إله السماء...

وألَّه المصريون كثيرًا من الحيوانات. وتأليه الحيوان ناتج عن الخوف من القوى الكامنة فيه، كالأفعى في الصحراء والتمساح في النيل. فصفة الالوهية هي اذًا للقوة المتمثلة في الحيوان، وفي النبات احيانًا، لا للحيوان او النبات بحد ذاته. هكذا اتخذ الآلهة اشكالًا ومظاهر متعددة، فمنهم من يظهر في النقوش المصرية بشكل صقر أو تمساح أو ثور (العجل «أبيس») أو احتفظ بجسم انسان ورأس حيوان كالإله «أنوبيس». (انظر ص ٣١)

وكثيرًا ما تتوصل مدينة الى فرض إلهها على سائر المدن. فانتشار عبادة الإله رهن بسطوة المدينة وامتداد نفوذها. ولم يتردد المصريون في الاقتباس عن جيرانهم؛ مثلًا على ذلك عبادة الإله «رع» إله الشمس، واسمه ايضًا «أمون». ثم اقترن الإسمان فاضحى الإله «أمون – رع». ومع ثورة الفرعون امنحوتب الرابع اصبح اسم إله الشمس «أتون» (واتخذ الفرعون لنفسه اسم «أخناتون».) ولفظة «أتون» تحريف مصري لكلمة «أدون» السامية ومعناها السيد، ومنها اشتق اسم «أدونيس». وثورة اخناتون الدينية هَزَّت بلاد الفراعنة من أقصاها الى أقصاها. فقد انتهكَت حرمة الآلهة الاقدمين، وفرضت إلهًا واحدًا دون سواه هو الإله «أتون» اي الشمس. إلا ان هذه الثورة لم تدم طويلًا. فمع موت اخناتون حصلت ردة فعل قوية. واعاد «توت عنخ أمون» خليفة امنحوتب الرابع (أو امينوفيس الرابع) الاعتبار الى الآلهة القديمة. (انظر ص ٢٣)

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

حساب الآخرة

برزت لدى المصريين احدى النقاط الاساسية التي شغلت فيما بعد الديانات الموحدة؛ ألا وهي قضية الحساب أو الدينونة. فقد وضع الاغنياء على جثة ميّتهم كتابًا دعوه «كتاب الموتى»، يستعين به لمواجهة الإله اوزيريس. وبفضل ما يشتمل عليه هذا الكتاب من عبارات، يستطيع الميت ان يبرئ نفسه ويكسب الحياة الابدية. كأن يردد ساعة الحساب:

«لم اعنّف الفقراء ولم اجوّعهم. لم أُسئ معاملة الناس، ولم أُحَمّل نفسًا فوق طاقتها. لم اقتل. لم اسرق. لم اكذب. لم اتعرض للحيوانات المقدسة. لم أُسئ الى مليكي أو الى ابي. لم أقسم بالباطل. لم اتلف زرعًا. لم الوّث مياهًا. لم أغش في مسح الحقول. لم انزع من عيار الموازين. بل اقمت على احترام الآلهة. فانا طاهر، انا طاهر، انا طاهر...»

وتتمايل كفتا الميزان. وعلى احداها قلب الميت، وعلى الثانية تمثال «الحقيقة – العدل» «مَعَاتْ». ومخافة ان يكذّب القلب صاحبه يردد الميت: «يا قلبِ لا تقم شاهدًا ضدي، ولا ترجح الكفة عليَّ امام سيد الميزان.»

ويتحقق من وضعية الميزان ٤٢ قاضيًا. كل منهم يمثل احدى مقاطعات مصر. فاذا توازنت كفتا الميزان، معنى ذلك أن المتوفى قد عاش بموجب القانون والعدالة، فيصدر الحكم التالي:

«فليخرج (فلان) مُبرًّأ. ليذهب حيث شاء بالقرب من الأرواح والآلهة». واذا رجحت كفة السيئات ابتلعه مسخ اسمه «الملتهمة».

عن اسكندر موريه، «تاريخ الشرق».

نشيد لآتون للفرعون أَخناتون

«ان فجرك لرائع في الافق السماوي.
إي اتون الحي، مصدر كل حياة.
وحين بزوغك الشرقي في افق السماوات.
تغمر كل بلد بجمالك.
فانت رائع، عظيم، مشع وعالٍ فوق الارض.
تقبّل بشعاعك الكون وكل بلد خلقت.
وبالرغم من بعدك، فان شعاعك على الارض.
وبالرغم من ارتفاعك، فما النهار إلا اثر خطاك.
وعندما تغيب في الافق الغربي من السماء.
تغمر الكون ظلمات كما تغمر الميت.
ويهجع الناس في مخادعهم.
معصوبي الرؤوس.
مكمومي الانوف، يجهل بعضهم بعضًا.
ويُسلبون كل ما يسندون اليه رؤوسهم.
دون ان يعلموا.
والآساد تخرج من عرائنها.
وكل الافاعي تعض.
فتعم الظلمة، ويغمر الكون سكون.
لأن من خَلَقَها ذهب ليرتاح وراء افقه.»

عن تاريخ البشرية – الاونيسكو.

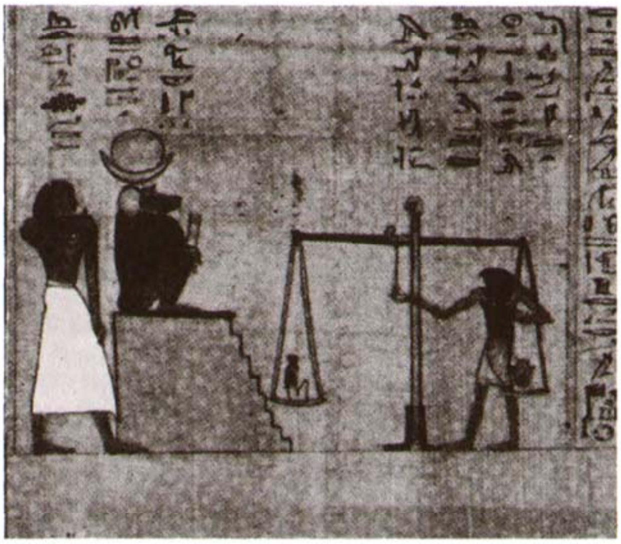

الحساب الأخير

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

٢ – الحياة الآخرة اشترط المصريون لاستمرار الحياة بعد الموت أن يسلم الجسد من التفكك والتلف؛ ومن هنا اهتمامهم بالتحنيط. وقد يقوم التمثال المودع في القبر مقام صاحبه فتستمر علاقة روحه بجسده. على ان مفهوم الروح يختلف لديهم؛ فقد اعتقدوا بان «الاندفاع الحيوي» يلازم الجسد خلال الفترة التي تلي الموت مباشرة،ثم يتولى نَفْثَ الحياة في خياشيم الميت «طير» يجثم فوق رأسه ويمسك في مخالبه رمز الحياة. وبهذا يؤمن له استمرار الحياة. فيصبح الميت اذاك «كائنًا منتصرًا» حيًا باستمرار، متصفًا بالقدرة الالهية. وقد عبر المصريون عن الاندفاع الحيوي بلفظة «خا»، وعن الطير بلفظة «با» وعن الكائن المنتصر بلفظة «أخ»). ونستنتج من ذلك ان «البا» و «الخا» و «الأَخ» هي الانسان نفسه بعد انتقاله الى الحياة الآخرة. وفي هذا التفسير رفض لفكرة الموت، هذا الموت الذي يخشاه كل انسان.

وتطورت النظرة الى الماورائيات، بعد ان ادعى كهنة أمون في طيبة اكتشافهم لاسرار الخلود. فعرضوها بشكل نصوص جمعوها في «كتاب الموتى» لتساعد الميت على العبور الى الابدية بسلام. فيودع «كتاب الموتى» مع الميت يستعين به لمواجهة الدينونة او الحساب امام الاله «أوزيريس». فتزان اعماله، واذا رجحت كفة سيئاته ابتلعه مسخ اسمه «الملتهمة» (La mangeuse) اما اذا رجحت كفة حسناته فينعم باستمرار حياته في مملكة اوزيريس. وظن بعض الموسرين ان بامكانهم تهيئة انفسهم للخلاص مسبقًا، فترددوا على المعابد لاقتباس بعض الاسرار بالاضافة الى التي كانوا يجدونها في «كتاب الموتى».

الفنون

١ – علاقة الفنّ بالدين توثّقت الصلة بين الفن والدين. لا بل كان الدين سبباً في انطلاقة الفنون. وكانت الابنية الدينية، كالمقابر والهياكل، من اعظم الآثار المصرية. أمّا قصور الفراعنة فلم تكن إلا من الطين والآجر، فاندثرت معالمها باكرًا. وسبب الاهتمام بالابنية الدينية بسيط، هو ان الفرعون كان يهيّئ نفسه دائمًا للحياة الآخرة.

٢ – الهياكل تكاد لا تخلو منطقة في مصر من الآثار الفرعونية، واكثرها من المعابد والمقابر. اما الهياكل فأشهرها «الكَرْنَكْ» و «الأُقْصُر» و «إِدْفُو» و «دَنْدَاره».

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

وبعضها محفور في شاهق صخري كمعبد «ابي سِنْبل» في بلاد النوبه، (وقد صار نقله حديثًا الى مكان أعلى حتى لا تطغى عليه مياه النيل بعد انشاء السد العالي) ومعبد «دير البَحْري». ونظرًا لاهميته وضخامته يغدو الهيكل منذ انشائه نواةً لمدينة صغيرة فيها الكهنة والموظفون والعمّال والحرس والفلاحون للاعتناء بالهيكل واملاكه.

واتت الهياكل على شيء كبير من الضخامة، لتليقَ بالآلهة كمعبد «الكَرْنَك» الذي يُنيِّفُ طوله على المائة متر. والتصميم المعتمد هو نفسه تقريبًا في كل الهياكل. واقسامه الاساسية هي التالية: عند المدخل برجان ضخمان. وامام كلّ منهما تنتصب مِسَلّة حجرية وسارية ترفرف عليها اعلام. وفي بعض المعابد يحيط بالمدخل صفّان من «ابي الهول». وفي نهاية المدخل بوّابة تؤدي الى باحة محاطة بالاعمدة. وفي نهاية الباحة «بهو الاعمدة» الذي لا يدخله إلّا الكهنة والمتنفذون. ويلي «بهو الاعمدة» حجرة سريّة تحيط بها مقصورات تعج بالنفائس، وفي وسطها المركب المقدّس. بينما تمثال الإله يوضع في فناء المعبد. (انظر ص٢٩)

٣ – المقابر كانت المقابر متنوعة المظاهر متفاوتة الاحجام: كأن تكون عادية بشكل مصطبة او تكون هرمًا مُدَرَّجًا أو هرمًا ضخمًا أو تكون منحوتة في شاهق صخري بعيد المنال. واهتم الاغنياء بجعل مومياء موتاهم في حرز حريز، حتى لا يعبث بها اللصوص. فاذا نُبشت الجثة لا يفي التحنيط بالغاية المرجوة منه. والمقتنيات الثمينة التي تدفن مع الميت هي التي تثير طمع اللصوص في نبش القبور والعبث بالموتى.

وقد جرت العادة في البدء ان يُوَارى الميت في سرداب ارضي متعرج، يصعب الاهتداء اليه. ويُبنى فوق مدخله «مصطبة» كبيرة او صغيرة، حسب مركز الميت. وخطر لأحد الفراعنة، واسمه «سنفرو» (Snefrou) ان يقفل السرداب بعدة مصاطب، فاعطت شكل الهرم المُدَرَّج المعروف باسم «هَرَم سَقَّارَه» المدرج. (انظر ص ٣١)

وما الهرم المدرج إلا مرحلة وسطى بين «المصطبة» والهرم بمعناه الحقيقي. ففي الجيزة بالقرب من القاهرة اليوم، أو بالقرب من «مَنَفْ» عاصمة الدولة القديمة بنى الفراعنة «خُوفُو» و «خِفْرِن» و «مِنْكَوْرَع» ثلاثة اهرامات لتكون

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

قبورًا لهم. وجعلوا في داخلها السراديب يضيع فيها من يتسلل للسرقة.

والشكل الاخير للمقابر هي المحفورة في الشواهق الصخرية المطلة على وادي النيل. ومنها قبر «توت عَنخ أمون».

وتشتمل المقبرة عادة على ثلاثة اقسام: اولها السراديب المتعرجة، ثم الغرف الخالية المزينة الجدران والمحتوية على نفائس جمة، ثم بئر عميقة تنفذ الى «حجرة الميت» وفيها الناووس الحجري وضمنه المومياء.

٤ً – الرسم شغف المصريون بالرسم لانه يخدم الاغراض الدينية؛ فروح الميت كما راينا، تستمر في الحياة مع الجسد المحنط وتتذكر ايامهما معًا. والذكريات هذي تتمثل فيما على جدران المقبرة من رسوم يظهر فيها الميت، وكأنه انسان من العالم الآخر طلّق الأرض وجلس يراقب مشاهد من حياته الماضية. فرسموا الطبيعة والحيوانات، وافتنوًا في الالوان، واعتمدوها لا في الرسوم فقط بل في طلي النقوش والتماثيل أيضًا.

وخضع الرسم، وكذلك النقش، لقوانين ثابتة مقيّدة للفن والفنان معًا. فالشخص الهام يجب ان يظهر أكبر من سواه دون مراعاة الابعاد. واذا كان المنظور في وقفة جانبية رسمت العين كاملة والكتفان عريضين كما في الوقفة المواجهة. واذا كان لا بد من اظهار الشخص اثناء الحركة فتكون الحركة من نصيب الأعضاء البعيدة عن عين الناظر الى الرسم؛ أو بعبارة أخرى، اذا رسم او نقش رجل ينظر الى اليمين، فالحركة تكون من نصيب ذراعه أو قدمه اليسرى. وهذا معناه وجوب مراعاة الاصطلاح على حساب الابعاد.

ولم يتحرر الرسم من هذه القيود إلا ايام اخناتون، ليعود من بعد الى سيرته الاولى. وفيما عدا ذلك لم ينعتق الفنانون من هذه القيود إلا عندما رسموا العامة او مشاهد من حياتهم، فظهرت عندئذ كفاءاتهم حسبما يتطلبه الفن لا القانون.

٥ً – النحت كذلك خضع النحت للعقائد وللقوانين الثابتة. ونحتت التماثيل لتلبّي حاجتين كلتاهما دينية. اولاهما ان تماثيل الفراعنة والآلهة معدة لتزيين واجهة المعابد، فاقتضى ان تكون ضخمة، رصينة، تمثل الفرعون جالسًا ويداه على ركبتيه، قدماه متوازيتان حتى ليشعر الناظر الى التمثال بان صاحبه يبذل جهدًا مستمرًا للمحافظة على هذه الوضعية. اما اذا كان التمثال واقفًا، فالقدم اليسرى

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

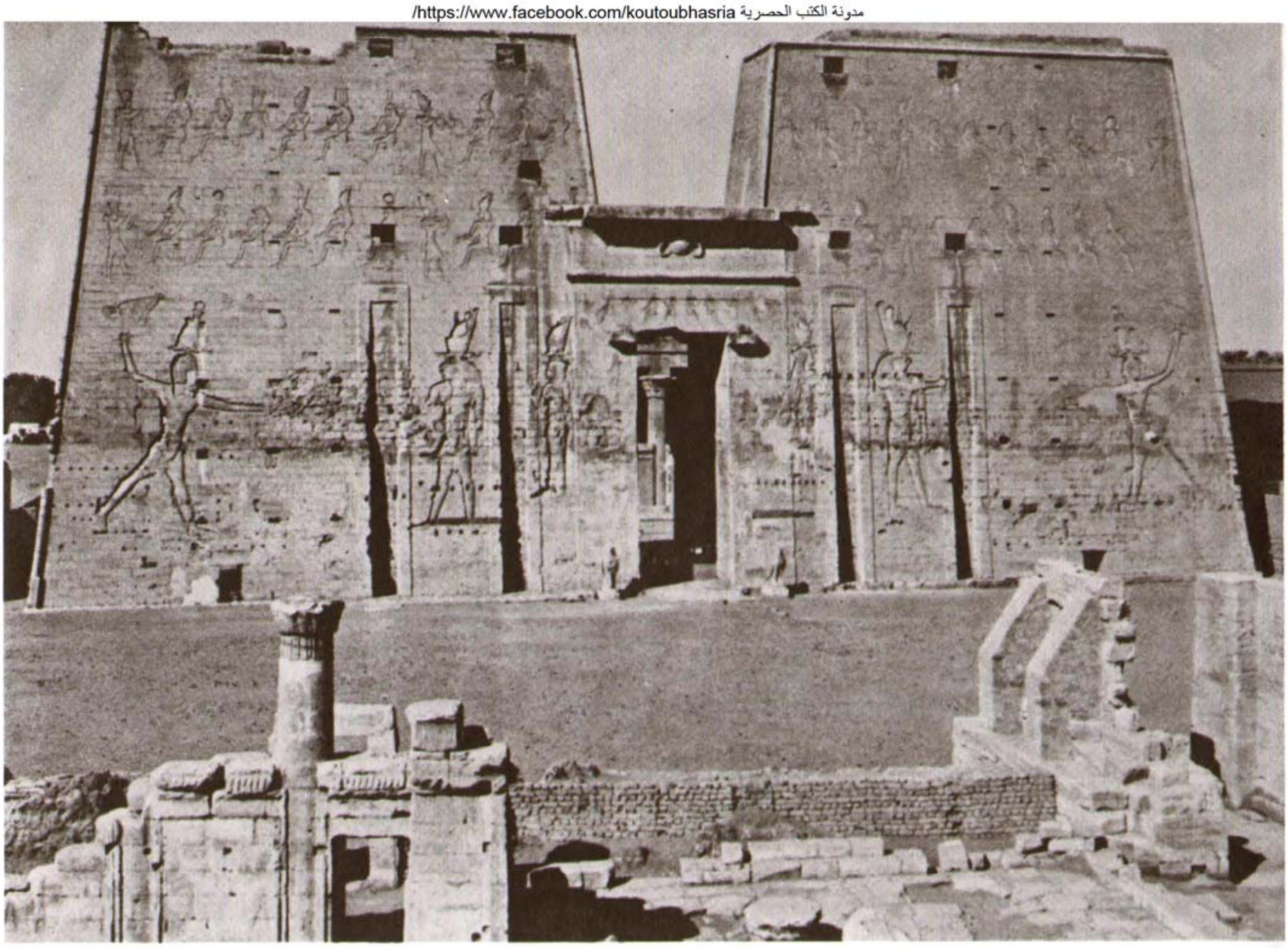

واجهة معبد ادفو

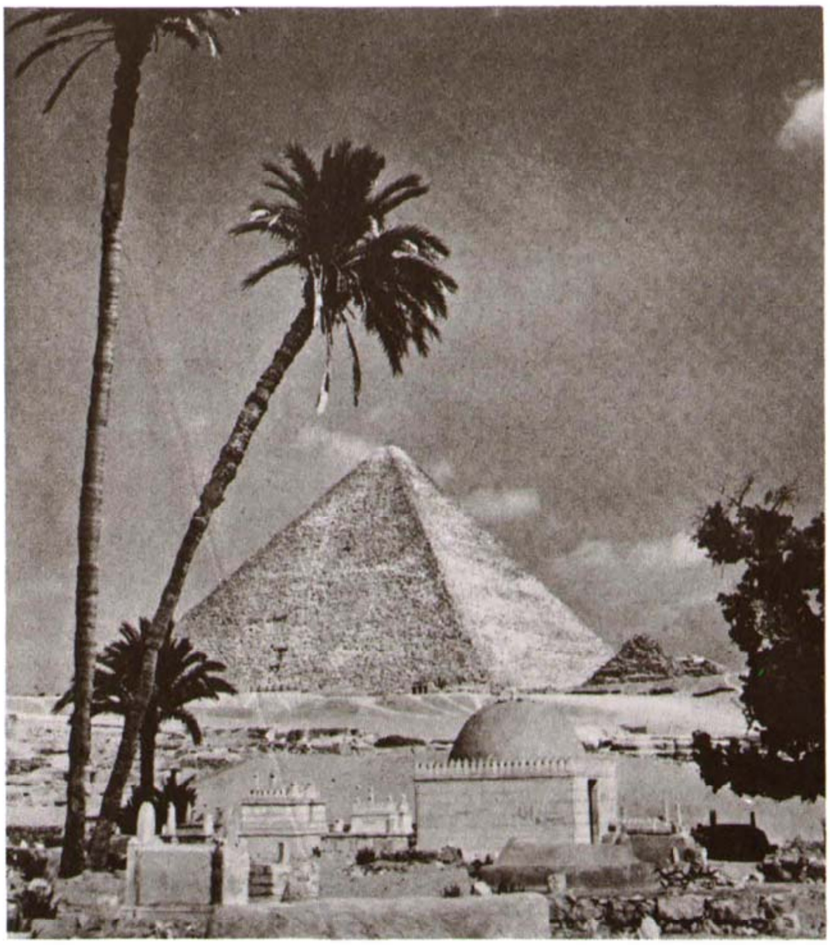

الهرم الكبير

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

تتقدم اليمنى. وبالرغم من كون تقاسيم الوجه تنم عن اسارير هادئة فانها لا تترجم نفسية صاحبها على حقيقتها.

اما الحاجة الثانية الى التماثيل فنابعة من الفكرة الدينية القائلة بان الجسد يجب ألا يتفكك. لذلك رأى الميسورون ان يضعوا في قبورهم اشباهًا لهم لا تمسها يد الفناء، فلا خوف اذاك ان لم يفِ التحنيط بالغاية المرجوة منه.

وحرص النحاتون على جعل التماثيل مطابقة لاصحابها. فاتت تماثيل النبلاء وغيرهم من الموظفين نابضة بالحركة عكس تماثيل الفراعنة. ولشد ما كانت دهشة السكان حين عثر المنقبون عام **١٩٢٦** على تمثال خشبي لاحد الموظفين، تقاسيمه نسخة طبق الأصل عن هيئة عمدة البلدة، فاتفقوا على تسميته باسم «شيخ البلد».

وكما في الرسم كذلك في النحت، كانت ثورة اخناتون الدينية فترة تحرر فنيّ. فغدت التماثيل والموضوعات اعمق تعبيرًا، بعيدة عن الجمود، قريبة من واقع صاحبها ونفسيته وفي هذا دلالة على ان الفنان المصري لم تعوزه المقدرة لو ترك حرًا في ممارسة فنه. وبالرغم من العودة الى القوانين التقليدية بعد موت اخناتون، فلم تخل المنجزات الفنية اللاحقة من تأثير هذه الثورة. وابلغ الأمثلة على ذلك تمثال لرعمسيس الثاني يظهره جاثيًا متعبدًا للاله، وفي ذلك محاولة تنكرّ لكل القوانين الجامدة السابقة.

ومع اشتداد الطلب على التماثيل، قل اهتمام النحاتين بالتفاصيل. فاكثروا من الانموذج الواحد، يباع لمن يطلبه. كذلك لم يقتصر النحت على التماثيل فقط، فثمة «المسلّات» و «ابو الهول» الخرافي، وان كان وجهه يشبه الفرعون خفرن. وثمة اعمدة الهياكل ذوات التيجان المنقوشة بشكل زهرة عرائس النيل أو «اللوتس». وتزدان المعابد والمقابر، والأعمدة نفسها بالنقوش والكتابة الهيروغليفية لما تضفيه من رونق مكمل للبناء.

٦ – الفنون الأخرى وليس هذا كل ما خَلَّفه المصريون من فنون، فثمة «الفنون الصغرى»، والمقصود بها المصاغ الذهبي الذي اقتنته النساء او ازدانت به المقابر. لان

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

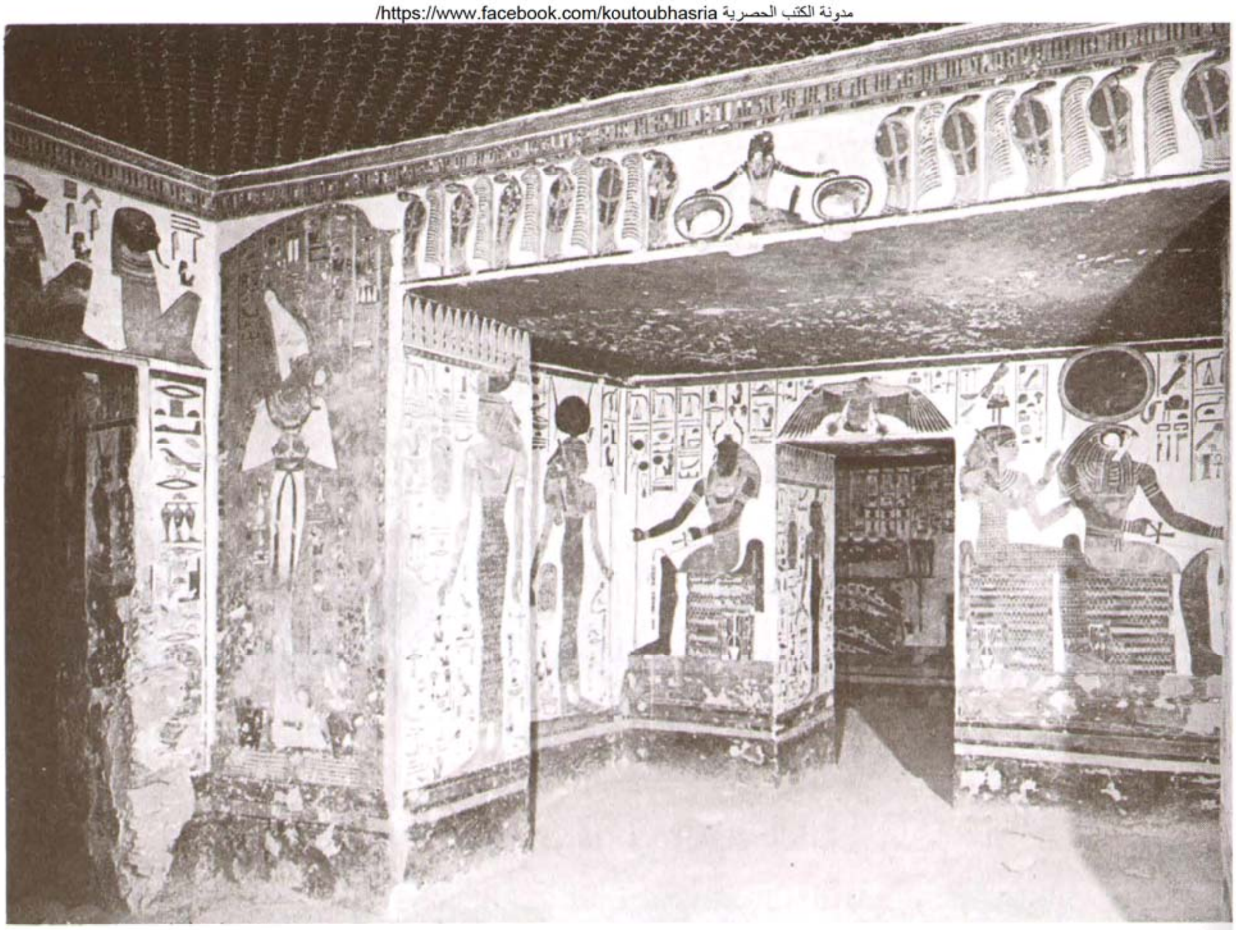

رسوم على جدران مقبرة

هرم سقارة المدرّج

العجل آبيس

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

المقتنيات الثمينة كانت تدفن مع الميت . وتشهد دقة صنع الاقراط والعقود والاساور على المستوى العالي الذي بلغه هذا الفن لدى المصريين . وكذلك غنى افريقيا (السودان والحبشة القريبتين من مصر بنوع خاص) بخشب الأبنوس والعاج من اسنان الفيلة ، قد ساهم في ازدهار صناعة الصناديق المزخرفة والمطعمة والتماثيل الصغيرة . وقد وجدت بين انقاض المعابد والمقابر الفينيقية ، في جبيل وصيدون ، اعداد كبيرة من الحلي وغيرها من المصنوعات المار ذكرها . وهي على الاجمال هدايا او تقادم خصصها فراعنة مصر لملوك الساحل الفينيقي او لمعبد « بعلة جبيل » . وهذه النماذج بالذات تشهد على قدم العلاقات بين مصر وفينيقيا . (انظر ص ٧٩)

ولا بد في النهاية من ذكر عابر للموسيقى . فهي على الاجمال بسيطة لم تتطور . لعبت دورها في الحياة العامة . وطبيعي ألا يصلنا شيء من الانغام ، وانما الرسوم الملونة على جدران المقابر ، وتمثل عازفات على آلات وترية ، تدلنا على اهتمام بعض الموسرين بها .

٧ – بناء المدن توزعت الحواضر المصرية بين الوادي والدلتا . وتبدلت العاصمة باستمرار ؛ من نخب الى تنيس الى منف الى طيبة الى اثاريس ، ثم الى طيبة فتل العمارنة... حسب مشيئة الفرعون. وزاد في سهولة انتقالها ارتباط الموظفين بشخص الفرعون لا بنظام اداري ثابت. وقد يغدو المعبد احياناً نواة لمدينة ناشئة ، يجتمع فيها الكهنة وخدم المعبد والعمال والموظفون ، فيقيمون بيوتهم والحوانيت دون تخطيط سابق. حتى اذا زالت الوظيفة الدينية للمدينة تقلّص سكانها واقفرت ، تلك كانت حال تل العمارنة بعد اخناتون. وقد وصلنا عن المدن المصرية تصميمان فقط احدهما لمدينة كاهون في الدولة الوسطى ، والثاني لمدينة تل العمارنة . وقد كانت منازلهما متلاصقة ، مبنية من الطين ، باستثناء الباب الرئيسي فاطاره من حجر . وكلها محاطة ببساتين مسوّرة. وغياب الحجر عن بناء بيوت الأحياء يفسر لماذا لم يرق الينا منها شيء يذكر .

وطبيعة شعب مصر المسالم لم تدفعه الى تحصين المدن بالأسوار كما فعل الساميون ، ونستثني من ذلك تل العمارنة ، ثم اثاريس لانها بالطبع مدينة سامية مغروسة في الدلتا .

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

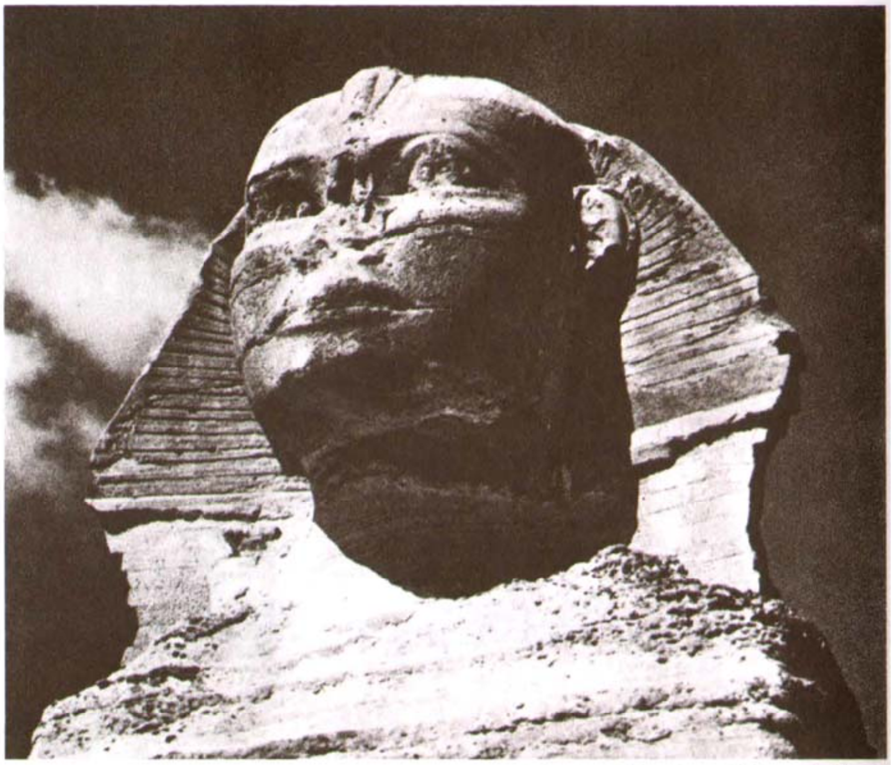

ابو الهول. اما الوجه فهو للفرعون خفرن.

عازفات على آلات وترية. رسم على جدران احدى المقابر في طيبة.

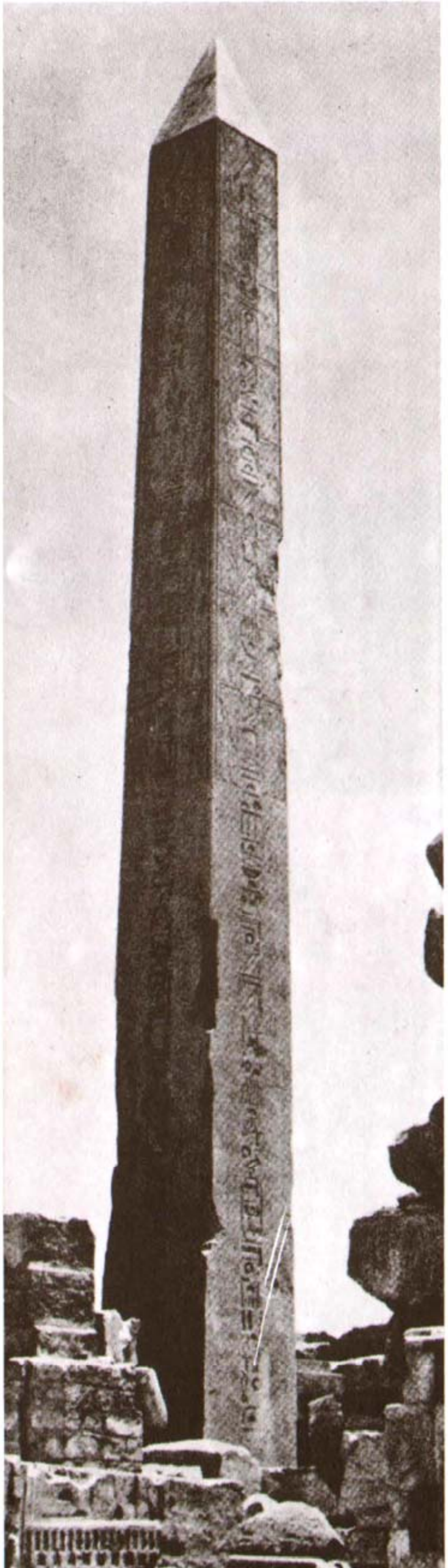

مسلّة امام معبد الكرنك.

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

٥ البلاد والدول

ما بين دجلة والفرات بين بادية الشام ومرتفعات ايران، منخفضٌ صحراوي يعبره نهرا دجلة والفرات، فيحولانه الى سهل خصيب. وهذا السهل الذي نسميه اليوم العراق، عَرَفَ اقدمَ الحضارات في العالم.

ويتعرض جنوب «ما بين النهرين» لفيضانات سنوية أقلّ انتظامًا، ولكنها أشدّ خطرًا من فيضانات النيل. وكان أحدها سببًا في ما روته التوراة عن «نوح» وفُلْكه.

أما في الشمال، حيث تأثير النهرين أقل، فقد امتدت بلاد «أشور». ومعظم ارضها هضاب صخرية وجبال قاحلة، لا منفذ لها على الخارج: ففرضت قسوة الطبيعة على السكان نمطًا قاسيًا من العيش، أدّى الى تبلور الذهنية العسكرية القاسية.

والغرب بالنسبة للفرات اليوم هو بلاد سوريا، وسمّاها الاقدمون «أَمُورّو». وكانت مَصْدَرَ معظم الهجرات السامية نحو بلاد «الرافدين» (دجلة والفرات).

والى الجنوب الشرقي من العراق الحالي بلاد «عيلام». اشتهرت فيها مدينة «سوسه» (Suse)، دون ان تكون جزءًا اساسيًا من بلاد «ما بين النهرين». بل اضحت فيما بعد ركنًا هامًا بالنسبة الى حضارة «فارس». كما ان هضاب ايران بدورها قد صدّرت نحو «الرافدين» عناصر «آرية» أو «هندية اوروبية» «كالسومريين»، الذين قاموا بدور المؤسس لحضارات ما بين النهرين.

فتكون الانهار الكبرى اذًا، قد أثارت، بصورة دائمة، طمع القبائل والشعوب المجاورة لها. تَغزُوها دائمًا بما تدرّه مياهها وتربتها من خيرات، فتتخلى عن طابعها القبلي لتُشيِّدَ حضارة زراعية.

التمركز والتنظيم تركزت الحياة في البدء عند الطرف الجنوبي من البلاد. وهنالك انشأ «السومريون» اقدم حضارات العالم. ثم تتالت هجرات القبائل السامية من بلاد «أَمُورّو». وشادت «أكّاد» ثم «بابل». وبعد البابليين سيطر «الاشوريون» واتخذوا

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

حملة نارام سين

رثاء مدينة «أوْر»

«عندما فازوا بالنصر، عندما قلبوا النظام
كالطوفان ساعتئذٍ، قضوا على كل شيء
في آن واحد.
لماذا بدّلوك إي سومر؟
نفوا من الهيكل السلالة المقدسة
وهدموا المدينة، هدموا الهيكل
واستأثروا بحكم البلاد.
وكما أشار «انليل»، انهار النظام
وانليل اشاح بنظره نحو ارض غريبة
واقتيد الأقدسُ «إبي – سين» الى عيلام.»

تاريخ البشرية – الاونيسكو.

احدى الاقنية المتفرّعة عن الفرات

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

« أشور » ثم « نينوى » عاصمة لهم . واخيرًا انتقلت مقاليد الامور الى «الكلدانيين» فاعادوا « بابل » الى سابق مجدها . فتكون خمس دول قد تعاقبت على بلاد « ما بين النهرين ».

دول ما بين النهرين وعددها خمس ، اولاها « آرية » والباقية « سامية ».

أ – السومريّون »

أ – اصلهم: « السومريون » اغراب عن بلاد « ما بين النهرين ». يدلّنا على ذلك لباسهم الصوفي وصناعتهم للنحاس. لان الصوف لا يطاق في بلاد حارة كالعراق . والمعادن لا مناجم لها فيه . فقد قدم « السومريون » اذًا من مناطق جبلية عالية وغنية بالنحاس (ايران؟ القفقاس؟ الاناضول؟). وحَلّوا في الجنوب عند مصبي دجلة والفرات حوالى العام ٣٢٠٠ ق.م. (ولم يكن للنهرين آنذاك مصب واحد كما هي الحال اليوم ، بل كانت مياه الخليج العربي تتقدم مسافة ماية وتسعين كيلومترًا الى الشمال). وهنالك اسسوا مدنًا هي ممالك مستقلة اشهرها: « أور » (Ur) و « أُرُك » (Uruk) و « أومّا » (Oumma) و « لاغاش » (Lagash) و « لارسا » (Larsa) وكانت مدينة « ماري » (Mari) أبْعَدَها الى الشمال. وتفصل المستنقعات بين هذه المدن ، وانما تصل بينها الاقنية.

ب – تاريخهم: ينقسم تاريخ « السومريين » الى مرحلتين. أولاهما عهد المدن المستقلة ، والمدينة كناية عن دولة. وثانيهما عهد المملكة المتحدة.

وفي المرحلة الاولى ، احتفظت كل مدينة باستقلالها ، في ظل ملك كاهن اسمه « پاتيزي » (Patésie) وقادها الاستقلال الى التنافس والعداء. تحاول كل منها ان تفرض سيطرتها. واشهر العداء ما قام بين مدينتي «لاغاش» و « أُومّا ». وانتهى بانتصار الأولى.

وفي المرحلة الثانية قُيض لمدينة « أُومّا » ملك قوي (اسمه « لوغال زاجيزي » (Lougal Zagizi) و « لوغال » معناها الملك). فثأر لها وتابع زحفه نحو المدن الاخرى. فوحّدها في دولة واحدة عاصمتها « أورُك ». وفاخر هذا الملك ببسط نفوذه من « البحر الأدنى » (الخليج العربي) الى « البحر الاعلى » (المتوسط). ولكن هذه المملكة لم تُعَمّر اكثر من ربع قرن. وسقطت على يد « الاكاديين » عام ٢٧٢٥ ق.م.

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

٢ - « الأكاديّون » **أ - اصلهم:** رَاقَ لبعض القبائل الضاربة في بلاد «أمورُّو» خصب سهول الرافدين. وشاقها ان تتنعم برقي الحضارة السومرية. فهاجرت اليها وبنت مدينة «كِيْش» على الفرات.

ب - تاريخهم: تكاثر عدد الساميين في موطنهم الجديد. وقام زعيمهم «سَرْجُوْن» يجمع كلمتهم. وشاد عاصمة جديدة دعاها «أكّاد». ثم حارب السومريين فغلبهم. فَعُرِفت بلاده إذّاك باسم «أَكَّادِيَه». ولُقِّبَ باسم «سَرْجُون الأكّادي». هكذا حل العنصر السامي محل العنصر «الآري» أو «الهندي الاوروبي».

وواصل «سرجون» فتوحاته. فاخضع شرقي شبه الجزيرة العربية وبلاد «عيلام». وبلغ الغرب، و «غسل سلاحه بمياه المتوسط». ولكن الثورات تآزرت عليه، فاضعفت دولته. وافادت من ضعفها فلول «السومريين». ولم يُنْهِضْ الدولة الأكادية من كبوتها إلّا «نَارَامْ سِيْن» حفيد «سرجون». وَرَدَّ الخطر الخارجي الآتي من ايران. ولكن الاستقرار لم يدم، فعادت الثورات. واتاحت لبعض المدن السومرية، المستكينة على مضض، ان تستعيد قوتها وازدهارها، مثل مدينتي «لَاغَاش» و «أُوْر». (انظر ص ٣٥)

٣ - « البابليّون » **أ - اصلهم:** ظلت بلاد «أَمُورُّو» مصدر الهجرات السامية المتعاقبة. مما حدا «الأكاديين»، في ساعات ضعفهم، ان يرحبوا بها ويشجعوها. حتى لا يعود العنصر السومري الى الطغيان.

ب - تاريخهم: استقر النازحون الجدد في «بابل» (بيت الإله). واتخذوها عاصمة لهم. ولم يوطِّد سلطتهم فيها إلا «حَمُوْرَابِيْ» (من ١٧١٠ ق.م الى ١٦٧٠ ق.م). فاحسن التنظيم. وثبّت الدولة على ركائز متينة. ثم اهتم بالفتوح فاخضع بلاد «أَشُوْر» ثم بلاد «أَمُوْرُّو». وشجع الهجرات السامية نحو جنوب البلاد لتحل محل السومريين. ولكن موته عَجَّلَ في انهيار الدولة، لا سيما وان خطر «الحثيين»، الآتين من آسية الصغرى، بدأ يُهَدّد بلاد «ما بين النهرين».

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

٤ً – « الاشوريّون » **أ – اصلهم:** قطن شمالي بلاد « الرافدين » مزيج من شعوب ، غلب فيها العنصر السامي ؛ هم « الأَشُوْرِيُّون ».

ب – تاريخهم: داخل دولة « حَمُوْرَابِي » بالذات ، كانت العناصر الأشورية تهيّئ نفسها لدور فعّال في تاريخ البلاد . فأنشأ أحدهم « سَرْجُوْن الأول » (غير سرجون الأكّادي) منذ عام **١٧٧٥** ق.م. دولة اقتصرت في البدء على منطقتي « كردِسْتَان » و « المُوْصِل » الحاليتين . وأُعْلِنَت مدينة « أَشُوْر » ثم مدينة « نِيْنَوَى » عاصمة لهذه الدولة . لكن الغزوات الحثيّة ، التي قضت على بابل ، اجتاحت بنفس الوقت دولة « أشور » الفتية .

وما انحسر الخطر الحثيّ حتى قام « تَغِلَّاتْ فَلَاصَّرْ » الاول يعيد تنظيم الدولة الاشورية . وأعدّها حتى استطاعت ، ايام « أَشُوْر نَاصِرْبَال » ، ان تنتقل الى مرحلة الفتوح . وبفضل تفوقها العسكري ، استطاعت احتلال آسيه الصغرى ، وفينيقيا ، وفلسطين ، ومصر .

٥ً – « الكلدانيّون » **أ – اصلهم:** قبائل ساميّة . نزحت عن بلاد « أمورّو » حتى اواسط العراق . وهنالك عُرِفَت باسم « الكَلْدُو » . واليها انتسب « الكَلْدَانِيُّون ».

ب – تاريخهم: تكاثر الكلدانيون في « بابل » . وعمد « الاشوريون » الى تعيين احدهم حاكمًا على هذه المدينة . فأعَدَّ حاكم بابل الكلداني إبْنَهُ لجمع « الكلدانيين » تحت سيطرته . وفي نفس الوقت ، كانت دولة « المِيْدِيين » في إيران تستكمل اسباب قُوّتها . وبدأت تفكّر بالتوسع . فتواطأ زعيم الكلدانيين معها . وَوَجَّهَا ضربة قاصمة الى نينوى عاصمة « الأشوريين » ، فسقطت عام **٦١٢** ق.م.

هكذا قامت دولة « الكلدانيين » على انقاض دولة « الاشوريين » . وورثت عنها السيطرة على البلدان المجاورة ، أي سوريا وفلسطين وفينيقيا ، ومصر احيانًا . وأَعَاد « الكلدانيون » الى « بابل » مجدها الغابر . وازْدَهَت ايـام « نَبُوْخَذْنَصَّر » . ولكن دولة « الكلدانيين » هذي لم تُعَمَّر قرنًا . ففي عام **٥٣٩** ق.م. ضمّها « قوروش » الفارسي الى دولته . وبزوال الدولة الكلدانية ، فقدت « بلاد ما بين النهرين » استقلالها . ودخلت في مرحلة انحطاط . وانهارت حضاراتها ، وان كان تأثيرها لا يزال مستمرًا حتى اليوم .

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

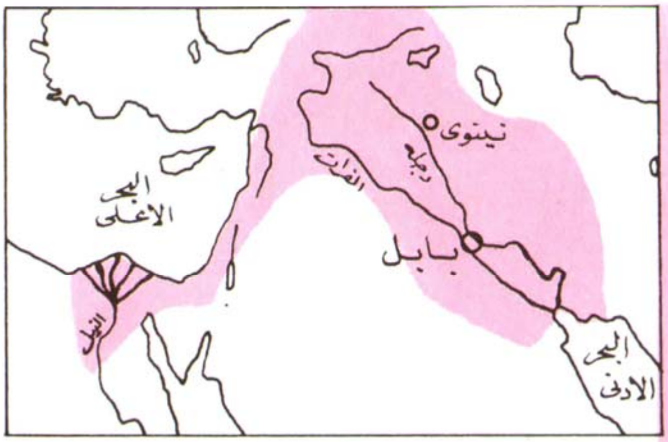

اشور

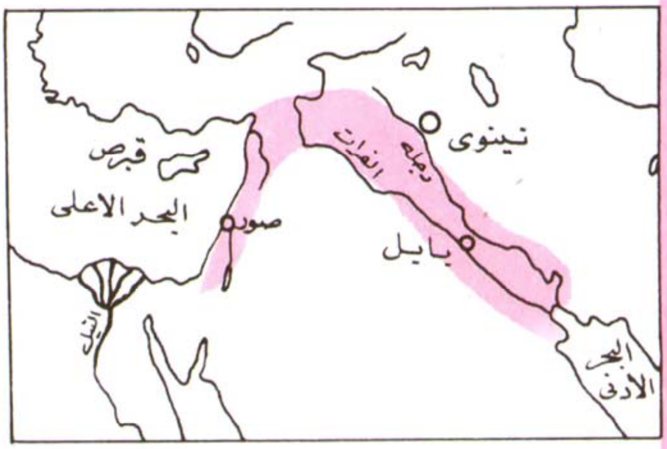

بابل

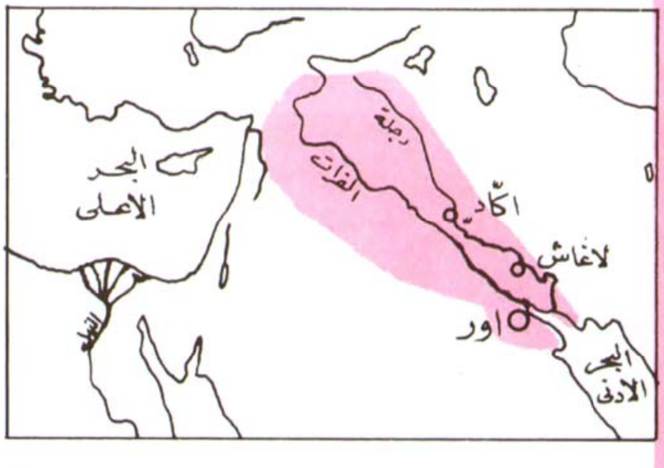

الدولة الكلدانية

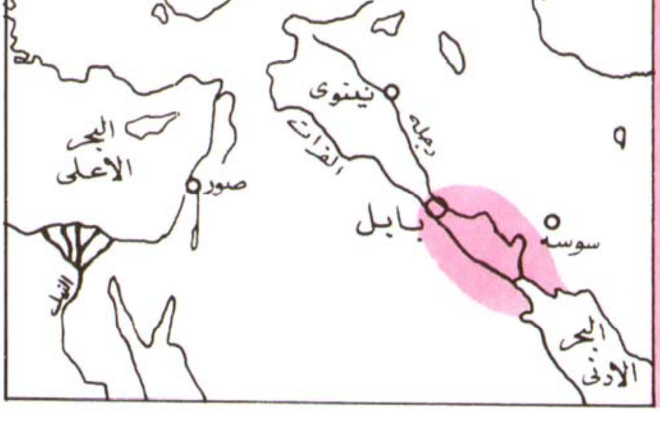

سومر وأكّاديه

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

٦ الدّيـانة والفنون

شاد السومريون اول حضارة في بلاد «ما بين النهرين». وتركوا تراثًا فنيًّا وفكريًا ودينيًا، اقتبسته عنهم الشعوب السامية التي خلفتهم. وتجاوز تأثيرهم بلاد الرافدين الى منطقة المتوسط. والقبائل الساميّة، الضاربة في بلاد «أمورّو»، أو غيرها ممن تعاطت التجارة معهم، قد نقلت الكثير من هذه التأثيرات الى بلاد مصر. ورجعت بالتأثيرات المصرية.

الديانة

أ - المعتقدات ككل شعب بدائي، قدّس السومريون مظاهر الطبيعة وعناصرها. ثم طوروا معتقداتهم، فعبدوا القوى الكامنة وراءها، كحرارة الشمس في بلاد حارة كالعراق، أو قوة المياه عند فيضانها أو الطوفان أحيانًا (اسطورة «جلجميش» (Gilgamesh)، وعنها اخذت قصة الطوفان ايام «نوح»). ثم جعلوا الآلهة على صورة البشر؛ يتصفون بالقوة والضعف، لهم الحسنات وفيهم السيئات.

وكان طبيعيًا، في بلاد خصبة كالعراق، أن يُؤلَّه الخصب في الدرجة الاولى. أليس هو السبب في اجتذاب السكان؟... وهنا تبرز ظاهرة رأيناها عند المصريين، ألا وهي تعدد الآلهة بتعدد المدن والمجموعات السكنية. لكل مدينة إله، لا تكتفي بعبادته بل تسعى لفرضه على سائر المدن، وما اكثرها في بلاد «سومر». وتنتهي الصدارة الى إله المدينة المنتصرة. وتندر الحالات التي تعبد فيها مدينة إله مدينة اخرى تلقائيًا. واذا عبدته لا تبرزه مطلقًا في المرتبة الاولى. هكذا البابليون، بعد ان اخضعوا البلاد احتفظوا بآلهة «السومريين» و «الأكاديين» معًا، ولكنهم جعلوا «مردوخ» إله بابل عاصمتهم في مقدمتها جميعًا. ومرجع ذلك بطبيعة الحال الى نفوذ «حمورابي». فنفوذ الإله اذًا هو نفوذ الدولة.

وليس «مردوخ» بالغريب عن آلهة السومريين والاكاديين. فهو ابن «إيَا» إله المياه الجوفية. وتُختصر فيه صفات الآلهة جميعًا؛ لأنه خلّصها من خطر احدق بها. وتَحَلّى بكل مزاياها، فكانت له المرتبة الاولى.

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

مردوخ إله بابل، مخلص الآلهة عندما هددتها أمها «تِيَامَات».

«... اقاموا عرشًا إلهيًا،
أجلسوا مردوك (مردوخ) على العرش.
جلس على العرش ليتقبل التاج من ايدي آبائه:
أنت المعظم بين الآلهة، انت المؤمّر
أنت تقسم الاقدار، لا مردّ لاحكامك
لا مرد لحكمك، لن يجرؤ إله على امتيازاتك
في كل هيكلٍ لك نصب
أنت المنتقم ملّكناك علينا.
وفي المجلس المقدس لن يفتح إله فمه.

* * *

حدث مردوك إيا قائلًا:
إني خالق دمًا، إني خالق عظمًا
منهما سأخلق الانسان
سأخلق الانسان ليخدم الآلهة
أفك اسر الآلهة، احررها من عبوديتها.

* * *

أنت ايها الاله مردوك حررتنا من عبوديتنا
كيف نعبر عن شكرنا لك؟
تعالوا نَبْنِ له مسكنًا
تعالوا نبنِ له هيكلًا.
فَرِحَ مردوك، اشرق وجهه
ليكن اسمها بابل، قال مردوك
لتكن مسكنًا للثالوث:
مردوك وأنليل وإيا.»

الدكتور انيس فريحه – ملاحم واساطير.

جلجميش

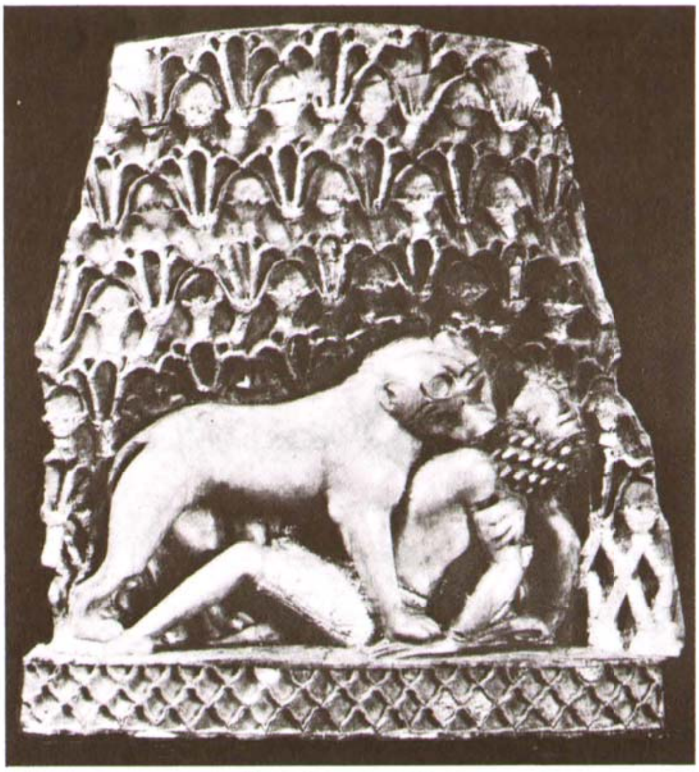

حفر على العاج من الفن الأشوري

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

ولما تَمَّت الغلبة للاشوريين، برز في المقدمة إلههم «أشور»، وكانت الإلهة «عِشْتَار» ملازمة له. ولكن شهرة «مردوخ» من جهة، والكره المكبوت للأشوريين من جهة ثانية، جعلا بعض المناطق تبقى على ولائها «لمردوخ». وإن يكن «أشور» قد فرض عليها. ومع دولة الكلدانيين برز الإله «نَبُوْ» ابن «مردوخ».

٢ – تعدد الآلهة تعددت الآلهة بتعدد المدن والدويلات. وحصر السومريون آلهتهم في مجموعتين: الثالوث الأول ويتألف من «آنو» إله السماء و «أَنْلِيْل» إله الارض و «إيَا» إله المياه الجوفية. فجمعوا بذلك بين عناصر المادة الثلاثة: السائل والهواء والجماد. والثالوث الثاني يتألف من «شَمَشْ» إله الشمس و «سِيْن» إله القمر و «أَدَدْ» الذي يجمع كل عناصر الطبيعة. و «أَدَدْ» هذا قد ادخله «الاكاديون» معهم من بلاد «أمورّو». واضافت كل دولة إلهًا خاصًا بها مثل «مردوخ» و «أشور» و «عشتار» و «نَبُو».

وفي مرتبة ثانية، كَرَّم سكان ما بين النهرين «أنصاف الآلهة» و «العمالقة» مثل «جلجميش» السومري. أما الاشوريون فقد اعتقدوا بوجود «الروح» («رُوْخا» بالاشورية) وقسموها الى فئتين: «روح الخير» و «روح الشر». واقاموا «لروح الخير» انصابًا على ابواب المعابد، لتمنع سيئي النوايا من الوُلُوجِ اليها. وعن الاشوريين اخذ الفرس هذا الاعتقاد.

والاعتقاد بسلطان «السحر» و «الشياطين» قديم في بلاد الرافدين. وقالوا بان ثمة صلة بين الآلهة والشياطين. فقد يدفع الإله شيطانًا الى المَضَرّة بالناس. لذا عُنِيَ البابليون «بالتنجيم» و «العرافة» واعتمدوا «الطلاسم» لاعتقادهم بأنها الدواء الانجع للتخلص من سلطة الشيطان.

٣ – الحياة الآخرة اعتقد السومريون بان النفس لا تموت. ولكنهم لم يتطرقوا لموضوع «الحساب» كالمصريين (راجع ديانة المصريين). ولَدُنْ مفارقتها الجسد، تذهب الروح الى «اصقاع لا ترجع منها». وهنالك تستمر في حياةٍ بائسة، فقيرةٍ الى الأمل. بينما هي لدى المصريين تدخل عالم «أُوزيريس». واهتموا بحفظ الجسد دون ان يتوصلوا الى التحنيط. فأودعوا مع الميت تمثالًا شديد الشبه بـه (يقوم مكان المومياء المصرية). وحرص السومريون على ان يضعوا مع الميت كل ما يعوزه في حياته الثانية، مثل مصاغه ومقتنياته الثمينة.

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

وشاعت هذه المعتقدات لدى كل من الأكّاديين، والبابليين، والاشوريين، والكلدانيين. فلم يتبدل من تقاليدها شيء. لذا نعتبر دائماً، بان الحضارة السومرية كانت حجر الاساس بالنسبة لديانات ما بين النهرين.

الفنون لا يمكن الفصل بين الدين والفنون. فالفن قائم على خدمة العقائد، مسخر لها، شأنه في مصر.

أ – النحت افتقر جنوب بلاد الرافدين الى الحجارة. فجاءت انصاب وتماثيل السومريين صغيرة، عديمة الانسجام في توزيع النسب بين حجم الرأس وسائر الجسم. اما في الشمال فالبلاد صخريـة والمقالع متوفرة. وفي كلا الجنوب والشمال لجأ الفنانون الى المعادن الثمينة احياناً. فغلفوا بها بعض التماثيل ليزيدوا من قيمتها. (انظر ص ٤٧).

واهتم الفنان بابراز معالم الوجه وتقاسيمه. فاتى التمثال مطابقاً لاوصاف صاحبه. وتلك ضرورة دينية، اذ الغاية من كل تمثال ان يمثل صاحبه في المعبد، لترضى الآلهة عن صُنْعِهِ المتين المتقن. وحيال تزايد الطلب على التماثيل، لجأ صانعوها الى قَوَالِب، فانتجوا اعداداً ضخمة من تماثيل الآجر، بانموذجٍ واحد. ساعتئذ قل الاهتمام بالتفاصيل. فخرج النحت عن المقوّمات الفنية.

وبرع السومريون بالحفر، والتطعيم بالعاج على الواحٍ من الحُمَّر. واتقنوا صناعة الخزف كنتيجة حتمية لصناعة الآجر. وعنهم أخذت الشعوب السامية التي حلّت محلهم فيما بعد.

واختلفت الموضوعات لدى كل من هذه الشعوب. فالشكل المحبب لدى السومريين لا يظهر في التماثيل البابلية. وجسَّد الاشوريون في نماذجهم كل ما يمثّل القوة، كالاسد والثيران المجنحة، و «اللبؤة الجريح» خير مثال على هذا. حتى ان الملك يمثلونه دائماً اثناء الحرب أو الصيد. ويُبرز فنّانوهم تفاصيل الوجه، والعضلات المفتولة لدلالتها على القوّة، بينما يسترون بقية الجسم برداء فضفاض. ومن هذه الموضوعات الاشورية قبس الفرس فيما بعد. (انظر ص ٤٥ و ٥٧ و ٦١)

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

٢ً – الرسم لم يبرع سكان ما بين النهرين بالرسم بقدر ما برعوا بالنحت والنقش. فقد يقتصر الرسم على تلوين النقوش. وقصّروا كالمصريين في حل مسألة الابعاد. فلم يميّزوا بين الصف الامامي وما خلفه. والرجل الأهمّ يبدو اكبر من غيره. كذلك لم يميّزوا بين وقفة مواجهة ووقفة جانبية. وهذا بادٍ على شكل العين التي تظهر كلها في الوقفة الجانبية، كما لو كانت مواجهة للناظر اليها. ثم ان قلة النماذج وغموضها لا تسمح بتكوين فكرة عن هذا الفن لديهم.

٣ً – فنّ العمارة اعتمد البناء على الطين المجفف أو اللَبِن وكلاهما أصل صناعة الآجُر. فَشَوَوْا الحجارة في الافران حتى غدت قاسية. ولكنها على قساوتها لا تصمد صمود الحجر. وهذا ما عرّض المقابر والمعابد والقصور للإندثار. وزاد في ضياع آثارها الفيضانات المتعاقبة. وكلما تهدّم بنيان عمدوا الى البناء فوق انقاضه. فتراكمت الانقاض وتحوَّلَت الى تلول. وفي هذه التلول بالذات عُثِرَ على آثار حضارات ما بين النهرين.

أ – القصور: واشهرها قصر «خور ساباد» في «نينوى» عاصمة الاشوريين، وقصور «بابل» الكلدانية. و «بابل» الشهيرة هي عاصمة الكلدانيين لا عاصمة «حمورابي» وان كانت المدينة نفسها. فالكلدانيون زادوا في رونقها. فعادت اليها شهرتها السابقة بعد ان طَمَسَها الحكم الاشوري فترة. واضحت في النهاية مضرب المثل في بلاد الشرق. وقد اقيمت على نهر الفرات، يحيط بها صفّان من الاسوار. منافذها على الخارج ماية بوّابة من القُلُزّ. شوارعها مستقيمة. دُوْرُهَا غنية متعددة الطبقات. جنائنها غناء. وأبرز ما فيها قصر «نَبُوْخَذَنَصَّر» و «برج بابل» بجنائنه «المعلَّقة». أما القصر فقد بلغت مساحته عشرة كيلومترات مربعة. طول قاعة العرش فيه ستون مترًا وعرضها سبعة عشر مترًا، مطليّة كلها بالابيض. (انظر ص٥٣)

و «برج بابل» هو في الأصل «زِقُّوْرَة» (راجع الابنية الدينية) تتوسط الجنائن المعلّقة. على قمتها معبد الإله «نَبُوْ» ابن «مردوخ». و «الجنائن المعلّقة» تأخذ شكل تلّة، في ادناها اعمدة شديدة الضخامة. اعمدة فارغة أصلًا ومُعبَّأَة ترابًا، تحمل من فوقها قناطر. وهذه القناطر تحمل مُدَرَّجَاتٍ مغروسة تتخللها ادراج عديدة يسلكها المتنزهون. والبنيان جُمْلَةً متين متماسك،

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

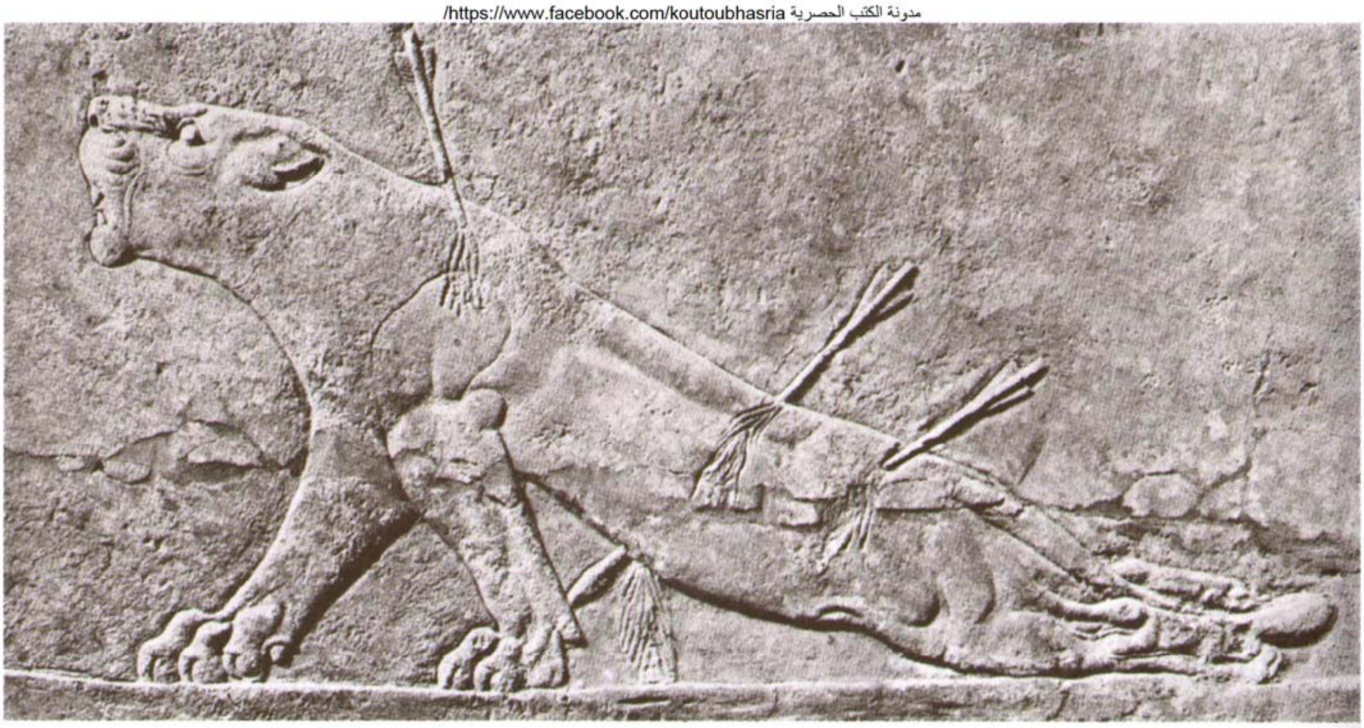

اللبؤة الجريح

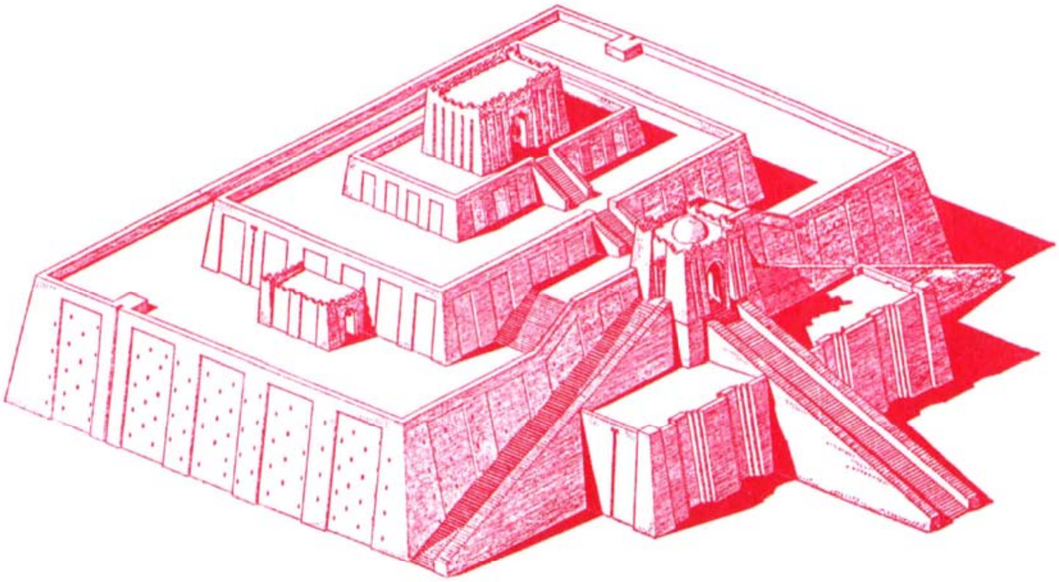

تصميم الزقورة

بقايا زقورة مرممة

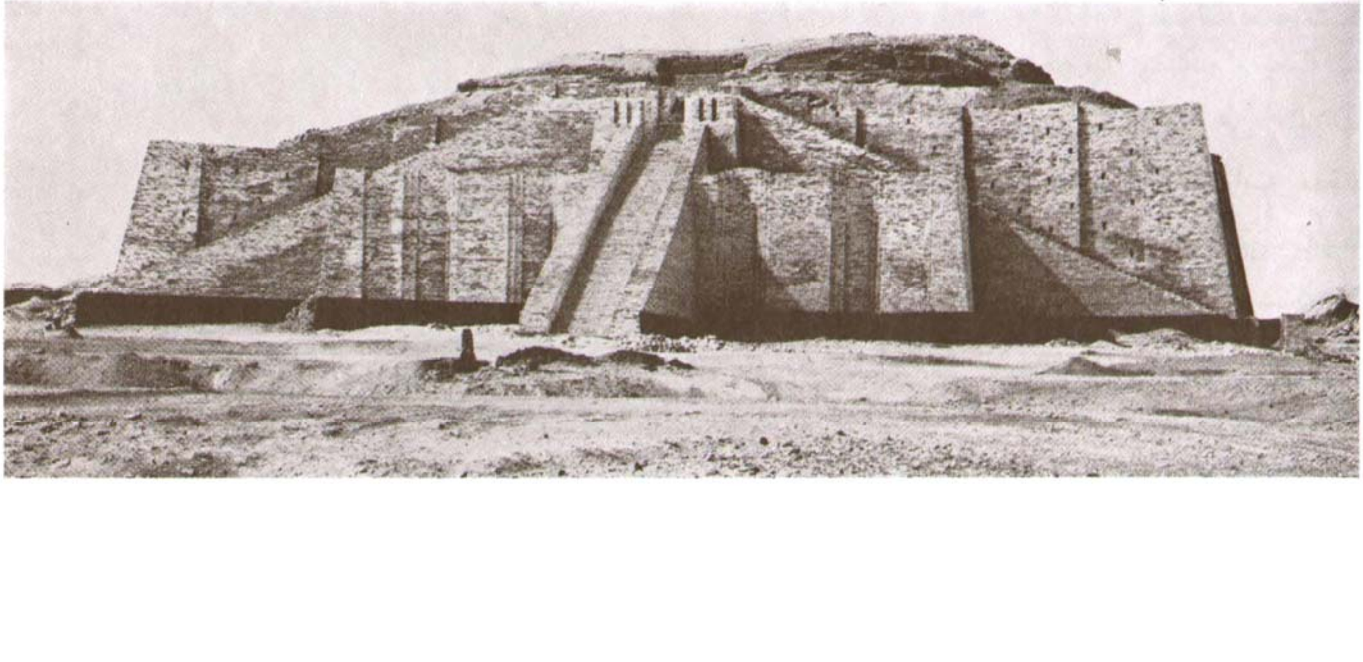

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

بفضل حجارة الطين والآجر المثبتة في الاسفلت. وما زُرِعَ في هذه المدرّجات من اشجار وسواها، أعطى صورة «الجنائن المعلقة» الشهيرة في التاريخ.

ب - الابنية الدينية: وهي كثيرة منها المعابد ومنها المقابر.

وعرفت المعابد باسم «الزَقُّوْرَة». اقدمها ما بناه السومريون، واشهرها «برج بابل» حيث عُبِد الإله «نَبُو». وتصميم الزقورة في الأصل من خمس طبقات متدرجة. يعلوها المعبد ليكون قريبًا من السماء. فَيَسْهُلُ الاتصال بالآلهة. أما الاشوريون فقد جعلوا الزقورة من سبع طبقات. والتفسير العملي لجعل المعبد في مكان مرتفع، أنه كان بمثابة مرصد. تراقب منه الكواكب والنجوم. نظرًا لما لعلم الفلك من اهمية وتأثير في الحياة اليومية والدينية. وللوصول الى الطبقات العليا من الزقورة، أقيم درج ضخم مواجه، يلتقي بدرجين جانبيين عند الطبقة الثانية من «الزقّورة». أما الاشوريون فقد اتبعوا في الوصول الى اعلاها طريقة، نادرًا ما استُعْمِلت، وهي اقامة درج لولبي يلتف حولها. (انظر ص ٤٥)

وكانت المعابد والزقورات على قسطٍ ضخم من الغنى. فتتلقى يوميًا مئات الاضاحي والتقادم. ففي «أُرُك» مثلًا، كان نصيب الإله «آنو» يوميًا: ستين خروفًا، ومابة واربعين كيلًا من الحنطة في أوانٍ من الفضة والذهب.

أما المقابر فكانت تحت الارض. تحتوي بالاضافة الى جثة الميت، على كل ما هو بحاجة اليه، كتمثال شديد الشبه به ليكسب استمرار رضى الآلهة، وآنية ومقتنيات ثمينة.

كذلك اختلفت الابنية الدينية في بلاد ما بين النهرين عن مثيلاتها في حوض النيل، فاتت اقل ضخامة ورونقًا. ومردّ ذلك إلى اعتبارات عدة، لعل اهمها الفقر الى الحجر القاسي والشواهق الصخرية. فالآجر، مهما قسا، لا يصمد صمود الحجر، ثم ان الفيضانات المتعاقبة قضت على الكثير من المعالم الاثرية. فاضطر المنقبون ان يحفروا في التلول، ويعيدوا ترميم الابنية القديمة. بينما في مصر قد سلم العديد من هذه الآثار لان المناخ الجاف في وادي النيل قد ساعد على ذلك.

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

الطوفان – حسب ملحمة جلجميش

انها اطول الملاحم البابلية، كتبت منذ العام ٢٠٠٠ ق.م. وعثر عليها في مكتبة أشوربانيپال، وقد طبعت على ١٢ لوحة من الآجر. ورويت باللغات السامية المختلفة ولكن اصلها سومري. ونورد فيما يلي مقطعًا يتعلق بالطوفان. وقد نقل الإله «إيا» الى «اوتنبشتم» (الذي ترى فيه التوراة «نوح») تصميم الآلهة على انزال الطوفان على الارض. فاحتاط للأمر وهدم كوخه ليبني سفينة.

«في اليوم الاول بنيت هيكلها.
انشأت فيها ست طبقات سفلية.
وضعت فيها كل ما املكه.
وضعت فيها نُطْفَةَ كل حي.
ادخلت اهلي واقرباني.
ادخلت حيوان البر،
وُحُوْشَهُ الكاسرة والصنّاع.
ثم قال لي شَمَشْ السماوي.
عندما يمطر إله الزوابع هلاكًا.
ادخل السفينة واغلق الباب.

* * *

عندما لاح الصباح.
ظهر في الافق البعيد غيم اسود.
أرعد «هَدَدْ».
الآلهة أقعت ككلاب عند الجدار الخارجي.
هبّت العاصفة ستة ايام وست ليال.
انهمر المطر، غمر الطوفان الارض.
في اليوم السابع خفّ المطر.
خفتت حدة العاصفة.
هدأ البحر، سكنت الزوبعة.

* * *

وفتحت كُوَّةً، سقط على وجهي شعاع.
تطلعت صوبٌ البحر، اذا به ساكن.
والناس استحالوا الى طين...
ثم تطلعت، اذا بجزءٍ من اليابسة.
وبالسفينة تستقر على جبل نَصِيْر.
وحين أطل اليوم السابع.
ارسلت حمامة، اطلقتها من عقالها.
فطارت لكنها لم تصل.
اذ لم تجد موضعًا تحط عليه.
ثم ارسلت غرابًا، أفلته من عقاله.
فطار الغراب، واذ رأى ان الماء انحسر
عن وجه الارض، أخذ يأكل.
يحوم دون ان يعود.

* * *

قدّمت قربانًا، سكبت زيتًا.
نصبت قدورًا، سبعة، سبعة.
كومت تحتها القصب، وخشب الأرز،
والآس.
فشمت الآلهة روائحها،
الآلهة شمت روائحها الذكية.
تجمعت كالذباب حول الذبيحة».

الدكتور انيس فريحة – ملاحم...

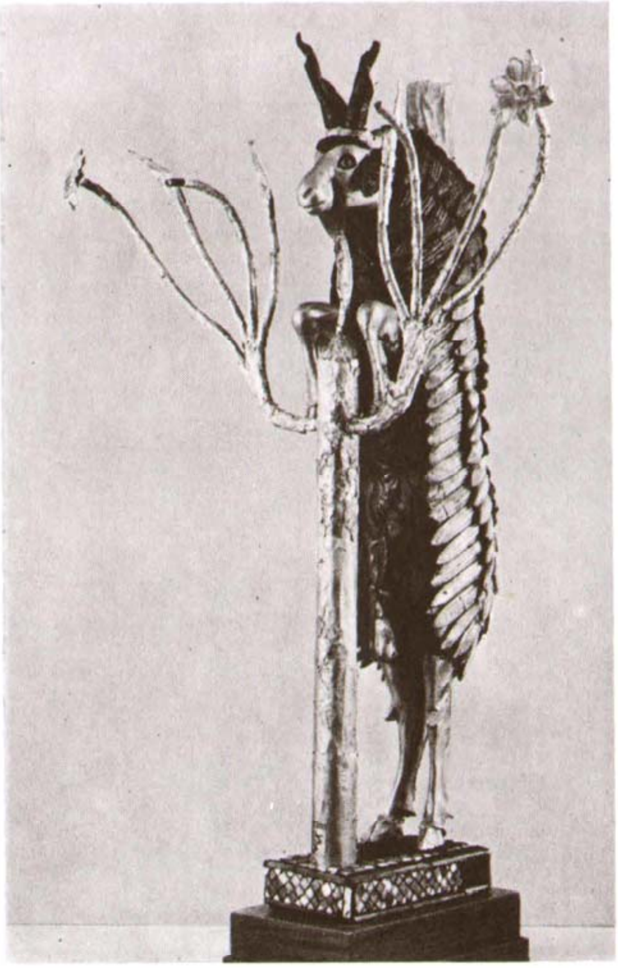

تمثال مذهب من مدينة أور

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

٧ الفِكر وَالعُلوم

الفكر خَلَّفَت شعوب ما بين النهرين الكثير من الآثار الفكرية. وحُفِظَ معظمها في مكتبة أشور بانيبال. وتقدموا في العلوم. فتركوا منجزات لا نزال نُقِرُّها في حياتنا اليومية. وعَبَّرت عن آدابها بالعديد من الاساطير والملاحم.

١ً – الكتابة المسمارية أحسّ «السومريون» بالحاجة الى تدوين افكارهم. فوضعوا أُسُسَ كتابة أَوَّلِيَّة اخذها عنهم «الاكّاديون»، وطوروها فاضحت أيسر استعمالًا، وأوفى أداءً. وعُرفت باسم الكتابة المسمارية.

والناظر الى هذه الكتابة لا يرى صُوَرًا أو أحرفًا بل اشكالًا. لأن التصوير صعب على ألواح الدلغان. فلجأُوا الى الاصطلاح. وهذا الاصطلاح قد يَدُلُّ على شيء، أو يدل على عمل أو فكرة، أو يدل على مقطع صوتي. فتشتبك المعاني كما يحصل في الكتابة الهيروغليفية.

وبدأت الكتابة لدى السومريين من اليمين الى الشمال، كما تكتب العربية. ومن فوق الى تحت، كما تكتب اللغة الصينية. ولكن التطور الذي لحقها، جعلها تكتب أفقيًا ومن الشمال الى اليمين، حتى لا يُمحَى تحت يد الكاتب ما انطبع على الواح الدلغان. (انظر ص ٥٥)

وتسميتها بالمسمارية عائد الى اعتماد الطبع بآلة دقيقة تشبه المسمار، على الواح طريئة من الدلغان. ثم تجفف في الشمس، أو تُشْوَى على النار حتى تقسو. وقد تبجح الملك «أَشُوْر بانِيبّال» بانه ترك مكتبة ضخمة. احتوت على آلاف الالواح الدلغانية المحفوظة ضمن غلافات من الدلغان ايضًا. واذا تكلمنا عن الرسائل التي كان يرسلها «حمورابي» الى موظفيه، فعلى هذا الشكل يجب ان نتمثل الرسائل.

٢ً – الأدب لا مجال للكلام عن نشأة الادب في بلاد ما بين النهرين وتطوره. فما يرجع بأصله الى السومريين، قد وُجِدَ مخطوطًا بالكتابة المسمارية، وباللغة الاشورية، على الواح دلغانية في مكتبة «أشُوْر بانيبال». وهذا دليل على انه لم يطرأ عليه تعديل. وإن يكن قد أُضيف اليه. فليس ثمة ادب قديم

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

من ادب ما بين النهرين

« نشيد للإله شمش »

« التلال العالية متوجة بسنائك
وشعاعك ينير منبسطات البلاد السهلية .
تتبوأ الجبال وتمرع الارض بناظريك
وتشدّ اطراف الكون الى اعمق السماوات .
ترعى شعوب الارض
وتكلأ ما بدعه « إيا » الملك ، مستشارك .
تؤتي القوت كل مخلوق حي
أجل انت الرعي لكل من على الارض ومن تحتها .

* * *

وكل مسعى للبشر ، باي لسان عبّروا عنه
انت عالم به ، وعالم بالاعمال .
كل الجنس البشري شاخص بانظاره اليك .
أيْ شمش ، الكون متعطش لضيائك .
كل سيّء نيّة تعطل مسعاه
وتهدم بيوت المستبدين
وتجازي بالسجن من اعوجّ من القضاة .
وتعاقب السيد الشرير والفاسد .
وكلٌ مستقيم يحمي الوضعاء
ينال حظوتكَ ، أي شمش ، وتطول ايامه .
ومن يحكم حسب ضميره من القضاة
يُعِدّ لنفسه قصرًا ، ودَارُهُ منزل امير . »

عن تاريخ البشرية – الاونيسكو .

حمورابي يتلقى القانون من الإله شمش

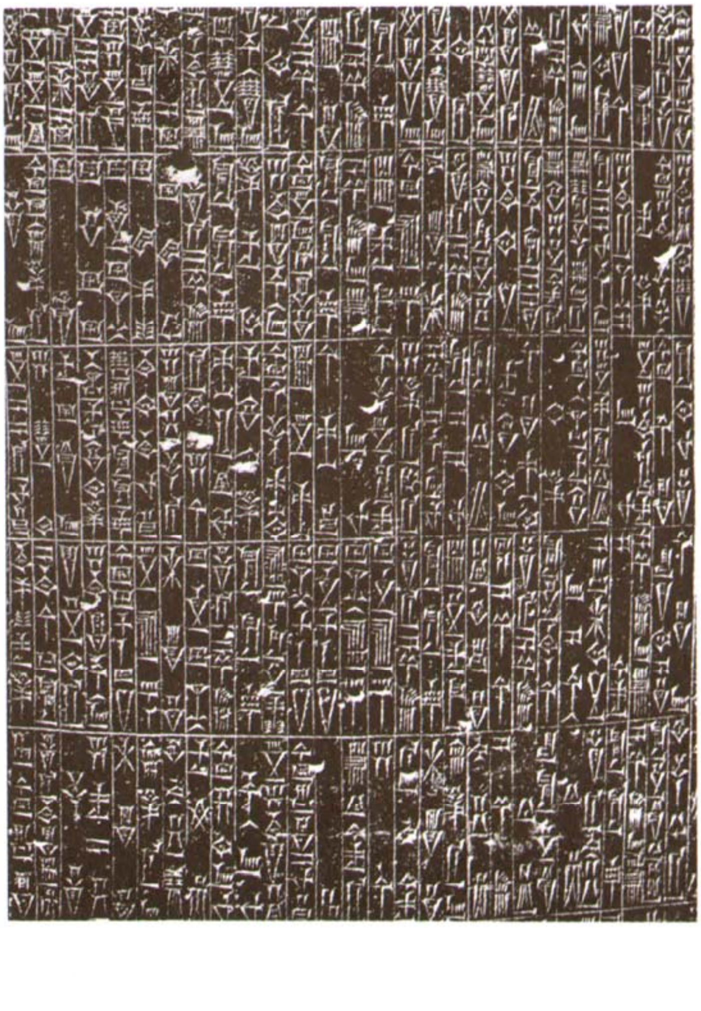

نصّ من قانون حمورابي

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

٧ الفِكر وَالعُلوم

الفكر خَلَّفَت شعوب ما بين النهرين الكثير من الآثار الفكرية. وحُفِظَ معظمها في مكتبة أشور بانيبال. وتقدموا في العلوم. فتركوا منجزات لا نزال نُقِرُّها في حياتنا اليومية. وعَبَّرت عن آدابها بالعديد من الاساطير والملاحم.

١ – الكتابة المسمارية أحسّ «السومريون» بالحاجة الى تدوين افكارهم. فوضعوا أُسُسَ كتابة أَوَّلِيَّة اخذها عنهم «الاكّاديون»، وطوروها فاضحت أيسر استعمالاً، وأوفى أداءً. وعُرفت باسم الكتابة المسمارية.

والناظر الى هذه الكتابة لا يرى صُوَرًا أو أحرفًا بل اشكالًا. لأن التصوير صعب على ألواح الدلغان. فلجأوا الى الاصطلاح. وهذا الاصطلاح قد يَدُلُّ على شيء، أو يدل على عمل أو فكرة، أو يدل على مقطع صوتي. فتشتبك المعاني كما يحصل في الكتابة الهيروغليفية.

وبدأت الكتابة لدى السومريين من اليمين الى الشمال، كما تكتب العربية. ومن فوق الى تحت، كما تكتب اللغة الصينية. ولكن التطور الذي لحقها، جعلها تكتب أفقيًا ومن الشمال الى اليمين، حتى لا يُمحَى تحت يد الكاتب ما انطبع على الواح الدلغان. (انظر ص ٥٥)

وتسميتها بالمسمارية عائد الى اعتماد الطبع بآلة دقيقة تشبه المسمار، على الواح طريئة من الدلغان. ثم تجفف في الشمس، أو تُشْوَى على النار حتى تقسو. وقد تبجح الملك «أَشُوْر بانِيبّال» بانه ترك مكتبة ضخمة. احتوت على آلاف الالواح الدلغانية المحفوظة ضمن غلافات من الدلغان ايضًا. واذا تكلمنا عن الرسائل التي كان يرسلها «حمورابي» الى موظفيه، فعلى هذا الشكل يجب ان نتمثل الرسائل.

٢ – الأدب لا مجال للكلام عن نشأة الادب في بلاد ما بين النهرين وتطوره. فما يرجع بأصله الى السومريين، قد وُجِدَ مخطوطًا بالكتابة المسمارية، وباللغة الاشورية، على الواح دلغانية في مكتبة «أشُوْر بانيبال». وهذا دليل على انه لم يطرأ عليه تعديل. وإن يكن قد أُضيف اليه. فليس ثمة ادب قديم

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

من ادب ما بين النهرين

« نشيد للإله شمش »

« التلال العالية متوجة بسنائك
وشعاعك ينير منبسطات البلاد السهلية.
تتبوأ الجبال وتمرع الارض بناظريك
وتشدّ اطراف الكون الى اعمق السماوات.
ترعى شعوب الارض
وتكَلأ ما بدعه «إيا» الملك، مستشارك.
تؤتي القوت كل مخلوق حي
أجل انت الرعي لكل من على الارض ومن
تحتها.

* * *

وكل مسعى للبشر، باي لسان عبّروا عنه
انت عالم به، وعالم بالاعمال.
كل الجنس البشري شاخص بانظاره اليك.
أيْ شمش، الكون متعطش لضيائك.
كل سيّء نيّة تعطل مسعاه
وتهدم بيوت المستبدين
وتجازي بالسجن من اعوجّ من القضاة.
وتعاقب السيد الشرير والفاسد.
وكلُّ مستقيمٍ يحمي الوضعاء
ينال حظوتكَ، أي شمش، وتطول ايامه.
ومن يحكم حسب ضميره من القضاة
يُعِدّ لنفسه قصرًا، ودَارُهُ منزل امير. »

عن تاريخ البشرية – الاونيسكو.

حمورابي يتلقى القانون من الإله شمش

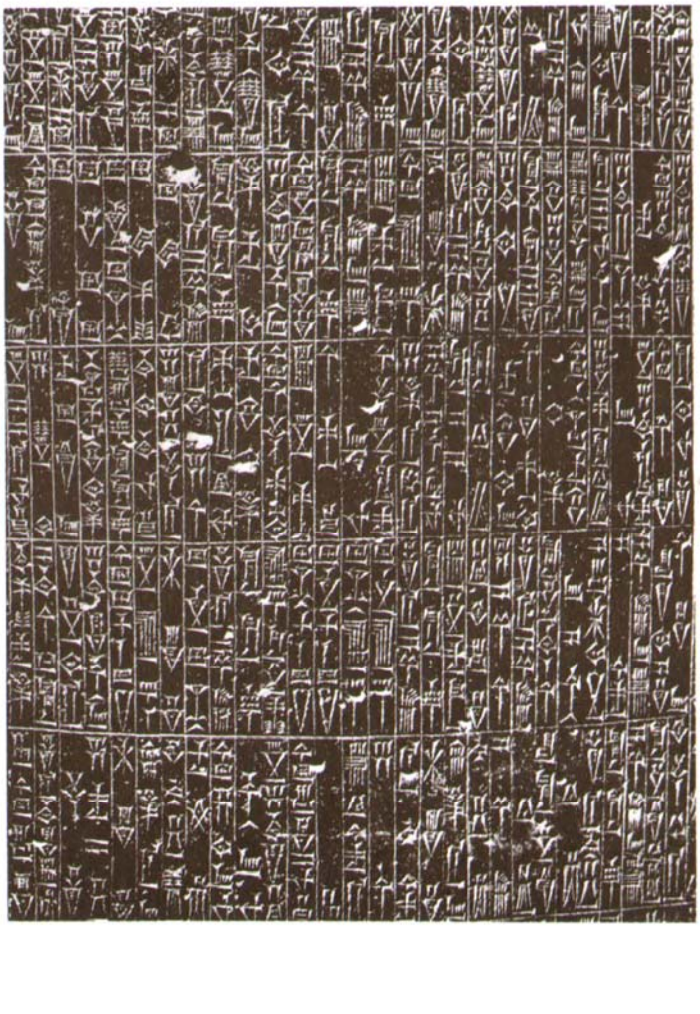

نصّ من قانون حمورابي

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

وأدب حديث، كما اعتدنا ان نُصَنّف الآداب اليوم. فكل الآثار الادبية خليط. كل دولة تأخذ عن سابقتها، وكل شعب يأخذ عن سلفه، دونما اهتمام بالتطوير.

وتشعبت الموضوعات، فتناولت القضايا الدينية والفكرية. وتناولت الرثاء بشكل «اناشيد» عرفناها عند العبرانيين فيما بعد. أما الادب الوجداني الدنيوي فقد كان نصيبه القليل. (انظر ص ٤٩)

٣ – التشريع لم يَجْمع السومريون والأكاديون شرائعهم في قانون مدون. والفضل في تدوين هذا القانون يعود بشكل خاص الى حمورابي. وقد اندفع الملك البابلي في عمله هذا من اقتناعه بمهمته كملك؛ فهو يمثل الاله مردوخ على الارض، وهو بالتالي مسؤول عن تنظيم البلاد وإقامة العدل. فجمع ٢٨٢ مادة تشريعية، اقتبسها من التقاليد والقوانين المعمول بها حتى ايامه. ولكنه جعلها اكثر ملاءمة لمجتمعه وعصره. والمبدأ الاساسي المعتمد في قانون حمورابي هو: الطبقية والمعاملة بالمثل، أو ما يُسَمّى بمبدأ السن بالسن والعين بالعين اذا كان المتقاضيان من طبقة واحدة. والتفاوت الطبقي بين «احرار» و «مساكين» و «عبيد» لا يعطي امتيازات عفو. فالقصاص واجب، وانما على درجات، وحسب المركز الاجتماعي. (انظر ص ٥٣)

وتجاوُبُ هذا القانون مع المجتمع البابلي اتاح له امكانية الاستمرار. ولما تسلمت الحكم دولة الاشوريين، تبنّت قانون حمورابي ومبادئه. انما الاشوريون كانوا أقسى وأدقّ من البابليين في تطبيقه، لان عقليتهم القاسية يلائمها التشدد والعنف. ولكن القسوة في الاحكام، ضيّعت القيمة الانسانية التي كانت لهذا القانون. فالاعدام غرقًا والشنق اصبحا سُنَّةً لديهم. وكذلك بَتْر الأعضاء أو ثمل الاعين الى ما هنالك من ضروب الوحشية.

العلوم

١ – التقويم نتج عن الاهتمام بالتنجيم معرفتهم للتقويم. والتنجيم بدوره كان قائمًا لضرورات دينية.

يبدأ العام لدى السومريين في الربيع، أي في فترة انتعاش الطبيعة. فيقيمون لهذا العيد احتفالات ضخمة. وتنقسم السنة الى فصلين متعادلين؛ احدهما يبدأ في نيسان والثاني في «تشريت» (تشرين الاول). وعن السومريين

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

أخذ الاكاديون. واستقرت اشهر السنة لدى البابليين بالنسبة لتقويمنا الشمسي الحالي كما يلي:

الفصل الاول	الفصل الثاني
نيسان (آذار – نيسان)	تشريت (ايلول – تشرين الاول)
ايار (نيسان – ايار)	حَسَامِنا (تشرين الاول – تشرين الثاني)
سيوان (ايار – حزيران)	كِيْسِمُوْ (تشرين الثاني – كانون الاول)
تموز (حزيران – تموز)	تابت (كانون الاول – كانون الثاني)
آب (تموز – آب)	شباط (كانون الثاني – شباط)
أُلُوْل (آب – ايلول)	آذار (شباط – آذار)

وافتقر هذا التقويم الى الدقّة. فالشهر القمري المعتمد تختلف مدّته بين ٢٩ و ٣٠ يومًا. وهذا يعطي مجموع ٣٥٤ يومًا في السنة القمرية. فينتج فارق قدره ١١ يومًا وربع اليوم بين السنة القمرية والسنة الشمسية. وهذا الفارق يزداد باستمرار بين نهاية العام القمري وبداية السنة في فصل الربيع (اواسط نيسان). فشعر البابليون بضرورة رد الحساب القمري الى الحساب الشمسي حتى تنتظم اعياد الربيع، وتَحِلَّ في مواعيدها الدقيقة. فاصطلحوا على زيادة سبعة اشهر كل تسعة عشر عامًا فيستقيم التقويم.

وهذه الفوضى الناجمة عن الفارق السنوي تضر بمصالح المُرَابين. وهؤلاء يهمهم قبل كل شيء ان ينتظم حساب «الفائدة»، وتاريخ استحقاق الدين. لذا اصطلح المرابون والتجار ورجال الاعمال فيما بينهم على قسمة الشهر الى ستة اسابيع، مـدة كل اسبوع خمسة ايـام. فاصبح الشهر التجاري ثلاثين يومًا، والسنة التجارية ٣٦٠ يومًا غير قابلة للتعديل. وهذا هو الاساس لما نسمّيه اليوم السنة التجارية.

واليوم لدى سكان ما بين النهرين يبدأ عند الغروب. ويُقسم الى اثنتي عشرة فترة، مدة كل فترة ساعتان. وقسموا الساعة الى ستين دقيقة، والدقيقة الى ستين ثانية.

أما التاريخ فلا يبدأ مع حدث رئيسي معيّن، كميلاد المسيح أو هجرة الرسول. بل يتبدّل، كما لدى المصريين، مع تولّي الملك، أو حين انتصار على عدو خطر. وقد يبدأ ايضًا مع تدشين معبد. (انظر ص ٥٣).

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

٢ – الأعداد والمقاييس لم يعرف السومريون الارقام ، بل رمزوا الى العدد (واحد) بهذا الشكل المسماري (▼) وكرروه من الواحد الى التسعة بقدر ما يريدون؛ حتى اذا وصلوا الى (العشرة) مثلوها بشكل مسماري آخر (◄) يمتاز عن «الواحد» بأنه باتجاه آخر. وغدا النظام العددي مع الاكاديين «اثني عشريًا» (١٢) لسهولة قسمته الى اثنين وثلاثة واربعة وستة ، باستثناء الخمسة. والبابليون بعد الاكاديين جعلوه «ستينيًا» (٦٠) ليصبح اكثر قابلية للقسمة. لذلك عندما ارادوا ان يدونوا الاعداد بالعشرات جعلوا الرمز المسماري (◄) ست مرّات. فاذا وصلوا الى «الستين» عادوا يكررون الشكل المسماري الذي يرمز الى الواحد.

ويظهر اعتماد النظام السّتيني في تقسيم الساعة الى ستين دقيقة ، والدقيقة الى ستين ثانية. وكذلك المثقال يساوي ستين وزنة ، والوزنة ستين حبَّةً ، و «الشِكْلُو» (١٨٠) حبَّة. على ان النظام الستيني جاء مكمّلًا للنظام الاثني عشري ، لا ناقضًا له. كقسمة اليوم الى اثنتي عشرة فترة (مدة كل منها ساعتان) ، والاعداد الى دزينات (١٢ وحدة) ، وكل خمس دزينات تساوي العدد ستين. ونحن اليوم اذ نشتري «بالرطل» (١٢ أُوقية) انما نطبق هذا النظام.

وجهلت شعوب ما بين النهرين الرقم «صفر». ولكن الحساب تطور على يدها تطورًا مدهشًا. فقد وضعت جداول للضرب (ولم يكن هذا شأن المصريين). وطورت الجبر حتى عرفت المعادلات الجبرية.

٣ – الطبّ لم يستقل الطب عن الدين كعلم قائم بذاته. فالكهنة هم الاطباء ، يتشددون في الحفاظ على سر المهنة. كانت معلوماتهم في البدء أَوليّة. وما يعجزون عنه علميًا ، يضعون له تفاسير وادوية روحية. فالمريض عادة هو مرتكب خطيئة ، تخلّى عنه الإله ، ودخل الشيطان جسمه وأقام يعذبه. فيُسْتَدْعَى الكاهن لشفائه. ويصف له عقاقير مُرَّة المذاق ، ليتضايق منها الشيطان فيغادر جسد المريض.

والبابليون ، فيما بعد ، لم يكتفوا بهذا التفسير إلّا حين تعييهم الحيلة. وقد بذلوا مجهودًا كبيرًا لتخليص الطب من هذه الذهنية ، حتى اضحت وسائلهم شبه علمية. وفي قانون حمورابي ، مواد تنظم مهنة الطب. وتحدد الأجر الواجب تقاضيه من الحر والمسكين والعبد. وثمة مواد اخرى تحمي

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

من قانون حمورابي

- من فقأ عين رجل حر فُقئت عينه. ومن فقأ عين مسكين او كسر ذراعه عوّضه مثقالاً من الفضة.
- من كسر سن رجل حر كسرت سنه. ومن كسر سن مسكين عوَّضه ثلث مثقال من الفضة.
- من سَهَّل فرار عبد استحق الموت.
- من جَرَّم رجلاً واتهمه بالقتل، عليه ان يثبت ذلك، وإلا حكم عليه هو بالموت.
- من صفع رجلاً من طبقته عوَّضه مثقالاً من الفضة.
- من أُجِّرَ حقلاً ولم يزرعه دفع لمالكه بمقدار ما تغل ارض جاره.
- من ضرب والده قطعت يداه.
- من اشترى زوجة أو ابن أو ابنة رجل مَدِيْن، استخدمهم ثلاثة اعوام، واعتقهم في العام الرابع.

مردوخ منظم الابراج والتقويم

«صنع مردوك منازل للآلهة
خلق الابراج، ثبتها في اماكنها.
حدّد الازمنة، جعل السنة فصولاً.
ولكل شهر من الاشهر الاثني عشر ثلاثة ابراج.
حدّد الايام بابراجها.

* * *

في الوسط ثبت السَمْت
والى الشرق والغرب فتح بوابة
وسلط القمر على الليل
وجعله زينة في الليل،
به يعرف الناس موعد الايام.
في بدء الشهر يطل القمر
يحدد الاسبوع. بعد اسبوعين، في نصف الشهر.
يواجه الشمس، يكون بدرًا.
ينحسر ضوء الشمس عن وجهه، يَصْفَرّ
يدركه المحاق، يعود ثانية الى الارض»

«ملاحم واساطير» — انيس فريحه

عمليّة هندسية

برج بابل

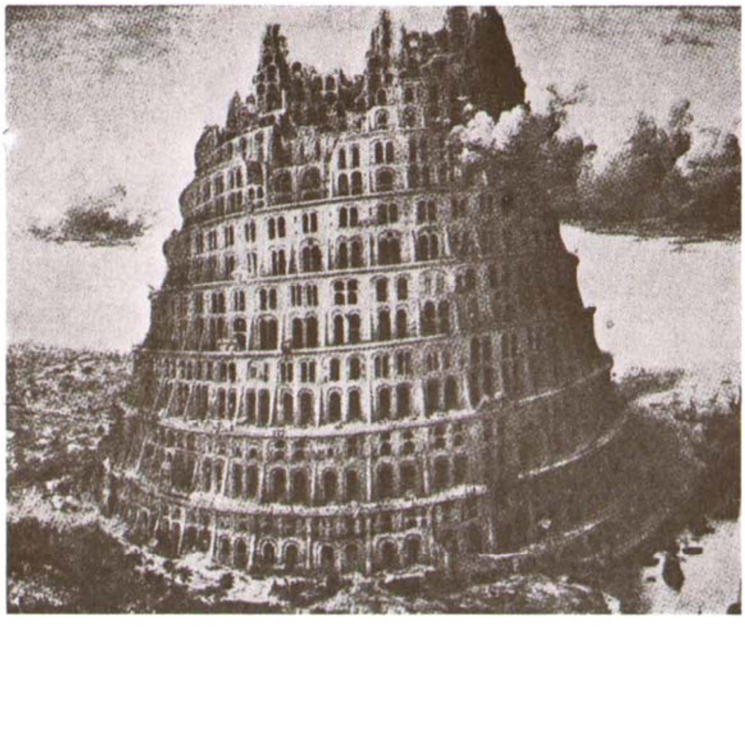

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

٢ – الأعداد والمقاييس لم يعرف السومريون الارقام ، بل رمزوا الى العدد (واحد) بهذا الشكل المسماري (▼) وكرروه من الواحد الى التسعة بقدر ما يريدون؛ حتى اذا وصلوا الى (العشرة) مثلوها بشكل مسماري آخر (◄) يمتاز عن «الواحد» بأنه باتجاه آخر. وغدا النظام العددي مع الاكاديين «اثني عشريًا» (١٢) لسهولة قسمته الى اثنين وثلاثة واربعة وستة ، باستثناء الخمسة. والبابليون بعد الاكاديين جعلوه «ستينيًا» (٦٠) ليصبح اكثر قابلية للقسمة. لذلك عندما ارادوا ان يدونوا الاعداد بالعشرات جعلوا الرمز المسماري (◄) ست مرّات. فاذا وصلوا الى «الستين» عادوا يكررون الشكل المسماري الذي يرمز الى الواحد.

ويظهر اعتماد النظام السّتيني في تقسيم الساعة الى ستين دقيقة ، والدقيقة الى ستين ثانية. وكذلك المثقال يساوي ستين وزنة ، والوزنة ستين حبَّةً ، و «الشِكْلُو» (١٨٠) حبَّة. على ان النظام الستيني جاء مكمّلًا للنظام الاثني عشري ، لا ناقضًا له. كقسمة اليوم الى اثنتي عشرة فترة (مدة كل منها ساعتان) ، والاعداد الى دزينات (١٢ وحدة) ، وكل خمس دزينات تساوي العدد ستين. ونحن اليوم اذ نشتري «بالرطل» (١٢ أُوقية) انما نطبق هذا النظام.

وجهلت شعوب ما بين النهرين الرقم «صفر». ولكن الحساب تطور على يدها تطورًا مدهشًا. فقد وضعت جداول للضرب (ولم يكن هذا شأن المصريين). وطورت الجبر حتى عرفت المعادلات الجبرية.

٣ – الطبّ لم يستقل الطب عن الدين كعلم قائم بذاته. فالكهنة هم الاطباء ، يتشددون في الحفاظ على سر المهنة. كانت معلوماتهم في البدء أَوليّة. وما يعجزون عنه علميًا ، يضعون له تفاسير وادوية روحية. فالمريض عادة هو مرتكب خطيئة ، تخلّى عنه الإله ، ودخل الشيطان جسمه وأقام يعذبه. فيُستَدْعَى الكاهن لشفائه. ويصف له عقاقير مُرَّة المذاق ، ليتضايق منها الشيطان فيغادر جسد المريض.

والبابليون ، فيما بعد ، لم يكتفوا بهذا التفسير إلّا حين تعييهم الحيلة. وقد بذلوا مجهودًا كبيرًا لتخليص الطب من هذه الذهنية ، حتى اضحت وسائلهم شبه علمية. وفي قانون حمورابي ، مواد تنظم مهنة الطب. وتحدد الأجر الواجب تقاضيه من الحر والمسكين والعبد. وثمة مواد اخرى تحمي

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

من قانون حمورابي

- من فقأ عين رجل حر فُقئت عينه. ومن فقأ عين مسكين او كسر ذراعه عوّضه مثقالًا من الفضة.
- من كسر سن رجل حر كسرت سنه. ومن كسر سن مسكين عوَّضه ثلث مثقال من الفضة.
- من سَهَّل فرار عبد استحق الموت.
- من جَرَّم رجلًا واتهمه بالقتل، عليه ان يثبت ذلك، وإلا حكم عليه هو بالموت.
- من صفع رجلًا من طبقته عوَّضه مثقالًا من الفضة.
- من أُجِّرَ حقلًا ولم يزرعه دفع لمالكه بمقدار ما تغل ارض جاره.
- من ضرب والده قطعت يداه.
- من اشترى زوجة أو ابن أو ابنة رجل مَدِيْن، استخدمهم ثلاثة اعوام، واعتقهم في العَام الرابع.

مردوخ منظم الابراج والتقويم

«صنع مردوك منازل للآلهة
خلق الابراج، ثبتها في اماكنها.
حدّد الازمنة، جعل السنة فصولًا.
ولكل شهر من الاشهر الاثني عشر ثلاثة ابراج.
حدّد الايام بابراجها.

* * *

في الوسط ثبت السَمْت
والى الشرق والغرب فتح بوابة
وسلط القمر على الليل
وجعله زينة في الليل،
به يعرف الناس موعد الايام.
في بدء الشهر يطل القمر
يحدد الاسبوع. بعد اسبوعين، في نصف الشهر.
يواجه الشمس، يكون بدرًا.
ينحسر ضوء الشمس عن وجهه، يَصْفَرّ
يدركه المحاق، يعود ثانية الى الارض»

«ملاحم واساطير» — انيس فريحه

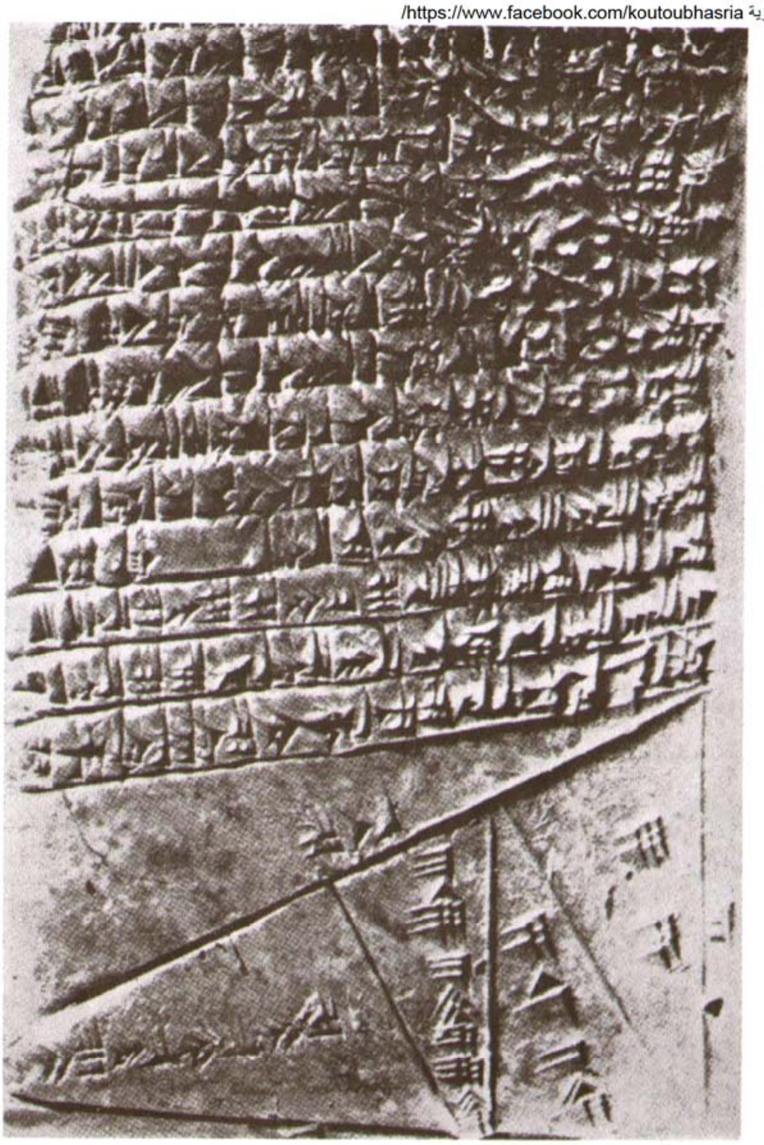

عمليّة هندسية

برج بابل

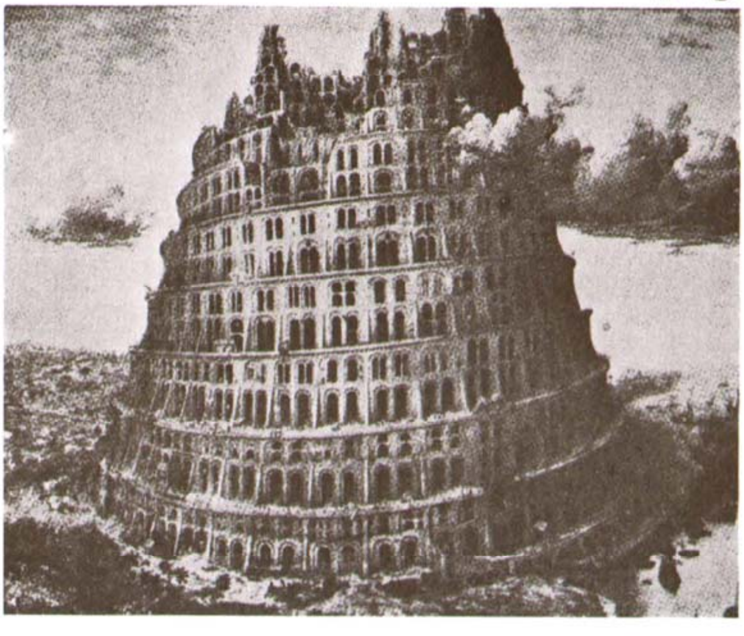

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

المهنة وتحافظ على مستواها ، «فإذا مات العليل قُطعت يد الطبيب». ساعتئذ لا يتجرأ الدَعِيٌّ على تعاطي هذه المهنة.

وكلا الطب والجراحة هما من اختصاص الإلهة «بُوْ» التي لا تخطئ. فمن يخطئ هو الوسيط البشري، اي الطبيب. وهذا ما يدعو الجرّاحين الى الامتناع عن كل عملية غير مؤكّدة النجاح، لان العقاب ينتظرهم. ونتج عن ذلك بطء التقدم في الجراحة. ولم يكن هذا شأن الطب المصري، الذي تطور بسرعة نتيجة التشريح والتحنيط.

أمّا الاشوريون، وقد قُيِّضَ لبلاد ما بين النهرين أن تحتك بارض النيل في عهدهم، فقد اقتبسوا ما رأوه ناجعًا من الوسائل العلمية المصرية. وشخّصوا المرض ليصفوا له العلاج المناسب. واذا اعياهم الامر، لا يستحون بالاقرار بالأمر. وميزوا بين الكاهن والطبيب. وفصلوا بين المفهومين الديني والعلمي. وغدا للاطباء مهنة مستقلة، وقَرَّبَهُم الملوك منهم نظرًا للحاجة اليهم.

حضارة ام حضارات؟ ان المطّلع على معالم الحضارة في بلاد ما بين النهرين يصطدم دائمًا بهذا السؤال: هل كان ثمة حضارة واحدة ام حضارات متعاقبة، تستند اللاحقة منها على السابقة؟ ذلك ان المعالم غير واضحة بين ما هو سومري (هندي — اوروبي) وما هو سامي (اكّادي او بابلي او اشوري او كلداني).

فالسومريون قد قاموا بدور المؤسس، ولكن الروح الساميّة تمكّنت من الطغيان في النهاية. فيصعب اذًا التحديد الى اي دولة بالذات يرجع الفضل الاكبر والاعمق في بروز العلم والفكر. ولنا في ادب ما بين النهرين مثال آخر، حيث لا تمييز بين قديم وحديث، بل مادة واحدة تناقلتها جميع شعوب ما بين النهرين.

ولا بد في النهاية من التنويه بدور الاتصال الفكري والعلمي الذي حصل بين مصر وما بين النهرين، ويختلف الباحثون حول زمان حصوله، ولكن ما لا خلاف عليه ان التيارات التجارية اولًا ثم الغزوات السامية قد مثلت دورًا اساسيًا في هذا التبادل.

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

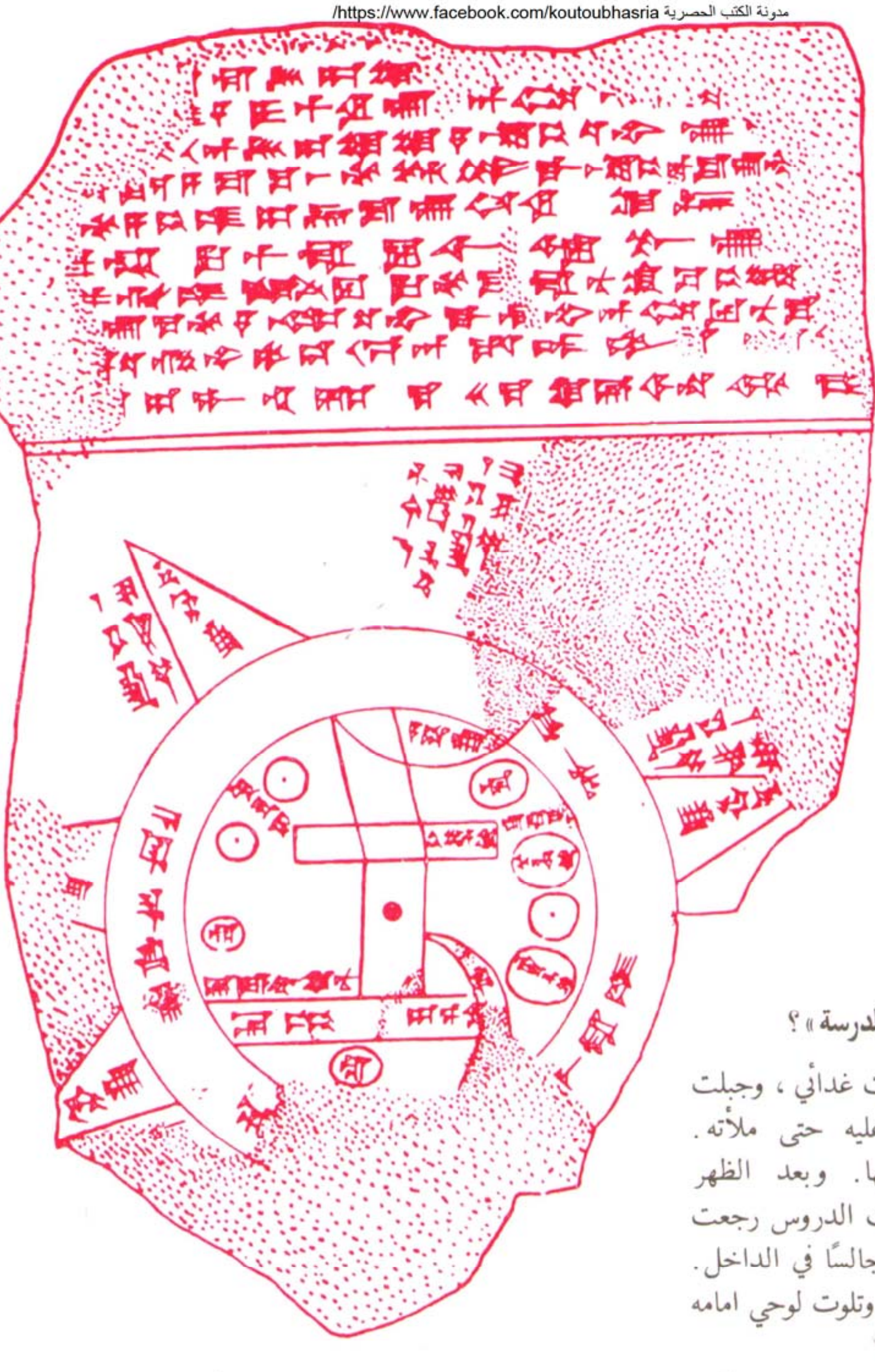

احدى الخرائـط البابلية والدائرتان تمثلان المحيطات

« ماذا فَعلتَ في المدرسة » ؟

« لقد تلوت لوحي ، وتناولت غدائي ، وجبلت لوحي الجديد وكتبت عليه حتى ملأته. وأُعْطِيت امثولة لاحفظها. وبعد الظهر أُعطيت فروضًا. ولما انتهت الدروس رجعت الى البيت ، فوجدت ابي جالسًا في الداخل. اعلمته بالفروض التي علي وتلوت لوحي امامه فَسُرَّ . »

« ولما نهضت في اليوم التالي ، ذهبت لأُمي اقول لها : اعطني زادي ، اريد الذهاب الى المدرسة. فاعطتني امي كسرتين من الخبز ، وذهبت. وفي المدرسة سألني الناظر المناوب لماذا تأخرت ؟ فخفت وخفق قلبي ، ثم دخلت وانحنيت امام المعلم ».

وبعد ان نال الطالب عقاب التأخر ، والثرثرة ، والوقوف دون اذن ، والخروج الى الشارع ، ثم عقاب اساءة الكتابة ، ذهب الى ابيه يرجوه التدخل. فوجه الأب دعوة للمدير . وقدم له الطعام والخمر ، واهداه ثوبًا جديدًا وخاتمًا. وتمايل الصبي امام المدير مباهيًا ، يعرض لابيه ما قد حَصَّل في المدرسة. فانبرى المدير قائلًا للصبي بحماس : « لَأَنْتَ المرشد لاخوانك ، والرئيس بين رفاقك ، والافضل بين التلامذة. فلقد واظبت في المدرسة وغدوت رجلًا مثقفًا » .

تاريخ البشرية – الاونيسكو .

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

٨ المجتمع والجيش

المجتمع كان السومريون والأكّاديون شعبًا من المزارعين. وتوفرت لهم بعض اليد العاملة من العبيد. وانصرف الميسورون منهم للتجارة، نظرًا لموقع البلاد، وتعدد الاقنية كخطوط مواصلات. وبعد ان اتسعت الفتوحات في الخارج، برزت مشاكل اجتماعية جديدة. ودخلت في طاعة شعوب ما بين النهرين بلاد مجاورة وعديدة. فكان لا بد اذاً من ظهور فوارق اجتماعية، تبلورت ايام البابليين. وجاء قانون حمورابي يكرّس هذا التقسيم الطبقي.

١ – الملك هو رأس المجتمع وصاحب السلطة الزمنية. يمثل الإله على الارض دون ان يتخذ صفة الألوهية. فسلطته الدينية غامضة ليست كالتي لفرعون مصر. تختاره الآلهة بواسطة الكهنة. واستشارة الكهنة واجب عند انتقال الحكم. وهذه الاستشارة تفسح المجال للخروج على مبدأ الوراثة في العرش. فقد يتحزب الكهنة لشخص دون الآخر، مبررين ذلك بالاستجابة لمشيئة الآلهة.

٢ – اقسام المجتمع ينقسم المجتمع الى ثلاث طبقات: طبقة الاحرار أو النبلاء (إمِيْلُوْ) وتضم الكهنة والكتبة والموظفين. ثم طبقة المساكين وأخيرًا طبقة العبيد.

أ – الاحرار: وقد اعتبرهم قانون حمورابي العنصر الرئيسي، والعائلة لديهم نواة المجتمع. وتأسيس العائلة يمر بنفس المراحل التي نعرفها اليوم، كالخطوبة تسبق الزواج. والإنْجَاب غاية الزواج، وينتج عنه سلطة مطلقة للزوج أو الوالد. فهو حسب القانون مالك للزوجة والاولاد، حر التصرف بهم. وحريّة التصرف هذي مطلقة، تسمح للزوج ببيع زوجه وأولاده ولكن لفترة لا تتجاوز الثلاثة اعوام. ويحصل هذا عادة عند التقصير عن وفاء دين.

ب – المساكين («مشكِيْنُو»): أي الفقراء، ويعيشون في فاقة. لهم حقوقهم يضمنها القانون. ولكن العوز احيانًا يدفعهم الى بيع انفسهم، فينحدرون الى طبقة العبيد. والمساكين بالكاد يقومون بأود أنفسهم، يكتفون بالخضار والثمر، ونادرًا اللحوم. بيوتهم من اللَّبِنِ والغزَّار. لا فراغ في

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

المجتمع والجيش

بماذا تتميز طبقة «المسا كين».

«ليس بامكان المسكين ان يسعى لوظيفة رسمية. وليس بامكانه التملك في كل العقارات. فهو أجير بسيط، على ارض تقدمها الدولة مقابل بعض الخدمات. وان تكن التعبئة العسكرية تناله، فليس بامكانه حمل السلاح. بل يكتفي بالخدمة في الادارة العسكرية. هو رجل حر، انما تابع. له حقوق المواطن، ولكن اخلاصه للدولة موضع شك. وقد يتحدَّر المسكين من اصل عريق، غمرته الحملات المتعاقبة على بلاد ما بين النهرين. نجا من الاستعباد لكن اسياده الجدد لم يقبلوه في عداد مجتمعهم. فغدا من المزارعين أو الاجراء أو المياومين أو العمّال.

وتضاءل عدد المساكين. فبعضهم استطاع بعد تحسن احواله ان ينضم الى طبقة الاحرار. وبعضهم، بعكس ذلك، فقد كل املاكه فامتصته طبقة العبيد.»

النبلاء بالوراثة

«ثمة طبقة ثانية من النبلاء، هي طبقة النبلاء بالوراثة. يحتفظ افرادها بشعر طويل، يتدلّى فوق الكتفين. رسائلهم مُعَنْوَنَةٌ بلقب «أَمِيْلُو» (اي نبيل). من بينهم ينتقى اعضاء مجلس الشيوخ في المدينة، او في المجتمعات التي ينتمون اليها. لهم الصدارة في القضاء، ولا مَرَدّ لاحكامهم.

مقربون من الملك كأعضاء في الحاشية، شديدو التأثير على الحكم، سواء كانوا من اصحاب المناصب أم لا. يستأثرون باعلى مراتب القيادة العسكرية في الجيش البابلي».

تاريخ البشرية – الاونيسكو.

صيد الأسد، من الفنّ الاشوري

المشاة ...

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

٨ المجتمع والجيش

المجتمع كان السومريون والأكّاديون شعبًا من المزارعين. وتوفرت لهم بعض اليد العاملة من العبيد. وانصرف الميسورون منهم للتجارة، نظرًا لموقع البلاد، وتعدد الاقنية كخطوط مواصلات. وبعد ان اتسعت الفتوحات في الخارج، برزت مشاكل اجتماعية جديدة. ودخلت في طاعة شعوب ما بين النهرين بلاد مجاورة وعديدة. فكان لا بد اذاً من ظهور فوارق اجتماعية، تبلورت ايام البابليين. وجاء قانون حمورابي يكرِّس هذا التقسيم الطبقي.

١ً – الملك هو رأس المجتمع وصاحب السلطة الزمنية. يمثل الإله على الارض دون ان يتخذ صفة الألوهية. فسلطته الدينية غامضة ليست كالتي لفرعون مصر. تختاره الآلهة بواسطة الكهنة. واستشارة الكهنة واجب عند انتقال الحكم. وهذه الاستشارة تفسح المجال للخروج على مبدأ الوراثة في العرش. فقد يتحزب الكهنة لشخص دون الآخر، مبررين ذلك بالاستجابة لمشيئة الآلهة.

٢ً – اقسام المجتمع ينقسم المجتمع الى ثلاث طبقات: طبقة الاحرار أو النبلاء (إمِيْلُوْ) وتضم الكهنة والكتبة والموظفين. ثم طبقة المساكين وأخيرًا طبقة العبيد.

أ – الاحرار : وقد اعتبرهم قانون حمورابي العنصر الرئيسي، والعائلة لديهم نواة المجتمع. وتأسيس العائلة يمر بنفس المراحل التي نعرفها اليوم، كالخطوبة تسبق الزواج. والإِنْجَاب غاية الزواج، وينتج عنه سلطة مطلقة للزوج أو الوالد. فهو حسب القانون مالك للزوجة والاولاد، حر التصرف بهم. وحريّة التصرف هذي مطلقة، تسمح للزوج ببيع زوجه وأولاده ولكن لفترة لا تتجاوز الثلاثة اعوام. ويحصل هذا عادة عند التقصير عن وفاء دين.

ب – المساكين («مشكِيْنُو»): أي الفقراء، ويعيشون في فاقة. لهم حقوقهم يضمنها القانون. ولكن العوز احيانًا يدفعهم الى بيع انفسهم، فينحدرون الى طبقة العبيد. والمساكين بالكاد يقومون بأود أنفسهم، يكتفون بالخضار والثمر، ونادرًا اللحوم. بيوتهم من اللَّبِنِ والغزّار. لا فراغ في

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

المجتمع والجيش

بماذا تتميز طبقة «المساكين».

«ليس بامكان المسكين ان يسعى لوظيفة رسمية. وليس بامكانه التملك في كل العقارات. فهو أجير بسيط، على ارض تقدمها الدولة مقابل بعض الخدمات. وان تكن التعبئة العسكرية تناله، فليس بامكانه حمل السلاح. بل يكتفي بالخدمة في الادارة العسكرية. هو رجل حرّ، انما تابع. له حقوق المواطن، ولكن اخلاصه للدولة موضع شك. وقد يتحدَّر المسكين من اصل عريق، غمرته الحملات المتعاقبة على بلاد ما بين النهرين. نجا من الاستعباد لكن اسياده الجدد لم يقبلوه في عداد مجتمعهم. فغدا من المزارعين أو الاجراء أو المياومين أو العمّال.

وتضاءل عدد المساكين. فبعضهم استطاع بعد تحسن احواله ان ينضم الى طبقة الاحرار. وبعضهم، بعكس ذلك، فقد كل املاكه فامتصته طبقة العبيد.»

صيد الأسد، من الفنّ الاشوري

النبلاء بالوراثة

«ثمة طبقة ثانية من النبلاء، هي طبقة النبلاء بالوراثة. يحتفظ افرادها بشعر طويل، يتدلّى فوق الكتفين. رسائلهم مُعَنْوَنَة بلقب «أَمِيْلُو» (اي نبيل). من بينهم ينتقى اعضاء مجلس الشيوخ في المدينة، او في المجتمعات التي ينتمون اليها. لهم الصدارة في القضاء، ولا مَرَدّ لاحكامهم.

مقربون من الملك كأعضاء في الحاشية، شديدو التأثير على الحكم، سواء كانوا من اصحاب المناصب أم لا. يستأثرون باعلى مراتب القيادة العسكرية في الجيش البابلي».

تاريخ البشرية – الاونيسكو.

المشاة ...

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

حياتهم اليومية، بل عمل مستمر في الحقول والري والعناية بالاقنية. معرضون للسخرة من قبل المتنفذين الاحرار. يفتقر معظمهم الى الملكية. فيعتنون عادة باراضي الملك أو المعبد أو الاقطاعي. وضعهم اجمالاً يذكر بوضع الفلّاح المصري.

ج – العبيد: وهم الطبقة الدنيا والاخيرة. ملك لاسيادهم لا حريّة لهم. يُميزون باشارة أو بقلادة عليها اسم صاحبهم. وصلوا الى هذا الوضع نتيجة لاحد أمرين: بعضهم قد وُلِدَ عبدًا، والبعض الآخر استعبد عن طريق الأسر أو البيع. ولكنهم على كل حال يفقدون صفتهم الانسانية ليعاملوا كالسلعة أو كالحيوان. (انظر ص ٦١).

ولدى قيام الدولة الاشوريّة، تكاثر عدد العبيد نتيجة للحروب المستديمة. وتشدد القانون الاشوري في معاملتهم فزادهم ارهاقًا. وتوزع العبيد بين الملك والحاشية والمعابد والتجار. حتى ان بعض الميسورين من الاحرار الفلاحين كانوا يقتنون العبيد. وقد انيط بهم تنفيذ الاعمال الشاقة والمهن الوضيعة دون مقابل. وتجدر الاشارة الى «سبي بابل» عام ٥٨٧ ق.م. واستعباد يهود اورشليم على يد «نَبُوْخَذَنَصَّر» الكلداني.

٣ – الكهنة تميز الكهنة بسلطة كبيرة منذ ايام السومريين. فالملك السومري هو الكاهن في الوقت ذاته (پاتيزي) (Patésie)، راجع تاريخ السومريين). ومع الفتوح طغت الصبغة الزمنية دون ان تمحى الصبغة الروحية. واخذت سلطة رجال الدين تتضاعف، نتيجة لاعتقاد الناس بالسحر والتنجيم والطلاسم والرُّقَى. واصبحت استشارتهم واجبًا في حال انتقال الحكم من السَلَف الى الخَلَف. وانما هذا لم يمنع الاعتراف بالملك كاهنًا اعلى. فهو الذي يمثل الإله على الارض، ويترأس المراسم الدينية والاحتفالات، دون ان تكون له صفة إلهية. وتضم حاشيته عددًا كبيرًا من كهنة البلاط.

وفي مرتبة أدنى كهنة المعابد. ولكنهم ككهنة البلاط يتمتعون بنفوذ معنوي ومادي: معنوي لانهم ربطوا بين الطب والدين، وأُنِيْطَ بهم تفسير مشيئة الآلهة في اختيار وريث العرش، وفي تأدية النصح اذا كانت الظروف ملائمة للحرب. ونفوذ مادي نتيجة البحبوحة واليسر. فاجورهم عالية، وقسم كبير من التقادم والذبائح في المعابد عائد اليهم. ويُذْكر مع الكهنة

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

خدّام المعابد، الذين اثروا لحصولهم على قسم، ولو ضئيل، من هذه التقادم والذبائح.

٤ – الكتبة والموظفون يؤخذ الكتبة من بين الكهنة، ومن بين الكتبة يؤخذ الموظفون الكبار. ومع اتساع رقعة الامبراطورية اشتدت الحاجة الى الموظفين. ونشط التراسل بين العاصمة والمقاطعات. وانتشرت الكتابة المسمارية خارج بلاد الرافدين. وبلغ عدد الموظفين ايام حمورابي عشرات الآلاف. فلم يعد بالامكان اختيارهم من بين الكهنة. اما الاشوريون فقد اختصروا المعاملات الادارية وبَسَّطُوها، لان الحكم عسكري، والمعاملات الادارية تُنَاط بالجيش، خاصة فيما يتعلق بجمع الضرائب، وما ابهظها. (فينيقيا كانت تدفع الضريبة خشبًا).

الجيش

لم يتطور التنظيم العسكري إلّا مع الاشوريين. ولكن هذا لا ينفي وجود التنظيم قبل ذلك. فالأكّاديون وصلت بهم الفتوح الى البحر المتوسط. وحمورابي اكتفى بالقليل من الفتوح، لكنه اهتم بتثبيت اقدامه في كل بلد اخضعه. أما الاشوريون ففيهم تختصر الحرب وويلاتها.

١ – مبررات الذهنيّة العسكريّة ومبرّرات الذهنية العسكرية لدى الاشوريين كثيرة؛ منها طبيعة بلادهم الجبلية القاسية، وبعدهم عن المنافذ البحرية، وانعدام حدود طبيعية تحميهم، ثم مجاورتهم لشعب قوي كالحثيين. كل هذا جعلهم في تأهّب دائم، فانتهوا بأن جعلوا الحرب مهنة لهم. ولم يوفروا جهدًا في سبيل تنظيم الجيش. فإلامَ انتهت هذه التنظيمات؟...

٢ – القيادة ويرئس الجيش الملك نفسه أو قائد من قبله يدعى «تُوْرتَان». وقد يصبح القائـد خطرًا على العرش اذا ضعفت شخصية الملك، أو ضعفت همته للقتال.

٣ – الاختصاص تعددت العناصر البشرية في هذا الجيش؛ فمنهم الاشوريون، وعليهم الاتكال. ثم المرتزقة، واسرى الحرب، وجنود البلاد المُخْضَعَة. ويتوزع الجنود، حسب اختصاصهم، الى فرق أهمها:

أ – المشاة: عددهم وفير، سلاحهم القِسِيّ والحراب والسيوف. يتّقون الطعن بالخوذ والدروع. يُجَهّزون بقِرَبٍ ينفخونها لعبور الانهار دونما

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

حاجة الى جسور. وهذا ما يتيح السرعة في الحركة والمناورة ويعزز عنصر المباغتة.

ب – الخيّالة: وهي فرقة مستحدثة لدى الاشوريين. اعتمادها على سرعة الهجوم والالتفاف. تكتفي بما خَفَّ من السلاح كالقوس، حتى لا يعيقها ثقل السلاح عن سرعة الحركة.

ج – الهندسة: وتبرز مهمتها في حرب الحصار. مجهزة بسلالم لتسلق الاسوار، وبِمِدَكَّاتٍ ضخمة لتحطيم ابواب القلاع والحصون. يلبس افرادها الدروع كجهازٍ واقٍ، نظرًا لبطئهم في الحركة، ولتعرضهم لوابل من السهام والحراب. ولهذه الفرقة مهمتها في ايام السلم ايضًا. فهي التي تمهد الطرقات وتبني الجسور.

د – المركبات: أو ما نسميه بلغة العصر الدروع. ويجر المركبة جوادان أو ثلاثة جياد. فعاليتها في الصدام مع العدو. فهي سلاح مُصَمَّم للهجوم واقتحام الصفوف. يقف فيها جنديان، احدهما يقود والثاني يرمي السهام. وتصعب حماية هذين الجنديين، فاضيف اليهما آخران مهمتهما الحماية.

هـ – البحرية – اعتمد الاشوريون على الفينيقيين في انشاء اسطول حربي. فأتى على صورة المراكب الفينيقية. والسفن المُعَدَّة للصدام مقدمتها دقيقة ومنخفضة. وظيفتها اختراق السفن المعادية. أما ما كان منها مخصصًا لنقل الجنود والاعتدة فله مقدمة عالية تمثل رأس حيوان.

وبفضل هذا التنظيم، وبفضل الاسلحة الحديدية (بينما اسلحة العدو اقتصرت على البرونز)، اضحى الجيش الاشوري أداةً مُثْلَى للدمار. وقسوة الاشوريين على الشعوب المغلوبة نَفَّرَتْ العالم القديم منهم. فهم لا يتورعون عن ارتكاب الاعمال الوحشية، كأن يثقبوا شفة الملك الخصم، ليدخلوا فيها حَلَقَةَ سلسلةٍ ويجروه كالحيوان. أو يجدعوا أنف الاسير. أو يبتروا احد اعضائه. واذا تساهلوا في معاملة اعدائهم، نفوهم أو استعبدوهم أو احتفظوا بالرهائن من الملوك واولاد الملوك.

هكذا نفهم ان العالم القديم قد هَلَّلَ لسقوط نينوى (٦١٢ ق.م)، والكلدانيون الذين حلّوا محل الاشوريين كانوا أرق معاملة، ولكنهم لم يكونوا أقل عزيمة على الحرب.

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

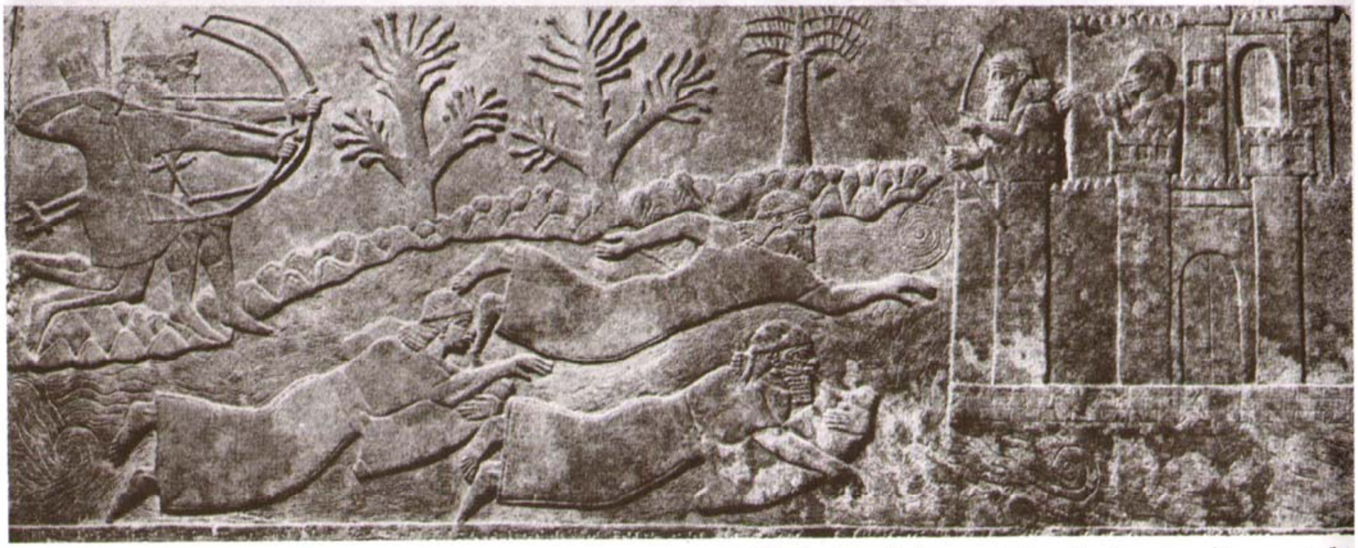

فوق : حرب الحصار. تحت : الجنود يعبرون النهر بواسطة القرب

الأسرى

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

٩ فارس وتاريخها

بلاد ايران في ما نسميه ايران اليوم، نشأت الحضارة الفارسية. وايران كناية عن هضبة صحراوية، محاطة بالجبال. تطل على بحر الخَزَر («قزوين») و «تركستان» في الشمال، وسهول «السِنْد» («الأَنْدُوس») في الشرق، وبلاد ما بين النهرين في الغرب. يسيطر عليها الجفاف، إلا في المناطق الجبلية الشمالية والغربية حيث تكسوها الثلوج، فتغذي ينابيع تسقي الاودية والهضاب الملاصقة لها فتستحيل مناطق زراعية يرغب فيها السكان.

وتخوم بلاد الفرس تعدَّت الجبال الغربية الى «عيلام». وفي «سوسه» عاصمة «عيلام» نشأت دولة متصلة ببلاد الرافدين. تخضع لها تارة وتستقل عنها أُخرى. و «سوسة» هذه اضحت مركزًا هامًا للحضارة الفارسية.

الفرس وتاريخهم

١ً – أَصلهم لفظة الفرس تعني «فئة» معينة من الشعوب التي قطنت ايران. وترجع بأصلها الى العرق «الآري» أو «الهندي – اوروبي» (كشعوب عيلام والسومريين). توزعوا في البدء قبائل. واهتموا برعاية المواشي. ثم تحولوا تدريجيًا نحو الزراعة. فقصد «الميديون» منطقة الشمال الغربي. وتمركز «الفرس» وعلى رأسهم قبيلة «الاخميديين» في الجنوب الغربي من البلاد.

٢ً – تاريخهم **أ – دولة الميديين:** انشأ «الميديون» مملكة امتدت من سهل «أَقْبَطَان» (همذان حاليًا) حتى بحيرة «وَان» في أرمينيا. فجاوروا الاشوريين، وتعرضوا لخطرهم. واضطروا للاتحاد. ولما اصبحوا على مقدار من القوة، تمكّن ملكهم «سيا كسار» بفضل محالفة الكلدانيين، من احتلال نينوى (٦١٢ ق.م.). واطَّردت هذه الدولة في نموها. وفي عهد الملك «أَسْتِيَاج» اصبحت احدى اعظم دولتين في الشرق (الى جانب الكلدانيين). وتوسعت عبر آسيه الصغرى حتى جاورت اليونان.

ب – «قوروش» مؤسس فارس: بلاد فارس في مدلولها الاساسي كانت في الجنوب الغربي من البلاد. وهنالك أَلَّفَت شبه دولة تعترف بسلطة الميديين. وعلى رأسها كما رأينا قبيلة «الاخميديين». وما لبث احد زعمائها

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

«قوروش»، ان ثار على ملك الميديين «أستياج». وتآمر مع اشراف «أقبطان»، فاستأثر بالسلطة، واتخذ لقب ملك الملوك (٥٥٥ق.م). هكذا حلت دويلة الفرس محل دولة الميديين.

وطّد «قوروش» دعائم ملكه الجديد. وسعى للتوسع. فاحتل مملكة «لِيْدِيَا» في آسيه الصغرى ودخل عاصمتها «سَارْدِس» (Sardes) وفي الشرق ضم لمملكته شرقي ايران وفي الشمال تركستان. وقضى اخيرًا على «بابل» (٥٣٩ق.م). فاضحى السيد الوحيد في الشرق. وثَبَّت حكمه بفضل ما تميز به من تسامح. فتساهل مع الشعوب المغلوبة ومن بينها اليهود. فعادوا الى اورشليم بعد زمن من العبودية. وحَاسَنَ الفينيقيين لحاجته اليهم.

ج - «داريوس» يعزز الدولة: مات «قوروش» فخلفه ولداه. وما لبثا ان اختصما مدة ثلاث سنوات، حتى قُيض النصر لاحدهما «قمبيز» (٥٢٥ ق.م). وكان عصبي المزاج انتهى به الامر الى الجنون. وجَدَّد قمبيز علاقات والده ببلدان الجوار، ومن بينها فينيقيا، ووصلت به الفتوح الى مصر. وشاء انْ يتوغل غربًا، فرفض الفينيقيون امداده باسطول يحمل جنوده الى قرطاجه. ثم اضطرب حبل الأمن في فارس، فاضطُرَّ للعودة. لكنه مات في الطريق (٥٢١ق.م) دون عقب. فخلفه قائد جيشه «داريوس». وهو من قبيلة الاخميديين ايضًا.

واجه داريوس الثورات في الداخل فاخمدها. وعالج في نفس الوقت اسبابها. فَفَقِهَ انها تعود الى سوء الادارة، فانصرف الى التنظيم. ولم يهمل الفتوح، فوصل الى سهول «السند». وحارب قبائل «السْكِيْث» جنوبي روسيا. واضطُرَ من اجل ذلك ان يعبر البوسفور ويحتل «تَرَاقِيَه» في طريقه. فاضحى وجهًا لوجه امام اليونان. وهذا ما سيؤدّي الى «الحروب الميدية».

د - الحروب «الميدية»: بدأت الحروب الميدية في آسيه الصغرى. فقد ثارت مدينة «مِيْلِيْتُس» الايونية. وطلبت المساعدة من الجزر الايونية ومن «أثينا». فانتصرت لها واحرقت «ساردس». لكن «داريوس» انتصر على الثوار في البر. وساعده الفينيقيون في البحر، فأخمد ثورات «إيُونِيَه» وقبرص. ولما أعاد الكَرَّة لينتقم من «أثينا»، مُنِيَ بهزيمة «المراتون» (٤٩٠ ق.م). مات «داريوس» عام ٤٨٥ ق.م. وواجهت ابنه «أَحْشُويرُش» ثورات

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

متعددة، في ايران ومصر وما بين النهرين معًا. فاخمدها بقسوة. ثم صمم على محو هزيمة «المراثون». فكانت الحرب الميدية الثانية.

وساند «أَحْشُويرُش» كل من الفينيقيين وإغريق آسيه الصغرى. فاحتل شمالي اليونان. ودخل «أثينا» واحرقها، بينما الفينيقيون يعضدونه من البحر. ولكن القائد الأثيني «تَمِيسْتُوكْلِس» (Thémistocle) هزمه في معركة «سَلَاْمِيْن» (أو سلاميس) البحرية (٤٨٠ ق.م). فانسحب الى ايران، تاركًا القيادة لصهره، الذي قُتِلَ فيما بعد في معركة «پلاتِيْه» (Platée) شمالي «أثينا». (انظر ص ١٣٣ و ١٤١).

هـ - انحطاط الدولة الفارسية: في ايام «أرتَحْشَشْتَا» الاول، انتهت الحروب الميدية بثورة اغريق آسية الصغرى (٤٤٩ ق.م). ودحلت دولة الفرس في فترة انحطاط؛ سببها اتساع الامبراطورية وصعوبة ادارتها. وقد عجز خلفاء ارتحششتا عن تدعيم حكمهم. وتعددت ثورات البلاط. وطلب بعضهم مساعدة الاغريق اعدائه (حملة العشرة آلاف بقيادة «زينوفون»). وتمرد حكام الولايات. ودَبَّ الوَهَن في الجيش. وعجز داريوس الثالث اخيرًا عن ضد جيش الاسكندر عام ٣٣١ ق.م.

فضل الفتوح على فارس

عندما تصل حدود الامبراطورية الى هذا الحد، ينتج عن التوسع أحد أمرين: إمّا ان يؤثر الفاتحون في الأمم التي اخضعوها، بفضل ما لهم من تراث حضاري. وإما ان يتأثروا بها، اذا كانوا أقلَّ منها رُقِيًّا. فالواقع ان الكثير من الأمم التي اخضعها الفرس، كانت ارقى منهم مدنية. فتشبّهُوا بها، أو قبسوا عنها، الى ان قُيِّضَ لهم بناء حضارتهم الخاصة. ومن الامثلة على ذلك؛ أنهم قبسوا عن الكلدانيين والبابليين تنظيمهم السياسي والاداري. واخذوا عن الاشوريين تدريبهم العسكري. وتبنُّوا النحت والنقوش البابلية والاشورية. واحتقروا الآداب في البدء. ولما أحسُّوا بضرورة التدوين، اعتمدوا الكتابة المسمارية مع بعض التعديل. واحاط ملوك الفرس انفسهم بعلماء وأطبّاء ومنجمين من بابل ومصر وإيُّونيه. فكأن الامبراطورية كلها تعمل لحساب فارس. فالى اي حَدٍّ نجح الفرس في مَهْرِ الاعمال المختلفة بطابعهم الخاص؟ هذا ما سنحاول ان نتبينه في الفصل اللاحق.

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

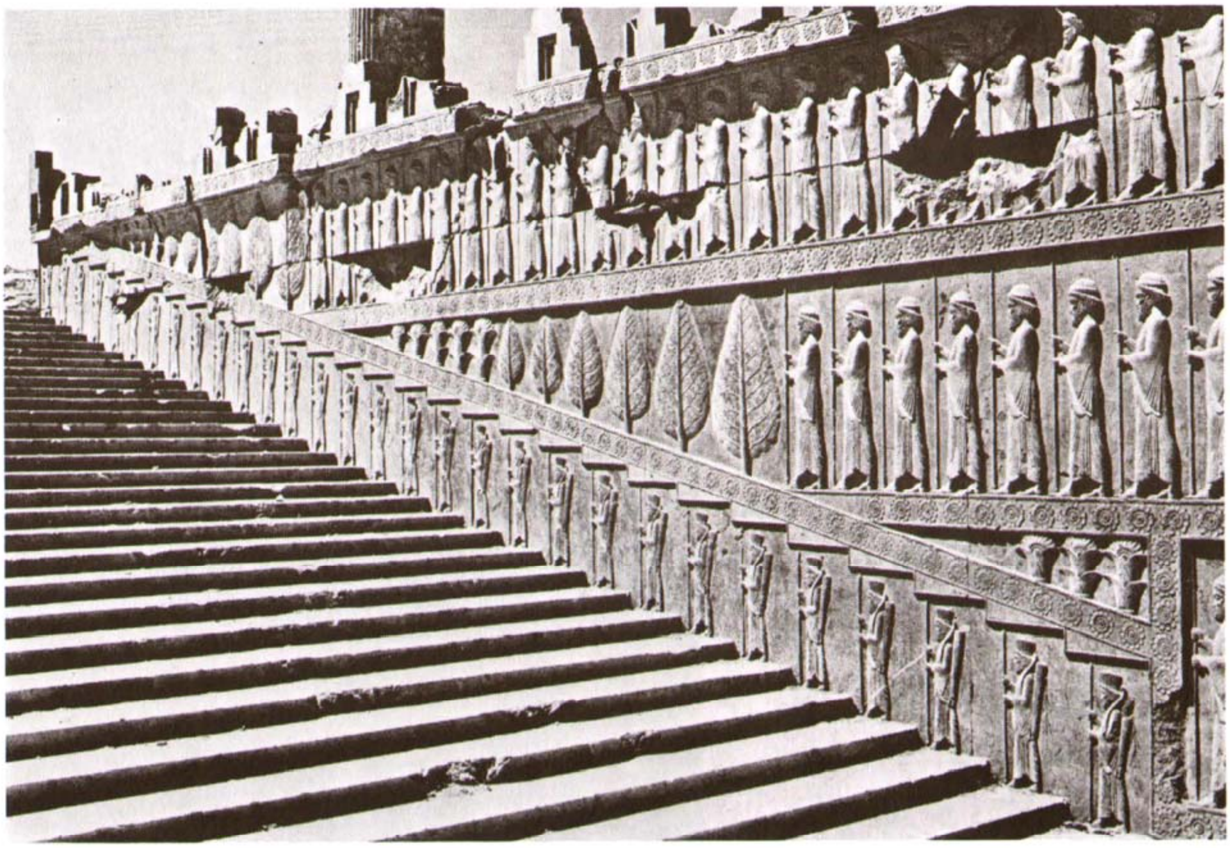

مدخل قاعة الاپادانا وتظهر على الجدران نقوش تمثّل فرقة الخالدين

ملـوك الاخميديين

قوروش : ٥٥٥ق.م. – ٥٢٨ ق.م.
قمبيز : ٥٢٨ ق.م. – ٥٢١ ق.م.
داريوس : ٥٢١ ق.م. – ٤٨٥ ق.م.
احشويروش : ٤٨٥ ق.م. – ٤٦٥ ق.م.
ارتحششتا الاول : ٤٦٥ ق.م. – ٤٢٤ ق.م.

فترة فوضى وانقلابات

داريوس الثاني : ٤٢٣ ق.م. – ٤٠٤ ق.م.
ارتحششتا الثاني : ٤٠٤ ق.م. – ٣٥٨ ق.م.
ارتحششتا الثالث : ٣٥٨ ق.م. – ٣٣٨ ق.م.

فترة فوضى

داريوس الثالث : ٣٣٦ ق.م. – ٣٣٠ ق.م.

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

١٠ مظاهر الحضارة الفارسيّة

الامبراطورية الفارسية اتسعت الامبراطورية الفارسية حتى شملت كل ايران في الداخل، والسند في الشرق، وبلاد ما بين النهرين والساحل الفينيقي ومصر وكل آسيه الصغرى وشمالي اليونان في الغرب. وفاخر ملوكهم بان دولتهم ضمت «عشرين أمة». ومعنى ذلك انها شملت شعوبًا وحضارات شتى. ونظرًا لما تحلّى به ملوك الفرس من تسامح، حافظت هذه البلدان المخضعة على تراثها وتقاليدها.

أ – الإدارة لم تخرج بلاد ايران بحد ذاتها عن سلطة ملوكها المباشرة. أما المقاطعات فقد انقسمت الى اكثر من عشرين «سَتْرَبِيَّة» أو «مَرْزُبَانات». على رأس كل منها «المَرْزُبَان» أو الحاكم المدني، يعاونه حاكم عسكري. وراقب ملوك الفرس هذين الحاكمين عن طريق موظف ثالث لقبه «عيون وآذان الملك». وظيفته الحُؤُول دون استقلال الحكام عن السلطة المركزية. فوطّدوا بذلك سلطتهم. وربطوا العاصمة الادارية «سوسه» (عاصمة عيلام) بسائر المقاطعات بطرقات بريد منظم وسريع. يقطع المسافة بين «سوسه» و «ساردس» في آسية الصغرى، بأسبوع واحد. وهذا هو الوقت الذي تتطلبه السيارات الحديثة لقطع نفس المسافة. ثم سكُّوا النقد. وسموه على اسم داريوس أي «الدَّارِيْق». ولكنهم اكتفوا منه باعداد قليلة. فقد فضّلوا ان يحتفظوا بالذهب سبائك في قصورهم (وجد الاسكندر في «پرسيپوليس» (Persépolis) حين احتلها ١٢٠ مثقالاً من الذهب).

أمّا «السَتْرَبِيَّات» فقد احتفظت بنقدها المحلي عملًا بسياسة التسامح، شرط ان تؤدّى الضرائب في آنها. وهذا ما جعل الحكم الفارسي اخف وطأة من الحكمين الكلداني والاشوري. يَشُذُّ عن هذه القاعدة بعض الحالات الخاصة كثورة صيدون على «أَرْتَحْشَشْتَا» الثالث؛ فاحرقت نفسها.

٢ – الجيش نَظَّم كل من «قوروش» وابنه «قمبيز» الجيش على الطريقة الاشورية الكلدانية. أما «داريوس» فقد عزَّز العناصر الفارسية فيه. فأنشأ الحرس الملكي وفرقة الخالدين. ويبلغ عدد افراد هذه الفرقة عشرة آلاف من خيرة

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

داريوس ، ويرى في أعلى الإله أهورا مزدا

نقوش قصر داريوس في «سوسه»

«هذا هو القصر الذي بنيته في «سوسه». زُخْرُفُهُ قد جُلِبَ من البعيد. حفرت الارض حتى بلغت اساسها. وبعد الحفر طمرتها بالحجارة. وعلى هذه الحجارة بُني القصر. وما حُفِرَ في الارض، وطُمِرَ بالحجارة، وجُبِلَ بالآجر، اهل «بابل» قد فعلوه. وخشب الارز جيء به من الجبل المسمّى لبنان. والبابليون نقلوه الى بابل، ومن بابل الى سوسه... والذهب جلب من ساردس، واللازورد والعقيق من خوارزم. والفضة والنحاس من مصر. وزخارف الجدران من إيونيه. والعاج من الحبشة والهند. والاعمدة الحجرية من عيلام.»

«والنحاتون الذين صقلوا الحجارة كانوا من إيونيه وساردس. والصاغة الذين صهروا الذهب كانوا ميديين ومصريين. ومن جبلوا الآجر كانوا بابليين. ومن زينوا الجدران كانوا ميديين ومصريين.»

«هنا في سوسه قام العمل الفخم، ونفذ بطريقة رائعة... فليحمني اهورا – مزدا إلهي الاكبر.».

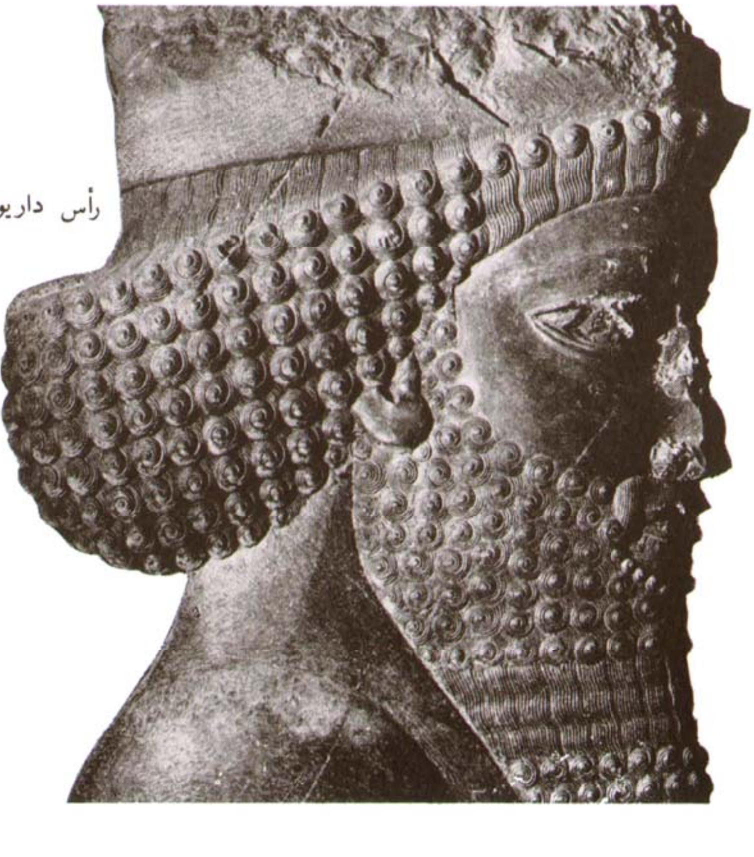

رأس داريوس

صلاة زرادشت الى أهورا – مزدا

من رسم للشمس والكواكب طريقها؟ ان لم يكن بك فبمن يكمل القمر وينقص؟ من ثبت الارض في أدنى وأمسك السماء ان تقع؟ من، ايها الحكيم، خلق روح الخير؟ اي فنان أبدع النور والظلمات؟ من خلق الصباح والظهر والمساء ليعيّن للبيب واجبه؟.

وانتم، ايها الشياطين ويا من يجلهم، انتم جميعًا صنيعة روح الشر والكبرياء. وعندما تُعَينون الاعمال السيئة، تريدون ممن يقوم بها ان يعتقد بحظوته لديكم، انتم الشياطين؛ وأن يُقَلِّل من حظوته لدى روح الخير؛ وان يتفلت من سلطان السيد الحكيم والعدالة. فقد انتزعتم من الانسان سعادته وخلوده... هذا هو العمل الذي الهمكم روحُ الشر». النصّان: ديورانث، قصة الحضارة

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

جنود فارس. وتسميتهم بالخالدين تعود الى استقرار عددهم، فلا ينقص أو يزيد. وفيما بعد فرضت الحروب الميدية على الفرس أن يستعينوا بعناصر اخرى من داخل الامبراطورية. ولم يهتموا بتوحيد الاسلحة والتدريب، فصعبت العمليات المشتركة عليهم. ففي معركة «المراثون» تَغَلَّبَ الإغريق رغم ضآلة عددهم. واثبتت معركة «سلاميس» البحرية ان اختلاف العناصر في الجيش الواحد لا تسمح بسرعة المناورات. فالمناورة التي كان يقوم بها قائد الاسطول الفينيقي اعتبرها «أحشويرش» خيانة. وأمر بقتله.

المجتمع الفارسي

١ً – الملك لقبه ملك الملوك أو الملك الأكبر (شَاهَنْشَاه). اختير دائمًا من اسرة الاخميديين. وهي زعيمة عشائر الفرس. يتولى الحكم بالوراثة إلا في حالات استثنائية (داريوس يخلف قمبيز). ولم يتخذ الملك صفة الإله كما في مصر، بل اعتبر نفسه ممثلًا للإله «أهُوْرَا مَزْدَا». ولما ضَمَّت دولتهم بلاد ما بين النهرين اعتبر نفسه ممثلًا للإله «مردوخ»، ولما اخضعوا مصر اعتبر نفسه ممثلًا للإله «أَمُوْن–رَعْ». لا بل أَمَرَ بان تقام أَنْصَاب تمثله متعبدًا للإله «أَمُوْن–رَعْ». فلم يكتف الفرس اذًا بالاقتباس، بل حاولوا التكيّف ايضًا.

ومقابل إعراض الملك عن الصفة الإلهية، راى ان يوطّد سلطاته الزمنية. فاصبح مطلق الصلاحية والتصرف. وانحجب عن الناس، فلا يظهر إلا في المناسبات الهامة. لا يجرؤ احد على المثول امامه دون إذنه. لا يستقر في عاصمة دائمة. بل يتنقل بين قصوره في «أقبطان» و «سوسه» و «پرسيپوليس» و «بَازَارْغَاد». وقد يكون هذا الانحجاب احيانًا مظهر ضعف، أو تغطية للانصراف الى التهتك والخلاعة. ولكن هذا لا يجب ان يترك صورة قاتمة عن الملك الفارسي. فقد اتصف بالعدل، وفاخر بحماية الضعيف واليتيم، متمثلًا ساعة الحساب امام «أَهُوْرَا–مَزْدَا».

٢ً – النبلاء ويلي الملك في المرتبة طبقة النبلاء. والمقصود بهم موظفو الادارة ورجال البلاط وزعماء العشائر. وتنتقل سلطتهم بالإرث. وقد احترم الملوك سلطة هؤلاء النبلاء، وتركوا لهم حرية التصرف، فاستفادوا من انحجاب الملوك وعدم اكتراثهم للقضايا الثانوية.

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

٣ – العامّة انقسمت العامة الى فئتين: بدو وحضر. وبالرغم من اتساع رقعة الدولة تمسك قسم منهم بحياة البداوة. وانتشروا في هضاب الشرق والشمال والغرب. اهتموا برعاية الغنم والخيول والجمال. وحافظوا على تنظيمهم القبلي. وهذا ما وطّد سلطة زعمائهم.

أما الحضر فكانوا قِلَّة. معظمهم في القرى لا المدن. فالمدن لم تزدهر كثيرًا، باستثناء «أقبطان» العاصمة الاساسية. تعاطوا الزراعة على ارض ليست ملكًا لهم. فتعرضوا للكثير من الشقاء. وضايقهم الموظفون الاداريون بضرائبهم. ولم يكن هذا شأن البدو الخاضعين مباشرة لسلطة زعمائهم.

ديانة الفرس تعبد الفرس للإله «أَهُورَا مَزْدَا»، فَعُرِفَتْ ديانتهم باسم «المَزْدِيَّة». واقتبسوا من بلاد ما بين النهرين الاعتقاد بوجود «الارواح». ولما برز المصلح «زَرَادشْتَ» اعطاها مفهوم «التوحيد» ونقلها الى مرحلة التطبيق الاخلاقي.

أ – «المَزْدِيّة»: عبد الفرس في البدء مظاهر الطبيعة، كالنار والنور والارض والهواء. وأَوْلَوا عنصري النار والنور اهتمامًا خاصًا. واضافوا الى آلهتهم «مِثْرَا» (Mitra) إلهة الشمس، وعنهم اخذها الرومان فيما بعد. وفي القرن السادس قبل الميلاد، تطورت عقائدهم فترفعت عن المادة وانتقلت الى طور «الروحانية». وانصرف مَجُوْس فارس الى احلال إله النور «أَهُوْرَا مَزْدَا» (أو «أُرْمُزْد» اي السيد الحكيم) في المرتبة الاولى. وعرفت الديانة مذ ذاك باسم «المَزْدِيّة». وامتازت هذه الديانة ببساطة الطقوس والمراسم. فلا هياكل ولا معابد ولا أَنْصَاب. بل مذبح حجري منصوب في العراء. يضرم عليه الكهنة النار. وينصرف المتعبدون للصلاة، ويحتسون مشروبًا مسكرًا يدعى «هَوْمَا». فيغيبون في نشوة مقدسة. ولَاءَمَتْ هذه الديانة ببساطة مظهرها طريقة العيش الساذجة في بلاد صحراوية كإيران. (ص ٧٣).

ب – «الارواح»: وما لبثت تأثيرات ما بين النهرين أن اعترتها. وساد الاعتقاد بوجود «الارواح». فمنها «الارواح الصالحة» التي تحيط «بأُرْمُزْد»، ومنها «الارواح الشريرة»، وعلى رأسها إله الشر والظلام «أَهْرِيْمَان». والصراع بين «أُرْمُزْد» و «أَهْرِيْمَان»، أو بين الارواح الصالحة والارواح الشريرة مستمر.

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

ج – «زَرَادُشْتَ»: وفي اواسط القرن السادس برز مصلح ديني اسمه «زَرَادُشْتَ»، حاول تشذيب المعتقدات والطقوس «المزدية».

ادعى «زَرَادُشْتَ» بان وحي الديانة الحقيقية قد نزل عليه. فجمع تعاليمه في كتاب دعاه «أَفِسْتَا». وقد عمد في البدء الى اصلاح الطقوس، فحمل بشدة على النشوة المقدسة، ولكنه ابقى على مذابح النار. وانتقل الى اصلاح جوهر العقيدة، فقال «بوحدانية» «أَهُوْرَا مَزْدَا». أما سائر الآلهة فليسوا إلّا ارواحًا للخير والشر دائبة على الخصام. وانتهى باعلان انتصار أَهُورا مزدا وانصاره على ارواح الشر جميعًا. (انظر ص ٦٧).

وانتقل بالدين الى مرحلة تطبيق اخلاقي. فحَمَّل الانسان مسؤولية اعماله. لانه باعماله تلك ينتصر لقوى الخير أو يعضد قوى الشر. والمفروض ان ينقاد لاعمال الخير. فيساعد «أَهُورا مزدا» في القضاء على خصمه «أَهْرِيْمَان». كما ان النفس البشرية الصالحة تمثل بعد الموت امام «أُرْمُزْد»، فيكافئها بالاستمرار في سعادة ابدية. والجسد لا يدفن في الارض حتى لا ينجسها، بل يُعْرَض فوق برجٍ عالٍ لتأكله جوارح الطير. وعندما اقتبس ملوك فارس بناء المقابر عن جيرانهم، جعلوا هذه المقابر في امكنة مرتفعة لا في جوف الارض. (انظر ص ٧٣).

الفن الفارسي نعت الاغريقُ الفرسَ «بالبرابرة»، لتقصيرهم في ميدان الفنون. وهذا التقصير ليس صحيحًا إلا بالنسبة للفن اليوناني. فالفرس قد تركوا آثارًا جديرة بالتقدير. واختلف الفرس عن جيرانهم باهمالهم الهياكل واهتمامهم بالقصور والمقابر. وقد جادت عليهم طبيعتهم بالصخر الصلب القادر على الصمود.

أ – المقابر: اتخذت شكلًا بسيطًا في البداية. والمثل على ذلك قبر «قُوْرُوش». وهو كناية عن ناووس حجري، يتبوأ مدرجًا قائمًا في العراء. وبعد اتساع الامبراطورية واتصالهم بمصر، قَلَّدوا الفراعنة، ونحتوا قبورهم في الشواهق الصخرية. وتعددت طبقات المقبرة. وما دفعهم الى بناء المقابر مرتفعة عن الارض اعتقادهم بان الجثة تدنس الارض. (انظر ص ٧٣).

ب – القصور: أما القصور فكانت على نوعين. والنوع الذي وجد

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

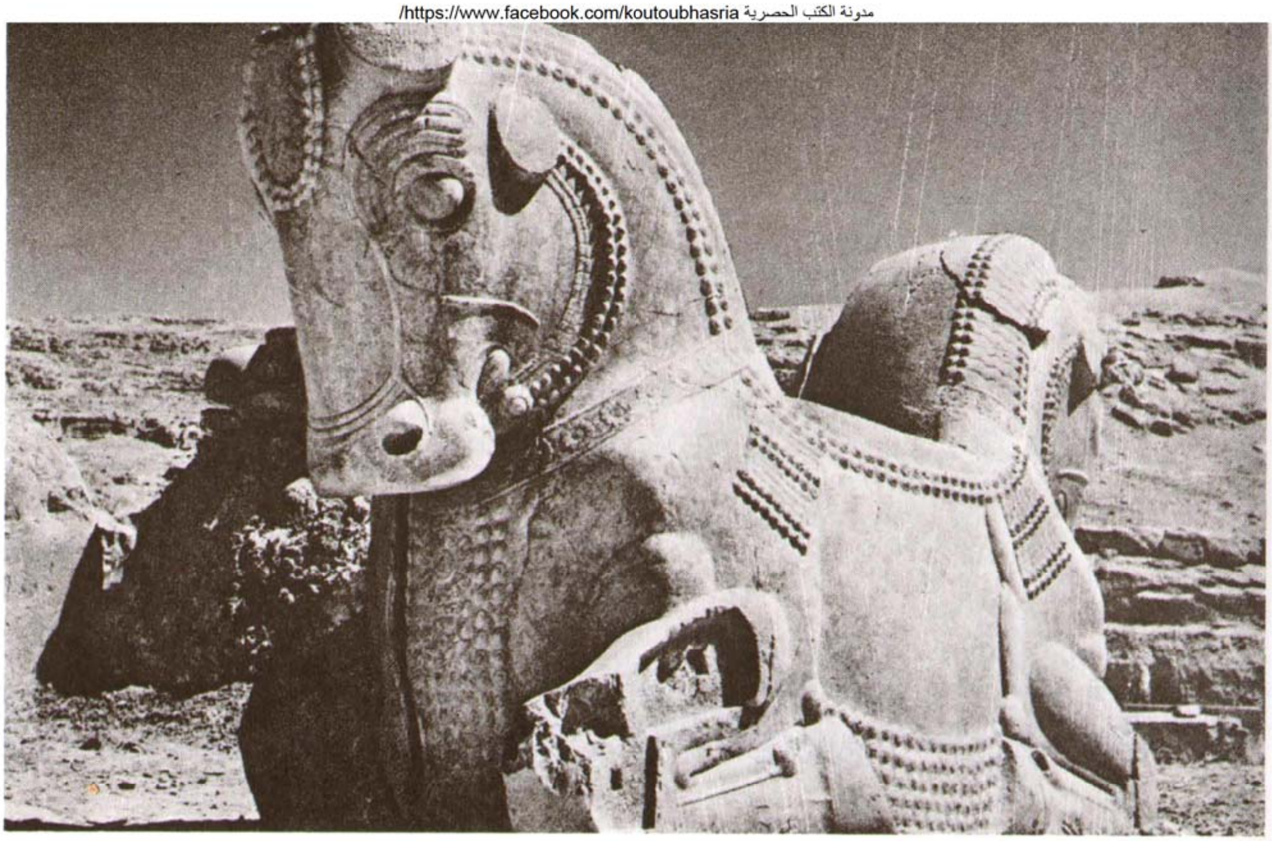

تاج عمود فارسي

الحساب بعد الموت

...«تلبث الروح ثلاثة ايام فوق رأس الميت، تتلو الصلاة (الغَاْتَا)، وتدعو للسعادة، وتتنعم بسلام عالم الاحياء. وفي نهاية الليلة الثالثة، تهب نسمة عطرة ويليها ظهور «ضمير» (أو دين) الميت بشكل عذراء في سنها الخامسة عشرة. نبيلة القامة. بضّة الذراعين. كاعب، بجمال كل الجميلات. ولدى سؤالها تجيب: «ايها الشاب البهيّ الفكر والعبارات، الجميل الاعمال والنيّات، فيَّ تَقَمَّصَ ضميرك. لقد احببتني لعظمة جمالي. ومن محبوبة جعلتني مُحَبَّبَة، ومن شهية جعلتني أشهى... هكذا كَرَّم البشر اهورا – مزدا».

ثم تصل الروح الى الجسر الفاصل الذي بناه اهورا – مزدا واسمه «سِنْفَات.» وتُعدِّدُ الروح مجدداً ما قامت به من حسنات في عالم المادة. وتظهر العذراء فتقود الارواح الصالحة الى جسر «سنفات»، وتسير في طريق آلهة الروح يتقدمها اهورا – مزدا راتعًا في منازل «الاناشيد» وعروش الذهب. بينما تزمجر روح الزنديق عند جسر سنفات.

اسكندر موريه، «تاريخ الشرق».

المدخل الى القصر

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

في «سوسه» قد بني من الآجر، تَـأَثُّرًا ببلاد ما بين النهرين. تتعدد فيه الواجهات والافاريز المنحوتة والمنقوشة (فرقة الخالدين...). والنوع الآخر ما أقيم في «پرسيپوليس» وجارتها «بازارغاد»، وسط الهضاب الجنوبية. مبنية بالحجارة. غرفها واسعة عالية، اشهرها قاعة «أَپَّادَانَا»، وفيها يجلس الملك. وتتخلل «الأپادانا» في قصر «پرسيپوليس»ماية من الاعمدة، تيجانها بشكل رأسي ثور. وتحمل أفاريز منقوشة، من فوقها سقف من خشب ارز لبنان. وأبرز ما فيها من نقوش، يمثل ملوك فارس مع حاشيتهم، أو يمثل اعداء مهزومين، أو نقوش ثيران برأس انسان كما هي الحال في النقوش الاشورية.

وبالرغم من تأثر الفرس بالخارج، فإنّ فنّانيهم لم ينقلوا نقلًا. بل درسوا موضوعاتهم ونماذجهم واقتبسوا من غيرهم ما يلائمهم. فقد اخذوا شكل الثيران المجنحة عن الاشوريين، ولكنهم لم يجعلوها صورة طبق الأصل. وكذلك اقتبسوا شكل «الروح» الاشورية (Génie ailé). فالفن الفارسي اذًا مزيج من تأثيرات شتى صُهِرَ في قالب فارسي. (انظر ص٦٥ و ٧١).

العلوم والاداب: اهمل الفرس الكتابة واحتقروا الآداب، ولم يهتم ملوكهم بتنشيط اللغة. والنبيل يرى تعلم الكتابة مشقة على غير طائل. فلا غَرْوَ اذًا ان تضيع «الأَفِسْتَا» ولا تدون إلا في عصر لاحق، فاعتورها نقص وتحريف. ولما احسّوا بالحاجة الى التدوين، قبسوا «المسمارية» من بلاد ما بين النهرين. ولما امتدت امبراطوريتهم الى الغرب اعتمدوا الآرامية كلغة دپلوماسية تفهمها أمم تلك الامبراطورية.

أما العلوم فكان نصيبها اكبر ولكنه نصيب محدود. فالكتابات والنقوش التي وصلت الينا، تتكلم عن مجوس ومنجمين واطباء اتوا من الهند واليونان وبابل، وتكاثروا في البلاط. ولا ذكر لعلماء فرس اصيلين.

وهكذا نتبين ان الامم العشرين التي ضمتها امبراطورية فارس، بالاضافة الى موقع ايران الوسيط بين عوالم وحضارات مختلفة، تضافرت جميعها لتؤمن للفرس اسباب حضارتهم.

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

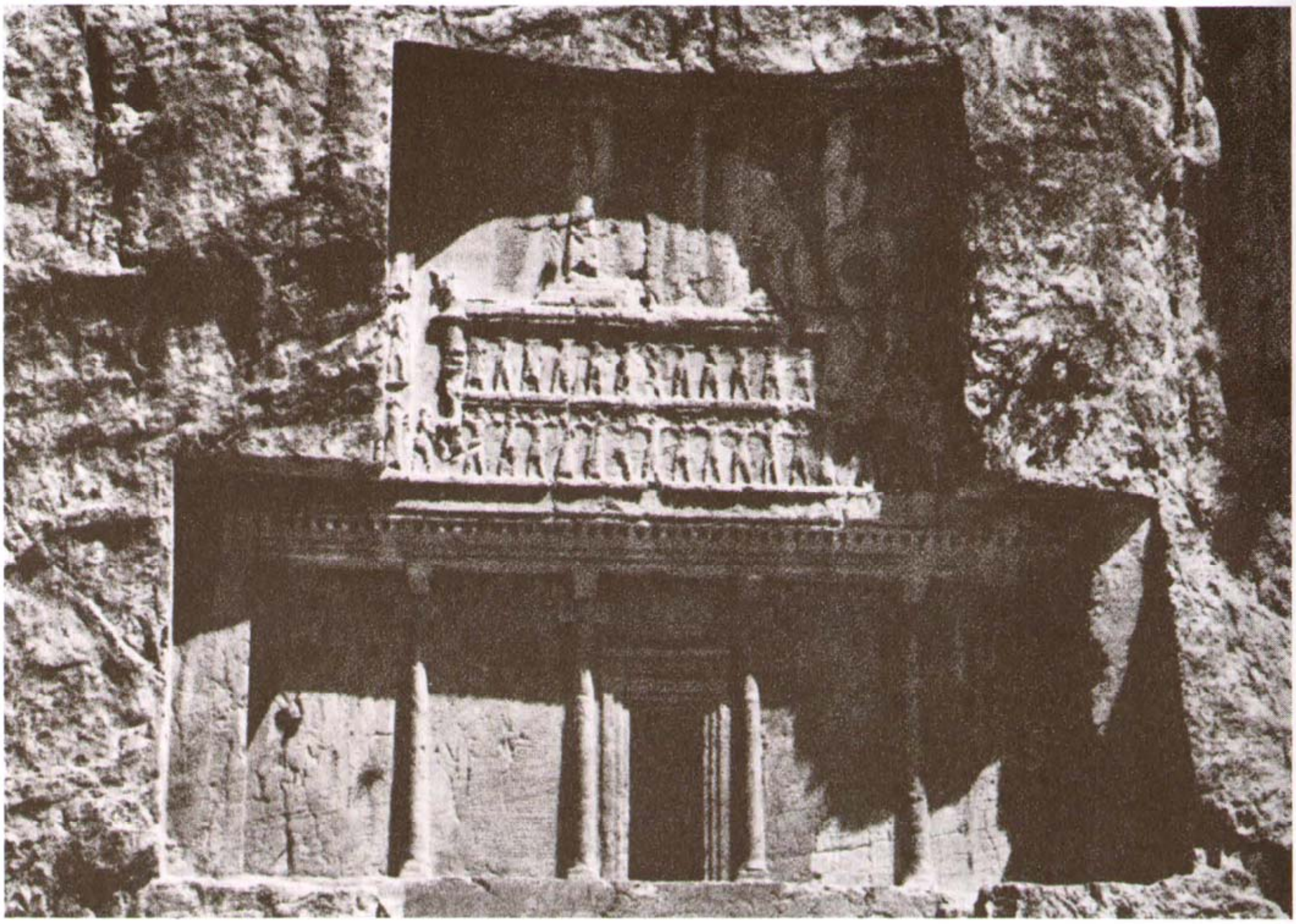

قبر داريوس

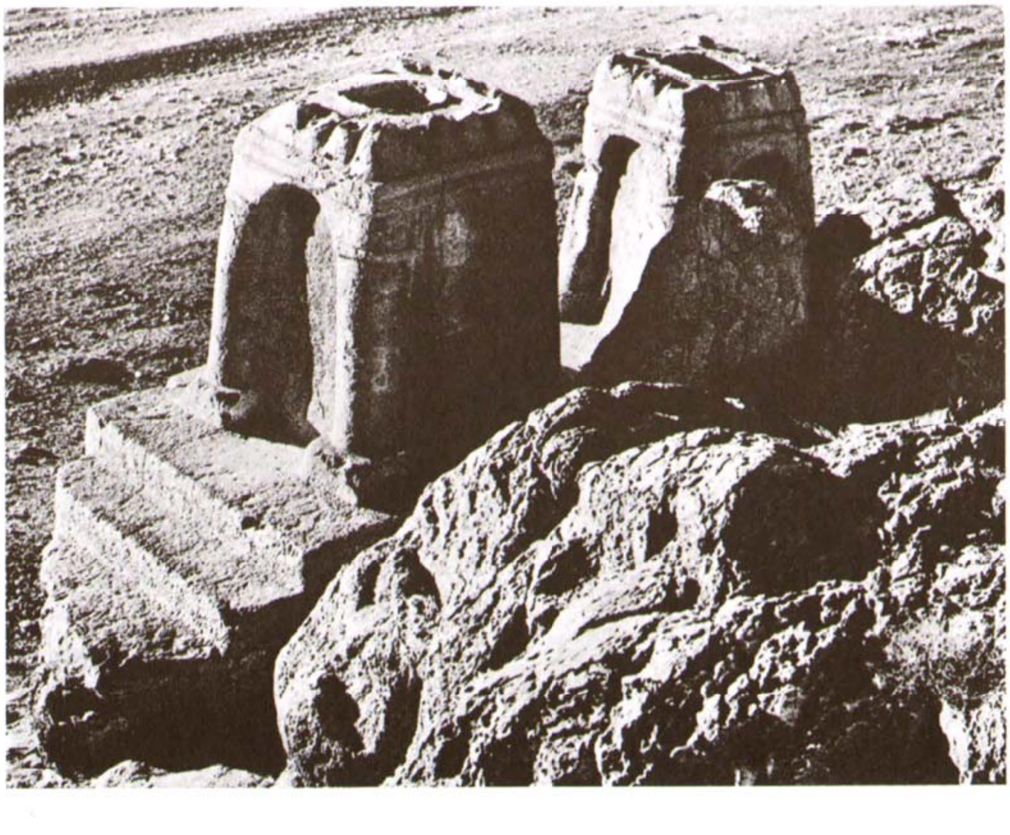

مذابح النار،
وكانت تقام في العراء

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

١١ الحضارة الفينيقية

فينيقيا وتاريخها

١ً – الفينيقيّون وبلادهم الفينيقيون فئة من قبائل سامية عرفت بالكنعانيين نزحت عن شبه الجزيرة العربية في اواسط الالف الرابع قبل الميلاد، واتجهت نحو الغرب حيث استقرت بجوار المتوسط. وغلب اسم بلاد كنعان على المناطق التي حلت فيها. والاغريق هم الذين دعوا فئة منها بالفينيقيين.

وفينيقيا منطقة ساحلية تمتد من شمال «رأس شمرا» على الشاطئ السوري حتى جبل الكرمل في الجنوب. وفي الشرق تحدها سلسلة جبال لبنان الغربية. اما في الغرب فلها واجهة بحرية عريضة كان لها الفضل في ازدهار الحضارة الفينيقية.

وهذا الساحل الفينيقي ضيق، تتعاقب عليه الرؤوس الصخرية والسهول الضيقة. وينجم عن ذلك امران: احدهما قلة المساحات الزراعية، والآخر صعوبة التنقل البرّي؛ مما شجع استقلال المدن الفينيقية عن بعضها.

وفينيقيا بلد ابعاده غير طبيعية. يتعدى في الطول الثلاثماية كيلومتر. وجبال لبنان تعزله شتاء عن البقاع، فلا يبقى امامه من مدى حيوي دائم غير البحر.

٢ً – فينيقيا جسر طبيعي وفي وقت لم يكن لمثل قناة السويس وجود، تبدو فينيقيا الممر الطبيعي الأوحد بين قارات العالم القديم (آسيا واوروبا وافريقيا)، أو بلغة التاريخ بين دول مصر وما بين النهرين والفرس واليونان. وهذا ما اضطرها لان يكون لها دور في تاريخ هذه الدول.

ولا مفر لمن اراد الانتقال من بلاد مصر الى بلاد ما بين النهرين من المرور بها. لان العبور الى سوريا ممكن ولكنه صعب. ثم ان بادية الشام تنفر المسافر منها، فيفضل التوجه الى الشمال لا الى الشرق. كل ذلك يعزز وضع فينيقيا، ولكنه بنفس الوقت يثير اطماع جيرانها بها؛ فالمصريون وجدوا فيها «بساتين حاليات بالثمار، وخمورًا في المعاصر تتدفق كالماء، وقمحًا على السطوح اوفر من حبوب الرمل على الساحل»، وطمعوا باخشابها، ومثلهم طمعت دول ما بين النهرين وفارس.

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

مَعْبَر نهر الكلب.

احدى رسائل تل العمارنة

«من رب عدي، ملك جبيل، الى الفرعون سيدي.»

«امامك سيدي انحني سبع وسبع مرّات. سمعت اقوالك فسر فؤادي. فليسرع سيدي بارسال النجدة. فاذا ابطأ سقطت المدينة، وصرنا في عداد الأموات. اليوم مثل البارحة وقبل البارحة، نعيش في قلق. واليوم كالبارحة وقبل البارحة يردد سكان المدينة ان ليست هنالك امداد.»

«في الماضي كتبت اليك، فارسلت الينا الجنود. أما اليوم فالجميع يتهامسون: «انه لم يكتب لذا سنهلك». والعدو يحاول احتلال المدينة ويمنّي نفسه قائلًا: «اذا فزنا بجبيل امسينا اقوياء». وهذا محتمل فلا خلاص لي ان لم تتوجه ضدهم.

احرس المدينة ليل نهار. وعندما اغادر الاسوار يمتنع عليَّ اهل البلاد. فلم يعد ثمة من يدافع عن جبيل. فليعجل سيدي ارسال المدد. ولا ترعك اخبارهم اذ يدعون ان الطاعون في المدينة، فحالتها الصحية افضل من السابق. وسيدي يعلم ان اقوالي هي الصحيحة. ساعة تسيّر اليَّ جنودك كل المدينة تعلن خضوعها، فمن بامكانه الصمود في وجه جنود الفرعون؟... وليحرص سيدي على هذه البلاد ولا يتركنها لابناء عبد عشرتا.

معربة عن كونتينو – الحضارة الفينيقية.

الشاطئ اللبناني شمالي بيروت ويعطينا فكرة عما كان عليه الشاطئ الفينيقي

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

٣ – فينيقيا والبحر يُعتبر البحر الابيض المتوسط المدى الحيوي الأوسع لنشاط الفينيقيين. وتعليل ذلك ان حياتهم الزراعية كلفتهم الكثير من الجهد دون ان تؤمن كل حاجاتهم. فعليهم ان يمهدوا السفوح، ويبنوا الجلول ليمنعوا انجراف الاتربة، والزيتون والكرمة اللتين اتقنوا لم يكفياهم، والزراعات السهلية على تنوعها وغنى مردودها لم تحل المشكلة الاقتصادية.

والمناجم بدورها فقيرة، لا بل معدومة؛ بعض الحديد والفحم والحُمَّر والاخشاب. وهذه الاخيرة كفيلة بتشجيع صناعة السفن. كل هذه الاعتبارات زادت من تصميم الفينيقيّين على ارتياد البحر.

فالبحر اسهل السبل للتنقل على طول الشاطئ، وبين المدن المنعزلة طبيعيًا. والبحر يمدّهم بالسمك للغذاء وباصداف «الموريكس» لاتقان صباغة الارجوان. والبحر يفتح طريق التجارة الى الشمال والجنوب والغرب، ساعة يصعب عليهم ارتياد بلاد الشرق. والبحر جعل لفينيقيا أساطيل تجارية وحربية، رغب فيها المصريون والاشوريون والكلدان والفرس. او بعبارة اخرى البحر جعل من فينيقيا بلادًا تحتاج اليها الدول الكبرى في ما بين النهرين وفارس ومصر.

٤ – المدن الفينيقية عرف الساحل الفينيقي خمسًا وعشرين مدينة، معظمها في الواقع قرى كبيرة. اما اشهرها فكانت جبال (جبيل أو بيبلوس)، وصيدون «بكر كنعان»، وصور، وأوغاريت، وبيروت. والمدينة الفينيقية قد تكون جزيرة كأرواد، أو تكون رأسًا كبيروت، أو تنقسم بين الجزيرة والشاطئ المقابل لها كصور وصيدون. وبحكم ضعف الفينيقيين العسكري وحاجتهم الى البحر فكّروا بان يتحصنوا في وجه الطبيعة والغزوات. فانتقوا الرأس أو الجزيرة لانهما يوفران للمدينة مرفأين يحميانها من العواصف. فاذا هبت الريح من الشمال لجأوا الى المرفأ الجنوبي، وان هبت من الجنوب لجأوا الى المرفأ الشمالي. هكذا نفهم ان صور كان لها المرفأ الصيدوني لانه مواجه لصيدون، والمرفأ المصري لأنه مواجه لمصر. والجزيرة لا توفر مرفأين فقط، بل توفر ايضًا الحماية من الهجمات المعادية؛ وهذا ما مكن صور من الصمود امام نبوخذنصّر والاسكندر. (انظر ص ١٠٥ و ٨١).

ولم تكن مدن فينيقيا على وفاق دائم أو تَسْعَ للوحدة إلا حين يحدق

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

بها الخطر. والسبب في ذلك ان المواصلات فيما بينها صعبة عن طريق البر؛ فالعابر من بيريت الى جبَال عليه ان يتسلق الجبل عند نهر الكلب. وكذلك الطريق بين بوتريس (البترون) وطرابلس يعترضه رأس الشقعة. فالبحر اذًا هو الصلة الأنسب. فكيف، والامر كذلك، لا تسعى كل مدينة لان تستقل، أو تتنافس مع جارتها، شأن صيدون مع الاسكندر ضد صور مثلًا (انظر ص ٧٥).

وانما نظلم المدن الفينيقية ان تجاهلنا سعيها للتقارب احيانًا. فثمة الاصل الواحد، ورابطة الدين واللغة. واهم من ذلك كله المصلحة المشتركة التي سرعان ما تجمعها تحت راية أقوى المدن. كل ذلك في سياسة مرنة وان تكن لم توفر لها الامان دائمًا.

مراحل تاريخ فينيقيا

تاريخ فينيقيا حقبات متقطعة من الولاء والتمرد، تخللها فترة من الاستقلال الفعلي، بدأت مع الالف الاول قبل الميلاد. والولاء مرده امران؛ اولهما كون فينيقيا عاجزة عدديًا وعسكريًا عن مقاومة دول كبيرة كالمصريين والاشوريين والفرس... وثانيهما الطمع بانفتاح اسواق جديدة امام تجارتهم. أما التمرد فلم يلجأوا اليه إلا ساعة يصبح الخضوع خطرًا على كيانهم، كتمرد صور على نبوخذنصر الكلداني والاسكندر المقدوني، أو تمرد صيدون على ارتحششتا الثالث ملك الفرس.

١ً – فينيقيا ومصر أقامت مصر أول علاقاتها التجارية مع جبال (جبيل)، ثم طمعت باخشاب الارز فاخضعت هذه المدينة الفينيقية. وغزوة الملوك الرعاة لمصر علّمت الفراعنة ان يتشبثوا بفينيقيا لتكون درعًا واقية من الغزوات. وبعد زوال دولة الهكسوس، عاد النفوذ المصري يستبيح خيرات فينيقيا، ويأخذ اولاد ملوكها رهائن، يربونهم على الطريقة المصرية ضمانًا لولائهم. ولمّا قاومتهم ارواد دمروها. ولم يخفف من وطأة الحكم المصري إلا ثورة اخناتون الدينية. فاضعفت النفوذ المصري في الخارج. وبعد ذلك استعادت مصر سلطتها على سواحلنا ايام رعمسيس الثاني الذي ترك نقشًا له على صخور نهر الكلب.

٢ً – فينيقيا و «الحثيّون» شغلت مصر بثورتها الدينية ايام «أخناتون» (١٣٧٠–١٣٥٢ ق.م). وفي نفس الوقت تفاقم خطر الحثيين الزاحفين من آسيه الصغرى. فسيطر ملكهم

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

«شبليوليوما» على بلاد «أمورّو» (سوريا الشمالية). واشترى الاعوان في فينيقيا. فتعالت صيحات ملوك المدن الفينيقية، تطلب النجدة وتحذر من المؤمرات المدبرة. فوجّه ملك جبال واسمه «رِبْ عَدِيْ» اكثر من اربعين رسالة الى اسياده في مصر، يطلب فيها المعونة ويتهم ملك صيدون بالانحياز الى اعوان الحثيين. ولكنها رسائل بقيت دون جواب، والمعونة لم تصل. وظل الامر كذلك حتى تسلم حكم مصر رعمسيس الثاني (١٢٩٨–١٢٣٥ ق.م.) ووصل في فتوحاته الى «قادش» على العاصي. (انظر ص ٧٥).

٣ – استقلال فينيقيا تحقق استقلال فينيقيا نتيجة لغزوات قبائل «الفِلِسْطُو». واصل هذه القبائل من جزيرة كريت ومن جزر بحر ايجه. انتشرت في القرن الثاني عشر قبل الميلاد (١٢٠٠ ق.م.) في بضع مناطق من حوض المتوسط الشرقي. فصدّها عن مصر رعمسيس الثالث. ولكنها استطاعت تهديم «أُوغاريت» وتخريب صيدون (١١٠٠ ق.م)، فاستقر ابناء صيدون في صور.

واستقر المطاف بقبائل «الفلسطو» في البلاد التي نسميها اليوم فلسطين. فتنفست بعض مدن فينيقيا الصعداء. وازدهرت «أَرَادوس» (ارواد) على حساب «أوغاريت» المهدمة ثم صور على حساب صيدون. وسارت في الازدهار شوطًا بعيدًا حتى استطاعت ان تخلع عنها نير السلطة المصرية. وتجرأ ملك جبال (جبيل) على احتقار وسجن موفدي الفراعنة اليه.

وبدأت فترة الاستقلال السياسي، وبالتالي الازدهار ايام «أحيرام» (٩٨٠–٩٣٦ ق.م.). وسادت العلاقات الودية مع داود النبي وسليمان الحكيم. واتسعت حدود فينيقيا حتى شملت عشرين قرية في الجليل الاعلى.

٤ – فينيقيا وما بين النهرين زال الخطر المصري نهائيًا عن فينيقيا. وما لبثت ان تهددها خطر الاشوريين في بلاد ما بين النهرين. واشتدت وطأة الضغط الاشوري ايام «أشور ناصربال». ففي عام ٨٧٦ ق.م. هاجم صور وصيدون وجِبَال وأرادوس، فدفعت له الجزية. ومثله فعل خلفاؤه. فنشطت الثورات ضد الاشوريين تتزعمها صور. واشتد معها التنكيل بالفينيقيين، خاصة في صيدون ايام أسرحدّون. أما صور فقد سلمت بفضل مركزها المنيع. وتابع الكلدانيون سياسة الاشوريين حيال فينيقيا. وتزعمت صور ثوراتها بتشجيع من مصر. واضطر «نبوخذنصر» الى توجيه حملة ضدها، فهدَّم صور البرية وامتنعت عليه صور البحرية.

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

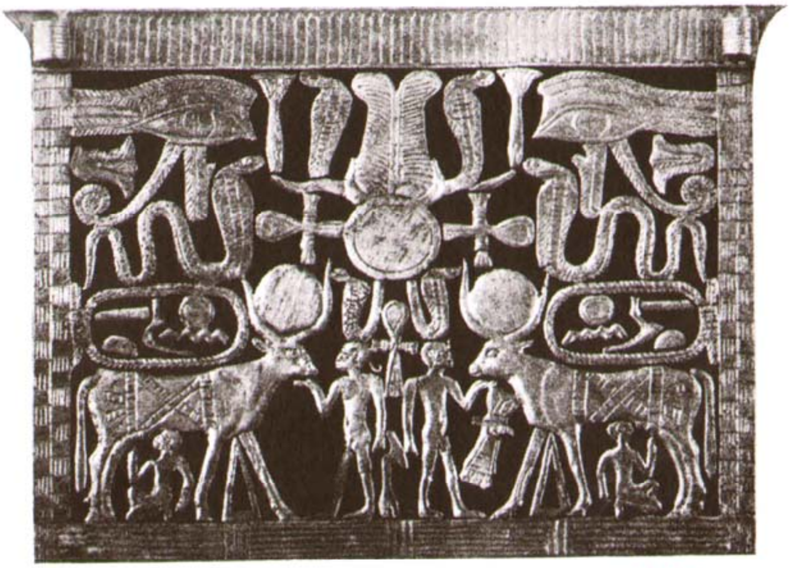

التأثير المصري في الفنّ الفينيقي
نقوش من العاج

اشور ناصربال يباهي باحتلاله سواحل فينيقيا

«لقد استوليت على معظم جبال لبنان وبلغت بحر امورّو ، البحر العظيم. وقد غسلت الدماء عن اسلحتي في الغمر العظيم ، وقدمت ذبائح من الغنم لجميع الآلهة. وقد دفع الجزية اهل الساحل اللبناني: اهالي صور وصيدون وجبيل وامورّو وارواد الجزيرة. دفعوا جزية ذهبًا وفضة وقصديرًا ونحاسًا وآنية نحاس وثيابًا كتانية مزركشة ، زاهية الالوان ، وقرودًا كبيرة وصغيرة وأبنوس وخشب الصندل وعاجًا وانياب بقر البحر.»

حتي ، «لبنان في التاريخ» ، ص. ١٠٤

الأرزة ، المادّة الأوليّة لصناعة السفن

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

٥ً – فينيقيا والفرس هزم الفرس دولة الكلدان، واحتلوا ما بين النهرين والبلاد التابعة لها، ومن بينها فينيقيا. واتصف حكم الفرس بالتسامح. فَحَاسَنَ «قوروش» الفينيقيين واستفاد من اسطولهم. وجعل «داريوس» من صيدون عاصمة لاحدى مَرْزُبَاناته، وبنى فيها قصرين. فانفتحت اسواق فارس امام الصيدونيين. ودفع ملكهم الضرائب بطيبة خاطر. وساير الفرس خدمة لمصالحه. إلّا انه، لما طالبته فارس بنقل جنودها الى قرطاجة، رفض مخافة عليها. لكنه لم يرفض نقلهم الى اليونان تخلصًا من مضاربة الاغريق لتجارة صيدون. انما هزيمة «سلامين» (٤٨٠ ق.م.) أحلّت الفتور في العلاقات.

وبدأت الثورات على الفرس، منطلقة من الحي الصيدوني في طرابلس. وقادت صيدون حركة التمرد على طول الساحل الفينيقي. فهدمت قصور الفرس فيها، الى ان انتقم منها ارتحششتا الثالث عام ٣٤٧ ق.م. ولكن الصيدونيين قاوموا مفضلين احراق المدينة على الاستسلام. وهلك منهم اربعون الفًا. وظلت الحال مشوبة بالقلق حتى مجيء الاسكندر.

النفوذ الغربي بعد الاسكندر لم يعد الخطر على فينيقيا من دول الشرق. لان المقدوني قد قضى على عظمة الامبراطورية الفارسية، وشيد حضارة ارادها من نوع جديد، حضارة اتت مزيجًا من عالمين: شرقي واغريقي، هي الحضارة الهلينية. ولكن موت الاسكندر الباكر عجّل في انهيار الامبراطورية الجديدة. وخلّف فينيقيا بين «حجري رحى»، تارة تتبع السلوقيين في سوريا وطورًا تخضع للبطالسة في مصر.

ولما انتهى الامر الى الرومان، اعتمدوا تقسيمًا اداريًا آخر، فاطلقوا على الساحل اسم فينيقيا الاولى وعلى الداخل اسم فينيقيا الثانية. وفاخرت بعض مدننا كبيروت وبعلبك بالمكانة السامية التي بلغتاها؛ الاولى كمركز علمي والثانية كمركز ديني. وورث البيزنطيون مجد روما. ولكنهم عجزوا عن مقاومة العرب في النهاية. (انظر ص ١٨٥).

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

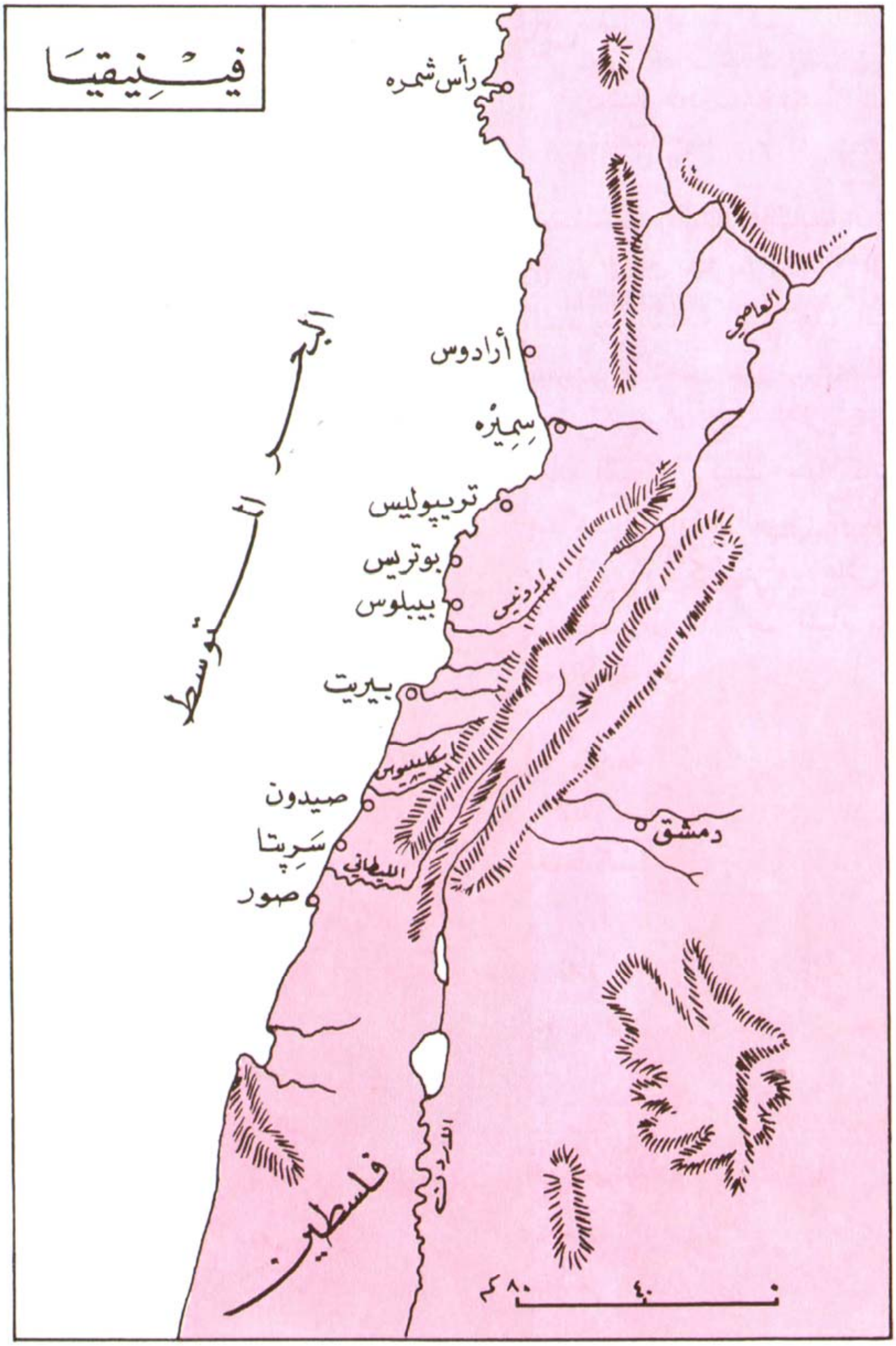

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

١٢ ديانة الفينيقيّين

المصادر الدينية قَبَسَ الفينيقيون عن جيرانهم معظم معتقداتهم وآلهتهم. والثابت ان المعتقدات الآسيانية (نسبة الى آسيه الصغرى) قد سبقت مجيء الساميين الى شاطىء المتوسط. وتلاها تأثير الديانات السومرية والسامية. وكل هذه الشعوب قد ألّهت الخصب، وعنها اخذ الفينيقيون. وملاحم رأس شمرا حافلة بوصف غني لديانة الكنعانيين، قبل ان تتغلغل فيها التأثيرات الاغريقية.

اما التأثيرات الاغريقية في ديانة الفينيقيين فينبئنا عنها كاتب يوناني ولد في جبيل (عام ٤٢ م)، وعرف باسم «فيلون» الجبيلي. ويَدَّعي فيلون هذا بانه ترجم كتابًا لكاهن بيروتي اسمه «سَنْكُنْ يَتُنْ»، عاش في القرن الحادي عشر قبل الميلاد. ولكنه اضاف الى ما ترجم اشياء من التراث الاغريقي، كما هو بادٍ في اسماء الآلهة والمخلوقات التي يذكرها.

آلهة الفينيقيين وتسمى الآلهة بالفينيقية «أَلُونِيْم» مفردها «إِيْل» اي إله. وتسمى ايضًا «بَعَالِيْمْ» مفردها بعل. وقد يُدْعَى الإله كذلك «مَلْك» اي ملك (مِلْكَارْت إله صور)، أو يُدعى «أَدُوْنْ» ومعناها السيد. وقد جعلها الاغريق أدونيس. واشهر آلهة الفينيقيين هم:

«**إيل**»: ومعناها الاله بصورة عامة. ولكنها دلّت في الأصل على كبير الآلهة أو الإله – الآب. وما تمتع به من صفات ورثها عنه ابناؤه الآلهة. زوجته «أَشِيْرَا».

«**الدَاغُوْن**»: تعدى في الشهرة مرتبة أبيه الإله «إيل». دأبه السهر على المجاري المائية، يبشر بالمطر. ولكن شهرته تضآلت فيما بعد.

«**بَعْل**»: ويفهم بهذه العبارة صفة لا إسم. عنى بها الفينيقيون إلهًا معينًا لعله الاله «أَدَدْ» السوري (وقد مر بنا ذكره مع آلهة ما بين النهرين). يختص بالجبال والعواصف والصواعق. وبنفس الوقت يختص بالمطر، فيجمع النقيضين: العواصف المسيئة والمطر النافع. وفيما بعد تكاثرت تسمية بعل مقرونة باسم المكان، فقيل: بعل صور، وبعل ارواد، وبعل مَرْقُد

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

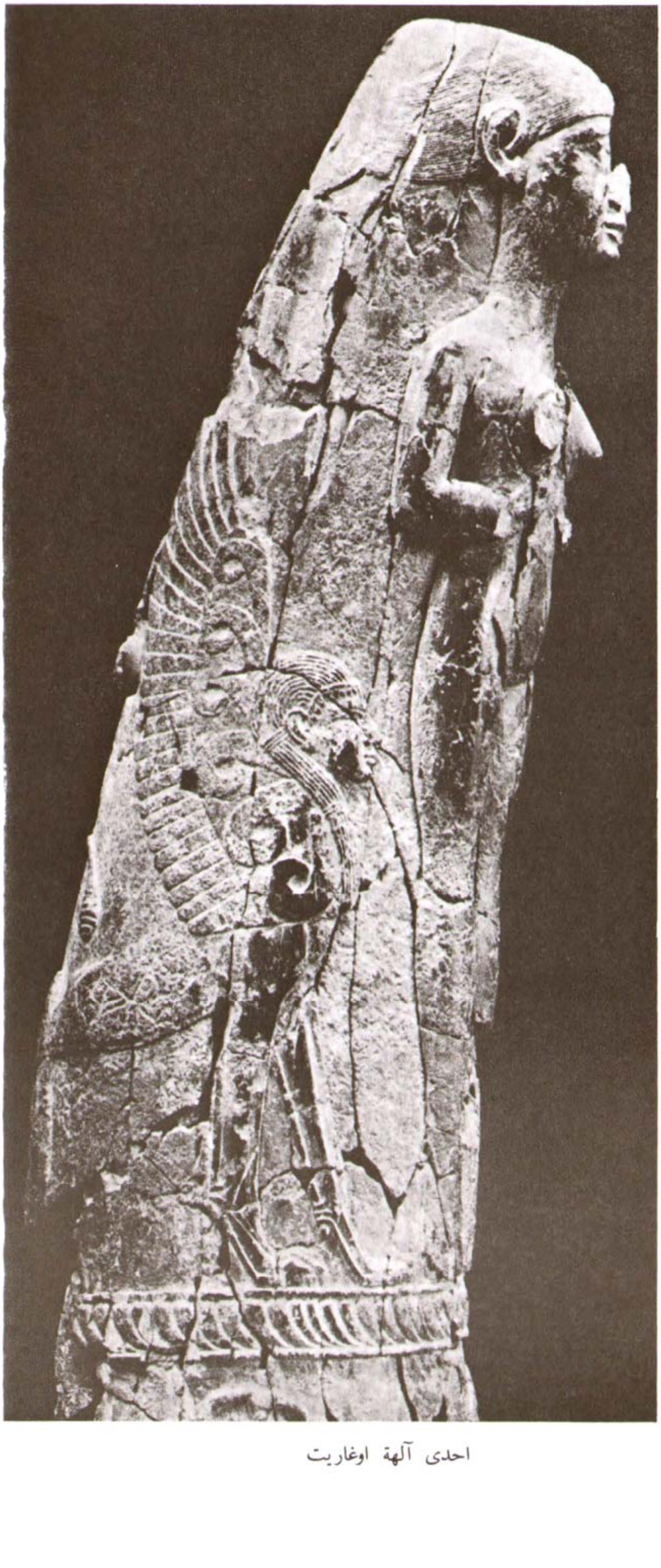

احدى آلهة اوغاريت

اسطورة التكوين حسب فيلون الجبيلي

في البدء لم يكن إلا الهواء الكثيف والخَوَاء. ومنهما تحدرت الريح والرغبة: فكان الإله موت على شكل بيضة. وداخل البيضة تكونت بذور مخلوقات بقيت دون حراك حتى انفتحت البيضة. فقذف موت بالشمس والقمر والنجوم. وبتأثير الضوء انفصلت المياه عن السماء.

ومن الريح «كولپيا» (Kolpia) وزوجته «بَأْوُو» (Baau) وُلدت أَيُون (Aion) الحياة وپروتوغونوس (Protogonos) الابن البكر، اللذين ولدا بدورهما كلًا من جينوس (الذرية) وجينيا (مؤنث جينوس). فعبدت جينوس الشمس وانجبت ثلاثة اسماؤهم: «النور» و «النار» و «الشعلة» واكتشف ثلاثتهم النار. ومن «النار» تحدر العمالقة، واحد العمالقة هو من بنى المدن...

عن كونتينو – «الحضارة الفينيقية

الإله بعل

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

(في بيت مري). كما عبدت البعلات، فقيل: بعلة بيروت، وبعلة جبيل (أي عشتروت).

والمرجح ان عبادة الإله بعل قد نشأت متأخرة، اي بعد ان اكتمل هرم الآلهة لدى الفينيقيين. فتوزعت عبادته في مختلف انحاء فينيقيا. وكان هذا سبب اسطورة زَوَّجَتْهَا أوغاريت، ومَفَادُها ان بعل لم يكن له معبد لولا تدخل إيل كبير الآلهة. (انظر ص ٨٣).

«عَلِيَّان»: وهو ابن الاله بعل، ورث عن ابيه كل صفاته. اهتم بالينابيع والمطر والغلال، واخيرًا بالبحر. وقليلًا ما كان يسمى باسمه الحقيقي، بل بنعت بعل، وخُلِطَ بينه وبين ابيه.

«عَنَاة»: وهي شقيقة عليّان. محاربة تجمع صفات الإلهة عِشْتَار الاشورية. عبدها المصريون باسم «أَنْتَا.» (anta)

«مُوْتْ»: وهو الاله المحارب، ابن بعل، وشقيق عليّان ونَدُّه في آن معًا. به تتمثل شمس الظهيرة المحرقة وإله الجحيم. وحَسَب فيلون الجبيلي اسمه يعني الموت. ولا مجال للقاء بين موت وعليّان. فعندما يكون الاول في الجحيم يكون الآخر على وجه الارض. واصل هذا الاعتقاد ان الطبيعة عندما تزدهي في الربيع بفضل عليان يختفي موت وهو الصيف المحرق. فيمثّل هذا التنافس تعاقب فصول السنة وتأثيرها على الطبيعة. وليست بعيدة عن هذه الفكرة اسطورة ادونيس في جبيل. (انظر ص ٨٧).

«مِلكَارْتْ»: ومعناها ملك المدينة. فهو اذًا صفة حلّت محل اسم أُطلق على إله صور. تعززت عبادته ايام أحيرام، فبنى له هيكلًا فخمًا. هو إله الشمس اصلًا. ولمّا نشطت الحياة البحرية في صور لُقّب باله البحر ايضًا. وانتشرت عبادته باتساع نفوذ صور حتى وصلت الى قرطاجة.

«رَشَف»: ومعبده في جبيل، به يتمثل البرق والضوء. (ص ١١٥).

«أَشْمُون»: وهو إله صيدون، إله الصحة، انتقلت عبادته الى بيروت. وتَيَمَّنَ به ملوك صيدون فتسموا باسمه.

«أَدُوْن»: او أدونيس الشاب. عُبد في جبيل وفي أفقا. به يتمثل الخصب وتجدد الطبيعة في الربيع.

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

البعلات: عَبَدَتْ بعض المدن إلاهات. وأَشِيْرَا زوجة ايل كانت أُولَاها. وعبدت بيروت بعلة. لكن عشتروت بعلة جبيل وإلهة الخصب والحب والجمال بزّتها جميعًا. فاقيم لها معبد في جبيل، وذاع صيتها في كل فينيقيا والمستعمرات. وعُبدت في قرطاجة باسم «تانيت». وتدين بشهرتها هذه لاسطورة أدونيس. فما قيمة هذه الاسطورة في المعتقدات الفينيقية؟.

اسطورة «ادونيس» خرج أدونيس للصيد صبيحة احد ايام الخريف. فصرعه خنزير برّي عند منبع نهر ادونيس (نهر ابراهيم). فسالت دماؤه وصبغت مياه النهر. وذهبت عشتروت تفتش عنه، فوصل بها المطاف الى الجحيم لتنتشله من عالم الاموات.

وقيمة هذه الاسطورة في ما تعنيه بالنسبة للديانة الفينيقية؛ اذ في ادونيس تتمثل روح الطبيعة أو النبات. وما موته إلّا موت الطبيعة مع الخريف. واذ تفيض السيول تجرف معها اتربة حمراء تصطبغ بها مياه نهر ابراهيم. فرأى الفينيقيون في هذا الاحمرار دم ادونيس. وساعة يحل الربيع تعود الى الطبيعة بهجتها ورونقها. فعودة ادونيس مع عشتروت هي اذًا عودة الربيع الى الطبيعة.

تقديس مظاهر الطبيعة وفي مرتبة تلي الآلهة، وقَّر الفينيقيون بعض مظاهر الطبيعة مثل الجبال والينابيع والاشجار، لما لها من صفة القُدْسية. فالجبل هو معقل الإله. والمياه، كما في افقا، تُلقى فيها الذبائح بالقرب من معبد عشتروت، فاذا غرقت كانت مقبولة. وكذلك قُدّس نهر أَسْكليبيوس (الأوَّلي)، وفوقه بُني معبد «أشمون». واخيرًا الاشجار المظللة بالقرب من المعابد.

ونظرًا للقدسية التي احاط بها الفينيقيون هذه المظاهر، حرصوا على بناء هياكلهم على مرتفعات قريبة من المدن ومن ينابيع تظللها الاشجار.

الحياة الآخرة بعد الموت تستمر الروح في حياة بائسة لا رجاء فيها، دون ان تقطع علاقاتها بالجسد الذي غادرته؛ ومن هنا اهتمام الفينيقيين بحفظ الجسد. فلم يترددوا في الاقتباس عن المصريين عادة تحنيط الاجساد. وتسابق على هذه العادة ملوك صيدون واشرافها.

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

واذا حافظت الاجساد والارواح على علاقاتها الماضية ، إلّا انها لا تتلازم. فبينما تكون الروح بين «الرَفَائِيْم» اي الضعفاء وفي الظلام ، يكون الجسد محفوظًا في «بيت الراحة» أو «بيت الابدية». وتشددًا في حفظ الجسد من التلف وُضِعَت النواويس في قيعان آبار او في كهوف صعبة المنال . والطمع بالقبور ناتج عمّا يوضع مع الميت من مقتنيات ثمينة .

الاعياد التقادم والاضاحي

أ – الأعياد ترتدي اعياد الفينيقيين مظهرًا جللًا . فتستمر طويلًا . بل تتخذ شكل الحجيج ، لان المعابد بعيدة عن المدن . فمعبد بيروت كان في بيت مري ، ومعبد جبيل في افقا ، ولا يخلو الأمر من بعض الشواذّ . واشهر اعياد فينيقيا هي «الأدونيسيات». ففي اواخر حزيران ، وبعد الحصاد ، تَؤُمُّ معبد افقا وفود من جميع انحاء البلاد . وينطلق الموكب من جبيل ، ويتوقف عند نقاط معينة تمثل مراحل رحلة الصيد التي قام بها ادونيس . وتطالع الحجيج عند باب المعبد نقوش تمثل أدونيس ومن حوله نساء مُعْوِلات . وتستمر المراسم ثلاثة ايام ، أَوَّلها مخصص للتقادم ، والثاني للمأتم ، والثالث يُمَثّل فيه موت ادونيس . وفي الايام التالية تتحول الاعياد الى ميدان للفسق والفجور .

اما في صور فيقام عيد الاله «ملكارت» حيث يحرق انموذج عنه . وقد يكون ذلك رمزًا الى الاضاحي التي كانت تقدم فريسة للنار قديمًا . لان ملكارت نفسه ، بعد ان بنى صور ، قضى حرقًا .

٢ – التقادم والأضاحي ومنشأ هذه العادة اعتقادٌ بان الإله هو السيد المطلق . فواجب بالتالي ان تقدم له الهدايا والقرابين ، فيشمل البشر بعطفه ورضاه . وتختلف التقادم بين نفائس ومواد زراعية أو غذائية او حيوانات يضحى بها على المذابح . يأكل منها المؤمنون لان لها فعل القرابين المقدسة . أَمّا تقادم السوائل من حليب وزيت وخمر فيخصّون بها البعلات .

ولم يقف امر الاضاحي عند هذا الحد ، بل تعداه الى احراق الاطفال ، دون الستة اشهر ، عندما يحدق بالمدينة خطر أو تحل فيها آفة . واحيانًا يضحى بالطفل عند تدشين عمل عمراني هام كبناء سور أو جسر . وسرعان ما انتقلت هذه العادة الى قرطاجة وسواها من المستعمرات .

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

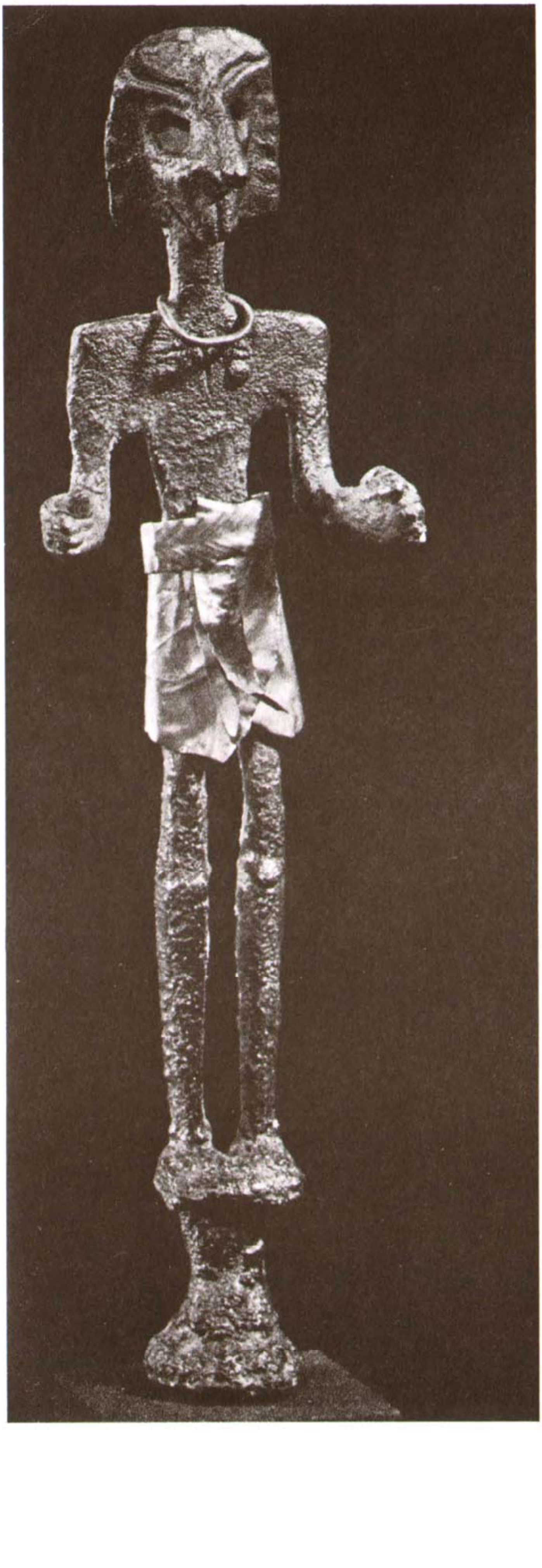

إله فينيقي

عناة تبكي عليّان

«طفنا الارض، سهولها، وجبالها.
وجدنا البعل قد سقط.
مات البعل الظافر.
هلك سيد الارض.
بلغ النعي مسامع عناة.
راحت تفتش عنه في كل مكان.
طافت الجبال، هامت على وجه العراء.
خدشت وجهها، ادمت ذراعيها.
جرحت صدرها... رفعت صوتها، نادت:
مات البعل فمن لأهل ابن داجون؟ (داغون).
من للجماهير التي كانت تسير وراءه؟
وبعد ان ارتوت بالبكاء.
بعد ان شربت دمعها خمرًا.
صرخت بالآلهة شفش (شمش).
هيا ننزل الى باطن الارض.
فتعينينني في رفع الظافر البعل.
وعلى كاهلي ترفعينه.

* * *

كما تحن الرئم الى صغيرها.
كما تحن الشاة الى حملها.
هكذا يحن قلب عناة الى البعل.
امسكت عناة بابن الالهة موت.
وبحربة طعنته، شقته، قطعته.
وبمذراة ذرته، وبالنار احرقته.
وبين حجري رحي طحنته.
وفي الحقول بذرت بقاياه.

* * *

واذا بالسماء تمطر زيتًا.
الاودية تسيل عسلًا.
فعرفت ان البعل حي.
ادركت ان سيد الارض عاد الى وجه الارض.».

الدكتور انيس فريحه «ملاحم واساطير».

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

١٣ الأبجديّة واللغة والأدب

الابجدية الفينيقية أشاع المؤرخ اليوناني هيرودوتس، أن احد الفينيقيين واسمه «قَدْمُوْس» ابتكر حروف الهجاء. ونشرها اثناء انتقاله نحو الغرب. ويضيف بان ابجدية قدموس اقتصرت على ثمانية عشر حرفًا، أكملها من بعده احد الاغريق واسمه «پَالْامِيْدُوس».

وفي مُتْحَف بيروت الوطني ناووس حجري لاحد ملوك جبيل (احيرام ١٢٥٠)، قيمته في الاحرف الابجدية المنقوشة عليه، وعددها اثنان وعشرون حرفًا. وليس من المنطق ان تكون هذه الاحرف قد وضعت دفعة واحدة. بل هي ثمرة مجهود جماعي طويل، يدل على ما انتهت اليه الكتابات القديمة في تطورها البطيء. فما هي اذًا الاصول الغريبة او المحلية التي استند اليها الفينيقيون قبل ان يتحفوا العالم القديم بابجديتهم؟

أ – اصل الأبجديّة في اوائل القرن الثاني عشر قبل الميلاد، لم تكن الاحرف الابجدية قد عُرفت بعد. بدليل ان رسائل تل العمارنة والتي كتبت قبل ذلك بقليل، قد خُطّت بالمسمارية الاكادية. وهذه الكتابة المسمارية الاكادية قد نجم عنها كتابة ابجدية مسمارية اعتمدت في مدينة اوغاريت الفينيقية (انظر ص ٩٣). ولكنها ابجدية معقدة في دلالتها على اصوات الاحرف. ثم ان الحروب التي تلت هذه الفترة قضت على معظم الآثار المكتوبة بهذه الابجدية. فيجوز اذًا التساؤل: من اين اقتبس الفينيقيون أصول ابجديتهم؟

هناك رأي يقول بان الفينيقيين قد اعتمدوا على الاحرف السينائية (نسبة الى سيناء) المشتقة عن الهيروغليفية المتطورة. والمعروف عن الكتابة الهيروغليفية في مرحلتها الاولى، أي التصويرية، انها كانت أداة زخرف تزدان بها الجدران. ثم عمد الكهنة الى اختزالها لتسهيل كتابتها على ورق البردي، فكانت الكتابة «الهيراتيقية»، التي نجمت عنها الاحرف السينائية. وهذه الاحرف بعضها شديد الشبه بالاحرف الابجدية الفينيقية ولكنها اقل تطورًا. وعددها قليل وكتابتها أَصعب.

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

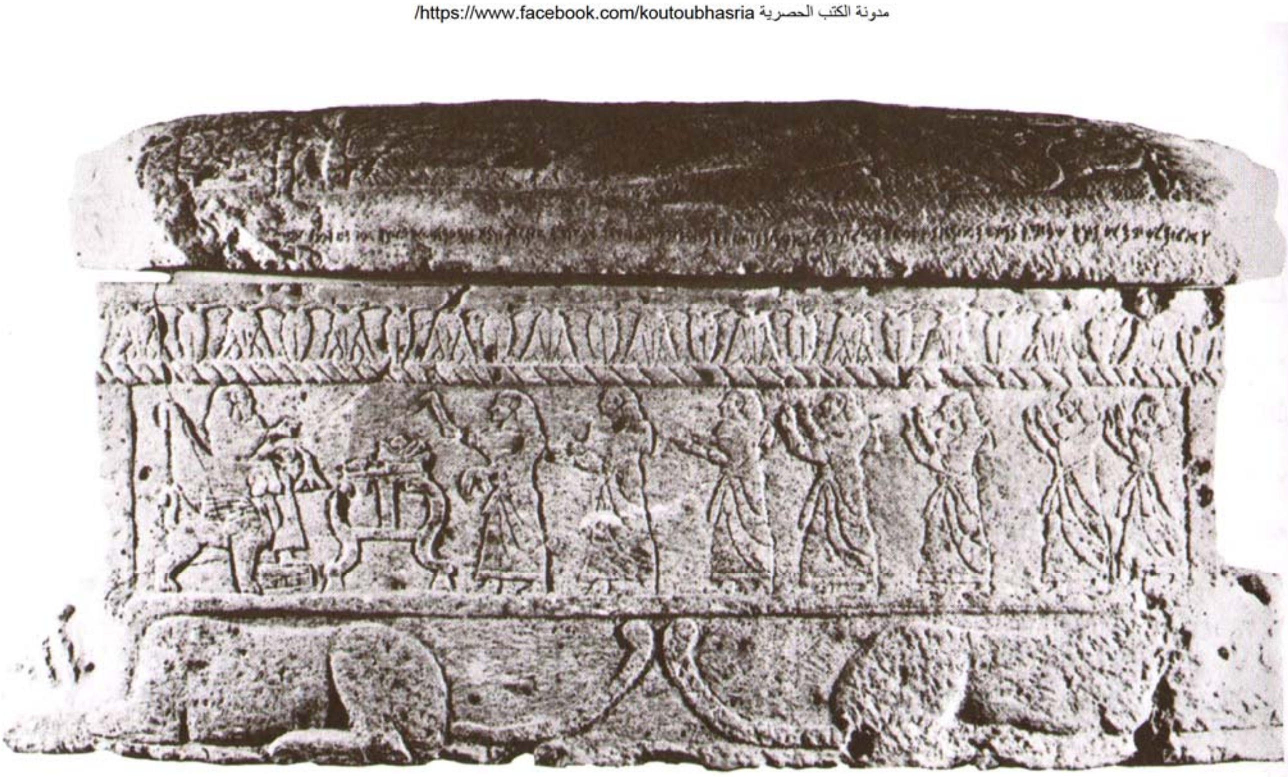

ناووس احيرام، وعلى غطائه الابجدية الأولى

اسماء فينيقية

بالرغم من بعد الشقة لا تزال بعض الاسماء التي كان يستعملها الفينيقيون متداولة في لبنان اليوم. وان يكن قد طرأ عليها بعض التحريف فان الارومة التي اشتقت منها لا تزال ظاهرة. ومن الامثلة على ذلك اسماء الاعلام التالية:

زينون – ملكي – إشموني – سلّوم – زكّا – مالك. او اسماء القرى مثل:

بعلشميه – قرطاضه – قبرشمون – بزيزا – بيت مري – وكل الاسماء التي تبدأ بلفظة كفر: كفرجره – كفررمان – كفردبيان – كفرفالوس. وكفر معناها القرية.

وقد يجد القارئ اللبناني سهولة في ترجمة بيت شعر بالفينيقية الى اللهجة العامية، واليك هذا البيت مكتوبًا بالاحرف العربية:

وبِحِلْمِي إيلْ يَأتيني بِشَارَتِيْ، أب آدم، ويَلِدْ سُفح لِكرِت (اسم علم كِرِت) وغُلَام لعبد إيل.

وقد اصطلح الملمون بالفينيقية على ترجمة هذا البيت بما يلي:

وبحلمي بشّرني إيل والدُ آدَمْ: أَنْجبْ ذريةً لِكرِتْ وغُلَاماً لِعَبْدِ إيل.

واسهل من ذلك ان نفهم ما يلي:

طل شمين شمن ارص أو طَلّ (مطر) السماوات سمن الارض.

من فينيقيا

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

وثمة رأي آخر ، يرد الابجدية الفينيقية الى أصل مسماري. لان اللغات السامية السائدة في بلاد ما بين النهرين ، قد انتشرت في كل انحاء الجوار . بينما الكتابة واللغة المصريتان بقيتا محصورتين في وادي النيل؛ واذا كان الفينيقيون قد نقلوا عن الهيروغليفية بعض رموزها فذلك للزخرف لا للتعبير . والكتابة المسمارية بدورها لم تبسط رموز الاحرف بالمقدار الذي وصل اليه الفينيقيون. فما دور الفينيقيين اذاً؟

٢ – الأبجديّة الفينيقية لم يكتف الفينيقيون في التعبير عن افكارهم بالكتابات المعروفة لدى جيرانهم. فالكتابة المصرية ، حتى في مرحلتها الاختزالية ، كانت بطيئة التطور ، تحن دائمًا الى التصوير . تستعمل الاشارة والصورة معًا. ومثلها الكتابة المسمارية ، يصل عدد مقاطعها الى الخمسماية . وكلتا الكتابتين الهيروغليفية والمسمارية لا تفي بحاجة الفينيقيين التجار في حياتهم العملية واليومية . لذلك تجاوزوا المرحلة المقطعية الى مرحلة حرفية ، يعبر فيها الحرف عن ابسط الاصوات . وتوصلوا الى حصر كل الاصوات في عدد قليل من الاحرف. فاشتملت ابجديتهم على اثنين وعشرين حرفًا ساكنًا (لا حركة عليه). ولم يعودوا بحاجة الى الصورة إلا للدلالة على لفظ الحرف؛ فالثور واسمه «ألف» بالفينيقية دلت صورته على الحرف ألف. وصورة البيت تدل على الحرف باء. وصورة الجمل ، جِمَال بالفينيقية ، تدل على الجيم ... وسميت كتابتهم بالابجدية لانها تبدأ باللفظة أَبْجَدْ. وبما انه ليس مفترضًا بالجميع ان يتقنوا التصوير من اجل الكتابة ، حُرِّفت الرسوم واختصرت ، فكان شكل الحرف النهائي .

٣ – نتائج اكتشاف الأبجدية ان اكتشاف الابجدية فتح ابعادًا جديدة وعميقة في دنيا الشرق. فقد بسَّط المعاملات التجارية. وانتزع من فئة الكتبة ما كان لديها من امتيازات. وحَدَّ بذلك من الفارق الطبقي في المجتمع . ولما اقتبس العالم عن الفينيقيين ابجديتهم اتسع نطاق التبادل في المعرفة والفكر والثقافة والادب ، وكان بالتالي حافزًا لانطلاقة فكرية سريعة برزت مع الحضارة الاغريقية .

ولكن اعتماد الحرف الفينيقي توقّف مع خضوع فينيقيا لنفوذ اجنبي ، أَخَصُّه السيطرة الاغريقية والرومانية. وعبثًا حاولت قرطاجة المحافظة على الاصل الفينيقي للابجدية ، مع بعض التعديل طبعًا. وفي النهاية أَدَّى تضاؤل

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

نفوذ فينيقيا الى تطوير الابجدية على يد بلدان اخرى. والعزاء الوحيد لمن يفاخر بها اليوم هو ان جميع الابجديات من اصل فينيقي.

لغة الفينيقيين

تنقسم اللغات السامية الى فرعين، احدهما في الشمال (بلاد ما بين النهرين)، والثاني في الغرب، ومنه تفرّعت اللغات العربية والآرامية والكنعانية. ومن الكنعانية اشتقت اللغتان: الفينيقية والعبرانية. فنتج عن ذلك تشابه كبير بين هاتين اللغتين الاخيرتين. والعارفون باللغة العبرانية يقعون فيها على الكثير من الالفاظ الفينيقية. والتوراة بدورها حافلة بالتأثير الفينيقي.

والفينيقية كسائر اللغات السامية. حروفها ساكنة. ولا تعتمد احرف العلة إلا في حال التشديد على اللفظ. لذا تتعدد الجوازات في لفظ العبارة الواحدة. (وتنويرًا للاذهان نأخذ مثلًا من لغتنا العربية فنقول بان لفظة أكل اذا لم تحرك، تقرأ كأنها فعلٌ ماضٍ معلوم أو مجهول أو اسم.). واستطاع الباحثون ان يلمّوا بقواعد اللغة الفينيقية اكثر من إلمامهم بلفظ مفرداتها. لا سيما وان اللهجات المحلية، ولا تزال سارية حتى اليوم في لبنان، تلعب دورًا كبيرًا في طريقة لفظ الكلمة والحرف. والارجح ان اللهجة الفينيقية تشبه الى حد بعيد لهجة ابناء لبنان الشمالي اليوم. (انظر ص ٨٩).

وقد سهّل التشابه في اشتقاق المفردات في اللغات السامية من معرفة طريقة لفظ الاسماء ومعانيها، مثل لفظة بن (ابن) وأَمَة، وعبد، وبعل، وملك. وثمة الفاظ عديدة اصلها فينيقي لا تزال موجودة، مع بعض التحريف طبعًا، في لغتنا العامية. (انظر ص ٨٩).

الادب الفينيقي

من الادب الفينيقي لم يَرْقَ الينا إلّا نَزْرٌ يسير. ولا تجوز المغالاة في قيمة هذا الادب. فكتابات الكاهن البيروتي «سَنْكُنْ يَتُنْ» لا نعرفها إلا بواسطة فيلون الجبيلي، وهذا الاخير كتب باليونانية. وبعض مقاطع التوراة تشيد بالشعراء الفينيقيين، لكن اسماء هؤلاء الشعراء أو شيئًا من شعرهم لم يصل الينا.

وما نتكل عليه في الكلام على الادب الفينيقي هو ملاحم رأس شمرا، وترجع الى القرن الرابع. وقد استحدثت او نقلت عن نصوص قديمة. ولكنها على اي حال لم تكتب بالابجدية الفينيقية. وغير ملاحم رأس شمرا هناك

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

نقوش احدث عهدًا، وقد كُتبت بالفينيقية. منها نقوش وجدت على نواويس بعض ملوك صيدون، او وجدت محفورة خارج حدود فينيقيا بالذات.

والابجدية الفينيقية بانتشارها السريع في انحاء الشرق بثت اشعاعًا ادبيًا وفكريًا اتاح للفينيقيين ان يؤثّروا في جيرانهم. فعنهم اخذ الاغريق اصول ابجديتهم وبعض عقائدهم. انما زمن هذا الاشعاع لم يطل. وهذه الفترة البارزة في تاريخ الفينيقيين بدأت حوالى العام الف قبل الميلاد. وجاءت نتيجة لاعتبارين: اولهما انتشار الابجدية وثانيهما استقلال فينيقيا. ولكن الغزوات الاشورية طمست الكثير من معالم هذا الدور؛ لان الاعتبارات السياسية سرعان ما تطغى على سواها، لا سيما في فينيقيا الضعيفة عسكريًا.

من الادب الفينيقي

نقش بالابجدية الفينيقية تركه اشمون عزر الثاني ملك صيدون.

«تكلم اشمون عزر ملك الصيدونيين قائلًا:

«قضيت قبل اواني، وعمري بضع سنوات، انا اليتيم ابن الارملة، اثوي في هذا التابوت، وفي هذا القبر، في هذه الدار التي بنيت. استحلف كل امير او سوقة ألا يفتح «منزل الراحة» هذا، وألا يفتش من حولي عن الجواهر، اذ لا وجود لها، ألا يزيح التابوت من بيت راحتي أو ينقلني ليسجيني في مكان آخر. واذا نصحك الآخرون فلا تصغِ الى نصائحهم، ان اي امير او سوقة يفتح «منزل الراحة» هذا أو ينقل التابوت من «منزل الراحة» هذا أو يحركني فليحرم مكان الراحة في الظلمات، فليحرم قبرًا، فليحرم ابنًا أو ذرية. قادرة الآلهة المقدسة ان تَكِلَهُ الى سيد سليط. وليحرم الاصول في ادنى والثمار في اعلى، والرفعة بين من يحيون تحت الشمس. يجب ان أؤخذ بالرحمة لاني قضيت قبل ساعتي ولي القليل من العمر، انا اليتيم ابن الارملة...».

عن كونتينو – الحضارة الفينيقية

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

جدول مقارن بالابجديّات

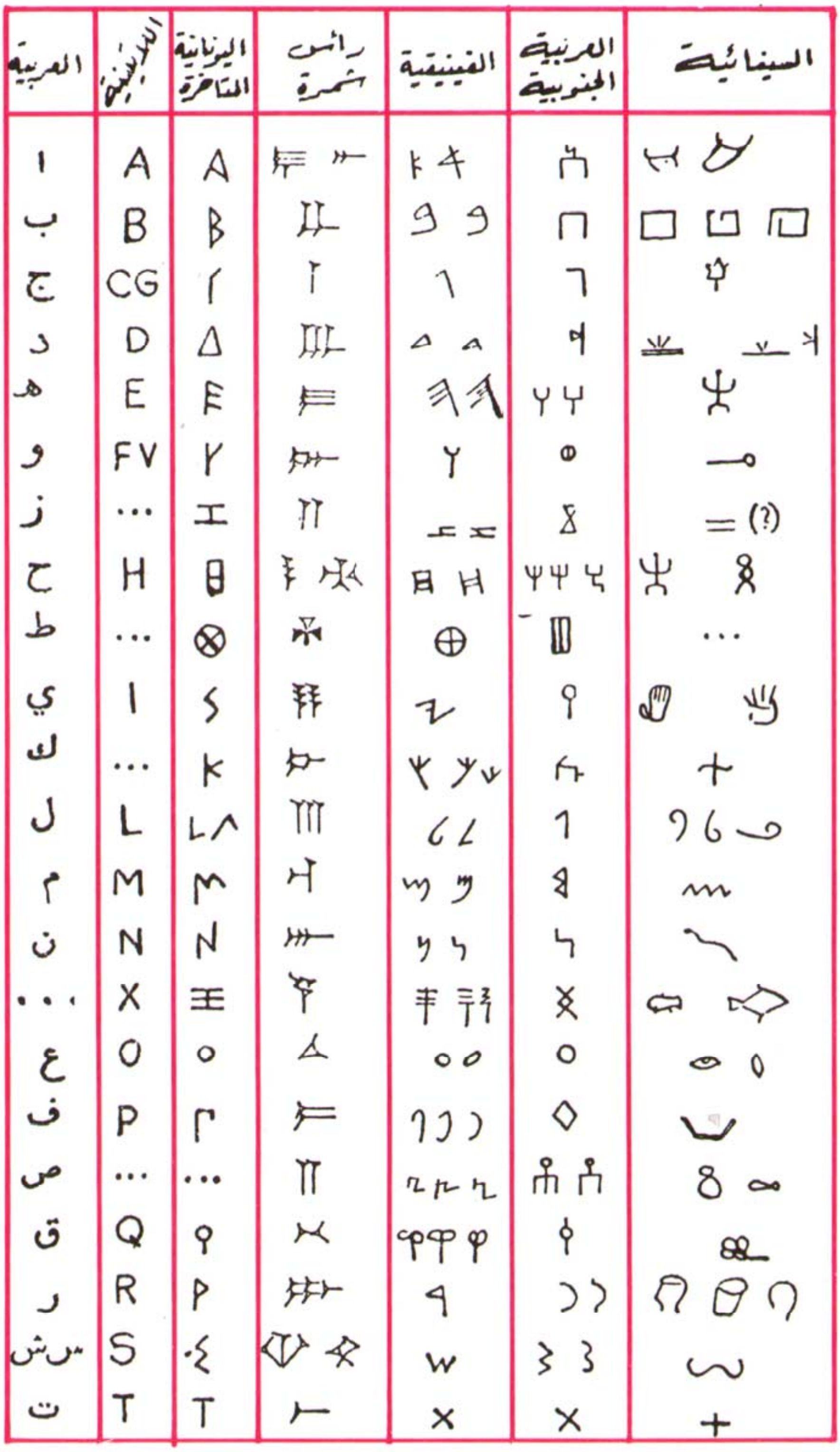

جدول مقارن مأخوذ عن تاريخ العرب لفيليب حتي.

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

١٤ الزراعة والصناعة

الزراعة لم يهمل الفينيقيون أيًا من مواردهم الاقتصادية، فقد أَنْبَتُوا في ارضهم كل ما بامكانها ان تعطيهم. ونوَّعوا من الصناعات حتى لا يشتروا من الخارج. لكنهم اهتموا بالتجارة لانها المورد الاساسي.

١ً – معطيات الطبيعة لم يَكْفِ سكّان فينيقيا ما كانت تُنتجه ارضهم من غلال. لا لأنهم اهملوا الزراعة، بل لان مساحات البلاد ضيقة. ففينيقيا ساحل مستطيل، تتعاقب على شواطئه السهول الرسوبية والرؤوس الصخرية. وتغطّي الغابات جباله فلا تترك للزراعة إلا قدرًا ضئيلًا من السفوح المُطِلّة على المتوسط. وتتوزع المزروعات في منطقتين: سهلية تغلب فيها الخضار والحبوب والنخيل، وجبلية تغلب فيها الكرمة والزيتون. ولم يُوَفّر الفينيقيون اي مساحة، من أي سعةٍ كانت، دون زراعة. لذا جَدُّوا في تمهيد الجلول منعًا لانجراف الاتربة مع الامطار والسيول.

٢ً – طرق الانتاج واعتمدوا في الحراثة على سكّة خشبية مُجَوَّفة، تتسع للبذار. تجرها الثيران أو الحمير أو الانسان اذا لزم الامر. وحصدوا السنابل بمنجل بدائية مربوطة الى حجر. ودرسوا الحنطة على البيادر تحت النورج. وذرّوها على طبق أو بالمذراة. وجمعوها في أكْوَارٍ لفصل الشتاء.

٣ً – الانتاج واشتهرت خمور فينيقيا في الخارج. وقرطاجة بنت صور باعت خمورها اللذيذة من روما. واستبدل الفينيقيون بأغراس الزيتون البرّي أغراسًا جديدة من الخارج. فاستعاضوا بانتاجهم عن الاستيراد. وافتنّوا في زراعة الرمان، ونقلوها الى قرطاجة. وذاع صيت بعض الكتب الزراعية في قرطاجة فنقلت الى اللاتينية (انظر فصل العلوم...)

٤ً – الغابات وكانت سببًا في إثَارَةِ اطماع جيران فينيقيا بها. وقد غطّت كل الجبل حتى بدت مَعِيْناً لا يشح. فاسرف الفينيقيون في قطعها. ومصر كانت اول من اتجر مع جبيل من اجل اخشابها، حتى اذا تضاءلت امكانات تصدير الاخشاب

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

الزجاج الفينيقي

الفينيقيون اخذوا الزجاج عن المصريين. ولكنٍ احدى الصدف قادتهم الى جعله شفافاً. وقد تكون هذه الصدفة هي التي يصفها لنا الكاتب پليني القديم:
«... عند الجَزْرِ تظهر الرواسب التي جرفها هذا النهر (قرب عكا). وتسهم الامواج المتلاحقة في تنقية الرمل على شاطئ لا يتعدى الخمسماية قدم. وقد ظل طيلة بضعة قرون المصدر الوحيد لانتاج الزجاج.»
«ويذكر ان تجار النطرون قد نزلوا على شاطئه يهيئون طعامهم. ولما لم يجدوا الأثافي لقدورهم، استعملوا قطع النطرون. وتحت تأثير النار على الرمل والنطرون انطلقت سواقي من سائل شفاف مجهول. ذلك كان اساس اكتشاف الزجاج».
من فينيقيا – ص ٧٤

نموذج من الخزف الفينيقي

نموذجان آخران من الخزف الفينيقي

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

من جبيل أفل نجمها. وفي اوائل الالف الاول، توثّقت الصلات بين ملك صور احيرام وسليمان الحكيم. فارسل ملك العبرانيين يطلب الاخشاب من لبنان.

ولما دانت فينيقيا لسلطة الاشوريين والكلدانيين والفرس، بَاهَى هؤلاء ببناء قصورهم من خشب الارز في لبنان. وكثيرًا ما فُرضت الضريبة على فينيقيا خشبًا. (انظر ص ٧٩).

الصناعة

أً – الصباغ الأرجواني احتكرت صناعته صور وصيدون. وهو كناية عن صباغ طبيعي، مَنْشَأُه صدف «الموريكس». تكاثر على شواطئ فينيقيا. فجمعوا منه كميات ضخمة حتى غدا نادرًا اليوم. والصدف بعد انتزاعه عن الشاطئ، يَنْضحُ منه سائل أصفر تُـلَوَّن به الانسجة. حتى اذا جف النسيج المصبوغ استحال لونه بنفسجيًا. وازداد رونقًا كلما تعرض للنور. وافتنَّ الفينيقيون في جعله قاتمًا او زاهيًا. ويتضح من ذلك ان الصباغ لم يكن ارجوانيًا بل بنفسجيًا، انما الدعاية صوّرته احمر قرمزيًا.

وقد انتشرت مصانع الارجوان بالقرب من مدينتي صيدون وصور. وتشهد على ذلك تلول صدف الموريكس الباقية حتى الآن جنوبي صيدا. ولما كانت الرائحة المنبعثة منه كريهة، اهتم الفينيقيون باقامة المصانع خارج نطاق المدينة. وطَوَّروا صناعته حتى قضوا على المضاربة الإيجية، بعد ان كانت متفوقة في اواخر الالف الثاني قبل الميلاد، وبزّوها نهائيًا.

٢ً – المصنوعات المعدنيّة من بين المواد الاولية المعدنية نذكر القصدير والنحاس والحديد والذهب. والقصدير استقدموه في البدء من آسيه، من بلاد عيلام، ومن آسيه الصغرى. ولما برعوا في الملاحة اتوا به من «أتْرَوْرِيَا» في ايطاليا اليوم، ومن اسپانيا، وانتهى بهم المطاف الى جنوبي انكلترا (بلاد الكورنواي). والنحاس استوردوه من جبال أمانوس، والحديد استخرجوه محليًا. وكفاهم من هذه المعادن كميات ضئيلة نظرًا للاستعمال المحدود، لتأمين حاجاتهم من السلاح والأواني والتماثيل والكؤوس والنقود، التي تحمل سكتها رسم مركب فينيقي، اما الذهب فقد خصّوا به الحلي وما شابهها من الكماليات.

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

٣ – الزجاج والعاج لم يبتكر الفينيقيون طريقة صنع الزجاج، بل اخذوه عن المصريين. ولكنهم جعلوه شفافًا، ونوّعوا من اصنافه. فصنعوا منه الكؤوس والقناني وقوارير الطيب. وافتنّت كل من صور وصيدون في تلوينه. فاخرجتا منه الابيض والاصفر والاحمر والازرق. وجعلتا من صناعته فنًّا حتى وصل الاعتداد لديهم الى توقيع اسمائهم على منتجاتهم الزجاجية (من امثال جَاسُون وأَرْتَاس) وقد غدت الأقراط والاساور والخواتم والعقود مرصّعة باحجار زجاجية، شديدة الشبه بالحجارة الكريمة. (انظر ص ٩٩).

والكؤوس الزجاجية الفينيقية كانت غالبًا جوائز للفائزين في المباريات الرياضية والجسمانية لدى الاغريق. والالياذة غنية بالشواهد على ذلك.

أما العاج، وهو مادة غريبة عن فينيقيا، فقد اسْتُقْدِمَ من الهند عن طريق ما بين النهرين، أو من أفريقيا عن طريق مصر. صنع منه الفينيقيون صناديق صغيرة، وتماثيل وزخرفوها. ووجدت اعداد ضخمة من مصنوعات العاج في النواويس والمقابر، لانها كانت تودع مع الميت. ومعظمها موجود اليوم في المتحف البريطاني. (انظر ص ١٢٧)

٤ – صناعة الخزف برع الفينيقيون في صناعة الخزف. وصنعوا منه كميات ضخمة من الآنية والتماثيل الصغيرة. ولما كان اهتمامهم بالناحية التجارية قبل كل شيء، لم يسهروا على اخراج تحف فنية، بل على اخراج آنية رخيصة، وتماثيل مرغوبة في الاسواق. وتطورت صناعته حتى جبلوا منه النواويس.

واكثر الآنية الخزفية وجدت في المقابر، اذ حوت العطور أو لوازم معينة تُدفن مع الميت. وبعض الآنية التي وجدت في «كفر جرَّه» (بالقرب من صيدا) تدلّ على انهم توصلوا الى جعل الخزف رقيقًا متماسكًا لا بل رنّانًا وفي ذلك الكمال. (انظر ص ٩٥ و ١١٥).

٥ – صناعة السفن ان العامل الاساسي لازدهار صناعة السفن، هو توفر المادة الاولية، أَلَا وهي الخشب. واعتماد الفينيقيين على البحر في تنقلاتهم وتجارتهم اضطرهم الى تطوير هذه الصناعة، فانتهوا الى المراكب الكبيرة. وهذه تنقسم الى فئتين: مراكب تجارية ومراكب حربية.

والمركب التجاري طويل، يجلس في كل جانب منه صف او اثنان

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

من المقذّفين، حسب حجم السفينة. مقدمته مرتفعة تنتهي برأس حيوان. وفي وسطه صارٍ يحمل شراعًا. اما المركب الحربي فمقدمته حادة معدّة للصدام. وتحمل المراكب في مؤخرتها عارضتين طويلتين تقومان مقام الدفّة.

وذاع صيت الاساطيل الفينيقية. حتى غدت فينيقيا قوة بحرية تطمع بها جميع الامبراطوريات المجاورة في مصر وما بين النهرين وفارس. وعن مراكب قرطاجة نقلت روما نماذج مراكبها فيما بعد. (انظر ص ١٠١).

ميزة الصناعة الفينيقية

اذا استثنينا صناعة السفن، نجد ان مُجْمَل المصنوعات الفينيقية تمتّ بصلة وثيقة الى الكماليات. شأن الزجاج، والصباغ الارجواني، والخزف، والعاج. احتكروا بعضها (كالارجوان) وضخّموا اسعاره. وحين قَصَّروا حيال براعة غيرهم في المصنوعات، عمدوا الى اخراج نماذج تجارية غير متقنة ولكنها سهلة التصريف كالمصنوعات الخزفية مثلًا. ومعظم النماذج المعتمدة لديهم كانت صغيرة الحجم، سهلة الحمل، لا خوف من عطبها في المراكب. وهذا ما يُفَسّر توزع المنتجات الفينيقية في كل انحاء المتوسط، أو في البلاد الداخلية التي اتّجرت معهم. وما اعتماد هذه الصناعات واتقانها إلا في سبيل تحاشي شرائها من الخارج، لئلا يحد شراؤها من ارباحهم. فلم يكن الفينيقيون صلة وصل فقط، بل غدوا المنتجين لهذه المصنوعات الكمالية.

والطبيعة بدورها لم تكن لتهيىء فينيقيا لاي دور صناعي، وبالرغم من ذلك استطاع الفينيقيون ان يأتوا الكثير من المنجزات الصناعية، ويبزّوا غيرهم في بعضها كصباغ الارجوان مثلًا. وحتى في تقليد صناعات غيرهم، اضفوا على انتاجهم مسحة من الاتقان البارع، مما يدل عليه صفاء زجاجهم وتلوينه واستعماله مكان الحجارة الكريمة. وهذا ما جرًّا البعض على ان ينسبوا اكتشاف الزجاج اليهم. وصناعة السفن كانت المدى الأرحب لابراز براعة الفينيقيين الصناعية، اذ تضافرت لاتقانها جميع العوامل البشرية والطبيعية؛ من خشب وخبرة ملاحية ومعلومات جغرافية وفلكية وملاءمة الساحل للصيد والسفر.

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

آنيـة مـن الزجاج الفينيقي وهي افضل شاهد على مقدرة الفينيقيـين وبراعتهـم في هذه الصناعة

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

١٥ الملاحة والتجارة

الملاحة نشطت الملاحة في فينيقيا نتيجة اعتبارات عدة منها: صعوبة التنقل البرّي، ووَفْرَة الخشب، وملاءمة الموقع الجغرافي بالنسبة للعالم القديم. وعزّز الفينيقيون ملاحتهم بنشاطات خاصة، كتطوير صناعة السفن، وحسن اختيار مواقع المرافئ، وتسخير المعارف الجغرافية والفلكية، واخيرًا انشاء المستعمرات لتكون أداة اتصال.

أ – ظروف الملاحة جهل الفينيقيون استعمال البوصلة. ولكنهم اهتدوا الى الشمال بواسطة النجم القطبي، وقد سمّاه الاغريق باسمهم اي «النجم الفينيقي». وشرعوا في التنقل على طول الشاطئ، لا يغامرون في عرض البحر، وتجنبوا المغامرة في الليل حتى لا يضيعوا. وجعلوا مدنهم محطات تجارية، بين الواحدة والاخرى مسيرة نهار. واستفادوا من الجزر المنتشرة في بحر ايجه، ورادوا جميع مناطق الارخبيل الاغريقي. أمَّا الوصول الى مصر في الجنوب فقد تمّ على مراحل. لازموا الشاطئ حتى وصلوا الى الدلتا. وهكذا دواليك حتى انتهى بهم الامر خارج المتوسط.

٢–الرحلات وزاد الكسب التجاري من جشع الفينيقيين. فنظموا رحلات استكشافية. وكانت احداها لحساب الفرعون «نِخَاوْ». ويخبرنا هيرودوتس بان هذا الفرعون قد طلب من الفينيقيين، حوالى عام ٦٠٠ ق.م، ان يقوموا برحلة غطّى نفقاتها، انطلقت من شواطئ البحر الاحمر. واستمرت ثلاث سنوات ودارت حول «ليبيا» والمقصود افريقيا. وعادت عن طريق المتوسط الى مصر. وعندما وصلت مراكب الرحلة العشرة غربي الشاطئ الافريقي، تمكنت العاصفة من احدها ففصلته عن سائر المراكب. وحملته التيارات المائية والرياح التجارية حتى شرقي البرازيل. (انظر ص ١٠١).

اما الرحلة الثانية فقد قام بها احد مواطني قرطاجه، واسمه «حَنُّون» بتكليف من مجلس الشيوخ. والغاية من هذه الرحلة التفتيش عن اسواق جديدة. وقد سار «حنّون» في عكس اتجاه رحلة «نخاو». وثمة رحلة ثالثة

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

موقع قرطاجة الحالي

تجارة صور حسب النبي حزقيال

«يا صور قلت انا كاملة الجمال. تخومك في قلب البحار ، وبانوك اكملوا جمالك. بسَرْو من سَنِيْر بنوا لك كل طباقك ، واخذوا ارز لبنان ليصنعوا سواري عليك. صنعوا مقاذيفك من بلوط باشان ، ومقاعدك من عاج مرصع بالشِرْبين. ألبزّ المُوَشّى من مصر كان ما نشرته شراعًا لك ، والسمنجوني والارجوان كانا غطاءك. سكان صيدون وارواد كانوا قذافين لك ، وحكماؤك يا صور الذين فيك هم مدبروك. وجميع سفن البحر وملّاحوها كانوا فيك لترويج موسمك. بنو ارواد مع جيشك كانوا على اسوارك ومن حولك ، والابطال كانوا في بروجك وعلقوا تروسهم على اسوارك من حولك... ترشيش متجرة معك في كثرة كل غنى ، وبالفضة والحديد والقصدير والرصاص اقامت اسواقك. أرام متجرة معك في كثرة صنائعك وبالبهرمان والارجوان والوشي والكتان والمرجان والياقوت اقامت اسواقك. دمشق متجرة معك لكثرة صنائعك. العرب تجار يدك بالحملان والكباش. تجار شبأ متجرون معك وبافضل كل طيب وبكل حجر كريم ، وبالذهب اقاموا اسواقك. حاران أشور وكلمد متجرون معك. هؤلاء يتجرون معك بالانسجة الفاخرة ، باردية من السمنجوني والوشي وبالنفائس من الثياب. سفن ترشيش سيارة لك لموسمك. وقد امتلأت وصرت ذات مجد عظيم في قلب البحار...»

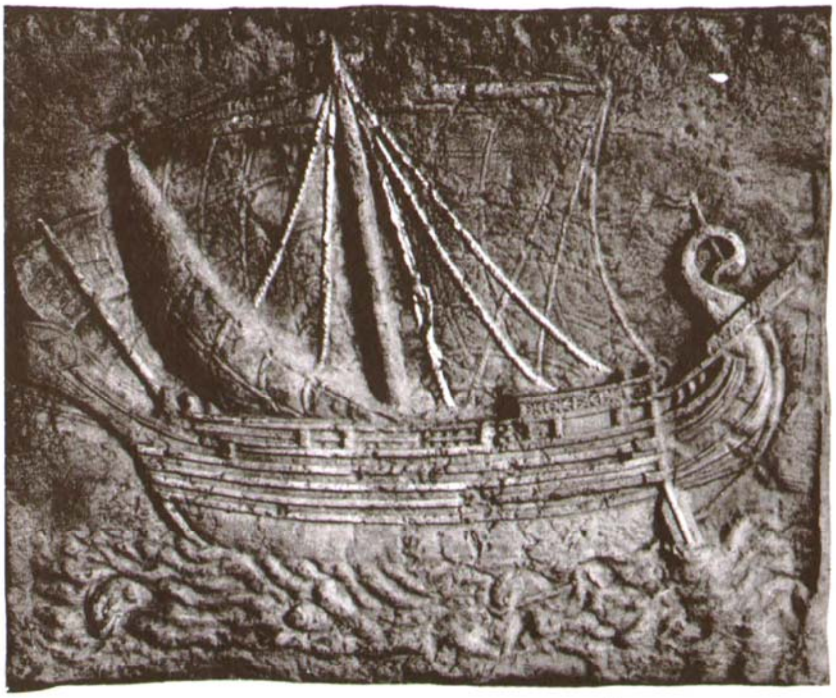

مركب فينيقي . نقش مأخوذ عن احد نواويس صيدون .

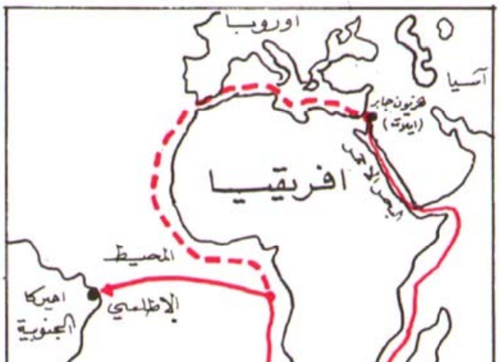

رحلة نخاو . ويشير السهم الى المكان الذي وصله احد مراكب الرحلة في شرقي اميركا الجنوبيّة .

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

قام بها مواطن آخر من قرطاجه هو «حَمْلَكُون». فعبر مضيق جبل طارق. واستمر في سيره اربعة اشهر وصل في نهايتها الى جنوبي انجلترا. وقد تمّت الرحلتان القرطاجيتان ما بين ٤٥٠ و ٣٥٠ ق.م.

المستعمرات في اواخر الالف الثاني قبل الميلاد، زالت سيطرة الايجيين على البحر المتوسط. فتنفّس الفينيقيون الصعداء. وتوزّعت سفنهم ومن ثَمَّ مستعمراتهم في جميع انحاء المتوسط. وتشاء الاساطير ان تنسب الى صور أمر انشاء كل المستعمرات الفينيقية. وهذا عائد الى الشهرة المطبقة التي وصلت اليها صور. انما الواقع غير هذا. (انظر ص ١٠٥).

١ً – في الحوض الشرقي في الحوض الشرقي من المتوسط، أَحَاط الفينيقيون قبرص بِعِقْدٍ من المخازن. وتصدّوا للمنافسة الاغريقية التي اشتدت خلال القرنين الرابع والثالث ق.م. والطمع بقبرص عائد لغناها بالنحاس والحجارة الكريمة، ثم لوفرة حبوبها وخمورها وزيتونها، ولموقعها الوسيط بين عالمين. اما في آسيه الصغرى فقد اهتموا بمناطق كيليكية و «طرسوس» خاصة. ومن هنالك وصلوا الى «رودس» المواجهة للشاطئ. اذّاك ازداد الخطر المحدق بهم، اذ قرَّبهم من مناطق النفوذ الاغريقية. وبالرغم من ذلك استقروا في «كريت» وجزر «السيكلاد». ولكنهم لم يتعدوا «الدردنيل» في انشاء المستعمرات خشية الابتعاد عن البلد الأم، وان تكن قوافلهم قد وصلت الى شواطئ البحر الاسود و «أرمينيا».

وفي الجنوب لم يكن يسيرًا انشاء المستعمرات على حساب مناطق النفوذ المصرية. بل اكتفوا باقامة المخازن في «ممفيس» (مَنَفْ)، حيث تمتعوا بحرية التجارة. وانشأوا حيًّا خاصًا بالصوريين منذ القرن الثاني عشر قبل الميلاد، واقاموا فيه معبدًا لعشتروت.

٢ً – في الحوض الغربي ولما اشتدّت منافسة الاغريقيين، فَضَّل الصوريون ترك المجال مفتوحًا امام صيدون. فنقلوا مناطق نفوذهم التجاري الى الحوض الغربي من المتوسط. فاستقروا في «صقلية»، و «يوتيقا» (المدينة العتيقة) في تونس اليوم، و «مالطة»، مُرَاعين في اختيارهم لمستعمراتهم البحرية المركز التجاري والموقع الطبيعي لانشاء المرافئ (انظر المـدن الفينيقية).

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

ومن هنالك انطلق الفينيقيون الى جنوبي «سردينيا»، والجزر المجاورة لها «كالباليار.» ومن ثَمَّ خطوا نحو «ترشيش» (اسپانيا) حيث حوّلوا احدى محطاتهم التجارية الى مستعمرة. ولكن الفينيقيين حين ابتعدوا عن ارض كنعان، لم تعد نقطة ارتكازهم صور، بل قرطاجة اكبر المستعمرات الفينيقية على الاطلاق.

٣ً – قرطاجة لم تكن قرطاجة اول مستعمرة أُنشئت في شمالي افريقيا، بل سبقتها مستعمرة «يوتيقا» (سنة ١٠٠٠ ق.م.) على نهر المجردة، و «زارتيس» (بيزرتا). وسُميت قرطاجة (المدينة الحديثة) تمييزًا لها عن جارتها «يوتيقا» (المدينة العتيقة). وقد شيدت حوالى ٨١٤ ق.م. لتكون صلة الوصل بين صور والمستعمرات الفينيقية. وقد اختار لها الصوريون موقعًا استراتيجيًا بين الحوضين الشرقي والغربي للمتوسط. تتصل برًّا بالقارة الافريقية، وبحرًا بمختلف المحطات والمخازن والمستعمرات الفينيقية في الغرب. ولم يخطر لصور يومًا بان هذه المستعمرة التي بَنَتْ، ستنافسها فيما بعد. (انظر ص ١٠١).

وبرزت عظمة قرطاجة يوم اخضع الاشوريون فينيقيا. ولما هدّم نبوخذنصر الكلداني صور البرية، لم يعد لدى الفينيقيين مدينة تفوق قرطاجة بعظمتها. فتبنّت هذه المستعمرة العملاقة سياسة صور وصيدون وكانت استمرارًا لهما. وسعت للتوسع في الحوض الغربي للمتوسط حتى اصطدمت بالاغريق. فنشبت الحرب بينهما سنة ٥٥٠ ق.م. واستطاعت قرطاجة ان تكسب الرومان الى جانبها. ولما تنكر لها الرومان فيما بعد وتأصّل العداء قضي على قرطاجة اثر حربين عرفتا باسم الحربين البونيتين.

الطرق التجارية البرية لم يَسَعْ الفينيقيين ان يتجاهلوا التجارة مع بلاد «أَمُورُّو»، وبلاد ما بين النهرين، وما وراءهما من دول وشعوب. فتشعبت طرق القوافل في كل الاتجاهات حتى شملت بلدانًا تتصل بفينيقيا بحرًا كمصر وآسيه الصغرى. واهم طرقاتهم البرية هي:

أ – الطرق الساحليّة احدها نحو الجنوب، مرورًا بكل المدن الفينيقية وساحل فلسطين حتى سيناء. ومن هنالك ينقسم الطريق الى شعبتين: اولاهما نحو خليج العقبة وشبه الجزيرة العربية، حيث اشتهرت على الخليج الفارسي مدن تسمّت باسم المدن الفينيقية. والثانية تذهب نحو مصر والسودان والحبشة. امـا

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

الطريق الساحلي نحو الشمال، فيعبر فينيقيا نحو كيليكية. وكانت عاصمة الحثيين «حَتُّوْسَه» (بوغاز كوي اليوم) نقطة التقاء بين «الطريق الملكي» الفارسي نحو «ساردس» عاصمة «ليديا» غربي آسيه الصغرى، وبين الطريق الشمالي نحو ارمينيا والبحر الاسود.

٢ً – الطرق الداخلية ونعني بها طريقين رئيسيين، اولهما يتفرع عن الطريق الساحلي الشمالي. فيذهب من اوغاريت نحو حماة، وحلب، و «الرُها»، و «كركميش»، و «نِصّيّبين»، فيتصل بوادي الفرات حتى ما بين النهرين، أو يذهب من «حَرَّان» الى «نينوى».

والطريق الثاني يعبر جبال لبنان الى الزبداني فدمشق فتدمر فبلاد ما بين النهرين. وهذا الطريق هو الاقصر، لكنه الأصعب. وكلتا الجزيرة العربية وبلاد ما بين النهرين كانت الصلة بين فينيقيا والهند.

وفي طرقهم البرية هذي، كان الفينيقيون يقيمون علاقات الوُدّ مع شعوب البلدان والمناطق التي يعبرونها. فيمكنون أَوَاصِرَ التفاهم مع القبائل، ويستعينون ببعضهم كسماسرة أو مرشدين. وهذا ما يسمح لهم بان يقيموا المحطات التجارية أو يُقيموا الاحياء الخاصة بهم. كما تأمن قوافلهم شر اللصوص المهاجمين في مناطق نائية منعزلة.

السلع التجارية لا غَرْوَ في ان تستمر رحلة التجار الفينيقيين بضع سنوات احياناً. فهم متجولون، يعرضون على الشعوب مصنوعاتهم ومصنوعات غيرهم. وبلاد كفينيقيا لا يُمكنها ان تعطي الكثير، فيما عدا الاخشاب والزيوت والخمور. لذلك اتكلوا على انتاج غيرهم يشترونه ثم يبيعونه. فاستوردوا الصوف والجلود واللحوم من سوريا، والعسل والحبوب من فلسطين، والافاويه والتوابل من الشرق الاقصى، والنحاس من قبرص واليونان والقفقاس، والذهب من اسبانيا، والحجارة الكريمة من مصر وسيناء، والعطور من بلاد الرافدين، والابنوس والعاج من مصر والسودان، والكتان والقطن من مصر، والخيول من ارمينيا.

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

الاستعمار الفينيقي

«كان الفينيقيون، أنّى توجهوا، يبنون وينشئون. وبصفتهم جالية غير حربية، فانهم لم يثيروا الشك في نفوس الشعوب التي كانوا يتسربون اليها كتجّار. ولم تكن تربط هؤلاء التجار الفينيقيين عقيدة سياسية واحدة مما ساعدهم كثيرًا، وبدون اي تضحية عاطفية او عقائدية، في تكييف حياتهم في اية بيئة اجتماعية جديدة. ولبنانيو اليوم يستطيعون ان يكيّفوا حياتهم في بلدان الهجرة التي يقيمون فيها. وقد نجح الفينيقيون كمستعمرين ومنظمين نجاحًا لا يقل روعة عن نجاحهم كتجار وملّاحين. فانهم كانوا يؤمون بلدانًا عيش اهلها يتصف بالجمود، وآفاق شعوبها آفاق ضيقة، فكانوا يبعثون النشاط والحركة، وكانوا يفتحون امام اعين الناس آفاقًا جديدة بعيدة. كانت جماعة التجار الفينيقيين الواحدة تلو الاخرى تشكل مع الايام جالية كبيرة، والجالية الى جانب الجالية كانت تشكل مع الزمن مستعمرة. وكانت مراكبهم تمخر عباب المتوسط فتربط بين المستعمرة والاخرى وبين المستعمرات وبين الوطن الام. ولم تمض برهة من الدهر حتى اصبحت مستعمراتهم منتشرة من دلتا مصر الى شواطئ كيليكية الى بلاد الاغريق والى بلدان اخرى حول المتوسط. وفي الواقع ان اسم البحر المتوسط يدل على انه كان بحرًا يتوسط المستعمرات الفينيقية.»

حتي، «لبنان في التاريخ» ص ١٣٨

صور اليوم

قلعة البحر في صيدا وقد بُنيت في المكان الفينيقي نفسه.

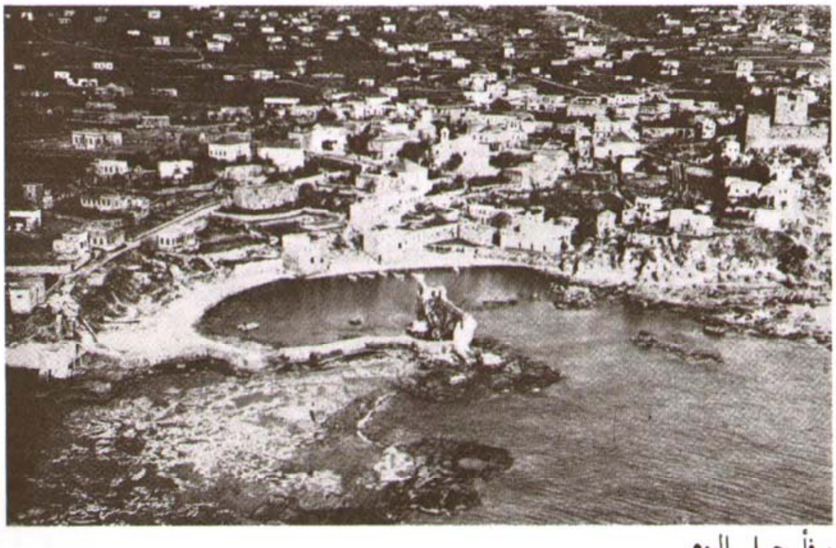

مرفأ جبيل اليوم

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

١٦ الحضارة الفينيقيّة
الفنون والعلوم

فن العمارة تقتصر النماذج التي وصلتنا عن فن البناء لدى الفينيقيين على الابنية الدينية من هياكل ومقابر. وقد سلمت لانها اقيمت خارج المدن، اي بعيدة عن المناطق السكنية، فسهل بالتالي التنقيب عنها.

أما اواسط المدن فقد تعاقبت عليها اجيال وشعوب شتى. وعمدت كل دولة الى البناء فوق انقاض المدن السابقة. فاختفت بالتالي معالم الابنية الاولى. هذا اذا لم يعمد البعض الى تهديم الابنية الاثرية لانتزاع الحجارة منها، وادخالها في مداميك بنائهم الجديد. هكذا كان شأن الرومان عندما اقاموا هياكلهم على انقاض معبد «بعل مَرْقُد» قرب بيت مري، ومعبد «بعل البقاع» في بعلبك.

أ - الهياكل وقد احكم الفينيقيون اساسات هياكلهم. فحفروها في الصخور، وبنوا مداميكها من حجارة ضخمة، بلغت العناية في قصبها حَدَّ النحت. وتلاصقت صفحتا الحجرين المتجاورين. وقد طالما عمدوا الى صب كتلة من رصاص في نقرتين متقابلتين من صفحتي الحجرين المتجاورين لشد احدهما الى الآخر.

أما الصفحة الخارجية من حجارة المداميك الظاهرة، فقلما اعتنوا بتشذيبها اختصارًا للوقت والكلفة.

أ - التصاميم: وامتازت تصاميم هياكلهم بالبساطة في البدء، اذ اقتصرت على غرفة مستطيلة، منفذها الوحيد على الخارج باب مرتفع. ولكن هذا التصميم تطور فيما بعد، وفي اواسط الالف الثاني اشتمل على غرف سفلية، خصصها الكهنة للعرافة وقراءة الغيب.

ب - التأثيرات الخارجية: وبتأثير من العلاقات التجارية مع مصر، استوحى الفينيقيون التصاميم الفرعونية. وليس هذا بمستغرب، اذ المصريون هم اول من بنّى معبد «بعلة جبيل».

وتدل انقاض المعابد على انها كانت تشرف على وادٍ، أو تنتهي اليه بجدران مدرّجة، كمعبد اشمون على نهر الاولي. واستقر الرأي اخيرًا على

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

بيت إيل (بتيل) أو بيت الإله وفيه يوضع تمثال الإله المعبود.

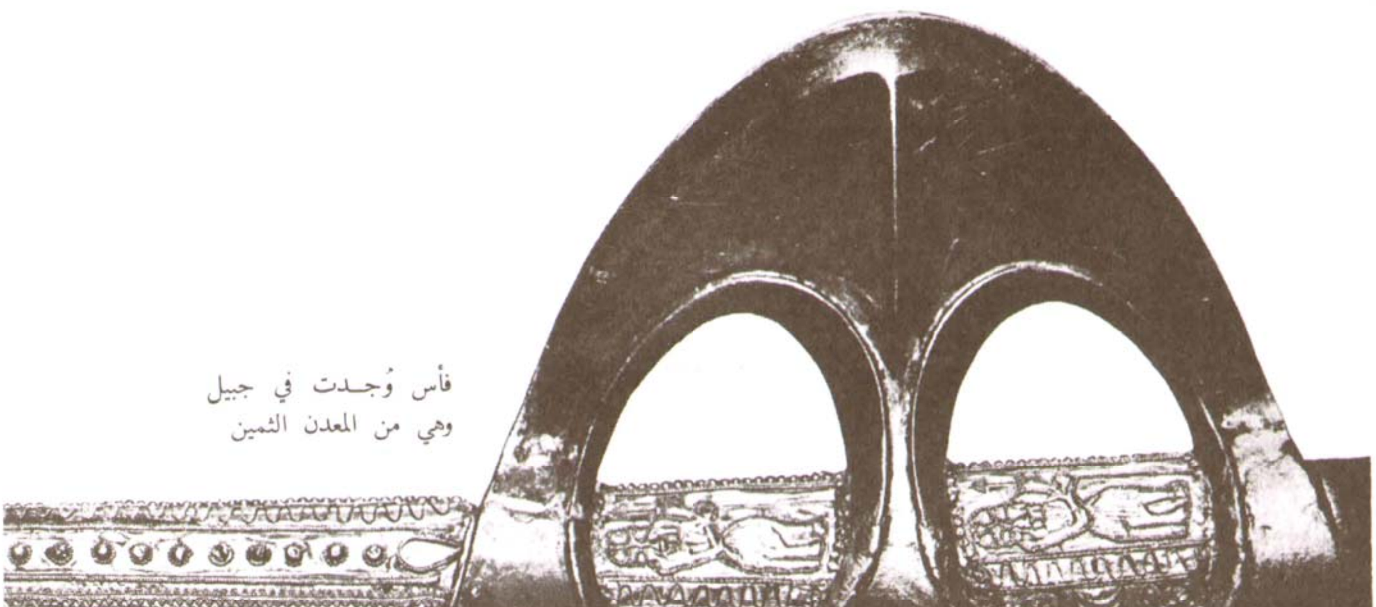

فأس وُجدت في جبيل
وهي من المعدن الثمين

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

اقامة المعابد في الهواء الطلق. فاتخذت شكل باحة مُسَوَّرَة، تتعدى الخمسين مترًا في الطول احيانًا. وتحيط بها حُجرات منقورة في الصخر أو مقصورات مسقوفة بالخشب. وتتوسط الباحة بركة فيها صخر مرتفع عليه بيت الإله أو «بيت إيل». وقد يعمد الملك باني الهيكل الى تضمين اساساته حجرًا نقشت عليه عبارات استرضاء للآلهة. ففي هيكل «أشمون» عُثر على حجر نقش عليه ما يلي: «ان الملك «بُوْدْعَشْتَرْت»، ومعه ولي عهده «يَاتُونْ مِلْك»، ملك الصيدونيين، وحفيد الملك «أشمونعازار» ملك الصيدونيين، بنى هذا المعبد لإلهه أشمون...». (انظر ص ١٠٧ و ١١٥).

ج - اجزاء المعبد: وتتصدّر المعبد اركان ثلاثة هي «بيت الإله» (بيت إيل) والمذبح وعرش الإله. فبيت الإله كناية عن علبة حجرية يوضع فيها تمثال الاله أَوْ رسمه أو رمزه. والمذبح يخصص للاضاحي. وعرش الإله مقعد حجري عليه نقش اسد او ابي هول أو عِقَاب. بينما ظَهْرُ المقعد قد حُفرت عليه صورة الملك متعبدًا امام الإله.

أما المعابد التي بنيت داخل المدن فلم يسلم منها شيء، كمعبد «مِلْكَارت» في صور أو معبد «بَعْل هَمُّوْن» في قرطاجة أو معبد البعلة في جبيل. وغني عن التعريف ان صور وقرطاجة قد تعرضتا لتهديمٍ كليّ من قبل الاسكندر والرومان.

٢ - المقابر عن اعتقاد الفينيقيين بضرورة حفظ الجسد، نجمت ضرورة حفر المقابر في اماكن بعيدة المنال. فجعلوها عميقة قدر الامكان، حتى لا يعبث بها اللصوص. وفيما بعد اكتفوا بحفر طبقة واحدة تحت الارض. على ان القبور الفينيقية اتخذت مظاهر مختلفة اهمها التالية:

أ - الجِرَار الفخارية: وقد وجد منها اعداد كبيرة في جبيل. جعلها صانعوها كبيرة الحجم. في بطنها فتحة يُدْخَلُ منها جسد الميت ومقتنياته الثمينة. ثم تُقفل وتودع في مقابر عميقة. وقد تدعو الضرورة الى استعمالها مرارًا. فتفرغ من بقايا الميت الاول، وتُهَيّأ للميت الثاني.

ب - المقابر الصخرية: وفي جبيل ايضًا، حفر الفينيقيون آبارًا عمقها ستة امتار. تنتهي الى دهليز مُسَلَّط ومستدير، يقود الى حجرة هي القبر.

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

يودع فيها الناووس الحجري أو الخشبي . وقد تتعدد الدهاليز ، كل منها يقود الى حجرة. ويُقفل باب البئر منعًا لتسلل اللصوص .

ومثل هذه المقابر وُجدت بالقرب من صيدا ، مع فارق واحد هو ان البئر تؤدي مباشرة الى حجرة الميت دون المرور بدهليز . والميت فيها يُسجّى فوق طبقة من الرمل أو الحجارة. ولم يعتمد ملوك صيدون النواويس الحجرية إلا مع تسرب التأثيرات المصرية . واذا كانت المقبرة عائلية تعددت الفتحات في جدران البئر الصخرية .

ومع سلالة « أشمونعازار » الصيدونية ، سرت عادة دفن الميت في ناووس . واذا اعوزتهم النواويس الحجرية ، لم يترددوا في الاستيلاء عليها من المقابر . كما فعل الملك « تَبَنِيْت » حين استقدم ناووس قائدٍ مصري وحفر عليه نقشًا باسمه ، ولكنه اغفل محو النقش العائد لذلك القائد. ومثله فعل ابنه « أشمونعازار » الثاني .

ج – الكهوف: ان شكل هذه المقابر مستوحى من الكهف. تتخذ هيئة التنور او الفرن . وتنفتح على الخارج بكوة تغطى ببلاطة مستديرة . يسجى فيها الميت على الارض ، ويسند رأسه الى حجر . ومن حوله مقتنياته الثمينة وأوَانٍ فخارية ومعدنية. وهذا النوع من المقابر وجد في قرية كفرجرّه بالقرب من صيدا. وشبيهة بها المقابر المحفورة في الصخر في تلة الرشيدية قرب صور .

د – المقابر الفردية: أو مقابر « أُوغاريت ». وقد انتشرت في مدينة اوغاريت ايام دولة الهكسوس في مصر . وحفرت في الطبقة السفلية من المنزل ، أو بنيت على شكل قبو باطني . وتضمنت عند مدخلها بلاطة تقدم عليها الذبائح ليتسنّى للميت ايضًا ان يشترك في الذبيحة. وثمة دهليز يصل القبو بمدخل البيت. وفي احد جدران القبر وُضِعَتْ جَرَّةٌ فخارية لتقبل المآكل والخمور . وفي احد أركانه مستودع لعظام الجثث : ولم يراع في هذه المقابر تصميم معين ، بل اعترته تعديلات شتى .

النحت

أ – التماثيل كرّم الفينيقيون آلهتهم بتماثيل مختلفة. وتأثروا بالنماذج الاجنبية من مصرية وبابلية واغريقية. واعتمدوا في نحتهم جميع المواد الاولية المعروفة منهم كالحجر

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

الكلسي والرخام والبرونز والذهب والفضة والعاج والطين المجفف. واختلفت احجام تماثيلهم، فمنها الكبيرة النادرة كتمثال امرأة موجود في متحف بيروت ولكنه مبتور الرأس واليدين، طوله ١٧٠ سم. ومنها الصغيرة كتماثيل الآلهة الاقزام. (انظر ص ١٢٧).

وحيال وصول التأثيرات الاغريقية الى فينيقيا، تَبَدَّلَ مظهر التماثيل في قرطاجة وسائر المستعمرات الغربية (كاسپانيا مثلًا). وتبدل زي الشعر وتعابير الوجه.

٢ – الأنصاب وجدت الانصاب في هياكل مختلفة. اشهرها «نصب جبيل»، ويمثل سيد جبيل «يَهُوْمِلك» حاملًا التقادم للبعلة عشتروت. أما البعلة فتبدو في زي الإلهة المصرية «هاتور» بشعرها المستعار وقرنيها، وكذلك زهرة اللوتس (عرائس النيل) في رأس الغصن الذي تحمله البعلة هي من وحي مصري. ويزداد التأثير المصري وضوحًا في تمثال عشتروت البرونزي.

وضنًا بالوقت والتكاليف، رمز الفينيقيون احيانًا الى آلهتهم بانصاب بسيطة، مجردة من كل زخرف، اتت انموذجًا مصغرًا عن المسلات الفرعونية. (انظر ص ١١١ و ١١٥).

٣ – النقوش ولم يقتصر النحت على التماثيل والانصاب، بل تعداها الى نقش الافاريز والنواويس. وهذه الاخيرة قد تبدلت نقوشها واشكالها بتعاقب النفوذ الاجنبي على فينيقيا. فقد نُحتت النواويس من صخر او صُبَّت من معدن او حُفرت في خشب او جُبلت من طين. وأحَبّ النقوش الى الفينيقيين كانت الاسد والعقاب والنسر. وربما اكتفوا احيانًا بمقاطع ورموز هيروغليفية لا معنى لها، بل حبًا بجمالها فقط.

٤ – الأعمدة لم يهتم الفينيقيون بالاعمدة في الهياكل والقصور إلا في فترة الاستقلال، اي مع حلول الالف الاول قبل الميلاد. وما وصل الينا منها اعمدة مضلعة وجدت بين آثار صيدون. قواعدها منقوشة ومنحوتة بشكل دوائر وحلقات تزنر القاعدة. وتيجانها تمثل ثيرانًا. وهذا ما يعطيها الطابع الفارسي. ولعلها عائدة الى القصور الفارسية في صيدون.

٥ – القوالب الاسطوانية وقد دفعت ضرورة التجارة فَنَّاني فينيقيا الى صنع قوالب أو طوابع اسطوانية، تُمَر على لوح طريء من الدلغان. فينطبع عليه النقش الموجود على الاسطوانة.

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

نصب يهو ملك أو نصب جبيل

ناووس اشمونعازار ملك صيدون

خنجر ذهبي وجد في معبد الانصاب

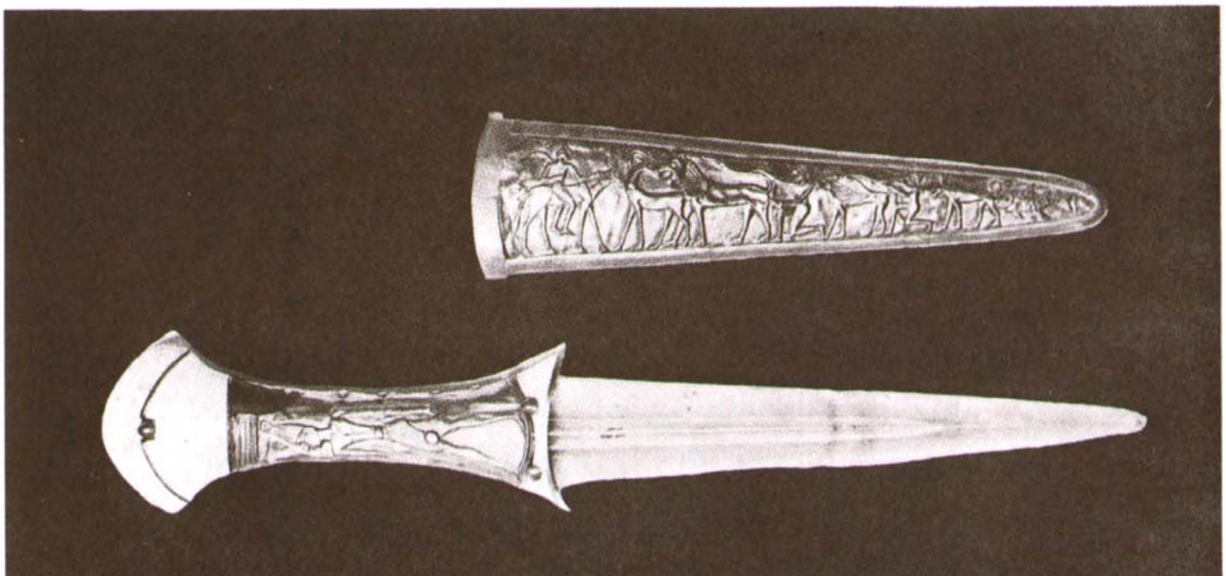

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

الفنون الاخرى

وهي الفنون الصناعية، اي المصنوعات الكمالية المعدة للبيع . وقد تحررت هذه الفنون من سيطرة الدين، لا كما هي الحال بالنسبة للهياكل والمقابر والنواويس. فكان الخزف، والزجاج الملون، والكؤوس الذهبية والفضية، والخناجر، والمصاغ من اقراط واساور وعقود، وعاج... (انظر ص ١٠٧ و ١١١).

ميزة الفن الفينيقي

يتضح مما سبق ان الفينيقيين لم يعرفوا فنًا كنعانيًا مستقلًا من حيث موضوعاته وجوهره. بل قبسوا عن جيرانهم من مصريين وكريتيين وايجيين وبابليين واشوريين وحثيين وفرس واغريق. وظلوا طوال الالفين الثالث والثاني مقلدين لا خلّاقين. ولا يلامون في ذلك نظرًا لضعفهم ولطغيان الامبراطوريات المجاورة لهم.

ولما استقلت فينيقيا في الالف الاول قبل الميلاد، عرفوا كيف يصهرون فنون جيرانهم في بوتقتهم. فسكبوا فيها الكثير من روحهم. وعاد اليهم الفضل في بناء هيكل سليمان وقصوره. ولم تنكر براعتهم في اقتباس ابرز معالم الفن لدى كل أمّة جاورتهم أو حلُّوا فيها تجارًا. حتى صح التساؤل بعد حملة الاسكندر فيما اذا كان فنانو هذه الحقبة هم حقيقة من الفينيقيين.

ويشذ عن هذه القاعدة فنا الرقص والموسيقى، فكلاهما فينيقي المنبت.

الموسيقى والرقص

شغف الفينيقيون بالموسيقى والرقص لما لهما من دور في العبادة. فوضعوا الحانًا وقبسوا اخرى، ثم وَزَّعُوها مع آلات طربهم في جميع البلدان التي جابوها. ويعود اليهم اصل اتقان «العُوْد» و «الدربكة» و «الناي». ومنهم استوحى داود النبي عندما لحّن مزاميره وأَدخل الغناء الى العبادة العبرانية.

ومثلما شغفوا بالغناء كذلك برعوا في الرقص. واتخذوا من «بعل مرقُد» إلهًا للرقص. وفي اعياد ادونيس طالما نقلهم الغناء والموسيقى الايقاعية الى حالة النشوة. فتبارى الراقصون بالسيوف والخناجر، واصابوا اجسادهم حتى نزف الدم. والمناسبة الثانية للرقص كانت فترة قطاف العنب.

ووزعوا الرقص في ثلاثة ادوار. اولها الرقص المنفرد، وهو مقدمة «الدَبْكَة» التي لم تتغير حتى اليوم. ثم «الدَبْكَة» حيث ينقسم الشبان في مجموعة

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

والشابات في مجموعة اخرى. واخيرًا رقص المحترفات الخليعات في مناسبات غير دينية.

وانتشر الرقص الفينيقي لدى العبرانيين. فداود النبي عندما رقص امام تابوت العهد، أو شمشون الجبار عندما رقص امام الفلسطينيين انما قلّدَا الرقصات الرائجة في فينيقيا.

العلوم

١ – العلوم المختلفة لا عجب في ان يُبدع الفينيقيون في العلوم الحسابية، نظرًا للذهنية التجارية التي طبعوا عليها. والجشع التجاري قادهم الى ارتياد المتوسط ومجاهل المحيطات. فاهتدوا بالنجم القطبي حتى سماه الاغريق باسمهم. وكانت الرحلات الجغرافية مناسبات يجتمع فيها علماء عدة لدراسة الاتجاه، والموقع، والارض، والنبات، والحيوان.

واشهر جغارفة فينيقيا «مَارِيْنُوس» الصوري، الذي أضاف للخرائط المعروفة منه خطوط الطول والعرض. واشتهرت معاهد صيدون، فعلّمت جميع معارف العالم القديم. والعالم الاغريقي «طاليس» كان من اصل فينيقي، وكذلك المؤلفات الزراعية التي وضعها القرطاجي «ماغون» نقلت الى اللاتينية بناء لطلب من مجلس الشيوخ في روما.

٢ – الطبّ وفي ميدان الطب، وصلتنا كتابات وآثار تدل على براعة الفينيقيين في هذا العلم. ولم يَقِلّ اطباء فينيقيا خبرة عن اطباء مصر وبلاد ما بين النهرين. والإله «أشمون»، في صيدون، كان شفيع المرضى. فاذا نقش رسمه على صخر لازمته الافعى رمز الصحة والحياة الطويلة (أليست الافعى اليوم شارة يعتمدها الاطباء والصيادلة؟). وقد اقيمت امام معبد «أشمون» بركة يستحم فيها المرضى ليشفوا. وكثيرًا ما راقب كهنة معبد اشمون هؤلاء المرضى فاكتسبوا خبرة وادّعوا الطبابة. وساد اعتقاد بان المرض ناتج عن قوى غير طبيعية، فيقتضي اذًا لشفاء المريض تَدَخُّلُ قوى غير طبيعية يتحلّى بها كهنة معبد اشمون.

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

وكثيرًا ما كان الفينيقيون يستعينون باله الذباب «بَعْل زِبُوْب»، لما للحشرات من دور في تفشّي العدوى والامراض. وراقبوا الصلة بين وجود الجرذان وانتشار مرض الطاعون. فقدموا للآلهة تماثيل صغيرة تمثل الجرذان درءًا لخطرها.

وتطور الطب فيما بعد، وتفلّت من سلطان الكهنة. وغدا الطبيب غير الكاهن. وشخص المرض قبل تعيين العقار الملائم. ومن بين الوصفات الطبية التي وجدت، واحدة تتعلق بالطب البيطري، تصف في حال التهاب انف الجياد: «لزقة مركبة من عجين التين المجفف والزبيب والبرغل»...

ويرد البعض تطور العلم، وبنوع خاص الطب، في فينيقيا الى تأثر الفينيقيين بجيرانهم المصريين اولًا وبشعوب ما بين النهرين ثانيًا. وثمة اتفاق في الرأي، على ان الطب لم يكن وقفًا على شعب واحد، بل انتشر بين جميع سكان المشرق. وافادت فينيقيا من موقعها الوسيط، وعلاقاتها الخارجية في كسب وتطوير هذه المعلومات الطبية.

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

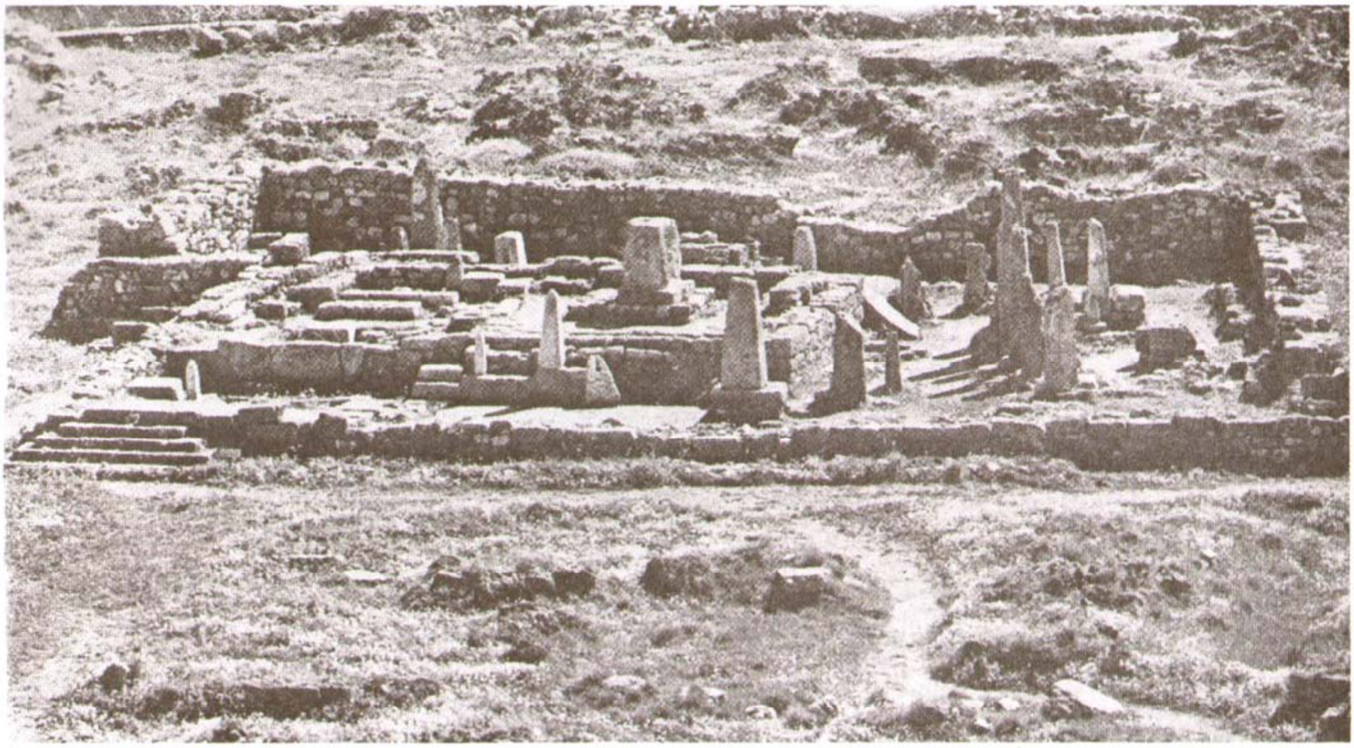

معبد الانصاب أو معبد رشف . والمسلّات ترمز الى آلهة

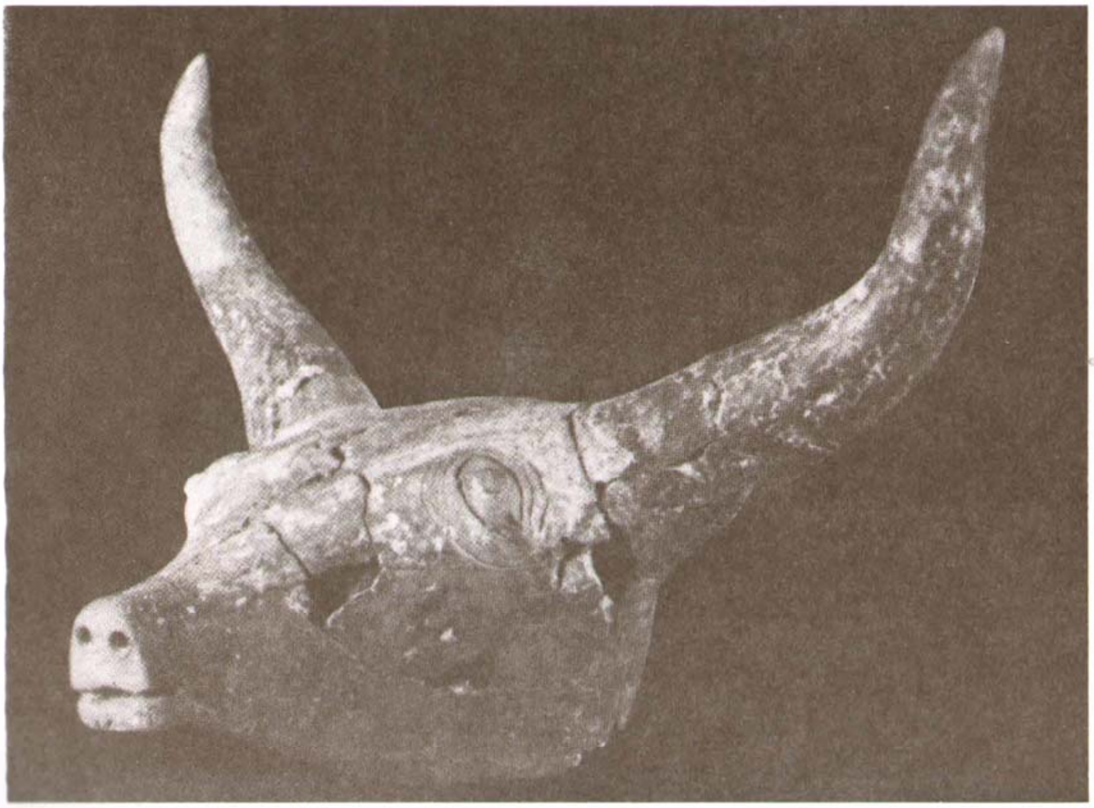

رأس حيوان من الخزف

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

١٧ التنظيم السياسي ١

الاعتبارات الطبيعية

فرضت الطبيعة على فينيقيا وضعًا سياسيًا خاصًا. ذلك ان ضيق البلاد وامتدادها، فَرَضَا انتشار المدن على طول الساحل. كما ان تعاقب الرؤوس الصخرية والسهول الساحلية عقّد عملية التنقل برًّا. وضرورات الملاحة قضت بان تبتعد المدينة عن جارتها سحابة نهار وذلك لتحاشي المسير ليلًا. وعن هذا نَجَمَ جنوح كل مدينة فينيقية الى الاستقلال.

فتاريخ فينيقيا اذًا لا يدور حول مدينة واحدة. بل تعاقبت على السيادة اربع مدن هي: جبيل وصيدون وصور واوغاريت. وهذا الوضع لم يَخْلُ من حسنات، اهمها: ان القضاء من قبل الشعوب الغازية على المدينة البارزة ليس معناه القضاء على كل الساحل الفينيقي. فعندما سقطت صيدون على يد قبائل «الفِلِسْطو» برزت صور. ولما عمد نبوخذ نصر الى تهديم صور البرية، برزت صيدون مجددًا واشتهرت ايام الفرس. ولما أُحرقت صيدون زمن ارتحشستا الثالث ظل بامكان صور ان تقاوم الاسكندر (راجع مراحل التاريخ الفينيقي).

وقد نظلم المدن الفينيقية إنْ تجاهلنا سعيها للتقارب احيانًا. فثمة الاصل الواحد، ورابطة الدين واللغة ولا سيما المصلحة المشتركة. فما هي الاسس التي اعتمدتها في تنظيماتها السياسية؟

النظام الملكي

ألّفت كل مدينة دولة قائمة بذاتها، على رأسها ملك. وخضع التنظيم السياسي لأَعْراف وتقاليد وعادات اكتسبت صفة الدستور المدون. وبما ان التقاليد والاعراف لا تتبدل بسرعة او بسهولة، لذلك احتفظت التنظيمات السياسية بجوهرها دون تعديل.

والملكية الفينيقية كانت دستورية لا استبدادية، بمعنى ان قرارات الملك يجب ان تقترن بموافقة مجلس الشيوخ. فما كانت الشروط المفروض توفرها في هذا الملك؟ وما هي حدود صلاحياته؟

الملك، في اي المدن الفينيقية، يتحدر من سلالة محترمة بل مقدسة.

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

عزل الملك

« بهفوتك فَقدت السلطة. فلم تنصر الارملة ولم تنظر في قضايا المضطهدين. لم تضطهد من جردوا ابناء الفقراء ولم تطعم اليتيم والارملة. فانزل عن عرشك لآخذ مكانك... »
فهل ترى في ذلك سببًا كافيًا؟...

صلاحيات مجلس الشيوخ في قرطاجة

« في السياسة الخارجية يلتئم مجلس الشيوخ ليقرر قضايا السلم والحرب، يتلقى رسائل الدول الاجنبية ورسائل القادة الاعداء. ويستقبل موفديهم، فيقبل او يرفض طلباتهم. كما يرسل موفديه بدوره. يقر المراسيم لتعبئة الجيوش وتجنيد المرتزقة تحت اشراف مفوضيه. وازاء المواقف الحرجة يأمر بتجنيد العبيد فيعتقهم. ويحصن دفاع المدينة. ويشرف ايضًا على العمليات العسكرية. يقرر الحملات. يتلقى تقارير القادة ويبلغهم تعليماته. ويندد بغير الاكفاء من القادة. واذا طرأ طارئ التأم على عجل لاتخاذ مقررات سريعة. »
« وفي السياسة الداخلية، يتخذ مجلس الشيوخ الاجراءات اللازمة لامن الدولة. يضيّع الفرصة على الطموحين، ويصلح بين الاعيان المتخاصمين حتى لا تضعف الجمهورية ويقضي على كل نشاط مشبوه. يلوم الحكام اذا وجد ذلك ضروريًا، ويرفع الظلامات عن الرعية. يصدر القوانين، كقانون البذخ الذي يحدد اقصى نفقات الزواج، واسعار بعض السلع، أو القانون الذي يمنع على القرطاجيين تلقن اللغة الاغريقية. يقر الضرائب والموارد العامة ويحدد طريقة انفاقها. »

النصّان من فينيقيا ص ١٤٧

نقد فضّي عائد لأيام اوسبعل (٣٥٠ ق.م.) ملك بيبلوس

نقد فضّي عائد لأيام ادرا ملك (٣٤٠ ق.م.) ملك بيبلوس

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

ويحافظ على احترام الناس بما يبدر منه من تصرفات تجعله مستحقًا للتقدير ورمزًا للدولة. وهذا يفرض مسؤوليات ضخمة، على الملك ان يضطلع بها. فهو في الوقت عينه مسؤول عن حماية المدينة، يتقدم جيشه في القتال، وهو قائد الاسطول (في الحروب الميدية، بعد هزيمة المراتون، صب الملك الفارسي جام غضبه على قائد الاسطول الفينيقي فقتله.)، وهو الذي يسهر على الامن، ويقيم العدل، ويؤدي الحساب امام الآلهة ومجلس الشيوخ في آنٍ معًا. فاذا قصَّر عزل. وينتدب الملك لتمثيله في المستعمرات موظفين كبارًا، أو حكامًا. ومقابل هذه المسؤولية يستأثر الملك ببعض الامتيازات، معظمها امتيازات مادية. وهذا طبيعي في مجتمع تسيطر عليه المادة. ولما قُيض للاسكندر ان يهدّم صور، تعذر عليه ايجاد ملك تتمثل فيه هذه الصفات والكفاءات ليقبل به الناس.

ومثل هذه الكفاءات لا تتوفر دائمًا في بِكْرِ العائلة. لذا، وان يكن العرش وراثيًا، فليس من الضروري ان ينصب الابن البكر. فأعطي الملك حق اختيار وريثه من بين ابنائه الذكور. واذا كان الوريث المختار قاصرًا، اضطلعت والدته بمسؤولية الوصاية. وقد طالما اشتهرت النساء في المجتمع الفينيقي، واشهرهن «أَلِيْسَّا» أو «دِيْدُون» بانية قرطاجة.

النظام الجمهوري

وطبيعي ايضًا ان لا تجتمع الصفات التي ذكرنا في وريث شرعي. فيقتضي الظرف ان تلجأ المدينة الى شخص آخر، غريب، تتوفر فيه هذه الكفاءات. لذلك يتفق المؤرخون بان الانتقال من النظام الملكي الى النظام الجمهوري قد حدث في ظروف طبيعية؛ دونما ثورة او نزاعات اجتماعية وحزبية. بل ثمة ظروف اقتصادية وسياسية واجتماعية قضت بان يُنتخب بعض الاشخاص، ليتولّوا شؤون المدينة فعرفوا باسم «القضاة» (شُفَاتِيْم بالفينيقية). هكذا بدأ النظام الجمهوري الديمقراطي في صور عام ٥٦٤ ق.م.، وفي قرطاجة منذ انشائها. فما هي الخطوط الرئيسية لهذا النظام؟

توزع الحكم في النظام الجمهوري بين «الشُفَاتيم» ومجلس الشيوخ ومجلس الشعب.

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

١ً – الشُفاتيم (مفردها شُفَاة (Suffète) : يرئس الدولة قاضيان احدهما يهتم بالادارة والآخر بالعدل. ويختارهما مجلس الشيوخ لمدة معينة، هي عام واحد قابل للتجديد. على ان صلاحياتهما لا تشمل قيادة الجيش. فالجيش له قائد خاص. ولما تعاظم نفوذ قادة الجيش تمكّنوا ان يفرضوا انفسهم «شُفَاتيم». ويساعد «الشفاتيم» عادة موظفون اداريون يهتمون بالشؤون المختلفة.

٢ً – مجلس الشيوخ ويتألف من ثلاثماية عضو، ينتخبهم مجلس الشعب من بين ارستقراطيي المدينة. وقرطاجة كانت البادئة باعطاء المثل. وتتمثل في هذا المجلس كل السلطات التشريعية والفعلية. فهو يهتم بشتى الشؤون الداخلية والخارجية. واهم اعماله انتخاب القضاة ومحاسبتهم.

ومن مجلس الشيوخ هذا انبثق «مجلس الماية». وامتاز عن مجلس الشيوخ بسلطةٍ أوسع، خَوَّلَته محاسبة «الشُفَاتيم» بشدة. وازدادت صلاحياته اتساعًا عندما استطاع ان يحاسب القادة العسكريين ايضًا. ثم ان هذا النفوذ المتعاظم مكَّن اعضاءه من الاحتفاظ بهذه المنزلة مدى الحياة. فكلما مات عضو من مجلس الماية، اجتمعت لجنة مؤلفة من خمسة اعضاء لتختار بديلًا عنه. و «هنيبعل» وحده استطاع ان يتحدى سلطة مجلس الماية في قرطاجة، كما استطاع ان يمنع اعادة انتخاب «الشُفَاتيم». فاعاد الحكم الى إطاره الديمقراطي.

اما في صيدون فقد تألف مجلس الشيوخ منذ البداية من ماية عضو، بامكانهم ان يتحدّوا سلطة الملك إن شاؤوا. وفي صور استطاع مجلس الشيوخ ان يتخذ القرارات اثناء غياب الملك. (انظر ص ١١٧).

٣ً – مجلس الشعب ويبرز دور هذا المجلس عندما تتباين الآراء بين «الشُفاتيم» ومجلس الشيوخ، فترجع اليه الكلمة الفصل. انما في كثير من الحالات تم الاتفاق بين «الشفاتيم» والشيوخ فضعف دور مجلس الشعب. لا سيما بعد ان انبثق مجلس الماية من مجلس الشيوخ، فاضحى السيد الفعلي حتى مجيء هنيبعل.

وعرف الفينيقيون الحياة الحزبية. ففي صور احتدم الخلاف بين حزبي الاشراف والشعب، فتحزّب الكهنة للاشراف. وبلغ التنظيم الحزبي حدًا بعيدًا في قرطاجة. وتعددت الاتجاهات فمثلت فئات الارستقراطيين،

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

والديمقراطيين، والاقطاعيين الملاكين. ولكنها جميعًا كانت تتحد عندما يحدق خطر بالمدينة. ساعتئذ تنقسم آراؤهم في اتجاهين فقط: محبذي السلم ومحبذي الحرب.

الاستقرار السياسي

دام هذا التنظيم مئات السنين دون ان يتعرض لأزمات. فما هو سر ديمومته واستقراره؟

لا شك بان هذا الاستقرار مرجعه الازدهار الاقتصادي في الدرجة الاولى. فقد عرف المجتمع فئة من الاثرياء هي طبقة الاشراف، وفئة ثانية ليست من الفقراء بل من الميسورين. وقد دأب كل من الملك و «الشُفَاتيم» والحكام على تأمين مصلحة المدينة، التي هي في الوقت ذاته مصلحتهم الخاصة. فشجعوا التجارة والتجار، ونظموا القوافل البرية والرحلات الاستكشافية (رحلة حنّون تمت على حساب مجلس الشيوخ في قرطاجة. ولما عاد من رحلته قدم تقريرًا نقش في معبد بَعْل - هَمُّون). واذا شعروا بان فئة من مجتمعهم تشكو العَوَز، شجّعوها على الهجرة الى المستعمرات لتحسن اوضاعها الاقتصادية. فحققوا بذلك نوعًا من العدالة الاجتماعية.

وثمة ظاهرة اخرى للتفاهم والتقارب بين المدن الفينيقية، ألا وهي اتفاق جاليات ارواد وصور وصيدون في طرابلس على انشاء ندوة للتشاور في الحالات الاستثنائية. وما تَسْمِيَةُ المدينةِ الحالية بهذا الاسم إلا نتيجة انقسامها الى ثلاثة احياء أو مدن، لكل من الجاليات التي ذكرنا حيّ (تري پوليس اي المدن الثلاث).

ولا تضطرب الاوضاع في فينيقيا إلا حين يدهمها عدو خارجي. فتسعى الى المداهنة حتى تحافظ على استقرارها، وبالتالي ليستمر نشاطها التجاري.

ولا يجوز ان نجرد الفينيقيين من مواقفهم الوطنية، فالحافز الوطني وحده جعلهم يقاومون مرارًا، مع علمهم الاكيد بان ذلك يؤدي الى ضياع مداخيلهم التجارية. ولا ينكر ايضًا ان هذا الموقع الطبيعي الذي سبّب غناهم كان بالوقت نفسه خطرًا عليهم اذ جعل ارضهم ممرًا لجحافل الدول المجاورة. وبالرغم من ذلك عرفوا كيف يحافظون على ازدهارهم بمبادراتهم الفردية والجماعية.

https://www.facebook.com/koutoubhasria مدونة الكتب الحصرية/

عظمة ملك صور

وهذه فقرة من كلمات حزقيال النبي في ملك صور:

«يا ابن البشر قل لرئيس صور ان قلبك قد طمح. فقلت إنّي إله. وعلى عرش إله جلست في قلب البحار. وانت بشر لا إله ولكن جعلت قلبك كقلب إله. بحكمتك وفطنتك انشأت لك يسارًا، وحصلت ذهبًا وفضة في خزائنك. بكثرة حكمتك في اتجارك كثرت يسارك، فطمح قلبك لأجل يسارك... انت خاتم الجمال ممتلئ حكمة وكامل بهجة. كنت في عدن جنة الله وكان كل حجر كريم كساءً لك، من الياقوت الاحمر والياقوت الاصفر والماس والز برجد واللازورد والزمرد...

سلالة اشمونعازار

سلالة اشمونعازار (ومعناها اشمون يُعين) التي ملكت على صيدون ما بين ٤٧٠ و ٤١٠ ق. م.

اشمونعازار الاول

تبنيت — زوج وشقيق — عمشترت — مجهول

اشمونعازار الثاني (ابن تبنيت وعمشترت) — بودعشترت (ابن مجهول)

دون عقب — ياتون ملك

تبدو الى اليمين اسوار جبيل الفينيقية. والى الأمام تظهر بعض آثار الأبنية الفينيقية، أما في البعيد فمجموعة من الآثار الرومانية.

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

١٨ الحضارة الفينيقية
المجتمع الفينيقي

الطبقات الاجتماعية قام المجتمع الفينيقي على الطبقية ، فبرزت في الاساس طبقتان فقط : الاشراف والعامة. والتمييز بينهما مادّيٌّ بَحْت. فمن تفوقَ في الغنى انتقل تلقائيًا من طبقة العامة الى طبقة الاشراف. ولا وجود للفقراء او العبيد بالمعنى الحقيقي للكلمة كما هي الحال في بلاد ما بين النهرين. وقد قضت ضرورات الحياة ونشاطاتها ان تنقسم كل من هاتين الطبقتين الى فئات.

١ً – طبقة الأشراف على رأسها الملك والعائلة المالكة. قوامها النبلاء والكهانيم والقادة.

أ – العائلة المالكة: وهي رأس المجتمع ، تصل الى حد التقديس. وللحفاظ على وحدة الدم ، بلغ الامر بسلالة اشمونعازار في صيدون ان تبيح الزواج من الشقيقة. هكذا شأن تبنيت ملك صيدون وابن اشمونعازار الاول الذي تزوج من شقيقته عمشتارت . (انظر ص ١٢١).

ولم تقلّ الملكة شأنًا عن الملك. فقد يُنَاطُ بها امر الوصاية ، فتحيط نفسها بحاشيةٍ من الاميرات والوصيفات. وتُحترم كإلهة ، اذ تُخوّل في معظم الاحيان سلطة الكاهنة الكبرى. اما اذا ماتت الملكة الارملة ، قبل ان يبلغ ولي العهد سن الرشد ، فتُعطى الوصاية الى شقيقته. وهذا دليل آخر على ما بلغته المرأة من رفعة.

واذا طُلِّقت الملكة أُبعدت كلية. واذا مال اليها ابنها فقد حقّه في العرش. وانما اذا جاز الطلاق ، فان تعدد الزوجات لم يكن مستحبًا.

ب – النبلاء: النبلاء هم اكبر الاغنياء ، بصرف النظر عن اصلهم الاجتماعي. فمن أَيْسَرَت حاله صار تلقائيًا في وضع النبيل. وقد تكوّنوا من الاقطاعيين ورجال المال والصناعة. واذا ساءت حالهم عادوا ببساطة الى طبقة العامة. انما قد يشفع بهم ما قاموا به من اعمال مجيدة أو ما اظهروه من كفاءات سياسية أو عسكرية أو فنية. وهذا الانتقال من طبقة الى اخرى هو غاية الديمقراطية.

واذا كان النبيل في القرون الوسطى او الحديثة ذلك الرجل الذي يأنف

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

العمل، أو ذلك الاقطاعي الذي يعيش من ايراد املاكه، فقد امتازت الارستقراطية الفينيقية بالنشاط والدأب على العمل. لان الغنى في بلد يقوم على التجارة قد يكون وَضْعًا عارضًا لا يدوم. فالجميع معرضون لانتكاس الاحوال. لذا انكبّوا على العمل حتى لا ينخفض مستواهم المعنوي والاجتماعي. ومقابل انتكاس الاوضاع الاقتصادية لدى البعض قد يبرز اشخاص آخرون في الغنى، فيدخلون الطبقة النبيلة. وهكذا تطعّمت هذه الطبقة باستمرار بعناصر جديدة، فازدادت حيوية وكفاءة.

وفي هذا التمييز الاجتماعي يكمن خطر تسخير كل شيء للمادة. والفينيقيون اعتبروا ان هذه الطبقة الارستقراطية هي التي تضطلع بالمسؤوليات الجسام. فواجب ايضًا ان تتوفر فيها كفاءات لا تتوفر في الاشخاص العاديين. فالمال وحده غير كاف وان يكن ضروريًا. لان الشرط الاساسي ان يحافظ النبلاء على بحبوحة البلاد لا ان يصلوا الى مركز الشيوخ و «الشُفَاتيم» فقط. لا سيما وان الاحزاب السياسية كانت لا توفر احدًا من النقد والتجريح؛ خاصة اذا كان من مساعدي الملك او من حاشيته او من موظفيه.

ج – **«الكُهَانِيْم»**: أو الكهنة بالعربية. ويرئسهم في كل معبد الكاهن الاعلى أو «رَبْ». يضاف اليهم عدد من العرَّافين والمنجمين. وقد ذكرت المصادر كاهنات ايضًا وعلى رأسهن الملكة.

ويُناط بالكُهَانيم امر الذبائح والتقادم. والذبائح على درجات اهمها الثور ثم العجل والأيل ثم الكبش والتيس ثم الحملان والجداء ثم الطيور ثم الحنطة ثم الزيت والحليب والخمر. وعن كل نوع من الذبائح يتقاضى الكُهانيم اجرًا معينًا. ففي معبد «بعل صافون» (اي جبل لبنان) يتقاضى كل من كُهانيم المعبد عشر قطع من الفضة عن الثور وبعضًا من لحمه. وعن العجل خمس قطع من الفضة لكل كاهن وبعض اللحم. وعن الكبش أو العنزة مثقالًا من الفضة. وعن الطير ثلاثة ارباع قطعة الفضة... على ان الكهنة لا يأخذون شيئًا بدل التقادم السائلة. ونتيجة لذلك غدا الكهنة من كبار الميسورين. وتشبثوا بهذه المهنة، واحتفظوا بها لذريتهم من بعدهم، فضلًا عما تتيحه لهم من مركز اجتماعي مرموق.

ويعاون الكُهانيم عدد وفير من العلمانيين، اولهم حرّاس الهيكل،

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

ثم العمّال مديرو شؤون الهيكل، ثم الحلّاقون لان المثول امام الاله يقتضي النظافة قبل كل شيء، فيحلق الكهنة شعورهم. كما ان بعض الناس ينذرون شعورهم للهيكل.

د – القادة العسكريون: الملك عادة هو قائد الجيش والاسطول معًا. لانه المسؤول الاول عن سلامة المدينة ويسارها. وقد يَكِلُ هذه المهمة الى شخص آخر. اما في قرطاجة فوظيفة القائد مستقلة تمامًا. وقد يتدخل هذا القائد في السياسة فيحتل مرتبة «الشُفَاة».

ويختار القائدَ إما الملك وإما مجلس الشيوخ. وكلاهما حريص على حسن الاختيار، فلا يترشح غير الاكفاء لان القائد سيكون مسؤولًا امام مجلس الشيوخ. فتثبط عزيمة كل دعي عديم الكفاءة. فقد يكون حكمُ المجلسِ بالاعدام اذا اخفق القائد. وهذا ما حدا ببعضهم الى تفضيل الانتحار على المثول امام مجلس الشيوخ. وشذ عن هذه القاعدة قائد فرد هو هنيبعل، فبالرغم من هزيمته ظلت قرطاجة تُكْبِرُ فيه العبقرية العسكرية. وبعض العائلات احتفظت بالقيادة العسكرية تقليدًا فيها، مثل عائلة «بَرْقَه» التي انجبت «هَمِلْقَار» و «هنيبعل» و «هسدرو بعل»، وكذلك عائلة «مَاغُوْن».

وعلى نقيض القادة لم يكن الجنود من الوطنيين، بل من المرتزقة. وهذا طبيعي في بلد قليل السكان كفينيقيا، همّه قبل كل شيء التجارة والاستقرار. اما اذا لم يكن من الحرب بد قاوم بعناد، شأن صور ضد نبوخذنصّر الذي حاصرها ثلاثة عشر عامًا وضد الاسكندر الذي قضى عليها. ولكن جنود المرتزقة لم يكن يسمح لهم بدخول المدينة. اذ يناط امر الحماية المباشرة بابنائها المتطوعين. يقودهم فئة من الضباط والمعاونين يصل عددهم الى الثلاثة آلاف. ووظيفة هذه الفئة المقاومة حتى الموت اذ لا أمل لها بعد الهزيمة.

٢ – العامّة وتضم البورجوازيين من غير النبلاء، والعمال، والفلاحين.

أ – «البورجوازيون»: وهم الميسورون. كلهم من التجار والصناع والاطباء. يتعاظم شأنهم بتزايد ثروتهم. وقد انتظموا في نقابات خاصة،

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

ومكنوا اواصر التضامن فيما بينهم، وحافظوا قدر الامكان على مستوى طبقتهم.

اما الاطباء، خاصة بعد ان انفصل الطب عن السحر والتنجيم، فقد حاولوا ان يستأثروا بهذه المهنة، شأن الكُهانيم في مهنتهم. وضنّوا باسرارها، لا يلقنونها إلا لاولادهم. والفوا في النهاية طبقة اجتماعية مستقلة لها غناها واحترامها.

ب – العمَّال: جرت العادة ان يرث الابناء مهنة آبائهم، يحفظون اسرارها، فتبقى محصورة ضمن العائلة الواحدة. وقد قطن العمال احياء خاصة من المدن الفينيقية. ونشطت اعمالهم بازدهار التجارة وتعدُّدِ المستعمرات، وانتظموا في نقابات. وحَذِقَ البعض منهم، وفاخر بتوقيع اسمه على بعض مصنوعاته فانتقل الى مرتبة الفنّان لا الصانع العادي؛ لا سيما وان بعض المصنوعات هو من الكماليات.

وتعددت الحِرَف فكان الحائك والخزَّاف والصائغ وصانع الزجاج... الى ما هنالك من مهنٍ. وتصحّ تسمية الصانع باسم الحرفي اكثر من تسميته بالعامل نظرًا لانعدام المصانع الحقيقية.

ج – الفلاحون: استعرضنا في فصل سابق دور الزراعة وتطور آلاتها. ونكتفي هنا بعرض وضع الفلاح ومن يعاونه في اعمال الحقل. فثمة كبار الملّاكين، وهم من الاشراف، اي انهم لا يتعاطون الزراعة بل يكلونها الى الاقنان والعبيد. فيصبح العاملون في الزراعة اذًا فئتين: الفلاحون والاقنان او العبيد. وبفضل التطوير، والمعلومات المستحدثة غدا الفلاح على مستوى محترم من التقنية. وما الكتب التي ألفها «ماغون» الشهير إلا دليل على ذلك.

واعتبر أُوْلُو الامر ان الشرط الاساسي لازدهار الاعمال الزراعية ان لا تكون اليد العاملة مرغمة على العمل، حتى ولو كانوا عبيدًا. لان اليد العاملة الحرّة وحدها تعطي افضل الانتاج. فأوصوا بحسن معاملة العبد في مسكنه وطعامه، منعًا لكل تمرد. ونظموا العمل في مجموعات يرئس كلًا منها شخص كفوء، لا يكتفي بتوجيه التعليمات بل يسهم مساهمة فعالة في العمل الزراعي. وفي قرطاجة مثلًا خلقت هذه المجموعات «فراديس

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

فينيقية» بما أَمّنته من ري وحفرته من آبار واقامته من خزانات.

د – العبيد: والواقع يفرض ان نميز بين عبيد فينيقيا وسواهم. فلا تصح تسميتهم بالعبيد، اذ كان بامكانهم الزواج والتملك، واذا أُعتقوا قد يصلون الى مراتب في الوظيفة. اما النساء من العبيد، فبامكانهن الزواج من رجال احرار، اذا اعتقن. وهذا ما يفسر ان العبيد جملة هبوا للدفاع عن المدن الفينيقية الى جانب اسيادهم، دون ان يفكروا يومًا بالثورة عليهم.

ميزة المجتمع الفينيقي

سيطرت المادة على ذهنية الفينيقيين، فغدت قاعدة ثابتة في تنظيمهم الاجتماعي. والحفاظ على المستوى المادي حدا بأُوْلي الامر ان يفتشوا عن ذوي الكفاءة. فالشخص الكفوء وحده قادر على تحقيق اليسار المادي. واذا ميز الفينيقيون بين الفئات الاجتماعية كان تمييزهم ماديًا؛ فالنبيل هو الغني والنشيط معًا. ومن أَيْسَرَ انفتحت امامه طريق الوصول الى الطبقة العليا وطريق مجلس الشيوخ، وتلك غاية في الديمقراطية. وكذلك الصلات بين الطبقتين أو بين الاحرار والعبيد أو بين الوطن الأم والمستعمرات اتصفت كلها بالتسامح والانفتاح.

ولم ينكر على المرأة حقها. فاحيطت الملكة بهالة من التقديس، واعتُبرت الكاهنة الأولى أو الوصية على العرش اذا كان ابنها او أخوها قاصرًا.

ولم تعرف فينيقيا الثورات الداخلية، لان ملوكها عرفوا كيف يحققون العدالة الاجتماعية والبحبوحة المادية. وعرف اقوياؤها كيف يسايرون الضعفاء، أو قل انهم عرفوا كيف يداهنون ليتقوا شر الناقمين. وانطلاقًا من هذا المبدأ استطاع ملوك فينيقيا ان يحتفظوا بصفة القدسية وان يفرضوا انفسهم على رعيتهم.

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

تمثال من العاج يمثل فينيقيا من القرن التاسع ق.م.

العبيد في فينيقيا

ينصح الكاتب القرطاجي «ماغون» بحسن معاملة العبيد فيقول:

«من الضروري ان نشركهم في الافادة باعطائهم التسهيلات، كتأليف عائلة، وامكانية تجميع مبلغ يشتري به حريته يومًا ما. وان نرد عنهم من يعاملون اتباعهم بقسوة.»

ويشك بعضهم في كون كلمة عبد تلائم تمامًا وضعية الاقنان في اوغاريت، فيقول: «قد نشك في المعنى الحقيقي لكلمة «أردو» (كلمة فينيقية). فهذه العبارة لا تعني «العبد» إلا اذا كان العبد في خدمة المنازل. فهل من الجائز ان نترجم عبارة «أردو» بالعبد عندما نرى ان عبيد الملك يدفعون له مبلغًا من الفضة والذهب. فمن الافضل اذًا ان نسميه «الخادم» على اعتباره عبدًا.»

من فينيقيا ص ١٣٨

نصبان صغيران من الألف الثالث ق.م.

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

١٩ طلائع هذه الحضارة

بلاد اليونان

بلاد اليونان في مفهومها الحالي تحتل الجزء الجنوبي من شبه جزيرة البلقان. اما في القديم فقد شملت بالاضافة الى بلاد اليونان الحالية شواطئ آسية الصغرى وجزر بحر ايجه. ولما قيّض للاغريق ان يتوسّعوا بحرًا (في القرن الثامن) وصل بهم المطاف الى البحر الاسود كما انتشرت مستعمراتهم على طول الشواطئ الشمالية من المتوسط حتى اسبانية.

وطبيعة اليونان تتخللها شواطئ وسهول ضيقة منعزلة، واشهر جبالها الپارناس (٢٤٩٥ م) والأُولمپ (٢٩٨٥ م). اما الاودية والسهول فقد ساعدت على استقلال المدن، لصعوبة الاتصال فيما بينها. وفي بلد كاليونان تبرز اهمية الطرق الملاحية نظرًا لوفرة اشباه الجزر والخلجان وتكاثر الارخبيلات. وزاد التقاليد الملاحية رسوخًا فقر البلاد الزراعيّ والمعدني، حيث لا تُزرع الا الحبوب والزيتون والكروم وخلافه من نباتات البحر المتوسط، وحيث لا يمكن الاتكال على المعادن المقتصرة على الفضة والرخام حول اثينا.

وبالرغم من كل ذلك استطاع الاغريق ان يشيدوا حضارة قل نظيرها في العالم القديم. فكيف نفسر ذلك؟ وما هي الادوار التي مرت بها؟

الآخيون

أ - تمركزهم في اواسط الالف الثاني قبل الميلاد نزحت الى بلاد اليونان بعض الشعوب الكريتية ونقلت معها حضارتها. ثم تدفقت على البلاد شعوب هندية اوروبية عرفت بالآخيين. واستطاعت ان تتمركز فيها بفضل تفوقها بالتسلح، اذ كانت اسلحتها من معدن البرونز. ثم ما لبثت ان انصهرت مع السكان الآخرين وتوزّعت في عشائر على مختلف المناطق اليونانية. وساعدت طبيعة البلاد الجبلية على انفراد كل عشيرة، فأنشأت ممالك صغيرة متنافسة ومستقلة متشابهة من حيث التنظيم القبلي والاقطاعي. ثم تطاحنت هذه الدويلات فيما بينها حتى برزت اثنتان منها هما تيرنتا وميسين القريبتان من البحر.

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

السلطة الملكية لدى الآخيين

«وكان للملك سلطان عظيم ولكنه ضيق الحدود. فهو ضيق في الرقعة التي يظللها لان مملكته صغيرة، وهو ضيق في زمانه لان الملك معرض لأن يخلعه المجلس او ان يخلع استنادًا الى حق سرعان ما اعترف به الآخيون وهو حق من عساه ان يكون اقوى من الملك سلطانًا. وفيما عدا هذا فقد كان حكم الملك وراثيًا وكانت حدود سلطانه غير واضحة المعالم. وهو قبل كل شيء زعيم عسكري شديد العناية بجيشه لأنه اذا عدمه تبيّنت للناس اخطاؤه. وهو يحرص على ان يكون هذا الجيش حسن العدة، والطعام، والتدريب، لديه ذخيرة من السهام المسمومة، والحراب، والخوذ، والجراميق، والرماح، والتروس، والدروع، والعربات الحربية. وهو الحكومة باجمعها طالما كان الجيش يحميه، يجمع في يديه التشريع والتنفيذ والقضاء، وهو كاهن الدين الاكبر الذي يقرب القرابين باسم الشعب، اوامره هي القانون، واحكامه نهائية لا معقب لها، ولم يكن لفظ القانون قد وجد بعد.

ديورانت ج ٦ ص ١٠٣

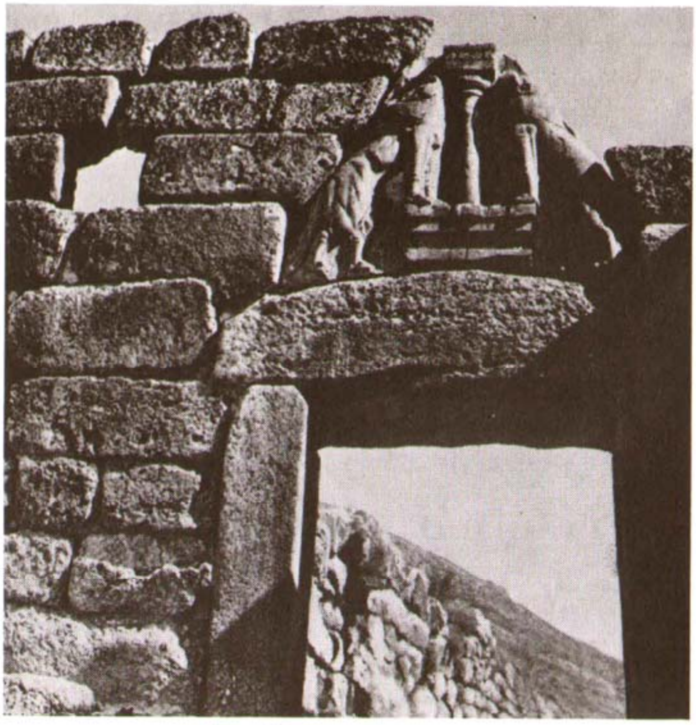

باب اللبوءتين، وهو من آثار الآخيين

قناع ذهبي لملك آخي

آخيل يجرّ جثة هكطور

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

ولما تأصلت الاعمال الملاحية التجارية في هاتين المدينتين، جمعتهما المصلحة المشتركة فشنّتا هجومًا ضد كل من يهدد تجارتهما، فهدمتا «كريت» عام (١٤٠٠ ق.م) و «طروادة» (١٢٠٠ ق.م) لتحكمها بالطريق البحري بين «ايجه» والبحر الاسود.

٢ – الحضارة الآخية لا ترقى آثار الآخيين في اليونان الى ابعد من العام (١٦٠٠ ق.م.) وقصائد هوميروس في الالياذة والاوذيسة وكذلك الآثار المنبوشة حول مدينتي تيرنتا وميسين هما المصدر الوحيد للمعلومات.

ويستخلص من هذه المصادر ان ملوك الآخيين قد اقاموا في مدن، نواتها قلعة أو حصن منيع. وزيّنوا جدران قلاعهم برسوم ونقوش مستوحاة من الفن الكريتي. وحول القلعة تعيش العشائر في منازل تحيط بها الاسوار من جميع جهاتها. وما وجد من آثار في المقابر ينبئ بان قبور الملوك قد حفرت بالارض وغطّيت بقبة. ومع الميت اودعت كنوز ثمينة منها الكؤوس والعقود الذهبية والاساور والاسلحة البرونزية والاقنعة الذهبية، كلها مزدانة برسوم عن نماذج من ثيران وماعز. (انظر ص ١٢٩).

وبعد ان كان الآخيون شعبًا بدويًا يعيش على رعاية الماشية، ما لبثوا ان اخذوا عن الكريتيين النازحين الى اليونان وسائل الزراعة وافتنّوا في زراعة الكرمة والزيتون. ولم يستح ملوك الآخيين انفسهم باعمال البناء والحراثة والرعاية، فاتصفت حياتهم بالبساطة والقسوة يرفّهون عنها بالمآدب والخمر.

ولما قيّض للآخيين ان يهزموا ملوك جزيرة كريت ويهدموا قصورهم في كنوسوس، حلّوا محلّ الكريتيين في الهيمنة على البحر وتعاطي التجارة. وعزّزوا اسطولهم التجاري وأجّروه لمصر احيانًا. ثم اتصلوا بالاناضول وفينيقيا، لا بل سابقوا الفينيقيين للسيطرة على الحوض الغربي من المتوسط.

الدوريون وهم ايضًا من الشعوب الهندية الاوروبية، ولكنّهم دون الآخيين حضارة. بدأوا بالتدفق على اليونان من وادي الدانوب، منذ اواخر القرن الثاني عشر قبل الميلاد. واستمر تدفقهم حتى القرن التاسع قبل الميلاد. وتفوّقوا على الآخيين لسببين: اولًا انهم كانوا قساة ولا حضارة لهم، وثانيًا تفوّق سلاحهم الحديدي. وأدّى تغلغلهم في البلاد الى شل العجلة لا سيما وانهم اخضعوا

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

الآخيين واستعبدوا فئات منهم. وساد البلاد قلق وخوف فلم يهتم السكان الا بالاستعداد للحرب والدفاع. وهذا ما سيؤثر فيما بعد على النهج الذي اختطه الاسپارطيون في تنظيماتهم الاجتماعية والسياسية. ولما طال الزمان انتهى الامر بالتمازج بينَ الشعبَيْن الآخي والدوري فكانا معًا اصل الشعب الاغريقي.

أيونيه

١ً – المدن الايونية لاسباب عدة، اهمّها ضيق رقعة بلاد اليونان، واستبداد المتنفذين من زعماء العشائر، واساءة الدوريين للشعوب الآخية، نشطت حركة النزوح عبر بحر ايجه الى آسية الصغرى. وهنالك انشأ النازحون موطنًا جديدًا دعوه ايونيه. وانقسمت ايونيه الى دويلات او ممالك صغيرة، على غرار الممالك اليونانية، وصل عددها الى اثنتي عشرة اشتهرت من بينها سميرنه وافسوس وفوقيه وميليتس وساموس. وفي هذه المدن الاسيوية بالذات برزت اول معالم الحضارة الاغريقية.

٢ً – ايونيه من خلال هوميروس وقعت حرب طروادة في القرن الثاني عشر قبل الميـلاد اي قبـل انشاء مدن إيونيه الاثنتي عشرة. وبعد ان استعمر الآخيون غربي آسيا الصغرى استفاقت لديهم ذكرى امجادهم الاولى في حرب طرواده (١٢٠٠ ق.م). ونظموا القصائد الملحمية في القرن التاسع تخليدًا لهذه الذكرى، فكانت الالياذة وتلتها الاوذيسة التي تذكّر بانسحاب الآخيين بعد تهديمهم طرواده. وغدا الشعراء والمنشدون يتنقلون بين بلاطات الملوك يتلون اشعارهم على الانغام، يقرضون بعضها ويقتبسون البعض الآخر او يضيفون اليه من عندهم. حتى اتى هوميروس الشاعر الاعمى فجمعها ونسّقها في ملحمتين. وطالما اعتبر الاغريق ان هوميروس هو الذي انفرد بنظمهما. وهكذا نشأ اول تراث ادبي لدى الاغريق.

ولكنَّ الملحمتين لم تدوّنا إلّا في القرن التاسع أي بعد ان قبس الاغريق ابجديتهم عن الفينيقيين، وهذا معناه ان الكثير منهما قد ضاع او حرّف. ولكن ما وصل من اخبار فيهما ينبئ عن الأوصاف والتقاليد والنظم والمعتقدات السائدة ايام الآخيين مضافًا اليها بعض مظاهر الحياة في ايونيه. وما آلت اليه حياة الاغريق في ايونيه يختصر بما يلي: اولًا – ان الآخيين لم يحافظوا على التقاليد الملاحية والتجارية التي كانت سائدة لدى اسلافهم في اليونان،

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

بل انصرفوا عنها الى الحياة الزراعية. ثانيًا – ان سلطة ملوك الايونيين تضاءلت بالنسبة لما كانت عليه في الوطن الأم، وانشئت المجالس الاستشارية التي حدّت من سلطة الملك.

٣ – الملحمتان وأهمّ من هذا كلّه ان الملحمتين المذكورتين حفظهما معظم الاغريق عن ظهر قلب، فتوحّدت لديهم اللغة والميول والاذواق الادبية، وقبسوا عنهما اصول ديانتهم ونظمهم السياسية. ويصح القول ايضًا ان هاتين الملحمتين كانتا مرآة الذهنية والنفسية الاغريقيتين. وهذا ما يسمح بالاعتقاد ان اليونان – وان كانت قد تفرّقت مدنًا ودويلات في اوروپا وآسية – قد حافظت على روحها الاغريقية عن طريق هاتين الملحمتين.

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

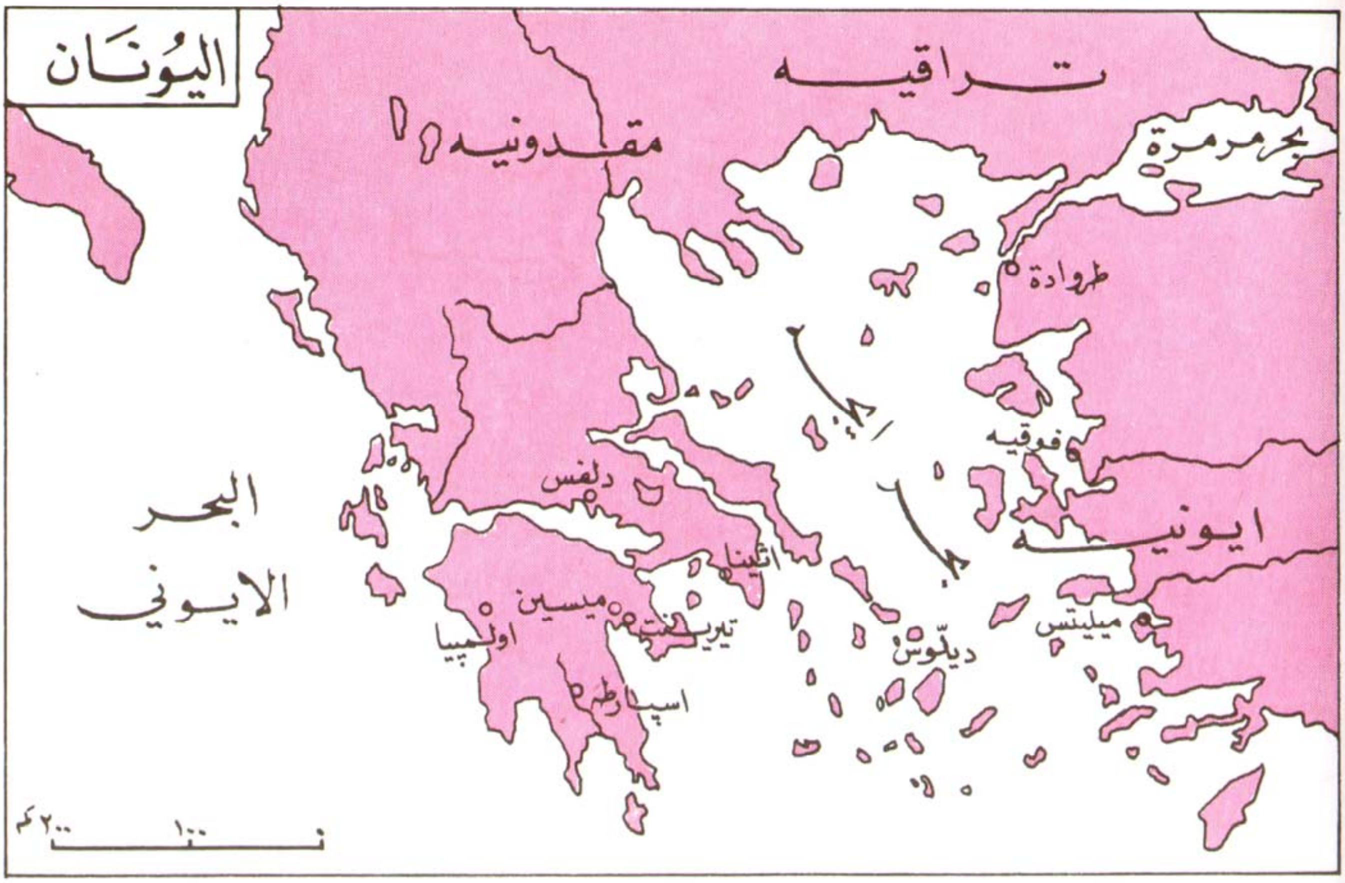

خريطة اليونان القديمة

الدولة الآخية

«ترى كيف كان هؤلاء الآخيون الاشداء السريعو الانفعال يُحكمون؟ لقد كانوا في السلم تحكمهم الاسرة وفي الازمات تحكمهم العشيرة. والعشيرة جماعة من الناس ينتسبون الى اصل واحد ويدينون بالطاعة الى رئيس واحد، وحصن هذا الرئيس هو منشأ المدينة ومركزها، حتى اذا ما اصبح سلطانه سنة متبعة وشريعة معترفًا بها، تجمعت حول هذا الحصن عشيرة بعد عشيرة حتى يتكون من مجموعها مجتمع سياسي من ذوي القربى. واذا تطلب الرئيس عملًا اجماعيًا من عشيرته او مدينته دعا احرارها الذكور الى اجتماع عام وعرض عليهم اقتراحًا قد يقبلونه وقد يرفضونه، ولكن اعظم الاعضاء شأنًا هم الذين يستطيعون ان يقترحوا تغييره. ولقد كانت هذه الجمعية القروية العنصر الديمقراطي الوحيد في هذا المجتمع الارستقراطي الاقطاعي، وكان اعظم اعضائها فائدة للدولة افصحهم لسانًا واقدرهم على التأثير في عامة الشعب».

ديورانت، ج ٦

من مناظر اليونان

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

الحضارة الاغريقيّة

٢٠ المُدن والمُستعمَرات اليُونانيَّة

تحديد المدينة يجب التمييز بين المفهوم الحالي للمدينة وبين المفهوم الاغريقي (Polis) (بوليس). فالمدينة الاغريقية كناية عن دويلة نواتها المدينة بمفهومها الحالي وتتبعها المدن الصغيرة والقرى المجاورة لها. وعندما نقول مدينة اثينا او مدينة اسپارطة نعني بذلك دولة اثينا او دولة اسبارطة.

وبلاد اليونان قد انقسمت الى مئات المدن أو الدويلات، تحافظ جميعًا على صلات اللغة والدين والتنظيم ولكنها تنعزل عن بعضها البعض. ولا يمكن تفسير انعزال المدينة عن جارتها بالاعتبارات الجغرافية فقط (طبيعة الارض الجبلية وضيق الاودية والسهول الزراعية). فما يصح على طبيعة اليونان (بالمعنى الاصلي) لا يصح بالنسبة للمستعمرات. فالعزلة تفسر ايضًا بالاعتبارات الاجتماعية والسياسيّة والدينيّة والعسكريّة التي كانت مسيطرة على عقلية المستعمرين قبل مغادرتهم الوطن الام الى اصقاع جديدة.

ومن الناحية الاجتماعية لم يتساوَ جميع سكان المدينة في الحقوق والحرية، فالمواطنون مثلًا يتمتعون وحدهم بكامل الحرية والحقوق، انما عددهم ضئيل يقتصر على بضع قبائل هي العائلات المسيطرة في المدينة. والى جانب المواطنين القليلي العدد تبرز اكثرية قوامها «الاغراب» واخيرًا «العبيد».

ورافق ازدهار المدن الداخلية هجرات اغريقية في جميع الاتجاهات. فأنشئت المستعمرات على غرار المدن التي انطلقت منها، وان تكن قد استقلّت عنها تمام الاستقلال.

المستعمرات اليونانية بدأت هجرة الآخيين مع غزوة الدوريين (١١٠٤ ق.م) فخافوا من الاستعباد وفرّوا الى آسية الصغرى. ولكن الغزوة الدورية ليست التفسير الاوحد والكافي لتعاقب الهجرات الاستعمارية، فثمة تفاسير اخرى اهمها:

أ – المنازعات بين الاسر والعشائر، ففضل المغلوبون النفي، ودأب الغالبون على تشجيعهم.

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

ب – بعض من اشتركوا في حرب طروادة عزفوا عن العودة او عجزوا عنها.

ج – التفتيش عن أراضٍ زراعية جديدة، اما لضيق بلاد اليونان او لمصادرة الاغنياء لاراضي الفقراء المدينين لهم.

د – ازدهار التجارة الخارجية شجّع على التفتيش عن اسواق جديدة، فدفع بالمغامرين الى مناطق اثراء سريع.

وعرفت موجات الهجرة خمسة اتجاهات: اثنتان منها عبر بحر ايجه الى شمال غربي وجنوب غربي آسية الصغرى والثالثة تألفت من الدوريين الذين ضاق بهم جنوب اليونان فيمموا شطر رودس وكريت وجوارها، والرابعة نحو الشمال على شواطئ مرمره والبحر الاسود والدردنيل حيث بلغ عدد مستعمراتهم المائة. والخامسة نحو «اليونان الكبرى» اي غربي المتوسط في ايطاليا وصقلية واسپانية.

وفيما بعد ضاقت المستعمرات نفسها بسكانها فنشأت هجرات جديدة. فمن آسية الصغرى مثلاً انطلقت هجرات جديدة من مدينة ميليتس وفوقيه. ولما اشتد خطر الفرس على آسية الصغرى غادرها الاغريق هربًا من سلطة الاخميديين.

ولكن الصلات بين المدينة الام، والمستعمرات كانت واهية، اقتصرت على اواصر الود والتجارة ليس الا. وقد تستقل عنها تمام الاستقلال، وفي هذا ما يذكرنا بالاستعمار الفينيقي. انما انتشار المستعمرات شرقًا وغربًا عرّض الاغريق لنزاع شديد مع الفينيقيين في الغرب ومع الفرس في الشرق. فتضاءل اشعاع المستعمرات في آسية الصغرى (مدينة ميليتس بنوع خاص) ليبرز دور اسبارطة واثينا.

إسپارطة موقعها في جنوبي اليونان اي في منطقة الپلوپونيز (الموره حاليًا). في الاصل قامت فيها دويلة آخية، ثم ما لبث الدوريون ان اجلوا الآخيين عنها وجمعوا اربع قرى في مدينة واحدة فكانت اسپارطة أو لاسيديمونا. وشملت اسپارطة منذ نشوئها منطقة لاكونيا. وفي القرن الثامن قبل الميلاد توسعت شرقًا وغربًا فشارفت شواطئ البحرين الإيجي والايوني. واطّرد ازدهارها الزراعي والصناعي والتجاري حتى أواسط القرن السادس. ولكن هذا النشاط

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

ب – مجلس القضاة (الافوريون): عدد اعضائه خمسة، ينتخبون كل عام من قبل مجلس الشعب. واحتكر ابناء العائلات العريقة هذه المراتب نظرًا لنفوذ هذه العائلات بين اعضاء مجلس الشعب. وفي الوقت الذي كانت فيه سلطة الملكَيْن تتضاءل، كانت سلطة القضاة الخمس تتضاعف لتطغى وتحل محل السلطة الملكية.

ج – مجلس الشيوخ (جيروزيا): وعدد اعضائه ثمانية وعشرون، ينتخبهم مجلس الشعب من بين مشايخ العائلات العريقة. ويجب الا تقل سنهم عن الستين عامًا، تحلّوا بالنضج العقلي. وطريقة انتخابهم غريبة اذ يمرّون صامتين امام اعضاء مجلس الشعب فمن صفقوا له طويلًا اعلن انتخابه.

ووظيفة مجلس الشيوخ مراقبة اعمال القضاة الخمسة، وهذا معناه ان الكلمة الفصل تعود اليهم.

د – مجلس الشعب (أبيلّا): وهو العنصر الديمقراطي والاضعف في النظام الاسپارطي. اعضاؤه ثمانية آلاف من الذكور، بلغوا سن الثلاثين. وموعد اجتماع هذا المجلس عندما يكون القمر بدرًا. فيناقش المسائل الهامّة ويوافق على القوانين المسنونة او يرفضها دون تعديل فيها. وفيما بعد حُقّ لمجلس الشيوخ ان يعدّل قرارات مجلس الشعب.

وتوقفت اسپارطة في تنظيماتها عند هذا الحد. واضحت عدوة كل تطور. ولما طلب احدهم الى ليسورغ ان ينشئ دولة ديمقراطية اجابه بقوله: «ابدأ ايها الصديق بانشائها في اسرتك». ولم يكن هذا شأن اثينا التي اوصلت النظام الديمقراطي الى مدى ابعد.

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

من التربية الاسپارطية

«وكان (الولد) يتعلم القراءة والكتابة، ولكنه لا يكاد يتعلم منهما ما يكفي لان يخرجه من سلك الاميين، وقلما كانت الكتب تجد في اسپارطه من يشتريها. ويقول أفلوطرخس ان ليسورغ كان يرغب ألا يتعلم الاطفال قوانينه بطريق الكتابة، بل يجب ان يتلقوها مشافهة وبطريق المران عليها في شبابهم بعناية من يرشدهم ويضرب لهم المثل بنفسه. وكان يرى ان تقويم الاخلاق بتعويدهم اياها دون ان يحسّوا هم بذلك خير من الاعتماد على الاقناع بالحجج النظرية؛ وان التعليم الصحيح هو خير اساليب الحكم، على ان يكون هذا التعليم خلقيًا اكثر منه عقليًا، لان الخلق اعظم خطرًا من العقل. وكان الشاب الاسپارطي يدرب على الاعتدال في الشراب... وكان يعلم ان يستعد للحرب بان ينطلق في الحقول يجد طعامه بنفسه او يموت جوعًا اذا لم يجده، وكانوا يجيزون له السرقة في هذه الاحوال، فاذا قبض عليه وهو يسرق عوقب بالجلد. واذا كان حسن السلوك سمح له ان يحضر اجتماع المواطنين العام، وكان ينتظر منه ان يعنى بالاستماع الى ما يقال فيه حتى يلم بمشاكل الدولة ويتعلم فن الحديث الظريف. فاذا تخطى صعاب الشباب بشرف وبلغ سن الثلاثين منح كل ما للمواطن من حقوق، والقيت عليه جميع ما يلقى على المواطن من تبعات، واجيز له ان يجلس لتناول الطعام مع من هم اكبر منه.»

ديورانت، ج ٦ ص ١٥٥ – ١٥٦

جيش اسپارطه

«وكان الجيش عماد السلطة في اسپارطه ومناط فخرها، لانها وجدت في شجاعته، ونظامه، ومهارته، أمنها ومثلها الاعلى. وكان كل مواطن يدرب تدريبًا حربيًا، وكان عرضة لان يدعى الى الخدمة العسكرية فيما بين العشرين والستين من عمره. وبفضل هذا التدريب القاسي نشأت الهپليت Hoplites الاسپارطية وهي فرق المشاة المتراصة الثقيلة قاذفات الحراب، والمكونة من المواطنين، التي كانت تقذف الرعب في قلوب الاثينيين انفسهم.
وكان هذا الجيش هو المحور الذي صاغت اسپارطه حوله قانونها الاخلاقي. فالطيبة في اسپارطة هي ان تكون قويًا شجاعًا؛ والموت في ميدان القتال هو اعظم الشرف ومنتهى السعادة؛ والحياة بعد الهزيمة هي العار الذي لا يمحى والذي لا تغفره الام نفسها لابنها الجندي. وكانت الام تودع ابنها الجندي الذاهب الى حومة الوغى بقولها: «عد بدرعك أو محمولًا عليه». وكان الفرار بالدرع الثقيل امرًا مستحيلًا.»

ديورانت، ج ٦ ص ١٥٣

محارب اسپارطي

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

الحضارة الاغريقيّة

بزوغ الدّيمقراطيّة

بروز أثينا

١ – أثينا لفظة اثينا تعني اليوم عاصمة اليونان. ولكنها، حسب المفهوم القديم، دولة احتلت شبه جزيرة «أتِيْكَا» شرقي بلاد اليونان الحالية. واثينا في الاصل قرية صغيرة، بازاء هضبة صخرية عرفت باسم «الأكروپوليس». سكنها الآخيون، وما لبثوا يتوسعون في الجوار حتى سيطروا على كل شبه الجزيرة. ولما حلَّ بينهم الدوريون، قاومهم ملك الآخيين «كادروس» واستشهد. ولكن الامر انتهى بالانصهار بين الشعبين فكوَّنا معًا نواة شعب اثينا.

عرفت اثينا عصرها الذهبي بعد زوال الخطر الفارسي عنها. ولما كانت قد تحملت المسؤولية الاولى في رد الخطر، دانت لها سائر مدن الاغريق. وقُيِّضَ لها في النهاية شخص فذ هو «پيريكليس» (Périclès) فارتقت في عهده منزلة قل ان توفرت لدولة في العالم القديم.

٢ – دور الحروب الميديّة (راجع الحضارة الفارسية). كانت الحروب الميدية نقطة تحوّل حاسمة في حياة اليونان عامة، وفي حياة اثينا خاصة. فقد تفانت في الدفاع في معركة برية هي «الماراتون» (٤٩٠) وفي معركة بحرية هي «سلامين» (٤٨٠) ضد احشويرش والفينيقيين. ثم جاهدت لتحرير المدن الايونية في آسية الصغرى من نير الفرس. وبذلك استطاعت ان تتزعم حلف «ديلوس» (٤٦٨). وبموجب هذا الحلف تعهّدت المدن اليونانية في آسيه الصغرى وايجه بتقديم قطع بحرية أو مَبَالغ لاثينا، لتؤمن نفقات الحلف المشتركة.

٣ – تسلّط اثينا وسرعان ما تبدّل مفهوم حلف «ديلوس». فقد خافت المدن المرتبطة بهذا الحلف ان تسهم هي في تقوية اسطول اثينا فتستبد. وفضّلت تقديم مبلغ سنوي، تاركة لاثينا وحدها امر الاضطلاع بالمسؤوليات العسكرية. وهذا ما زاد من تسلّط اثينا، حتى اضحى المبلغ السنوي كناية عن إتاوة يتصرف بها أولو الأمر في اثينا. وأُنفق معظمها على امور الدولة لا على حلف «ديلوس». واشتدت وطأة التسلط عندما كانت اثينا ترسل جنودها الى سائر المدن وتقطعهم اراضي فيها.

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

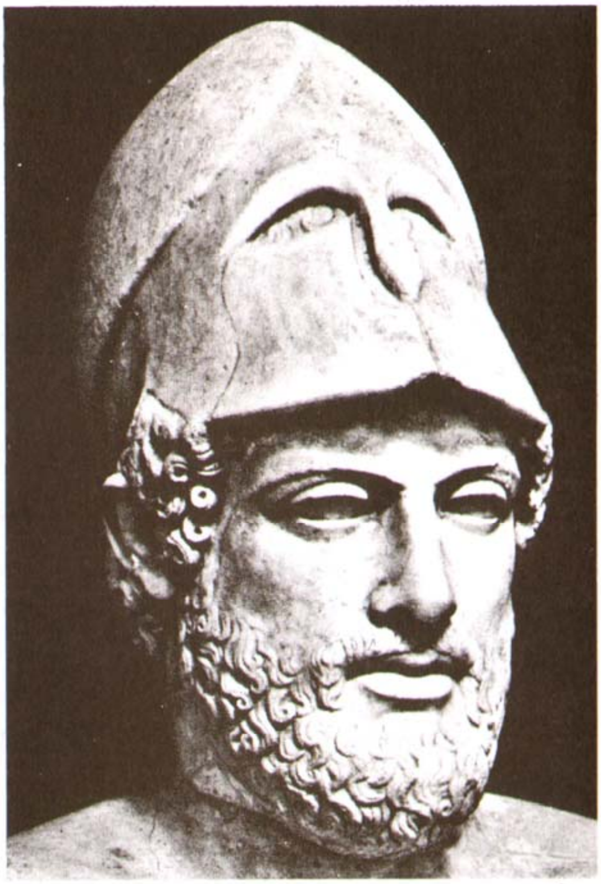

پيريكليس

سهل الماراثون

منظر من ديلّوس

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

٤ً – دور «پيريكليس» (٤٤٤ ق.م–٤٢٩ ق.م). ولم يقتصر نفوذ اثينا على امجادها العسكرية وتسلطها على حلف «ديلوس». بل أُوتيت نشاطًا فكريًا وفنيًا بلغ ذروته في عهد «پيريكليس». وهو رجل من النبلاء، وصل الى الحكم بدعم من الشعب. فقام بدور الحكم بين الفئات المتطاحنة، وحمى الديمقراطية من تسلط الاشراف دون ان ينقاد الشعب. «وفي وقت كانت فيه اثينا قلب اليونان، كان «پيريكليس» قلب اثينا النابض». (انظر ص ١٤١).

نحو الديمقراطية

لما قضى الملك «كادروس» شهيدًا، اعلن الاشراف ان لا خليفة جديرًا به. فاختاروا لحكمهم «أرخونًا» (قاضي) يتولى السلطة مدى الحياة. وفي اواسط القرن الثامن قبل الميلاد، خُفضت المدة حتى عشر سنوات. وفي سنة ٦٨٣ ق.م. عينوا تسعة أراخنة مدتهم عام واحد. ثم فرض الاشراف انفسهم على الاراخنة، فراقبوهم بواسطة مجلس يجتمع على تَلَّة الإله «آريس»، لذا عرف باسم «آريوپاجوس» (وسيتحوّل هذا المجلس فيما بعد الى محكمة).(ص ١٤٩).

١ً – تسلّط الاشراف وبعد تسلط الاشراف على الاراخنة، استبدوا بمنطقة «أتيكا»، فاغرقوا الفلاحين بالديون، وصادروا اراضيهم ثم استعبدوهم. واتسعت الشقة بين الطبقتين. وازداد تذمّر الفقراء وتنادوا للثورة. فرأى الأَراخنة ان يستبقوا الاحداث بتشريع جديد مكتوب، لان القوانين الشفهية قابلة للتأويل. وطُلب من «دراكون» (٦٢١ ق.م) ان يضع نص القانون الجديد، فجاء غاية في القسوة منحازًا للاشراف إلّا في قضية قمع الثأر الفردي.

وفي الوقت نفسه، كانت علاقات اثينا التجارية قد ازدهرت ونشطت صناعاتها، وانتشرت مستعمراتها. فشعر التجار والصنّاع بدورهم الهام. وامتعضوا من سلطة الاشراف عليهم. فطالبوا بالمشاركة بالحكم، يساندهم الفلاحون. فهرع الاشراف الى أحد حكمائهم «سولون»، وولجوه باعداد اصلاحات وتشريعات توقف النقمة بل الثورة.

٢ً – اصلاحات سولون (٥٩٤ ق.م–٥٧٢ ق.م.). ينتمي «سولون» الى طبقة الاشراف، وينتهي نسبه الى الملك «كادروس» نفسه. ولما تأزم الامر في أثينا انتخب ارخونًا مطلق الصلاحيات. وجاءت اصلاحاته احدى المعجزات. فقد وفّق بين الفقراء والاشراف دون ثورة. وعرف قانونه باسم «سيسكثيا» اي «رفع الاعباء».

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

والغى شرائع دراكون بطريقة مباشرة حينًا وغير مباشرة حينا.

عالج «سولون» المشكل من اساسه وارضى جميع الطبقات. فألغى ديون الفلاحين وحرّر المستعبدين منهم. واجبر كل شريف على توزيع املاكه على اولاده جميعًا بالتساوي وبموجب وصيّة. فألغى الملكيات الكبرى التي كانت من نصيب الابن البكر عادة، وعزّز الملكيات الوسطى والصغرى، فارضى بهذا العمل فئتي الفلاحين والمحرومين. وسكّ النقود (الدراخم)، ورفع قيمتها، فسهلت المعاملات التجارية مع المستعمرات وسواها. فاثرى التجار ورضوا عن الحكم.

وحين سُئل هل اعطى الاثينيين افضل الشرائع، اجاب: لا، بل سننت لهم «خير ما يستطيعون ان يعطوه». وترفع عن الدكتاتورية قائلًا: «انها مقام جميل حقًا، ولكن ليس ثمة طريق للنزول منه». واعتزل السياسة عام ٥٧٢ ق.م بعد ٢٥ عامًا من الحكم. وآلمه قبل موته ان يشهد قيام دكتاتورية قريبه «پيسِستْراتُس»، فعارضه مخاطبًا الاثينيين: «يا رجال اثينا! إني اكثر من بعضكم حكمة، واكثر من البعض الآخر شجاعة: اكثر حكمة ممن لا يدركون غدر «پيسستراتس»، واكثر شجاعة ممن يدركونها ولكنهم لخوفهم يسكتون عنها.»

٣ – عهد الطغاة (تيرانوس)

(٥٦٠ ق.م.–٥٠٨ ق.م.). لم يقدّر معاصرو «سولون» قيمة تشريعاته حق قدرها. فسولون قد فرض التوازن بين مختلف النزعات، وهذا التوازن اسكت الجميع ولكنه لم يرق لأحد. وما ان اعتزل الحكم عام ٥٧٢ ق.م. حتى ذرّ قرن الخلاف مجدّدًا. وتطاحنت على السلطة فئات ثلاث هي: حزب «الشاطئ» اي التجار الميالون الى حكم «سولون»، وحزب «السهل» اي كبار الاقطاعيين اعداء سولون، ثم حزب «الجبل» وقوامه الفلاحون والعمال. وطالما انتظر الاشراف الاقطاعيون ذهاب سولون ليعودوا الى سيرتهم الاولى. ولكن طاغية اسمه «پيسستراتُس» تصدّى لهم ولزم جانب الفقراء.

أ – پيسستراتس: والطاغية في عرف الاغريق حاكم انتزع الحكم بالقوة، واستبد من اجل الخير لا الشر، هكذا كان شأن «پيسستراتس». وهو قائد عسكري اتكل على الفئات الشعبية في الوصول الى الحكم. وافقه المجلس على احاطته بخمسين حارسًا. فرفع العدد الى ٤٠٠ واستولى على الحكم.

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

ب - «اعمال «پيسستراتس»: ولم يهمل الطاغية الجديد انصاره من الفقراء. فوزع المال على الفلاحين والعمال، وساعدهم على كسب مساحات جديدة من الارض. وعزّز زراعة الكرمة، وامر العاطلين عن العمل المتسكعين في شوارع اثينا بالعودة الى العمل في الحقول. وقضى على البطالة بما شيّد من منشآت واقنية وسبل. وشجع التجارة الخارجية باقامة المستعمرات. واستحدث قطعًا نقدية. وخفض الضريبة الى خمسة بالماية، فاستطاع الجميع ان يدفعوها.

وما يدهش في اعماله انه احتفظ بدستور سولون، ولم يعدّله إلا في قضايا جد ثانوية. فكأنه «زيّن الدكتاتورية بالاشكال الديمقراطية». ويجوز التساؤل بعد ذلك: ماذا كان نصيب دستور «سولون» والاستقرار في اثينا لو لم يقيض لهما رجل مثل «پيسستراتس»؟ أليس له الفضل بان عوّد الناس، وخاصة الاشراف، على الطاعة للقانون ولو مكرهين. فالفترة التي تلت حكم «سولون» كانت اذًا بحاجة الى طاغية ليوطّد دستور سولون دون ان يقصد ذلك.

٤ - «كليستينس» يوطّد عمل سولون

(٥٠٨ ق.م). «خلف پيسستراتُس» ابناه («هيپارخوس» و «هيپياس»)، ولكنهما تشدّدا في احكامهما، واعوزهما بعد النظر. فاستفاد من ذلك الاشراف، وأعدّوا انقلابًا. ولكن نجاحهم كان عابرًا، فاستولى على السلطة «كليستينسْ» بدعم من مجلس الاعيان (الذي انشأه سولون وفيه اعضاء من التجار). ومع «كليستينس» ينتهي حكم الطغاة ليبدأ عمل اصلاحي آخر يكمل عمل «سولون».

قسم «كليستينس» المواطنين في عشر قبائل، والبلاد الى ماية دائرة لكل منها مجلسها الخاص، اعضاؤه ينتمون الى مختلف الطبقات، مهمتهم التشاور في شؤون الدائرة. فيكون بذلك قد الغى التمييز الطبقي. ولم يعد التمثيل وقفًا على طبقة الاشراف الغنية. وكرّس هذه المساواة بانشائه الجمعية العامة (الأكليزيا)، حيث يتساوى كل مواطني اثينا الراشدين دون استثناء.

هكذا نشأت في اثينا جذور الحكم الديمقراطي، اي حكم الاكثرية، بعكس اسپارطه حيث حكمت الاقليه الارستقراطية. ولكن كيف مارس الاثينيون هذا النظام وطبّقوه؟ هذا ما سنراه في الفصل التالي.

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

فوق وتحت :   من منحوتات فيدياس التي تزين اعلى معبد البرثينون .

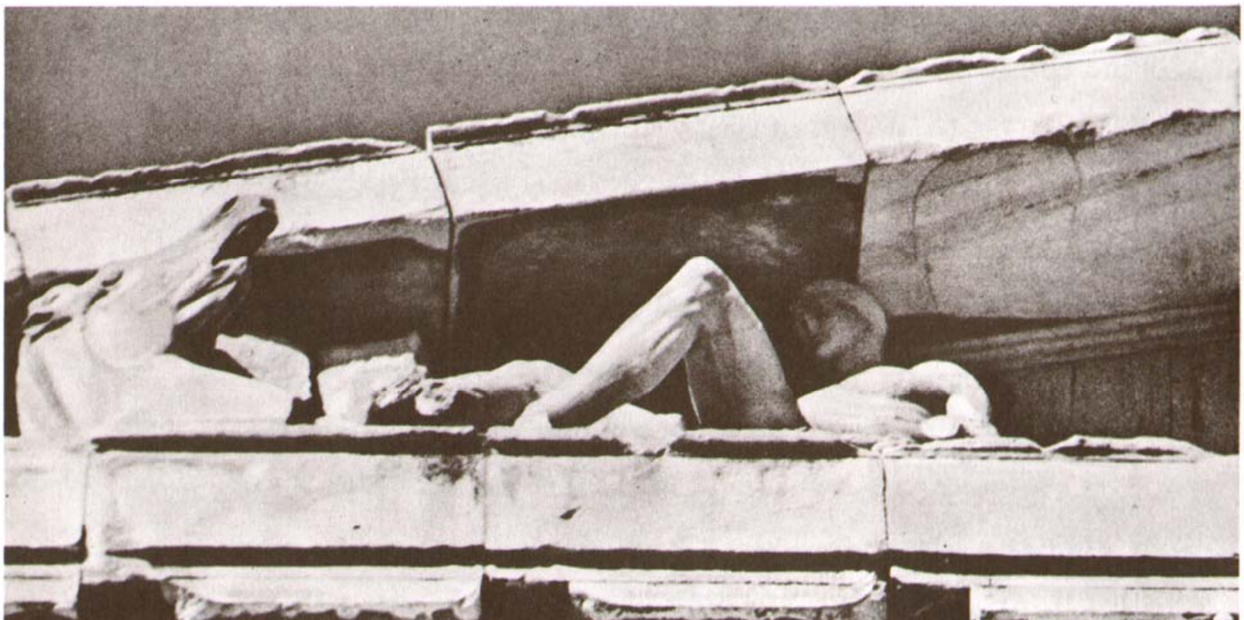

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

٢٢ ممارسة الدّيمقراطيّة

توطّد النظام الديمقراطي في اثينا ايام «كليستينس». وزاد في قابلية اثينا لممارسة هذا النظام ان النصر العسكري في سلامين عائد للبحرية، اي لفئة الفقراء، لا لفئة الاشراف. فلمس الجميع ضعف الاشراف وضآلة دورهم في القضايا المصيرية، ففقدوا معظم نفوذهم وحل محله نفوذ الفئات الشعبية. هكذا تهيأت الظروف لممارسة الديمقراطية على اتم وجوهها بالنسبة لذلك العصر.

السلطات التشريعية سرى في اثينا «حكم القوانين لا حكم الناس»، اي حكم المجالس التشريعية لا حكم الافراد. وتعددت المجالس وتفاوتت من حيث التمثيل الوطني والطبقي ومن حيث السلطات التي انيطت بكل منها. وكان ابرزها الجمعية العامة أو «الاكليزيا».

أ – «الأكليزيا» انشأها «كليستينس»، وتساوى في عضويتها جميع «المواطنين» الراشدين. فاشتركوا في مناقشاتها. وتلتئم هذه الجمعية اربع مرات في الشهر على تلّة مواجهة للأكروپوليس تدعى «پنيكس» (Pnyx) وتفتتح جلساتها عندَ الفجر، وتؤجل اذا حصل خسوف او كسوف او زلزال او عاصفة لانها الاشارة الى غضب الآلهة. وقليلًا ما كان يكتمل النصاب، فلا يتعدّى الحضور الثلاثة آلاف من اصل اربعين الفًا. فالمتخلفون هم عادة الفقراء لذا عمدت الدولة الى دفع تعويضات لقاء ترك العمل والحضور الى الجمعية. وهذا ما شجّع بدوره حضور العاطلين عن العمل والمتسكعين في الشوارع. ونظرًا لقلة عدد الحاضرين لم يشعر الاثينيون يومًا بانهم بحاجة الى ممثلين عنهم كما هي الحال في مجالسنا التشريعية اليوم.

ومهمة هذه الجمعية التصويت على القوانين ومراسيم تنفيذها، وانتخاب القادة العسكريين (ستراتيجوس) والقضاة ومراقبة اعمالهم. فتقترح القوانين، وتحتدم المناقشات لان من حق الجميع ان يدلوا بآرائهم. وهذا ما سهّل للمفوهين ان يستفيدوا من الانطباعات التي يتركها كلامهم في نفوس الحضور،

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

ليتوصلوا الى الحكم. هكذا كان شأن «بيريكليس». ثم يجري التصويت برفع الايدي. واذا دعت الضرورة، عمدوا الى الاقتراع السرّي. واذا ثبت فيما بعد ان احد التشريعات كان مُضِرًا او خطرًا، اقترح الحضور معاقبة صاحب الفكرة. وفي هذا نفع جليل لانه يفرض التروّي، ويمنع التسرُّع في التشريع.

والاكليزيا منبر حرٌّ للمعارضة ايضًا. فتُوَجَّه الانتقادات لذوي السلطة علنًا. وقد يتعرض القادة للنفي اذا طرح للتصويت السؤال التالي: «هل من بينكم رجل تظنونه شديد الخطر على الدولة؟ واذا كان فمن هو هذا الرجل؟». واذا توفر ستة آلاف صوت او اكثر نفي القائد لمدة عشر سنوات. فكانت تلك طريقة لقطع «أطول السنابل». وانما طوال الفترة التي عُمِلَ فيها بموجب هذا القانون (اي تسعين عامًا) لم يُنْفَ إلا عشرة اشخاص من بينهم «كليستينس» منشئ «الأكليزيا». (انظر ص ١٥١).

٢ – مجلس الأعيان (Boulê) انشأه «سولون» ارضاءً للبرجوازيين، لانه يضم ممثلين عن الاشراف وكبار التجار معًا. عدد اعضائه خمسماية لذا عرف باسم مجلس الخمسماية. يفترض في اعضائه ان يكون قد اكمل كل منهم الثلاثين سنة. وقد تمثلت في هذا المجلس كل من القبائل العشر بخمسين عضوًا (هذا التقسيم عائد الى ايام كليستينس حيث جعل البلاد ماية دائرة والسكان عشر قبائل). ينتخبون بالقرعة وبالدور. وهذا يعني ان الجميع ينتظر دوره دون تمييز.

ولتيسير الاعمال قسم المجلس نفسه في عشر لجان، تضم كل منها خمسين عضوًا. ومهمة هذه اللجان تحضير اعمال «الأكليزيا»، وصياغة المشاريع، واعداد نصوص القوانين التي تصوت عليها «الأكليزيا»، ومراقبة اعمال القادة والاراخنة والقضاة، والاشراف على الموظفين، والحسابات والانفاق على المباني العامة، والسياسة الداخلية والخارجية. فكأن مجلس الاعيان هذا يمارس السلطات الفعلية في البلاد. ولكنها سلطات خاضعة لمصادقة «الأكليزيا» في النهاية.

٣ – رئاسة السلطة التشريعية يستنتج مما تقدم ان مجلس الاعيان او الخمسماية اضحى عشر لجان تشريعية مكملة للأكليزيا، بل اكثر من ذلك: ان كل لجنة باستطاعتها ان تترأس السلطة التشريعية بأكملها. ذلك ان كلًّا من اللجان العشر تتولّى

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

مداورة رئاسة الاكليزيا لمدة ٣٦ يومًا. وعند كل صباح تنصب اللجنة عليها رئيسًا، يصبح في الوقت عينه رئيسًا للجنة ورئيسًا لمجلس الخمسماية ورئيسًا للأكليزيا، أو بعبارة أخرى، يصبح رأس السلطة التشريعية في البلاد. فينفتح المجال امام كل مواطن في اثينا لان يتبوأ يومًا ما هذا المنصب الرفيع. ويمكن القول في النهاية ان المناقشات العامة في الاكليزيا، وعضوية مجلس الخمسماية، ورئاسة اللجنة، تؤلف جميعًا كيان الحكم الديمقراطي الذي عرفته اثينا.

السلطة التنفيذية وهي السلطات التي تُكلف تنفيذ القوانين والمراسيم الصادرة عن السلطة التشريعية، وقوامها:

أ – الأراخنة وعددهم تسعة كما كانوا في السابق. انّما لا مجال للمقارنة بما كانوا عليه من نفوذ في السابق، اي ساعة تسلطوا على الملك. بدأ نفوذهم يضعف عندما راقبهم الاشراف (يوپاتريد) عن طريق مجلس الاشراف او الاريوپاجوس. وبعد العام ٤٨٧ ق.م. حلّت القرعة محل الانتخاب في اختيار الاراخنة، منعًا للوصول الى هذا المنصب بالرشوة. وفرضت على المرشح شروط اخلاقية وجسدية، حتى لا يترشح لهذا المنصب إلا حسنو السيرة، كاملو الجسم. وبعد عام من التجربة يحق «للأرخون» ان يصبح عضوًا في الاريوپاجوس. أما اذا ساءت سيرته فيتعرض لعقوبات اقصاها الاعدام. وبذلك لم تبق هذه المرتبة وقفًا على الاشراف. (انظر ص ١٤٢).

واقتصرت اعمال الاراخنة في القرن الخامس قبل الميلاد على القضايا الدينية، كترؤّس الاحتفالات والمراسم، او قضايا اخرى جد ثانوية. وخضعت احكامهم للاستئناف امام البولي والهيلية (مجلس الشعب).

٢ – القادة العشرة نظرًا للدور العسكري والسياسي المناط بهم، كانوا يُنتقون بالانتخاب لا بالقرعة. ويتقدمهم في المرتبة القائد الاعلى، ويُسمّى «ستراتيجوس أُوتوكراتور»، وهو بذلك اول رجل في الدولة. واذا اظهر كفاءة لا مانع من اعادة انتخابه مرارًا. هكذا كان شأن «پيريكليس» الذي اعيد انتخابه اربع عشرة مرّة (من ٤٤٤ ق.م. الى ٤٢٩ ق.م). وبفضل هذا المنصب، اتيح للفرد المتسلط من بين القادة العشرة، ان يتيح للدولة استقرارًا في الاوضاع والسياسة،

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

واستمرارًا في التخطيط غير متوفر في جو المجالس، حيث المناقشات والانتقادات والمعارضة مستمرة.

٣ – القضاة الآخرون والمقصود بهم غير الذين يهتمون بقضايا العدل، بل الذين يهتمون بالامن والضرائب والري والتخطيط المدني. أو بعبارة اخرى من يضطلعون باعباء الادارة. وقد بلغ عدد الموظفين الاداريين سبعماية، توزعوا على مختلف الادارات. ويعود الفضل الى «پيريكليس» في ادخال بعض التعديلات الديمقراطية على احوال الادارة. فبينما كان القضاة لا يتقاضون اي اجر في البدء، وهذا معناه ان هذه الوظيفة كانت وقفًا على الميسورين، قرَّر پيريكليس ان يعطي القاضي اجرًا ولو قليلًا؛ مما فتح المجال امام العامة لتولّي هذه المناصب.

السلطة القضائية

والمقصود بها هيئة القضاء العدلي من افراد ومحاكم اهمها «الأريوپاجوس» و «الهيلية» أو مجلس الاشراف ومجلس العامة.

١ – «الأريوپاجوس» في القرن الخامس، فقد هذا المجلس كل سلطاته السياسية، وتحوَّل الى محكمة. ولكنه حافظ على اعتباره، لان اعضاءه من الاراخنة السابقين، اي الذين يتمتعون بكفاءات جسدية واخلاقية عالية. واقتصرت فعالية هذا المجلس على اصدار احكام في قضايا الجرائم، والتسميم، والحرائق المتعمّدة. وسهر على قضايا الدين والتربية والاخلاق. (انظر ص ١٤٢).

٢ – مجلس الهيلية وقد انشأه «سولون» ليرضي الطبقات الفقيرة. عدد اعضائه ستة آلاف ينتخبون بالقرعة وبالدور من بين «المواطنين» الذين تجاوزت اعمارهم الثلاثين سنة. ينقسمون الى عشر فئات، في كل منها ستماية عضو او مُحلّف. وكانت كل فئة بمثابة محكمة شعبية. تستمع الى اقوال الشهود وتلفظ عن طريق التصويت، وفي خلال يوم واحد حتى لا تعم الرشوة، حكمًا غير قابل للاستئناف. ويستفاد من هذا ان سلطة الاريوپاجوس والاراخنة قد انتقلت في القرن الخامس الى مجلس العامة أو الهيلية.

٣ – الدفاع والعقوبات كان كلا المتداعيين امام المحاكم يلجأ الى اختيار رجل مفوّه ومتضلّع من القانون للدفاع عنه. وبدا ذلك ضروريًا، لان معظم القضاة لم يكونوا

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

أَوْفَر معرفة من المتداعين. اما في القضايا الصغرى، فيتفق المتداعيان على اختيار «مواطن» جاوز الستين من عمره، ليحل الخلاف فيما بينهما. واذا فشل في احلال الصلح اصدر حكمًا قابلًا للاستئناف امام المحكمة. وتُغَطّى نفقات المحاكم من الغرامات المفروضة على المُدان أو على المدّعي اذا عجز عن اثبات التهمة.

واتبعت المحاكم في اصدار احكامها المبدأ التالي: «يعاقب العبد في جسده والحر في ماله». وتفاوتت العقوبات بين الضرب، والغرامة، والحرمان من الحقوق السياسية، والنفي، والكي بالنار، ومصادرة الاموال، وفي اقصى الحالات: الاعدام، ونادرًا بالسجن. وينفذ الاعدام غالبًا بتقديم عصير «الشوكران» فيخدّر الجسم ويسمّمه تدريجيًا حتى يصل الى القلب، وهكذا مات سقراط.

حدود الديمقراطية الآثينية

اذا صح قول «تشرشل» بان الديمقراطيــة هي «أفضل النظم السيئة» فليس ثمة ديمقراطية كاملة، بل هناك ديمقراطية مناسبة. وهذا صحيح بالنسبة لاثينا آنذاك. فلنميّز بين حسنات وسيئات اول ديمقراطية عرفها العالم.

أ – حسناتها ان الاكليزيا قد فتحت الطريق امام جميع «مواطني» اثينا ليتبوّأوا أَسمى المراتب، دونما تمييز طبقي او مالي. فالكفاءة هي الشرط الاساسي، والاختيار عن طريق القرعة كان يَعِدُ الجميع بدور ما. ثم ان المناقشات المفتوحة امام الجميع هي غاية ما يصبو اليه اي نظام ديمقراطي. فغدا كل اثيني «مواطن» يستمتع بما لسواه من حقوق امام القانون، ويعلل النفس بالوصول يومًا ما الى مرتبة الحاكم او القاضي او القائد...

ب – سيّئاتها ولكن كلمة «مواطن» تعني فقط من ولد من ابوين اثينيين. فلم يتعدَّ عدد «المواطنين» البالغين من العمر ثلاثين عامًا الاربعين الفًا، من اصل ٣١٥ الفًا. معظمهم لا يحسن الكتابة، أو يجد صعوبة في الوصول من القرية الى «الاكليزيا» ليشترك في المناقشات. وهذه المناقشات اشترك فيها العاطلون عن العمل، طمعًا بالتعويض، اكثر مما اشترك فيها الفلّاحون. ثم اليست الاكليزيا منبرًا سهلًا للمفوّهين والمغامرين؟

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

من يُحرم حق الكلام في الا كليزيا ؟

« ... وكانت الجمعية تستمع الى من يطلبون الكلام حسب سنهم؛ ولكن كان يجوز حرمان اي عضو من مخاطبة الجمعية اذا ثبت انه لا يملك أرضًا، أو انه غير متزوج زواجًا شرعيًا، أو اهمل في القيام بواجبه نحو ابويه، او اساء الى الاخلاق العامة، او تهرب من القيام بالواجبات العسكرية، او القى درعه في احدى المعارك الحربية، أو انه مدين للدولة بضريبة او غيرها من المال. غير ان الخطباء المدربين وحدهم هم الذين كانوا يستخدمون حق الكلام لانه لم يكن من السهل حمل الجمعية على الاصغاء للمتكلمين. فقد كانت تضحك من الخطأ في نطق الالفاظ، وتحتج بصوت عال على الخروج عن موضوع النقاش، وتعبر عن موافقتها بالصراخ الشديد، والصفير والتصفيق باليدين، وعن عدم موافقتها التامة باحداث جلبة شديدة تضطر المتكلم الى النزول عن المنصة ... »

ديورانت ج ٧ ص ٢٤-٢٥

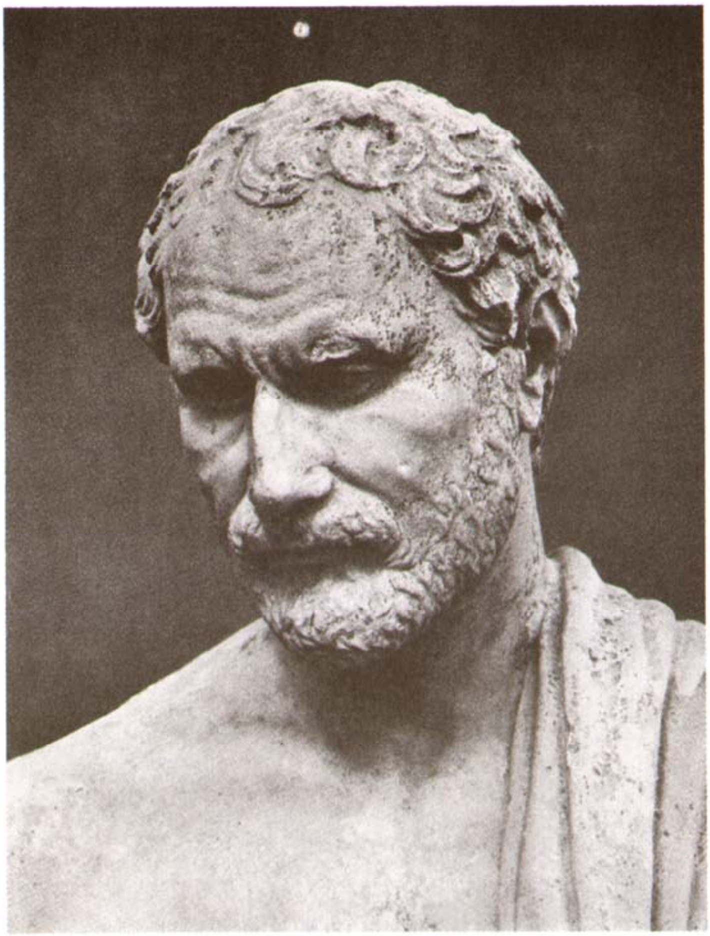

ديموستينيس ، اكبر خطباء الاغريق .

تلّة الاكروبوليس

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

٢٣ ديانة الإغريق

تبلور الديانة

أ – مصادر الديانة : لا نغالي اذا قلنا بان كل عائلة لدى الاغريق كان لها الهها الخاصّ توقد له في البيت نارًا لا تنطفئ. كذلك الامر بالنسبة للقبيلة او المدينة. فلا نعجب بعد ذلك إن عُدَّ الآلهة بالمئات. بعضهم اصيل والبعض الآخر دخيل حتى اضحى دين الاغريق مزيجًا من معتقدات شتى. ولما برزت الملحمتان المنسوبتان الى هوميروس في القرن التاسع، ثم قصائد هزيود في القرن السابع، اخذت المعتقدات تتبلور. وطغت شهرة آلهة الاولمب مع طغيان الفتوح الآخية والدورية، فتضاءل دور الآلهة الأُول ولكنهم لم يُحذفوا من سجل الآلهة نظرًا لبقائهم في ذهن العامة. وقد ينضم الآلهة الصغار الى الآلهة الكبار، فيذوبون فيهم ويكسبونهم صفات جديدة كانضمام الجنيات لديونيسس اله الخمر والحور لبوسيدون اله البحار وارواح الغابات لارتميس الهة الغابات. ثم اخذت المعتقدات تتبلور تدريجيًا، لا سيما بعد ان تناول الفنانون والشعراء الموضوعات الدينية المتعددة فصاغوا حولها اساطير جذّابة اعطتها شكلها النهائي.

ب – الميتولوجيا : وتلك الاساطير تعرف بالميتولوجيا. وتتكلم عن خلق الكون، واصل الآلهة، وكفاحهم المستميت ضد العمالقة والطياطن حتى استقروا في النهاية. وبواسطة هذه الميتولوجيا حاول الاغريق ان يفسروا في الاسطورة ما تعذّر عليهم فهمه في الواقع.

الآلهة

ميزت الميتولوجيا الاغريقية بين الآلهة والابطال وجعلتهم على مراتب. فثمة آلهة الاولمب وآلهة البحر وآلهة الارض وجوفها. والاولمپ هو اعلى جبال اليونان وبالتالي عرش زفس ملك الآلهة – وقد اقتسم زفس العالم مع اخوته فكانت السماء من نصيبه والبحار من نصيب اخيه پوسيدون وباطن الارض من نصيب هيديز. ولا مجال هنا لذكر الآلهة جميعًا بل بالامكان مراجعتهم مقابل هذا النص.

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

تمثال اثينا

آلهة الاغريق

وأهمهم يقسم الى فئات ثلاث

١ً – آلهة الاولمب: وعلى رأسهم زفس، إله السماء والرعد والصواعق، والعواصف، تلازمه على الاولمب عائلته المؤلفة من زوجته وابنائه الثلاثة وبناته الثلاث:

أ – «هيرا»: زوجة زفس الشرعية وشقيقته، صعبة المراس، ولكنها مثال ربة العائلة.

ب – «أثينا»: ابنة زفس، ولدت من رأسه مدججة بالسلاح. إلهة الحكمة والحرب والذكاء وشفيعة مدينة أثينا.

ج – «أرتميس»: وتمثل بالقمر لانها إلهة النور الليلي. إلهة الصيد والغابات. لم يترك لها شغفها بالحيوانات مجالاً لحب الرجال.

د – «ابولون»: ابن زفس وإله الشمس والموسيقى والشعر. سهام قوسه لا تخطئ.

هـ – «هرمس»: إله المسافرين والتجار. رسول زفس وسيد الرياضيين. ولدت له «أفروديت» ولدًا خنثى سمياه «هرمافروديت».

و – «آريس»: إله الحرب وعشيق «أفروديت».

ز – «أفروديت»: إلهة الحب والجمال. خُلقت من زبد البحر. زواجها غير موفق، فتصرفت حسب اهوائها.

ح – «هيفايستوس»: ابن زفس، القى به ابوه من اعلى جبل الاولمب في احدى ساعات غضبه، فاضحى اعرج. إله الحدادين وزوج غير كفوء لأفروديت.

٢ً – آلهة البحر: على رأسهم «پوسيدون» شقيق زفس، تنفتح امامه ابواب البحار. عربته وخيلها البيضاء تثير زبد البحر. يعصف في الاصداف فيدوّي صوت الموج.

٣ً – آلهة الارض وجوفها

أ – «هيديز»: شقيق زفس، يحكم على جوف الارض وعالم الاموات.

ب – «ديميتر»: شقيقة زفس وإلهة الزرع والثمار. فيها تتمثل الارض الأم.

ج – «ديونيسوس»: إله الخمر. قُبل في الاولمب في آخر ايامه. تحتفل النساء في عيده بالسكر والنشوة.

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

وآلهة اليونان صورة مكبرة عن الانسان ان في شعورهم او في حاجاتهم، فهم يحبّون او يحقدون او يتألمون. وليسوا كآلهة الشرق (مصر وما بين النهرين) عالمين بكل شيء وقادرين على كل شيء. ولكنهم يمتازون عن البشر بكونهم خالدين، وحياتهم مآدب متواصلة من الكوثر والشهد واجسادهم هي المثال الاعلى في الجمال. والملاحظ ان الاغريق ابتعدوا عن تأليه الحيوانات، واخضعوا آلهتهم لنظام البشر، فجعلوهم على مراتب يرئسهم زفس، عاجزين عن تبديل مصير البشر، بل هم انفسهم مسيّرون حسب حتمية تستبد بهم. ومن هنا التفاوت في مراتب الالوهية والقداسة بين آلهة الشرق وآلهة الاغريق. وهو تفاوت عائد لذهنية الشعبين قبل كل شيء.

الابطال في ملحمتي هوميروس احيط «الابطال» بهالة من القدسية والاعتبار. والابطال حسب هوميروس من اصل بشري، اما حسب هزيود فقد ولدوا من علاقة نشأت بين آلهة وبشر، شأن هِرَكْليس الذي انجبه كبير الآلهة زفس من امرأة تدعى أَلْكْمِيْن، فغارت من هذه العلاقة الإلهة هيرا زوجة زفس وشقيقته في آن معًا فارسلت لهركليس افعيين ولكنه قضى عليهما. وبعد اعمالٍ خارقة غدا هركليس اشهر ابطال الاغريق. (انظر ص ١٥٩).

وتكاثر عدد الابطال بتكاثر المدن. اذ اتخذت كل منها بطلًا تقدسه لأنه مؤسّسها، مثل تيزيه (Thésée) منشئ اثينا واوديب(Œdipe)منشئ طيبه.

العبادة مرت العبادة لدى الاغريق بثلاث مراحل: اولاها، ارضية سبقت هوميروس عُبد فيها آلهة ما تحت الأرض وشاعت بين الفقراء، والثانية اولبية عاصرت هوميروس، عُبد اثناءها آلهة الاولب وشاعت بين الاغنياء، والثالثة صوفية عُبد فيها آلهة بعثوا من الموت وشاعت بين فئة من العامة.

أ – المرحلة الأرضية: ففي المرحلة الاولى كانت الاحتفالات بسيطة يقوم فيها رب البيت بدور الكاهن، فيضع على مذبح بيتي تقادم يومية، اذا كان ميسورًا. اما معدمو الحال فيقومون بمراسم اسبوعية يكرم فيها اقرب الموتى، بان توضع على مثواه الزهور او تُسْكَب الطيوب. ويستغني الفقراء، في تكريم ارواح موتاهم، عن الشعلة الدائمة لعدم تمكنهم من

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

الاحتفاظ بها. على ان هذه العادات وان كانت قديمة فقد ظل الاغريق محافظين عليها.

ب – المرحلة الاولمبية: وبعد تبلور المعتقدات شاعت عبادة آلهة الاولمپ، ولعبت دورها كل من الالياذة والاوذيسة اولًا واشعار هزيود ثانيًا في وضع المراتب النهائية للآلهة. وبنيت المعابد وتسابقت المدن في تكريم آلهتها. واقتصرت الطقوس على سكب الطيوب او الزيت او الخمر وتقديم الاضاحي من حيوانات تشوى فتزكي برائحتها أنوف الآلهة. وتجري المراسم الدينية في الهواء الطلق خارج المعبد لانه حرم الإله لا يمكن لاحد ان يلجه الا القادة والكهنة. والكهنة اشخاص ينتخبون من بين المواطنين لفترة معيّنة ولم يشكّلوا طبقة مستقلة. والدخول الى الهيكل يفترض شكليات تتعلق بالتطهّر من وعاء ماء نظيف يوضع في باب الهيكل.

ج – المرحلة الصوفية: وفي عهد پيريكليس، دخلت معتقدات الاغريق طورًا صوفيًا يسمو بالروح للتخلص من سلطان الجسد. وظلّت هذه المعتقدات سرًا لم تعرفه الا النخبة المختارة. وطقوس هذه العبادة كناية عن مسرحية ترمز الى عذاب ديونيسوس إله الخمر ثم موته فبعثه او ترمز الى الزواج بين الإله زفس وديمتر (Déméter) إلهة الارض فتولد من هذا الزواج سنبلة هي عنوان الخصب، ثم ينتقل المتعبدون الى كهوف مظلمة تمثل الجحيم ثم الى غرفة متلألئة بالانوار فيها تماثيل يراها المتعبدون لاول مرة فيسترسلون في نشوة تمثل اتحادهم مع الاله فكأنهم في احدى الشطحات الصوفية.

وعن طريق الشرق وصلت الى اليونان اسطورة اورفيوس التراقي الشاب الكامل او الإله، وتفيد تعاليم الاورفيين بان الروح تذهب بعد الموت الى الجحيم حيث يحاسبها آلهة العالم السفلي. والترانيم والطقوس الاورفية ترشد المتعبدين الى طريقة تخلّصهم في الحساب النهائي كما يساعد كتاب الموتى المصريين عند مثولهم امام الإله اوزيريس.

وتعددت الافكار الجديدة وبرزت من بينها فكرة التناسخ في الارواح، فتولد الروح مرة بعد مرة وتتقمص باستمرار حتى تتطهر. وثمة فكرة اخرى جعلت لتبعث الامل في قلوب الموتى، وخلاصتها ان عقاب الميت في الجحيم قد يقصر او يتوقف اذا كفر عن ذنبه قبل الموت او اذا كفر عنه اصدقاؤه

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

بعد موته. وهذه الكفارة عن الخطايا قادت الاغريق منذ القديم الى ابتداع صكوك غفران هاجمها افلاطون قبل ان يهاجمها لوثير في الكنيسة المسيحية. حتى اذا تم الخلاص لنفوس الاخيار قطنت جزائر المنعمين بينما نفوس الاشرار تسام العذاب في اماكن رهيبة تحيط بها انهار سوداء موبوءة تدعى الترتار.

النبوءات اهتم الاغريق بمعرفة الغيب والرضوخ لمشيئة الآلهة. عند حلول محنة او قبل خوض معركة يتوجه الافراد الى الهيكل، كهيكل ابولون مثلًا في جزيرة ديلوس او في دلفس وسط اليونـان حيث الكاهنة پيتيا تنقل إرادة الآلهة. وانيطت هذه المهمّة بالكاهنة الأنثى لاعتقاد الاغريق بان المرأة اكثر استعدادًا لتلقي الوحي من الرجل. ولكن هذا لا يمنع ان يشتهر متنبئون من الذكور.

وتجلس الكاهنة على مقعد مثلث القوائم فوق شق في الارض تحت الهيكل. فيصعد من الشق غاز كريه تستنشقه الكاهنة وتأخذ في مضغ اوراق الغار فتتخدّر وترتجف وتستسلم لغيبوبة. وينزل عليها الوحي، فتنطق بالفاظ متقطعة ينقلها الكهنة للشعب. ولكنها الفاظ غامضة قابلة لشتى التأويل، بحيث يجد فيها كل سائل ما يريد. وتحفظ معها كرامة النبوءة. خاصة اذا لعبت الرشوة دورها.

ولم تكن النبوءات وقفًا على كاهنات الهياكل فقط فبعضهنَّ كنَّ جوّالات طفنَ كل بلاد اليونان وقرعنَ ابواب الاغنياء بنوع خاص.

الاعياد قال ارستوفانيس اشهر الكتاب الساخرين آنذاك «ألا ما اكثر ما يقدم الى الآلهة من ضحايا، وما اكثر ما يقام لهم من هياكل وتماثيل... ومواكب مقدسة! انا لنشهد في كل ساعة من ساعات العام اعيادًا دينيّة وضحايا عليها اكاليل من الزهر، تقرب للآلهة». وهذه العبارات تصوّر الواقع كما كان. وفضل هذه الاعياد انها افلحت في تخفيف متاعب الحياة لا سيّما وانها اقترنت بمباريات رياضية وتمثيليات. واسهم الاغنياء في انجاح هذه الاعياد بما كانوا يقدّمون من اموال. ولمّا كان الامر لبريكليس كانت الدولة تدفع للعامة نفقات حضور المسرحيات.

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

اثينيات في عيد اثينا

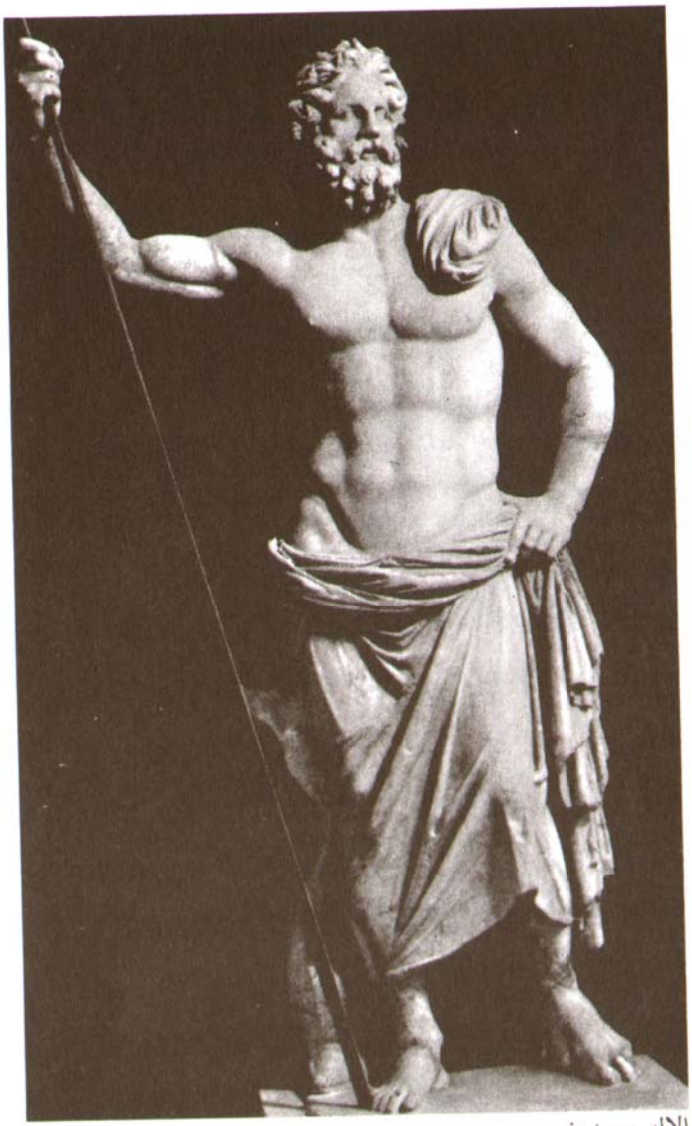

الإله پوسيدون

مدرّج ديونيسوس

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

وتنافست المُدن الاغريقية في اكساب اعيادها ابهى الحلل مثل دلوس ودلفس وكورنثة. ولكن اكثرها رونقًا كانت اعياد اثينا. فتسير المواكب يتوسطها مركب عليه تمثال الالهة اثينا مرتدية ثوبًا فضفاضًا طرزته ايدي بنات الاشراف. وصورة هذه الاحتفالات لا تزال متمثلة في نقوش معابد الاكروبوليس. وفي الربيع يعيّد الاثينيون لاله الخمر ديونيسوس فينصرف الجميع الى السكر، ويتبارون في الشراب حتى لا يرى الا السكارى.

ومنذ عام ٧٧٦ ق.م. اقترنت الاعياد الدينية بالعاب رياضية تقام كل اربع سنوات في منطقة اولمبيا تكريمًا للإله زفس، وتستمرّ خمسة أيام. فيشترك فيها ممثلون عن كل بلاد اليونان. وتستعرض فيها جميع النشاطات الرياضية من سباق وقفز ورمي صحون وصراع وملاكمة. وفي نهاية هذه الالعاب الاولمبية توزع الجوائز على الفائزين في احتفالات دينية ووطنية، يكلل اثناءها المجلون. وتستقبلهم مدنهم كالابطال عند عودتهم، وتنظم في مدحهم الاشعار لان نصرهم هو بمثابة نصر للمدينة كلها.

وفي عام ٥٣٤ ق.م. اي في ايام پيسستراتوس جعلت المسرحيات جزءًا من الاعياد الدينيّة فاقيمت المسارح وتعددت، وكان اشهرها مسرح ديونيسوس شمالي الاكروپوليس.

خطر الفلسفة على الدين

شكك الكثيرون من عقلاء الاغريق بديانتهم ومعتقداتهم. فسقراط مثلًا دأب على تجاهل الآلهة. وجمع فيثاغورس وافلاطون بين الفلسفة والدين وشددا على قضية خلود النفس ليحثا الناس على حسن السيرة والاخلاق. وسخر يوريپيدس في مسرحياته من الآلهة، وانتهى الامر بان قضت الفلسفة، دون عمد، على ركائز هذا الدين المشترك.

والسبب في ذلك ان ذهنية الاغريق لم تصوّر الآلهة في مظهر قدسي بعيد عن المفهوم البشري، شأن مصر وبلاد ما بين النهرين. فما الاله إلا صورة مكبّرة عن الانسان، خاضع للحتمية عاجز عن اعطاء تعليل مقبول لمصير الانسان بعد موته. فانصرف المتشككون الى المنطق والفلسفة محاولين ايجاد التفسيرات؛ حتى اذا انكر الفكر صواب الديانة لم يترددوا في التصدي للآلهة والسخر منها. وما النزعة الاورفيَّة في المرحلة الصوفية إلا من بدع الشرق لا اليونان.

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

الإله زفس

ابولون ، إله الشمس

هراكليس
اكبر ابطال اليونان

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

٢٤ الآداب والفلسفة

الآداب

أ – زمن الملاحم الشعر اسبق في الادب من النثر. وكانت الملاحم في طليعة ما ظهر من الفنون الشعرية عند الاغريق. اما النثر فقد نشأ مع تطور العلوم والابحاث والتحاليل ومع الخطابة والتأريخ. وكانت الالياذة والاوذيسة المظهر الشامل لما آل اليه فن الملاحم. فقد سبقتهما محاولات عديدة غير مكتملة النضوج. ويشهد على ذلك اشارات متعددة في الملحمتين الى شعراء سبقوا هوميروس في هذا الميدان. هذا اذا صح ان هوميروس هو مؤلفهما لا جامعهما. والالياذة تروي قصة حرب طروادة، أو اليون، ومنها اشتق اسم الالياذة. اما الاوذيسة فتروي قصّة انسحاب الآخيين من آسية الصغرى. وزاد في قيمة هاتين الملحمتين كونهما معينًا خصبًا للإلهام. استوحى منهما الفنّانون موضوعاتهم، واستقى منهما المتعبدون اصول ديانتهم قبل ان تتطور.

٢ – الشعر الغنائي وخبت المحاولات الملحمية بعد هوميروس. إلى أن برز هزيود (٧٥٠–٧٠٠ ق.م) فصور الحياة الاغريقية في اشعاره. وبلور ما ورد من ذكر للآلهة والابطال في الملحمتين. وهيّأت اشعاره الدينية اسباب نشوء الفن المسرحي فيما بعد. واعترى الحياة الادبية بعده ركود، حتى قام شاعر اهتم بالمبنى دون المعنى، ولحّن اشعاره وغنّاها هوپندار (٥١٨–٤٣٨ ق.م). فمدح العظام، وتغنى بالامجاد وفاخر بالبطولات. ومثله فعلت «سافو اللسبوسية» المعروفة باسم العاهر سافو. وما تسميته بالشعر الغنائي الا لانه ينشد على نغم القيثارة ولا يلقى القاء.

٣ – زمن المسرح من الاشعار الدينية التي كانت تروي قصة الآلهة انبثقت نواة الشعر المسرحي. وحلّت المسرحيات محل الاشعار كجزء من الاحتفالات الدينيّة. ثم شيّدت المدرّجات، وأشهرها مسرح الإله ديونيسوس عند قدمي الاكروپوليس. وخلا المسرح من كل زخرف إلّا من تمثال الإله، وقد نصب هنالك ليستمتع بلذة التمثيل. ولبس ممثلو المآسي جلد الماعز (ومن هنا اشتق اسمها تراجيديا) – واخفوا وجوههم باقنعة توحي الرصانة والاسى. بينما ممثلو الملهاة لبسوا قناعًا مضحكًا يثير السخر والاستهزاء، ينزعونه احيانًا اذا رأوا ان تقاسيم الوجه

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

من مسرحية الغمام لأرستوفانيس

سقراط : وبأي الآلهة تقسمون ، لان الآلهة ليست من العملة الرائجة عندنا؟ (ويشير سقراط الى فرقة المرتلين في مسرحية السحب) إن هؤلاء هم الآلهة الحقيقيون.

استر پسياديز : لكن قل لي ، ألا تؤمن بزفس؟

سقراط : ليس لزفس وجود.

استر پسياديز : ومن الذي ينزل المطر اذًا؟

سقراط : هذه السحب ، فهل رأيت مطرًا ينزل من غير سحاب؟ ولو ان زفس كان هو الذي ينزل المطر لأنزله في الجو الصحو.

استر پسياديز : ولكن قل لي من الذي يرسل الرعد؟ ان جسمي ليرتجف منه.

سقراط : ان هذه السحب في اندفاعها تحدث الرعد.

استر پسياديز : كيف؟

سقراط : اذا امتلأت بالماء واندفعت في سيرها تساقطت بقوة عنيفة بعضها على بعض واحدثت هذه القعقعة.

استر پسياديز : ولكن من الذي يسوقها؟ أليس هو زفس؟

سقراط : كلَّا ، بل تسوقها الدوامة الاثيرية.

استر پسياديز : اذًا فاعظم الآلهة كلها هي الدوامة. ولكن ما الذي يحدث قعقعة الرعد؟

سقراط : سأعلمك من حالتك انت نفسك. الم يحدث لك مرة ان امتلأت بالطعام في احدى الولائم ، ثم اضطربت معدتك فحدثت في داخلك كركرة؟.

ديورانت – «قصة الحضارة».

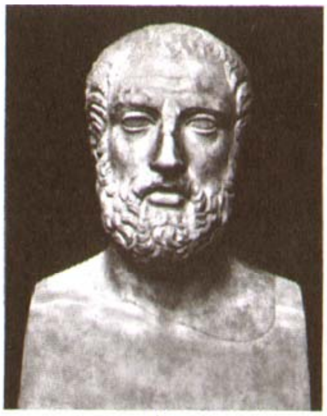

ارستوفانيس

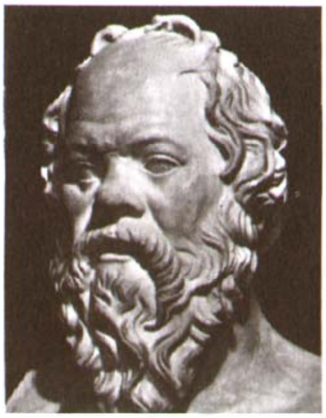

سقراط

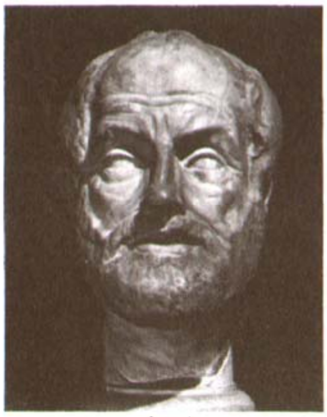

ارسطو

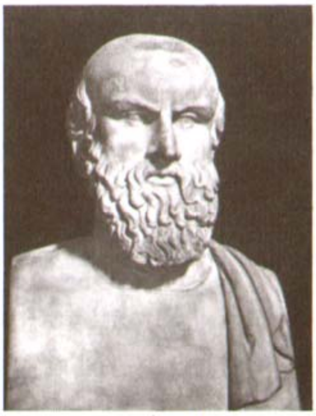

اسخيلوس

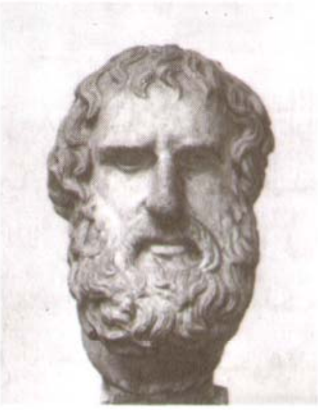

يوريبيدس

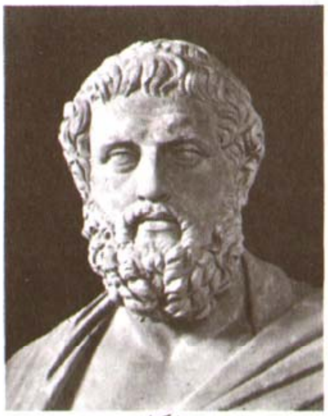

سوفوكليس

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

او حركاته اوفى تعبيرًا. وحافظت المسرحيات، المآسي منها بنوع خاص، على رقي مستواها نتيجة لمنشإها الديني. ووصلت الى الذروة مع سوفوكليس. وعلّق النظارة على هذه التمثيليات اهمية بالغة. فاذا اخفق الممثل رجموه بالحجارة. وقد يتعرض كاتب المسرحية للخطر اذا ظن النظارة انه افشى سرًا دينيًا في مسرحيته، وهذا ما حدث مرة لاسخيلوس. ولم يستحِ الممثلون احيانًا في تعبئة الانصار ليصفقوا لهم. بينما الممثلون الهزليون يرمون الحضور بالبندق ليهدأوا أو ليصفقوا. ولا تلام النظارة في ذلك، لان التمثيل يبدأ منذ الفجر حتى الغروب ولمدة ثلاثة ايام. فيجب على واضع المسرحية والممثل ان يبتعدا عن الابتذال حتى لا يسأم الحضور. وأشهر من وضعوا المسرحيات كانوا:

أسخيلوس: (٥٢٥–٤٥٦ ق.م): وهو اول المجلّين في الادب المسرحي. اشترك في معركتي المراتون وسلامين. واوحى اليه النصر البحري في سلامين موضوع مسرحيته الشهيرة «الفرس». كتب سبعين مسرحية لم يرق الينا منها الا سبع فقط. اخرج مسرحيته الاولى وله من العمر خمسة وعشرون عامًا. ودأب في مسرحياته على التحليل. وسلط القدر على ابطاله كعنصر اساسي في المسرحية.

سوفوكليس: (٤٩٥–٤٠٦ ق.م.): برز سوفوكليس في ايام پيركليس. واستطاع ان ينافس اسخيلوس، وينتزع منه الجائزة الاولى عام ٤٦٨ ق.م. وتجلّت مقدرته في مجالات اخرى كالمصارعة والموسيقى. وقلّما اجتمعت هذه الكفاءات في شخص واحد. واضحى صديقًا مقرّبًا من پيركليس. وشغل منصب الكاهن مرارًا. كتب ١١٨ مسرحية ونال الجائزة الاولى على مسرح ديونيسوس ١٨ مرة. واعتنى في مسرحياته بتحليل العقد النفسية والغرامية. واشهر مسرحياته «اوديپ ملكًا».

يوريبيدس: (٤٨٠–٤٠٦ ق.م): اراد يوريپيدس ان يكون فيلسوفًا، فكان شاعرًا مسرحيًا. اشتدّت اواصر صداقته لسقراط، وشاركه السخر من الآلهة، حتى ظن الناس ان لسقراط يدًا في هذه المسرحيات. وشدد يوريپيدس على دور الانسان متجاهلًا الآلهة، ولكنه، على شهرته، بقي مقصرًا عن مرتبة سابقيه. وبلغ مجموع ما كتب ٧٥ مسرحية وصلنا منها ١٨ كاملة. واشهر مسرحياته «اندروماك».

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

أريستوفانيس: (٤٤٥-٤٠٦ ق.م): هو اشهر من كتب ملهاة في اثينا. وجاء فنه «مزيجًا من الجمال والحكمة والقذارة». فهو فنان ومفكر يتعمد الاقذاع في كتاباته. شهد حروب اثينا واسبارطة وتألم لها (انظر فصل هلينة الشرق). فكانت اشهر مسرحياته «السلم». وهاجم سقراط في مسرحية «الغمام». وتردد صدى تهجمه على سقراط في الجيل اللاحق فكلف سقراط غاليًا. وانتقد القادة الذين خلفوا پيريكليس حتى لم يجرؤ ممثل على تمثيل هذا الدور، فمثّله بنفسه. وهاجم انحلال الاخلاق نتيجة للديموقراطية والخروج على الدين.

٤ً - التأريخ لُقِّب هيرودوتس بابي التاريخ. فالذين سبقوه في هذا المضمار كانوا اقل منه شأنًا. وقد ولد هيرودوتس في ايونيه (٤٨٤-٤٢٥ ق.م) وعاش في اثينا. زار بلاد الشرق بعد الحروب الميدية، وعاد يصف ويؤرخ. واحتلّت كتاباته مركزًا لائقًا، نظرًا لسهولة أسلوبه وبساطة تعبيره. لكنّه خلطَ بين الواقع والاسطورة. وقدّم للقرّاء كتابه بالعبارات التالية: «هذا عرض لبحوث هيرودوتس يقصد ألَّا يمحو الزمان ما قام به الهلينيون والبرابرة من اعمال مجيدة عجيبة، ويقصد به بنوع خاص، ألَّا تُنسى الاسباب التي من اجلها شنوا الحرب بعضهم على بعض...».

ومؤرخ آخر عاصر پيريكليس هو «توسّيديدس» (٤٦٠-٣٩٥ ق.م). وهو مرجع ثقة عن عصره وعن حرب الپيلوپونيز وقد امتدح توسيديدس النظام الديمقراطي في اثينا، دون ان يغفل عن مساوئه. وعالج القضايا بمنطق سليم حتى برَّ هيرودوتس باشواط وعُدَّ بذلك اهمّ ناثري الاغريق واكبر مؤرخي العالم القديم. قدّم تاريخه بالعبارات التالية: «كتب توسيديدس - وهو رجل اثيني - تاريخ الحرب التي دارت رحاها بين الپيلوپونيز والاثينيين، من ساعة ان اشتعلت نارها. وكان يعتقد انها حرب خطيرة الشأن، اجدر بالرواية من اية حرب سبقتها..». وكان صادقًا في اعتقاده.

٥ً - الخطابة عن الحرية السياسية، وعن التنظيم الديموقراطي نجمت ضرورة الخطابة. فعلى تلة پنيكس، وفي اجتماعات الاكليزيا غدت الخطابة سبيلًا للإقناع والتأثير. وپيريكليس نفسه كان اول المفوّهين. واضحت الخطابة فنًا يُعلّم

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

على يد السفسطائيين. وكثرت الخطب وتنوّعت حسب المناسبات، دينية كانت ام اجتماعية ام سياسية. ولمع اسم ايزوقراط. ولكن الأشهر كان ديموستينيس (٣٨٤-٣٢٢ ق.م)، الذي بدأ بأن تغلّب على لثغة في لسانه. ودفعه شعوره الوطني ضد فيلبوس المقدوني ان خصص خطبه لتنبيه أبناء اثينا الى الخطر المقدوني. فعرفت خطبه باسم الفيليبيات. ولكن بلاغته لم تقنع الاثينيين إلّا بعد فوات الاوان.

٦ - الأمثال وهي قصص وأمثال اوردها ايزوب (٦٢٠-٥٢٠ ق.م) على لسان الحيوانات. وعنه اخذ لافونتين الفرنسي. وتنتهي قِصصُه دائمًا بمغزى اجتماعي واخلاقي. وقد يكون ايزوب نفسه قد اقتبس هذا الفنّ الأدبي عن الاراميين. لان هذه الظاهرة لم تقتصر على شعبٍ واحد أو على بلدٍ معين. فقد رافقت جميع الحضارات، وبنوع أخصّ حضارات الشرق الاقصى (كليلة ودمنة).

الفلسفة

ساعة برز أدب اليونان كان الفكر من مصادر وَحْي هذا الادب. والأُدباء كانوا من المفكّرين، فشغفوا بتعليل الاشياء والتفتيش عن الحقيقة والسعي للمعرفة. لان ديانتهم لم تضمن الاستقرار للقلق النفسي. وما وجد الشرقيون، من مصريين وساميين، تفسيره في العقيدة، حاول الاغريق تعليله عن طريق الفلسفة والفكر. وهذا ما اثّر في الاتجاه الفلسفي عند الاغريق وابعده عن الدين كل البعد.

أ - الفلاسفة ونشأت المحاولات الفكرية الاولى في ايونيه. فبرز «طاليس» الذي ردّ الكون الى اصل مائي. و «انكسيمندر» الذي سبق داروين الى نظرية تطور الحياة. ثم «فيثاغوروس» الذي رأى في الاعداد نظامًا للوجود، وقال بالتناسخ. ولكنها جميعًا نظريات كسفتها اقوال سقراط وكتابات افلاطون وارسطو.

ولم يهتم **سقراط** (٤٦٩-٣٩٩ ق.م) بالدين او بما وراء الطبيعة او بتعليل الحياة ومنشإها، بل شغف بالسياسة وعلم الاخلاق. دليله في ذلك المنطق السليم. فتعرّض للديمقراطية حين رآها تحبّذ القرعة في اختيار الحكام، ومن هنا تفضيله النظام الارستقراطي على النظام الديمقراطي. ولكنه مع ذلك لم ينكر على الديمقراطية ما تتيحه من حرّية للافكار. ولولا هذه الحرّية لما استطاع هو نفسه ان يبث افكاره. وانقياده للعقل والمنطق جعله اخطر

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

الاشخاص على الدين والآلهة. وانتقاداته الدائمة جمعت من حوله عددًا ضخمًا من المتشككين. وحقد عليه الحاكم انيتوس لأن ابنه تبع سقراط. وتذكر الجميع تهجمات ارستوفانيس عليه، فوجّهت اليه التهمة التالية: «ان سقراط مذنب عام لانه لا يعترف بالآلهة التي تعترف بها الدولة، بل يدخل فيها كائنات شيطانية، وانه مذنب كذلك لانه افسد الشباب». وحكم عليه بالاعدام. ولكن من حاكموه ندموا في النهاية.

اما **افلاطون** (٤٢٧-٣٤٧ ق.م) فقد احب سقراط ورافقه حتى النهاية. وكان في الثامنة والعشرين عندما حُكم على معلمه بالموت. دوّن اقوال سقراط لان هذا «الثرثار» رفض ان يكتب. فصعب التمييز احيانًا بين افكار الرجلين. وفي كتاب «الجمهورية» تخيّل افلاطون افضل المجتمعات واسعدها. وتكلم عن عالم «المُثُل»؛ فقسم العالم الى قسمين: علويّ وسفليّ. واطلق على العلويّ اسم عالم المعقول أو المثل. والمثل حقائق ازلية ثابتة في كميّة محدودة لا تفسد ولا تزول، هي مبدأ الوجود والفكر. أما العالم السفليّ فيتضمن اشياء متعددة ومتغيّرة لها مثالها او صورتها المجردة عن المحسوس في عالم المُثُل. وما الانسان إلا الصورة الكليّة الشاملة لخصائص اشياء العالم السفليّ. ولم يَقِلّ افلاطون عن سقراط انكارًا لدين الاغريق وآلهتهم، واقترابًا من الله.

وارسطوطاليس أو **ارسطو** كما اعتدنا ان نسميه (٣٨٤-٣٢٢ ق.م)، كانت تعاليمه ردة فعل ضد المثل الافلاطونية. عرف مذهبه باسم المشائية لانه كان يعلم ماشيًا. وانطلق من الواقع ليصل الى الله علة الوجود، فخالف بذلك افلاطون الذي شاء ان يطبق عالم المُثُل على الارض. والنفس عند ارسطو ملازمة للجسد مرتبطة به فعارض بذلك نظرية التناسخ الفيثاغورية. وتعصب للمنطق فوضع «المنطق الشكلي». ورأى سعادة الانسان في الاتزان والتزام الموقف الوسط في كل القضايا والامور.

ومع العمالقة الثلاث، سقراط وافلاطون وارسطو، بلغت الفلسفة اليونانية ذروتها. وفاخر الاغريق بانهم انجبوا في عصر واحد ما عجزت عنه بقية العصور والامم. ولم يخبُ هذا التيار الفلسفي من بعد. ولمعت اسماء اخرى منها ابيقوروس (٣٤٢-٢٧٠ ق.م اي في العصر الهليني) الذي دعا

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

الى اللذة الحقيقية التي هي السعادة. وهذه السعادة نابعة من ترويض النفس وكبح جماحها، فتذهب بالم الجسد وقلق الفكر.

٢ً – السفسطائيون أو معلمو الحكمة

والمقصود بهم طائفة من العلماء الجوالين. يبثون تعاليمهم في كل مدينة حلوا فيها. اهتمّوا بالمنطق والعقل والبلاغة. فتتلمذ على ايديهم مشاهير من رجال السياسة. لأن بين السياسة والخطابة صلة وثيقة. ولكن الاجور التي تقاضوها مقابل تلقين دروس المنطق والبلاغة وفقه اللغة كانت باهظة. فلم يستفد منها إلّا الاثرياء. وقامت في وجههم معارضة شديدة. واضحت كلمة سفسطة مرادفة لكلمة كسب. واشهرهم كان پروتاغوراس الذي «آلى على نفسه ان يعلم تلاميذه التبصر والحذر وفنون البلاغة والكلام...». ولكن أرسطو رأى فيه «رجلًا يعد الناس بجعل أسوأ الاسباب يبدو كأنه احسنها». وهيپياس الألّيسي وضع بحوثًا في الهندسة والشعر والموسيقى والخطابة والادب والاخلاق والسياسة والتاريخ. فيكون السفسطائيون بفضل سعة مداركهم وسلاح المنطق هم الذين هيأوا لظهور افكار سقراط وافلاطون وارسطو. ولكن سقراط نفسه تهجّم عليهم قائلًا: «بانهم يموهون الخطأ بزخرف المنطق ويقنعون بقوة البلاغة». وأرسطو يرى في السفسطائي الرجل «الذي لا يحرص الا على الاثراء من وراء التظاهر بالحكمة». وايزوقراط الشهير بدأ بالتهجّم على السفسطائيين ثم ما لبث ان صار احدهم بعد ان اضحى استاذًا ناجحًا للبلاغة.

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

يوريبيدس يتهجم على الآلهة

«سيدرك الناس أن لا وجود لآلهة، وأن لا ضوء في السماء، اذا كان الباطل سيغلب الحق في آخر الأمر ... لا تقل ان في السماء زانيًا وزانية، وآلهة مسجونين وآلهة سجانين: لقد أحسّ قلبي من زمن بعيد ان هذه خسة ودناءة، ولن اتحول قط عن هذا الاحساس... انما هذه كلها أقاصيص كاذبة. ان هذه الارض، ارض السفاحين، قد خلعت على الآلهة ما تتصف به هي من جشع وشهوانية. والشر ليس مقره السماء... وهذه كلها اقاصيص ميتة آثمة من اختراع المغنين.»

وفي مكان آخر.

«هل في الناس من يقول ان في السماء آلهة؟ كلا! ليس في السماء آلهة، ليس فيها آلهة، لا تسمحوا لأحد هؤلاء الحمقى الذين غرّتهم هذه الخرافات الباطلة ان يخدعكم ويضللكم هذا الضلال. انظروا الى الحقائق في ذاتها، ولا تثقوا بكلماتي اكثر مما تستحق ان يوثق بها؛ اني اصارحكم ان الملوك يقتلون، وينهبون، ويحنثون في ايمانهم، ويخربون المدن زورًا وغدرًا، ولكنهم رغم هذه الآثام اسعد حالًا من الذين يحيون حياة هادئة ملؤها التقى والصلاح.»

ديورانت – «قصة الحضارة».

من مسرحيات اسخيلوس

غضب زفس على احد «الابطال» واسمه پروميثيوس، لانه عَلَّمَ الآدميين فن النار. فاوعز الى هيفايستوس ان يشده الى صخرة في جبال القفقاس ففعل. ثم انبرى هيفايستوس يخاطب پرميثيوس:

«يا ابن ثميس، يا حصيف الرأي، يا حكيم!
لقد كتب عليك ان تشد بالاغلال
الى هذه الصخرة العالية التي لا يرقاها انسان،
ولا تسمع فيها صوت آدمي،
أو ترى وجه احد ممن كنت تحبهم،
وحيث تذبل زهرة جمالك
محترقة في حر الشمس اللافح الصافي.
وسيقبل الليل مرصعًا بالنجوم
وتتسلّى بظلاله، فاذا طلعت الشمس
بددت بأشعتها صقيع الصباح؛
ولكن شعورك ببلواك يقض مضجعك.
إن هذا هو الذي تجنيه من حبك لبني الانسان.

ديورانت – «قصة الحضارة».

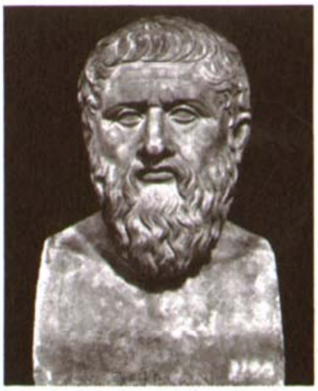
أفلاطون

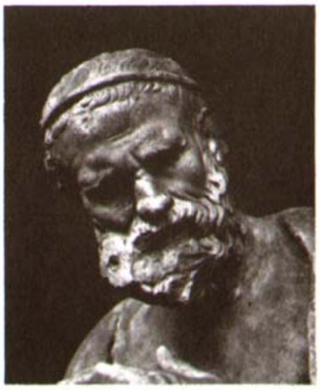
بندار

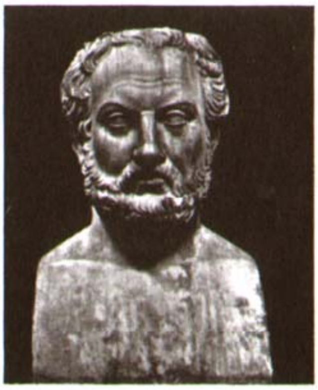
توسيديدس

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

٢٥ الحضارة الاغريقيّة
الفنون والعلوم

الفنون

أ - الخزف اخذ الاغريق صناعة الخزف عن جزيرة كريت. وهي صناعة رافقت مستلزمات الحياة قبل ان تصبح فنًا قائمًا بذاته. فثمة ضرورة حفظ الزيت والخمر والحبوب. وقد حدّت غزوات الدوريين من نشاط هذا الفن. ولكن الآخيين الهاربين من وجه الدوريين الى ايونيه روّجوا هذا الفن فازدهَرَ على يد ابناء ميليتس فصدروا الى العالم زهرياتهم. واشتهرت ساموس بمصنوعاتها الرخامية. وفاخرت كورنثه بقوارير الطيب. ومنذ اواخر القرن السادس لمع نجم اثينا، واحتكرت صناعة الخزف وبزّت جميع اقرانها. اما الموضوعات التي رسمت على الزهريات والاواني والقوارير فقد اقتبست من مصادر عدة، منها الالياذة والاوذيسة والميتولوجيا والحياة العامّة. وازدهت باللونَيْن الاحمر والأسود دون سواهما. وبرز في هذا المضمار اسما دوريس وبريغوس. (انظر ص ١٧٥).

٢ - فن العمارة ان ازدهار فن العمارة رهن بتوفر المال. واليسار المادّي تصحبه دائمًا نهضة عمران، لأن العمران نفسه ليس الا مظهرًا من مظاهر الغنى. ولم تعرف أثينا زمنًا سبق عهد پيسِستراتوس ازدهرت فيه الاوضاع الاقتصادية. فاقتصر بناء الهياكل، قبل ذلك، على الحجر العادي والخشب. وانما پيسِستراتوس هو اول من عمل بفكرة المشاريع الضخمة والمنشآت العامة. فلما خرجت اثينا مظفرة من الحروب الميدية صمّم پيريكليس على جعلها اروع مدن الاغريق على الاطلاق. فاقام المعابد لشكر الآلهة. وعدّد المنشآت. فأمّن العمل لجميع افراد الشعب من مواطنين وسواهم. وانفق اموال حلف ديلوس غير آبه لاصوات المعارضة قائلًا لهم في الجمعية: «حسن جدًا فلتذهب نفقات هذه المنشآت الى جيبي انا لا الى جيوبكم، ولينقش عليها اسمي لا اسمكم». فلما سمعوا قوله هذا نادوه بأعلى أصواتهم ان ينفق المال... فلم يخل شارع من ورشة بناء. وجرت المياه في الاقنية ورمّمت اسوار اثينا التي هدمها الفرس. واحيط الطريق المؤدّي من اسوار اثينا الى مرفأ الپيريه «بالجدارين الطويلين». اذ بلغ طول كل منهما سبعة كيلومترات. ولكن اشهر الابنية واجملها كانت معابد الاكروپوليس.

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

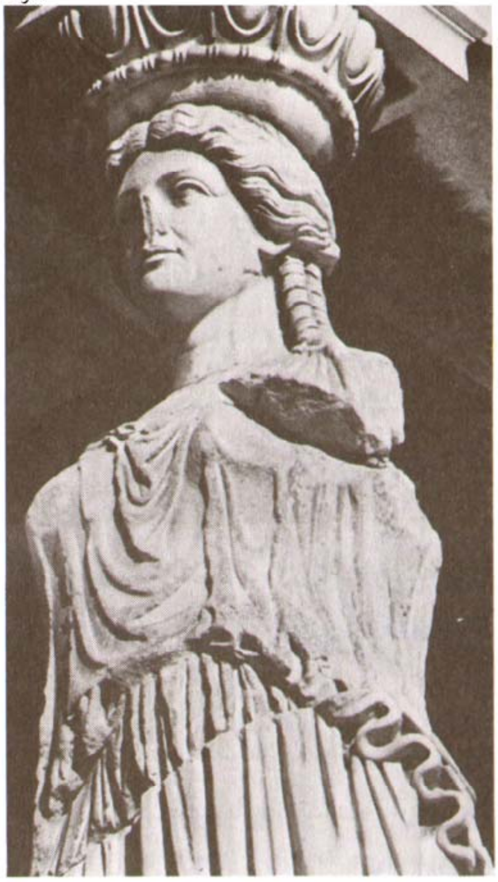

تمثال يقوم مقام عمود
في المنبر الخارجي لمعبد الايركتيون.

المنبر الخارجي لمعبد الايركتيون

معبد البرثينون، تحفة فيدياس الشهيرة اعمدته
من الطراز الدوري تعلوها نقوش تمثل اعياد اثينا.

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

٣ – الأكروپوليس هي تلة هضبية مجاورة لاثينا. فوق سطحها الممهد، وداخل اسوار مرتفعة هدمت مرارًا (على ايدي الفرس ثم الاسپارطيين)، اقيمت مجموعة من الابنية الدينية، اشهرها معبد البرتينون للإلهة اثينا. (انظر ص ١٥١).

والبرتينون من تصميم المهندس والنحات «فيدياس»، صديق پيريكليس والمولّج بأعمال العمران. ولم يشأ فيدياس ان يستحدث في تصميم هذا المعبد، بل فتش عن الكمال في التصاميم القديمة. ولم يظهر العظمة في كبر الحجم، فقد عرفت «اليونان الكبرى» معابد اكبر منه. ولكنه اتى تحفة هندسية ان من حيث رخامه أو من حيث انسجام الاعمدة الدورية وارتفاعها وحجمها. وبلغت الدقة في التفصيل ان تحاشى فيدياس كل ما يرى خطأ بالعين المجردة وان يكن صحيحًا من حيث القياس، مثلًا على ذلك ان اعمدة الزوايا نحتت اضخم قليلًا لتبدو للناظر بانها ليست ارفع من الاعمدة المجاورة. وكذلك أرض المعبد لم يجعلها فيدياس مسطحة افقية، بل مسلّطة الى الامام حتى لا تبدو ارض المعبد منخسفة في وسطها، وحتى تسيل المياه الى الخارج فلا تركد في الوسط. والمعبد جملة يقوم فوق مسطح في ثلاثة أدراج ليبرز مشرفًا على الارض المحيطة به. (انظر ص ١٦٩).

وتلفّ البرتينون من الخارج اعمدة «دورية» الطراز – وهي المسيطرة على فن البناء في القرن الخامس – اي مضلّعة دون قاعدة وبسيطة التاج. يتضخم حجمها في الوسط ويقل في اعلى. وتحمل من فوقها افاريز منحوتة، عمل في نقشها فيدياس نفسه، او تلاميذه تحت اشرافه. واختار فيدياس موضوعًا لنقوشه مراحل الاحتفالات بعيد اثينا، وقد طليت بعض واجهات المعبد بالوان زاهية، لكنها زالت مع الايام.

وفي ايام پيريكليس ايضًا تمَّ العمل في مدخل الاكروپوليس. وهو مدخل يدعى البروپيليا. أعمدته عالية لا تضايق دخول المركبات. ويحيط به بناءان عاليان يتبوأ احدهما، الى جهة اليمين، معبد صغير للإلهة اثينا (التي تهيّئ النصر).

وبعد پيريكليس استمر العمل في الاكروپوليس، وانجز معبد الايريكتيون. وابرز ما في هذا المعبد منبره الخارجي المسقوف. تحمل سقفه تماثيل نساء تقوم مقام الاعمدة. (انظر ص ١٦٩).

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

وليست هذه كل ابنية الاكروبوليس، بل انجحها. والميزة البارزة في فنّ العمارة الاغريقي هو تنوع اعمدته. فمنها الدوري الذي يزين البرتينون، ومنها الكورنثي وتاجه بشكل زهر الاكونتوس (زهر شوك اليهود)، ومنها الايوني ويمتاز بتاج له لولبان يلتفان على الجنبين. وخارج الاكروبوليس شيدت الملاعب الرياضية والمسارح، وانتشرت في كل انحاء اليونان، وصمّمت بشكل مدرجات ليتاح لجميع الحضور مشاهدة الالعاب والتمثيل. مع مراعاة وصول الاصوات الى آذان الجميع. (انظر ص ١٧٥).

٤ - النحت عن كريت ايضًا اخذ الاغريق فنّ النحت. فاستعملوا في البدء الخشب والمعادن الثمينة ثم البرونز. وفيما بعد ركّزوا اهتمامهم على الرخام. واتت نماذجهم الاولى خالية من كل حركة، خاضعة لمقاييس جامدة لا تتبدل شأن تماثيل الفراعنة. وبعد حكم الطغاة (بيسستراتس وابناه) برزت محاولات جديدة، همّها اضفاء الحركة على التماثيل. فابتعد الفنانون عن الاوضاع الجامدة فمثلوا الجسم متحركًا، منحنيًا لا منتصبًا، والذراعين والساقين منفتحتين. وهذا يعني المزيد من الحيويّة. فاعترت النحت مسحة من التجديد اهتمّت بدراسة «التشريح الحركي» ودأب الفنان على ابراز العضلات الهادئة المعبرة عن الجمال والتكامل الجسماني لا عن القوة. وعلت الوجوه مسحة من الهدوء المعبّر.

وحافظت التماثيل على مستوى رفيع من الجمال. وذلك نتيجة أمرين أوّلهما انها كانت تمثل الآلهة، وثانيهما إن مَن نحتت تماثيلهم من البشر كانوا من الابطال الرياضيين، اي من المتكاملين والمتناسقين جسمانيًا واذا مثّل الشخص بردائه، لم يكتف الفنان بتمثيل الرداء ليستر الجسم فقط ويختصر في التفاصيل، بل تعب على ثنايا الثوب ودرس تغضناته حتى يأتي الثوب نفسه آية في الابداع.

واول المجلّين في فن النحت كان ميرون وجمع في نماذجه بين الرشاقة الايونية ورجولة البيلوبونيز. فاذا نحت تمثال الرياضي تمثّله اثناء المباراة، اي في وضعية اللعب لا قبلها ولا بعدها، تلك حال «رامي القرص». وعن عجلته قال النقاد: «لا ينقصها الا الخوار».

اما «فيدياس» فكان الأشهر. وبالاضافة الى تصميمه البرتينون زيّنه

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

بالتماثيل كتمثال « اثينا پرتينون » ولم يسلم منه شيء بل ما وصل الينا هو نسخة عنه نحتها فيدياس نفسه وجعلها داخل الپرتينون. ونحت فيدياس تمثالًا آخر لاثينا نصبه بين الپروپيليا والايركيتيون. واكتفى احيانًا بالتصميم والإشراف ووكل الى تلاميذه امر التنفيذ.

وبرز غير فيدياس وميرون مشاهير عديدون مثل بركستيليس وليزيپ. وكثرت مدارس فنّ النحت، وتعددت الاسماء بحيث يضيق المجال لذكرها كلها هنا.

٥ً – الموسيقى ونذكر معها الغناء والرقص، لما بين الفنون الثلاثة من تلازم. وقد فرض على الشباب ان يستمروا في تلقن الموسيقى حتى سن الثلاثين. وعيب على الفرد اذا جهل مبادئ الموسيقى او قصّر في استعمال احدى آلاتها. ولازم التلحين مهنة الشاعر. فالقصيدة لا تلقى بل تلحّن وتغنى، هكذا فعل بندار وسافو. واشتقت تسمية الشعر الغنائي من اسم القيثارة وغدت الموسيقى من مستلزمات الحياة. فهي عنصر ضروري في كل المناسبات، فثمة الترانيم الدينية، وأهازيج النصر وأنغام المآتم والافراح والجوقات. ومن آلاتهم القيثارة والناي. وبعض العازفين استعمل نايين في آن واحد، احدهما رفيع النغمة يدعى الانثى، والآخر غليظ النغمة يدعى الذكر.

والاهتمام بالالحان والموسيقى يؤدّي حتمًا الى الشغف في الرقص. لا بل ان الراقص فُرِضَ عليه اصلًا ان يغنّي ويرقص في آن واحد. ولم يرَ الاغريق في الرقص عيبًا او منقصة. فسقراط كان يرجو ان يزيل سمنته عن طريق الرقص، لما يكسب الجسم من كمال وتناسق. وافلاطون يرى في الرقص: « الرغبة الفطرية في شرح الالفاظ بحركات الجسم كله ». وارسطو يصفه بانه « تقليد الاعمال، والاخلاق، والعواطف، بطريق اوضاع الجسم والحركات الايقاعية ».

واختلف الرقص التعبيري باختلاف المناسبات. فثمّة الرقص الديني في الاعياد، والرقص الرياضي، والرقص الحربي، والرقص الشعبي واخيرًا المباريات في الرقص.

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

العلوم

أً – الخصائص العلوم سبقت الفلسفة في الظهور. وكان مهدها الاول ايونيه. ثم تلازمتا حتى غدا العالم فيلسوفاً. وقد اعتبر الفلاسفة ان الوجود وحدة لا تتجزأ والالمام بجميع الحقائق – فلسفية كانت ام علمية – واجب في تعليل الاشياء. فلا عجب اذاً ان تكون الاسماء التي وردت معنا في دراسة الفلسفة هي نفسها البارزة في دنيا العلوم، وعلى سبيل المثال طاليس وفيثاغوروس...

٢ً – دور ايونيه وكانت ايونيه السبّاقة الى البروز بحكم موقعها، وبحكم الازدهار الذي حظيت به مدينة ميليتس بنوع خاص. في وقت كان الشرق قد بلور معلوماته ونسّقها وغربلها. فاستطاعت هذه المدينة الاغريقية ان تَطّلع على ما توصل اليه المصريون وشعوب ما بين النهرين. وصحَّ فيها القول: «حيث تلتقي الطرق، تلتقي كذلك الآراء والعقائد».

وامتازت علوم الاغريق بأنها لم تجعل لخدمة الحياة العَمَلية كما في الشرق. بل نجم معظمها عن اشباعٍ للفضول العلمي واصطبغ بالصبغة النظريّة. كل ذلك في سبيل تعليل الامور والوصول الى الحقيقة.

٣ً – المشاهير واشهر الاسماء في دنيا العلوم كانت:

طاليس: (٦٤٠–٥٤٦ ق.م): واول البارزين من علماء ايونيه هو طاليس الفينيقي المولد. انتقل الى ميليتس مرورًا بمصر، حيث تتلمذ على علمائِها. فادخل العلوم الفَلَكيّة والرياضيّة الى ايونيه. ونقى علم الفلك من شوائب التنجيم. واستطاع ان يتنبّأ بدقّة عن موعد كسوف الشمس (٢٨ ايار ٥٨٥ ق.م) فذاع صيته. وطوّر الهندسة النظريّة. ولا نزال ندرس بعض نظرياته الهندسية كقطر الدائرة وحساب المثلثات وحالات تساوي الزوايا. وكان أول من كتب في علم الطبيعة أي الفيزياء.

أنكسيمندر: (٦١١–٥٤٩ ق.م): تتلمذ على طاليس. وبرع في علم الفلك. صنع مزولة بيّن عليها حركة الكواكب وميل الفلك وتعاقب الفصول. لكنه قال بان الارض اسطوانة معلقة في وسط الكون. واشهر اعماله وضع خرائط علميّة. فتطوّر علم الجغرافية على يده. واضاف الى علم الجغرافية فيما بعد الرحّالون من امثال هيرودوتس ثم ايراتستينيس في الاسكندرية.

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

فيثاغوروس: (٥٨٠–٥٠٠ ق.م): عالم وفيلسوف ولد في ساموس. اهتمَّ بالفلك والهندسة والرياضيات. «وكان اكثر الباحثين مثابرة». زار مصر فاستقى علم الفلك. وعاد الى اليونان فانشأ مدرسة ذاع صيتُها. وبلغ من المثالية درجة فرضت احترامه على الجميع. فتعلَّق به تلامذته واقتدوا به. واكملوا ما بنى فطوّروا عِلمَ الهندسة النظريّة كالمتوازيات والمثلّثات والاشكال.

واهتمَّ بالفلسفة الى جانب اهتمامه بالعلم. «فاضحت كلمتا فيثاغوروس وفيلسوف مترادفتَيْن». وقال بالتناسخ فحرّم اكل اللحوم «لئلا يأكل احد من لحم اجداده». وبلغ من مزجه بين العلم والفلسفة ان اتخذ من «الاعداد» اساسًا لفلسفته.

ابو قراط: وهو المع الاسماء في عالم الطب. عنه اخذ الجميع. اعطى المهنة صفتها الانسانية قبل كل شيء. ووضع قَسَمًا فرضه على كل من اراد تعاطي هذه المهنة. اقام في عيادة لا يتنقل من مكان الى آخر.

اما الجراحة فقد بقيت مقصورة على كبار الاطباء. وان كان بعض موظفي الجيوش يتعاطونها ابّان الحرب. ولكنهم في كل الاحوال يتكلون على ما نصحت به كتب ابو قراط.

وكلامنا على العلوم قد اقتصر على مشاهير الاغريق قبل العصر الهليني. فثمة آخرون كان لهم الفضل في تطوير علوم العصر أو في التمهيد لاكتشافاتٍ علميةٍ دقيقةٍ كمعرفة حقيقة الكواكب ودوران الارض – وهيّأوا «لمتحف» الاسكندرية في العصر الهليني.

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

إناء من الخزف الاغريقي
وعليه رسم يمثل احدى بطولات هراكليس

إناء آخر من الخزف
وعليه رسم يمثل الذبيحة.

تاج عمود كورنثي

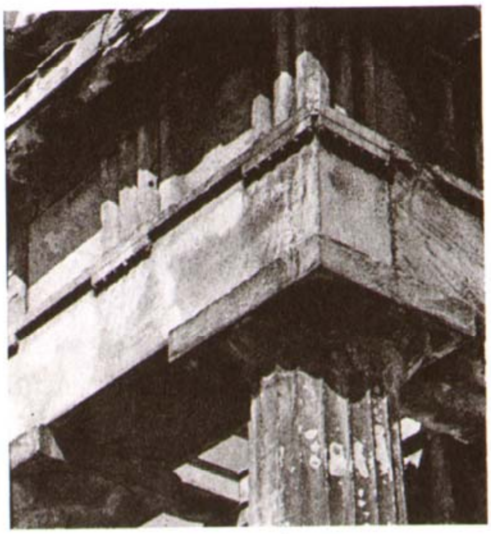

تاج عمود دوري

تاج عمود ايوني

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

هلينة الشّرق

المنازعات

١ – نفوذ اسبارطة الم يكن في عالم الاغريق غير اثينا؟ بلى، وتلك العظمة التي نالتها ايام پيريكليس كانت كافية لتؤلب الحسّاد من حولها. واسپارطه كانت قد هاجمتها مرارًا دون ان تستطيع النَيْل منها، فاستكانت تغذّي حقدها. ومثلها حَقَدَتْ على اثينا كورنثه وطيبه. فاشتعلت حرب البيلوپونيز، واستمرّت سجالًا حتى أنهكت الجميع. وبَلغَ من غي أثينا ان تجاهَلت الخطر. وقامت بحملة بحريّة على سرقوصه في صقلية فمُنيَ اسطولها بهزيمةٍ نكراء. فتشجّعت عليها كورنثه واسپارطه واحتلتاها (٤٠٤ ق.م) فقضي على نظامها الديمقراطي. وهدمت «جدرانها الطويلة» واسوارها. ونَصّبَتْ اسپارطة على اثينا طغاة لم يدم حكمهم الا برهة. وعمّت الفوضى السياسة، وكان اشهر ضحاياها سقراط (٣٩٩ ق.م) ومذّاك برزت اسپارطه دون سائر المدن الاغريقية.

٢ – نفوذ طيبه استكانت اثينا لعجزها عن المقاومة. وتململت مدينة طيبه تحت وطأة حكم اسپارطه. ولما سنحت الفرصة اتّفقت أثينا وطيبه على تسديد ضربة قاصمة لاسپارطه (٣٧١ ق.م).

ولكن بروز طيبه أخاف أثينا واسپارطه معًا فاتفقتا عليها. وساهمت اموال ملوك فارس في تغذية النزاعات الداخليّة. فاشتدّ التنافس والتحاسد. وافتقرت بلاد الاغريق الى الزعامة. وفي غمرةٍ من الفوضى والانحلال برز خطر مقدونية.

٣ – فيلبوس المقدوني (٣٥٩–٣٣٦ ق.م): تحتل مقدونيا سهلًا خصيبًا في شمال اليونان. وفيها مناجم للذهب. وقُيِّضَ لشعبها سيدٌ داهية هو فيلبوس الثاني والد الاسكندر. فعزَّزَ جيشه، ونظّم «الكتيبةَ» بحرابها الطويلة (٥٥٠ سم) وصفوفها المتراصة (١٦ صفًا). ووزع الذهب فاشترى الانصار في بلاد الاغريق. واحتل شواطئ بحر ايجه مستفيدًا من الصراع الداخليّ في بلاد اليونان. فانبرى ديموستينيس ألمع خطباء اليونان يحذّر الاثينيين في «فيليبياته». ولم تنتبه أثينا إلّا في وقتٍ متأخر. فاتحدت مع طيبه. ولكنهما هُزِمتا في معركة كيرونه (٣٣٨ ق.م).

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

شاعران من لبنان في العصر الهليني

من شعر انتيپاتر الصيداوي:
«آن وقت رفع الشراع، فلا الموج يلاطم الموج ولا العاصفة القائمة تشوه جمال الافق البعيد السنونو يبني عشه في السقف والاوراق الندية تضحك مرحًا في المروج. ارفعوا السلاسل ايها الملاحون فقد سئمت السلاسل الماء. ارفعوا المرساة المطمورة في الرمال. انشروا الشراع. هكذا يقول رب المرفأ، ابن باخوس.

من شعر مِيْلِيْغِرْ وقد نُقِشَ على ضريحه.

«صور القابعة على صخرة في البحر مهد طفولتي، جَدَاْرَا (واسمها الحالي ام قيس جنوبي شرقي بحيرة طبريا) السورية في موقعها، الاغريقية في حضارتها مولدي. وهل من عجب انني سوري؟ ايها الغريب، اننا نعيش في بلد واحد: العالم. ألسنا نحن البشر جميعًا ابناء الفوضى؟ في شيخوختي كتبت هذه الاسطر قبل ان اوارى التراب، لان الشيخوخة والموت جاران قريبان.»

«سِر ايها الغريب بصمت وسكون. لا تزعج الشيخ الراقد مع الاموات الاتقياء المكفن بالسبات العميق، ذلك السبات الذي سيكفن جميع الاحياء... هنا يرقد ميليغر ابن يقراطس الذي كان يجمع بين دموع الحب الجميل وبين ربة الشعر وطيب العيش. صور، ربيبة السماء حضنتني يافعًا، وتربة جدارا المقدسة غذتني شابًا، وجزيرة قوص الحبيبة رعتني شيخًا. ان كنت سوريًا فعليك مني السلام، وان كنت فينيقيًا فلك مني التحيات، وان كنت اغريقيًا فمرحى بالله عليك...»

حتي – «لبنان في التاريخ ص ٢٢٥».

تمثال النصر في ساموتراس من روائع الفن الهليني

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

وبعد كيرونه استعدَّ فيلبوس لغزو فارس ، لكنه اغتيلَ. وخلفه ابنه الاسكندر وهو بعد في العشرين من عمره.

الاسكندر

أ – طموح الاسكندر (٣٣٦–٣٢٤ ق.م): كانت شخصية الاسكندر فريدة. قوي البنية، مثقّف، استاذه ارسطو. والكتاب المحبب اليه هو الالياذة. استهوته شخصية آخيل وحلم بانتصارات تبزُّ انتصارات بطل الالياذة نفسه. فتكونت لديه نفسية الفاتح. ولما استتبَّ له الامرُ في اليونان، عقد النيّة على تحقيق امنية والده. واكتفى لهذه الغاية بجيش عدته اربعون الفًا.

٢ – الفتوح عبر الاسكندر الدردنيل الى آسيه الصغرى، وزار طروادة حيث قدَّم الذبيحة عن نفس آخيل. واحرز اول انتصار على الفرس في غرانيكوس، ولاحقهم حتى ايسوس (٣٣٣ ق.م). وسار بمحاذاة الشاطئ فدانت له كل المدن ما عدا صور. فحاصرها سبعة اشهر. وهدّم شطرها البرّي فاقام جسرًا وصلها بصور البحرية. فهدمها، وقتل وسبى الكثيرين من اهلِها. (٣٣٢ ق.م) ثم سار نحو مصر فاحتلها. ومن هنالك عاد مجددًا نحو الشرق. وانتصر على داريوس الثالث في «اربيل» واجتاح فارس حيث تزوّج من ابنة داريوس نفسه. ودخلَ الهند. لكن ضباطه وجنوده ابوا ان يتوغلوا الى «آخر العالم»، فعاد الى بابل. ولم يتحمل جسمه حمّى اعترته فمات عام ٣٢٤ ق.م عن عمر لم يتجاوز الاثنين وثلاثين عامًا. (انظر ص ١٨٣).

٣ – انقسام الامبراطورية لم تمهل الاسكندر منيته ليعيّن خلفًا له. فترك امبراطوريته في حالة من الفوضى. وسارعت اثينا المستكينة على مضض الى اعلان التمرّد. وتبعتها مدن اليونان الأخرى. ولكنّها ثورة قَمَعها قواد الاسكندر بعنف. وفضّل ديموستينيس الموت منتحرًا بالسُمّ (٣٢٢ ق.م) على الاستسلام. وما ان هدأت الثورات حتى دبَّ الخلافُ بين قواد الاسكندر. فاقتسموا الامبراطورية فيما بينهم. فنال انتيغونوس اليونان ومقدونية. ونالَ سلوقوس سوريا وجوارها من آسية الصغرى حتى فارس. ونالَ بطليموس مصر. أما المقاطعات النائية في الشرق الاقصى فعادت الى الاستقلال.

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

هلينة الشرق

أ – دور الاسكندر عُرِّفت الفترة الممتدة من تاريخ اقتسام الامبراطورية (٣١٢ ق.م) حتى الفتح الروماني بعصر «هلينة الشرق» أي تطعيم الشرق بحضارة الإغريق. وتلك كانت فكرة الاسكندر نفسه، ليؤمن بذلك ديمومة امبراطوريته. فكان كلما اسّس مدينة دعاها باسمه (الاسكندرية) سعى الى تزويج جنوده من نساء شرقيات ليأمنوا الثورة عليهم. واعطى المثل بنفسه عندما تزوج من ابنة داريوس الثالث. وكسب رضى الفرس بان ابقى على موظفيهم في مناصبهم. فنتج من ذلك انصهار في المجتمع والاخلاق والفكر والفن، وتمازجت معتقدات الشرق مع آلهة اليونان. واعتبر الاسكندر في مصر فرعونًا كما صمَّم على تقديم الذبيحة بنفسه الى الإله ملكارت في صور. ولم نجم اسكندرية مصر حتى غدت عاصمة العالم الهليني، اي اليونان والمشرق معًا. ويمكن القول بان فتوحات الاسكندر قد بدأت عصرًا جديدًا من النهضة الاغريقية خارج بلاد اليونان.

٢ – اقتباس الأنظمة زالَ نفوذ فارس عن الشرق. ولكن سلطة الإسكندر لم تعمر ايضًا. فانقسمَ الشرقُ بين مملكتين: المصرية والسلوقية. وغدا الحكم بيدِ اقليّة من الاغراب، غير انها اقليّة تشبّثت بمقدرات الأمور فاستتبَّ لها النفوذ. وراق للبطالسة في مصر وللسلوقيين في سوريا ان يتشبَّهوا بسادة الشرق القديم من فراعنة مصر وملوك ما بين النهرين. فاعرضوا عن الديموقراطية العزيزة على الاغريق. واحاطوا انفسهم بسلطةٍ زمنيّة مطلقة. ولم يلاقوا صعوبة في ذلك لان الشرق كان قد تعوّد قيام الامبراطوريات المستبدّة. وفي مصر بنوع خاص اعتبر البطالسة انفسهم فراعنة يتصفون، كما في مصر سابقًا، بصفة إلهية، دون ان يستحق معظمهم أي تقدير. فاجتمعت التقاليد المصريّة والشرائع اليونانيّة على وضع قوانين جديدة.

البطالسة

أ – مصر كانت مصر من نصيب القائد بطليموس. ومن اسم بطليموس اشتقت التسمية البطالسة (او البطالمة). وقد ورثوا في تنظيم مملكتهم عن الحكم الفرعوني. فسيطروا على الاراضي كما كان الفراعنة من قبل. وقاموا بتجربة اشتراكية. فعيّنوا هيئةً بيروقراطيّة لادارة المزارع. ولم يسمحوا بالملكيّة الفرديّة إلّا على نطاق ضيّق. وعمل المهندسون على تطوير اساليب الري. ونجح التنظيم الاشتراكي

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

في إقامة المنشآت العامة كالطرق والاقنية والمباني، وأشهرها منارة الاسكندرية. وخضعت الصناعة والمناجم للتنظيم نفسه.

واشرفت الدولة على التجارة، فعززت مرفأ الاسكندرية، فكانت منارته ترى على بعد خمسين كيلومترًا. وانفقت على بناء اسطول تجاري. وزيدت الضريبة على الاستيراد حماية للانتاج المحلي.

ولكن هذا التنظيم لم يستمرّ بنجاح. فأهمل البطالسة فيما بعد واجباتهم. وتسلّطت الدولة دون ان تحقق العدالة الاجتماعية. فعمّت النقمة. وسادت الاضرابات في اوساط عمال المناجم والفلّاحين والبحّارة والتجّار حتى شَمَلت رجال الشرطة انفسهم. وانحلّت الاخلاق في البلاط والحاشية. وتعددت المكايد. ففشلت التجربة الاشتراكية.

٢ً – الاسكندرية شاد الاسكندر العديد من المدن، ودعاها جميعها باسمهِ. ولكن اشهرها على الاطلاق كانت اسكندريّة مصر. صُمِّمت بشكل هندسي لم تعرفه أي مدينة في السابق. يتقاطع في وسطها شارعان رئيسيّان مستقيمان عَرضُ الواحد منهما ماية قدم. دورها متعددة الطبقات. فيها حدائق وملعب للرياضة وميدان للسباق ومدرّج. عدد سكانها في البدء اربعماية الفٍ ثم تزايدوا بشكل غريب، وانتموا الى مختلف الجنسيات. ورأى المعاصرون في الاسكندريّة لا عاصمة البطالسة فقط، وإنما عاصمة العالم الهليني بل عالم المتوسّط ايضًا. فما هو سبب ازدهار الاسكندرية؟

تمتعت الاسكندرية بمركز وسط بين قارات ثلاث. وفيها التقت طرق التجارة البحرية بالطرق البريّة. إليها تصل، عبر البحر الاحمر، عطور شبه الجزيرة العربية وافاويه الهند وحرائر الصين. ومنها تُصدَّرُ هذه البضائع، بالاضافة الى منتجاتها الخاصّة.

وورثت الاسكندريّة مجد اثينا. فاضحت «متحف» الأدب والفنّ والعلوم. وضمّت مكتبتها اكثر من ستماية الف مجلد. ولمع فيها اسم اقليدس الرياضي (٣٥٣–٢٨٥ ق.م)، وايراتوستينيس الفلكي والجغرافي (٢٧٦–١٩٥ ق.م). وانبعثت فيها تيّارات فلسفيّة جديدة. ولم يبق لليونان الا القليل، بالرغم من بروز اسم ابيقوروس وزينون الرواقي في أثينا، وارخميدس في صقلية.

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

السلوقيون وسموا كذلك نسبة الى مؤسس الامبراطورية سلوقوس نيكاتور. وانشأ سلوقوس لدولَتِهِ عاصمتَيْن، إحداهما سلوقية على دجلة قرب بابل، والثانية انطاكيه على العاصي.

أ – انطاكية دخلت دولة السلوقيين في مرحلة ضعف بعد موت مؤسسها مباشرة. وانما قيّض لها انطيوخوس الثالث فانهضها من كبوتها. وعزز انطاكية واقام فيها مكتبة. وشجع الادباء. فاضحت مركزًا ثقافيًا وفنيًا. وقصدها الفنانون من كل آسية الصغرى ورودس. وانتشر فيها كما انتشر في «برغامه» (آسيه الصغرى ايضًا) فن ليس بالاغريقي، ولكنه ربيب الفن الاغريقي، لانه انقاد له انقيادًا تامًا. وقصَّرَ عنه في الدقة والتفصيل. واختفى منه الرخام ليحل محله الحجر والطين. ولم يعد ثمة مجال للمقابلة بين نحاتي الاغريق ونحاتي البلاد الهلينية.

٢ – سلوقية ولما كانت التجارة عصب الاقتصاد آنذاك، نشطت طرق القوافل بين الاناضول وسلوقية، وكذلك بين الشرق الأقصى وسلوقية. وورث السلوقيون عن الفرس «الطرق الملكية» واضافوا اليها. فاضحت سلوقية ملتقى التجارة، منها تتوزع البضائع الى جميع انحاء الامبراطورية بما فيها الشواطئ الفينيقية. وعمم التعامل بالنقد، فازدادت امكانية التبادل التجاري. وتعددت المصارف وعم الرخاء. فكان للتجارة فضل على امبراطورية السلوقيين. فلولاها لما شيدت كبريات المدن ولما امتد العمران. فتعدّت التأثيرات الهلينية حدود الشرق الاوسط الى افغانستان، حيث نشأ فن هو مزيج من التأثيرات الاغريقية والبوذية.

الهلينة وحدودها

أ – الهلينة نجح سعي الاسكندر الى دمج الشرق باليونان، وامتد العالم الهلّيني من البحر الايوني الى الشرق الاقصى، في وحدة جغرافية مصطنعة. ومع موت الاسكندر تفككت هذه الوحدة سياسيًا، ولكنها حافظت على لغة رسمية واحدة، وانظمة موحّدة في النقد والمقاييس والموازين. وبلغ من ذوبان الشرق باليونان، أو اليونان بالشرق، ان ضعفت الروح الوطنية، فطغى على الاذهان نوع من «الأُممية» تجلّى في افكار الفيلسوف الرواقي «زينون».

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

في إقامة المنشآت العامة كالطرق والاقنية والمباني، وأشهرها منارة الاسكندرية. وخضعت الصناعة والمناجم للتنظيم نفسه.

واشرفت الدولة على التجارة، فعززت مرفأ الاسكندرية، فكانت منارته ترى على بعد خمسين كيلومترًا. وانفقت على بناء اسطول تجاري. وزيدت الضريبة على الاستيراد حماية للانتاج المحلي.

ولكن هذا التنظيم لم يستمرّ بنجاح. فأهمل البطالسة فيما بعد واجباتهم. وتسلّطت الدولة دون ان تحقق العدالة الاجتماعية. فعمّت النقمة. وسادت الاضرابات في اوساط عمال المناجم والفلّاحين والبحّارة والتجّار حتى شَمَلت رجال الشرطة انفسهم. وانحلّت الاخلاق في البلاط والحاشية. وتعددت المكايد. ففشلت التجربة الاشتراكية.

٢ً – الاسكندرية شاد الاسكندر العديد من المدن، ودعاها جميعها باسمهِ. ولكن اشهرها على الاطلاق كانت اسكندريّة مصر. صُمِّمت بشكل هندسي لم تعرفه أي مدينة في السابق. يتقاطع في وسطها شارعان رئيسيّان مستقيمان عَرضُ الواحد منهما ماية قدم. دورها متعددة الطبقات. فيها حدائق وملعب للرياضة وميدان للسباق ومدرّج. عدد سكانها في البدء اربعماية الفٍ ثم تزايدوا بشكل غريب، وانتموا الى مختلف الجنسيات. ورأى المعاصرون في الاسكندريّة لا عاصمة البطالسة فقط، وإنما عاصمة العالم الهليني بل عالم المتوسّط ايضًا. فما هو سبب ازدهار الاسكندرية؟

تمتعت الاسكندرية بمركز وسط بين قارات ثلاث. وفيها التقت طرق التجارة البحرية بالطرق البريّة. إليها تصل، عبر البحر الاحمر، عطور شبه الجزيرة العربية وافاويه الهند وحرائر الصين. ومنها تُصدَّرُ هذه البضائع، بالاضافة الى منتجاتها الخاصّة.

وورثت الاسكندريّة مجد اثينا. فاضحت «متحف» الأدب والفنّ والعلوم. وضمّت مكتبتها اكثر من ستماية الف مجلد. ولمع فيها اسم اقليدس الرياضي (٣٥٣–٢٨٥ ق.م)، وايراتوستينيس الفلكي والجغرافي (٢٧٦–١٩٥ ق.م). وانبعثت فيها تيّارات فلسفيّة جديدة. ولم يبق لليونان الا القليل، بالرغم من بروز اسم ابيقوروس وزينون الرواقي في أثينا، وارخميدس في صقلية.

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

السلوقيون وسموا كذلك نسبة الى مؤسس الامبراطورية سلوقوس نيكاتور. وانشأ سلوقوس لدولَتِهِ عاصمتَيْن، إحداهما سلوقية على دجلة قرب بابل، والثانية انطاكيه على العاصي.

أ – انطاكية دخلت دولة السلوقيين في مرحلة ضعف بعد موت مؤسسها مباشرة. وانما قيّض لها انطيوخوس الثالث فانهضها من كبوتها. وعزز انطاكية واقام فيها مكتبة. وشجع الادباء. فاضحت مركزًا ثقافيًا وفنيًا. وقصدها الفنانون من كل آسية الصغرى وردوس. وانتشر فيها كما انتشر في «برغامه» (آسيه الصغرى ايضًا) فن ليس بالاغريقي، ولكنه ربيب الفن الاغريقي، لانه انقاد له انقيادًا تامًا. وقصَّرَ عنه في الدقة والتفصيل. واختفى منه الرخام ليحل محله الحجر والطين. ولم يعد ثمة مجال للمقابلة بين نحاتي الاغريق ونحاتي البلاد الهلينية.

٢ – سلوقية ولما كانت التجارة عصب الاقتصاد آنذاك، نشطت طرق القوافل بين الاناضول وسلوقية، وكذلك بين الشرق الأقصى وسلوقية. وورث السلوقيون عن الفرس «الطرق الملكية» واضافوا اليها. فاضحت سلوقية ملتقى التجارة، منها تتوزع البضائع الى جميع انحاء الامبراطورية بما فيها الشواطئ الفينيقية. وعمم التعامل بالنقد، فازدادت امكانية التبادل التجاري. وتعددت المصارف وعم الرخاء. فكان للتجارة فضل على امبراطورية السلوقيين. فلولاها لما شيدت كبريات المدن ولما امتد العمران. فتعدّت التأثيرات الهلينية حدود الشرق الاوسط الى افغانستان، حيث نشأ فن هو مزيج من التأثيرات الاغريقية والبوذية.

الهلينة وحدودها

أ – الهلينة نجح سعي الاسكندر الى دمج الشرق باليونان، وامتد العالم الهلّيني من البحر الايوني الى الشرق الاقصى، في وحدة جغرافية مصطنعة. ومع موت الاسكندر تفككت هذه الوحدة سياسيًا، ولكنها حافظت على لغة رسمية واحدة، وانظمة موحّدة في النقد والمقاييس والموازين. وبلغ من ذوبان الشرق باليونان، أو اليونان بالشرق، ان ضعفت الروح الوطنية، فطغى على الاذهان نوع من «الأممية» تجلّى في افكار الفيلسوف الرواقي «زينون».

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

وتبدّل وجه الحياة في الشرق. وانصاع الشرقيون الى كثير من عادات الاغريق، حين رأوا في حضارتهم ما يستحق الاكبار والتقدير. فبنوا المسارح والحمّامات، واتقنوا الالعاب الرياضية، وهندسوا المدن على الطريقة اليونانية. واقبل المثقفون على فكر الاغريق وآلهتهم. وباستثناء صور اقدمت كل المدن الفينيقية على الاحتفال بالاعياد الاغريقية، واضحى تمثال عشتروت اغريقي القالب والايحاء. هكذا تمكّنت اصول الحضارة الهلينية في الشرق لتدوم ما يقارب القرنين.

٢ – حدود الهلينة وقد قبس الاغريق عن الشرق بمقدار ما قبسه عنهم الشرقيون. اذ ان الشرق لم يغلب على امره ليستسلم، بل بقيت ميزاته متأصلة فيه. فلم تأت الهلينة اذاً في اتجاه واحد، اي من الغرب الى الشرق، فالاتجاه المعاكس صحيح بدوره. والكلام عن الحواضر الهلينية، على عظمتها، كالكلام على جزر اغريقية منثورة في عالم الشرق. فاذا ابتعد الناس عن سلوقية او انطاكية او الاسكندرية، اعجزهم ان يتلمسوا اثر الهلينة في المناطق الريفية او النائية. وبالرغم من طغيان اللسان الاغريقي في المدن الهامة، فقد عجز عن التغلغل في كل المحيطات؛ مثلاً على ذلك في سورية ولبنان، فان اللهجتين الآرامية والكنعانية ظلتا لغتي طبقة العامة. واضحى المثقف الشرقي مزدوج اللغة كما هي الحال بالنسبة لمثقفينا اليوم.

وفي الحقل الديني، لم يتردد الاغريق في عبادة آلهة الشرق، كادونيس مثلاً، واقتباس مراسمهم. فاقاموا طقوساً رمزية لادونيس وافروديت هي نسخة عن طقوس ادونيس وعشتروت. والتسمية ادونيس بحد ذاتها اغريقية محرفة عن اللفظ الفينيقي «أدون» أو السيد. واخيراً أليس هو الشرق الذي زيّن للاغريق النظام الملكي المطلق، وانساهم الديمقراطية العزيزة على قلوب الاثينيين؟

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

بين حجري الرحى

« ... في هذه الفترة من التطاحن كانت المدن الفينيقية مثل كرة تتقاذفها الايدي فتنتقل من قائد اغريقي الى آخر . وكان اول قائد وليّ سورية باجمعها « لاومدون ». غير ان حكمه عليها لم يطل اذ انه في عام ٣٢٠ انتقل لبنان وسهل البقاع (سوريا المجوّفة) حربًا الى بطليموس الاول مؤسس حكم البطالسة في مصر . وبعد خمس سنوات انتقلت فينيقيا من يد بطليموس الى يد انطيغونوس حاكم آسية الصغرى. وفي عام ٢٩٦ انتقلت مـن يد انطيغونوس الى سلوقس الاول مؤسس المملكـة السلوقية في سوريـة ؛ وكانت انطاكيـة عاصمة السلوقيين ومركز الحكم فيها. وبعد عشر سنوات انتقلت فينيقيا مرة اخرى من يد السلوقيين الى بطالسة مصر ... كذلك ظلت الحدود بين لبنان وسوريا مائعة عرضة للتغيير زمنًا ليس بالقصير . ففي عهد بطليموس الاول (توفي ٢٨٣) كانت حدود لبنان الشمالية على محاذاة ارواد وجنوبي حمص ، وحوالى ٢٥٠ تقلّصت الحدود الى جنوبي بيروت ، وبعد مضي ٢٥ سنة عادت فامتدت شمالًا الى ارواد ...

حتي - « لبنان في التاريخ ص ٢٠٢ ».

علامَ اتكلت صور ؟

« كانت مدينة صور ، سيدة الشاطئ اللبناني التي تجرّأت من قبل فتحدَّت جحافل شلمناصّر ونبوخذنصّر ، الوحيدة بين المدن اللبنانية التي سدَّت ابوابها في وجه الفاتح . فقد كان تاريخ مدينتهم المجيد ، وكانت انتصاراتهم في الحروب مبعث يقين ان هذا العدو المقدوني الجديد ، الذي لا يعرفون عن امره شيئًا لن يقهر مدينتهم الفخورة ، هذه المدينة الرابضة في البحر . كانت صور البحرية مبنية على جزيرة طولها ميلان وتبعد عن الشاطئ مسافة نصف ميل. وكان يحيط بها سور علوه ١٥٠ قدمًا الى جهة البر . وكان التيّار في المضيق البحري شديدًا خطرًا لا سيما عندما كانت تهب ريح الجنوب . وكان الى جانب سورها المنيع خط حصون آخر : المراكب البحرية الصورية ، فخر الاساطيل في المتوسط الشرقي ، ونواة الاسطول الفارسي. كانت صور تعتمد على هذه المراكب في دفاعها. وفضلًا عن هذا فانها كانت تأمل العون العسكري من جاراتها في الشمال .

حتّي - « لبنان في التاريخ ص ١٩٧ »

خريطة حملات الاسكندر

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

٢٧ الحضارة الرّومانية
الرّومان

ايطاليا قبل الرومان

أ – الرومان وايطاليا لفظة الرومان تعني في الاصل سكان مدينة روما. ولما اصبحت روما عاصمة الدولة عنت هذه اللفظة كل سكان الدولة. كما ان مفهوم كلمة ايطاليا لم يشمل في البدء الا القسم الجنوبي منها فقط.

وايطاليا الحالية تقسم الى مناطق ثلاث: سهل لومبارديا ويسقيه نهر البو في الشمال، ثم شبه الجزيرة، وتحتل معظمها جبال الاپنين، ثم الجزر واهمها صقلية، صلة الوصل بين ايطاليا وافريقيا.

ولما انشأ الاغريق مستعمراتهم في الغرب، نشروها في جنوب ايطاليا، وفي الجزر القريبة منها، واطلقوا على كل هذه المنطقة اسم «اليونان الكبرى» لأنها اضحت اكبر واغنى من المدن المؤسسة لها.

٢ – شعوب ايطاليا تقاسمت ايطاليا ثلاث مجموعات من الشعوب: الليغوريون في الشمال، والايطاليون اقرباء الآخيين والدوريين في الوسط حيث انقسموا الى فئات اشهرها اللاتين والسابينيون. واخيرًا الإغريق ناشرو التجارة والأبجدية في «اليونان الكبرى» ولكن مَنْ لعبوا دورًا تأسيسيًا في حياة روما هم الاتروسكيون.

٣ – الاتروسكيّون وقد نزحوا عن آسية الصغرى خلال القرن التاسع ق.م. وحلّوا عند شواطئ البحر التيراني حول ما نسمّيه اليوم توسكانا. واختلفوا من حيث الاصل والمنبت عن كل جيرانهم. بلغوا من الحضارة والتقدّم شأوًا. جرّوا المياه بالاقنية وبنوا بيوتهم من الآجر وشيدوا اثنتي عشرة مدينة وحصنوها. واستغلّوا مناجم النحاس والحديد وصبّوا تماثيل البرونز، واسّسوا مملكة على جانب من القوّة. ثم اخضعوا منطقة اللاسيوم (حول روما) وما الى جنوبيها. واجتازوا جبال الاپنين في الشمال وسيطروا على سهل البو. واتّفقوا مع القرطاجيين في المتوسط وساعدوهم على منافسة المستعمرات الاغريقية. وهم الذين بنوا مدينة روما عند نقطة استراتيجيّة على نهر التيبر. وتوالى على حكمها الملوك الاتروسكيّون حتى نشبت ثورة تزعّمها النبلاء الرومان (عام ٥٠٩ ق.م) فاسقطوا الملكيّة واعلنوا الجمهورية.

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

اغسطس قيصر اول اباطرة الرومان

لبنان مقاطعة في ولاية

«... قسم سبتيموس سفيروس البلاد الى قسمين: شرقي ويشمل سوريا المجوفة (البقاع) وغربي ويشمل فينيقيا السورية. وفي الفترة البيزنطية اعيد النظر في تقسيم المقاطعات. فقد فصل تيودوسيوس الثاني (٤٠١-٤٠٥ ب م.) فينيقيا اللبنانية (اي الشرقية) عن فينيقيا البحرية وجعلها مقاطعة مستقلة... فكان هنالك فينيقيتان الاولى تسمى فينيقيا الاولى (Prima) او البحرية (Maritima) وعاصمتها صور، ومن مدنها الرئيسية عكا وصيدا وبيروت وجبيل والبترون وطرابلس وعرقا وارواد. وكان هنالك فينيقيا الثانية (Secunda) واحياناً اللبنانية (ad Libanum) او (Libanesia) وعاصمتها حمص، ومن مدنها بعلبك ودمشق وتدمر. وقد ظل تقسيم البلاد على هذا النمط الى الفتح العربي.

حتي: لبنان في التاريخ

يوليوس قيصر

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

الجمهورية والتوسع بعد انتصار الرومان (سكان روما) على الاتروسكيّين استقر رأي النبلاء على اتباع النظام الجمهوريّ. فنظموا السلطات وقسموها بين قنصلين يتولّيان السلطة التنفيذيّة لمدة عام، وجمعية تعدّ القوانين وتنتخب القنصلَيْن، ثم مجلس للشيوخ وعدد اعضائه ثلاثماية، مهمّته مراقبة القنصلين والجمعية معًا. وبقي هذا التنظيم، مع تعديلات طرأت عليه مع الوقت، معمولًا به حتى قيام الامبراطورية مع اغسطس قيصر (عام ٣٠ ق.م).

١ً – اخضاع ايطاليا لما استتبَّ الامرُ للرومان انصرفوا الى التوسّع والفتوح. فخاضوا حربهم الاولى في منطقة اللاسيوم، واخضعوا الشعوب الايطاليّة المجاورة لهم. ولم يخطر لهم أن روما نفسها سيهاجمها السلتيّون القادمون من سهل البو (٣٩٠ ق.م)، فنهبت وفرضت عليها الإتاوة. فضعف الرومان وتوقف توسّعهم فترة. وبعد ثلاثين عامًا عادوا الى التوسّع، وصدّوا هجومًا آخر للسلتيّين. وشجّعهم انتصارهم على السلتيّين على اخضاع «اليونان الكبرى» فدانت لهم كل ايطاليا. وراقبوا دولتهم الجديدة بشبكات من الطرقات المعبدة تسهيلًا لقمع الثورات عليهم. (انظر ص ١٨٩).

٢ً – اخضاع قرطاجة وما ان انتهت روما من حروبها ضد شعوب ايطاليا خلال القرنين الخامس والرابع ق.م، حتى شعرت بخطر المنافسة القرطاجيّة في المتوسط، بعد ان كانت حليفتها ضد «اليونان الكبرى». وكانت ذريعة الخلاف تصادم النفوذ في جزيرة صقلية. وقُيِّض لروما ان تنتصر على قرطاجة بعد حربين انتهتا عام ١٤٦ ق.م. فدمّرت قرطاجة، واحتلَّ الرومان قسمًا من شمالي افريقيا.

٣ً – سياسة التوسّع كان كل نصر يقود روما الى فتحٍ آخر. وقد تولّى أمرها قناصل طموحون واكفاء، يرون في النصر العسكري سبيلًا لتجديد انتخابهم. فاضحت الحرب والانتصارات العسكرية طريقًا اكيدًا للمراكز السياسيّة. ولم يغبْ عن سياسة التوسّع طموح التجار. لأن اتساع رقعة الدولة معناه اتساع نطاق التبادل. فأثّر التجار على مجلس الشيوخ ليتبنّى باستمرار سياسة التوسّع. وامتدّت الفتوح في اتجاهَين شرقًا وغربًا يساعدها مركز ايطاليا في قلب عالم المتوسط.

أ – الفتوح في الغرب: بعد انهيار قرطاجة، لم يعد ثمة حاجز يعيق تقدم الرومان نحو اسبانيا مرورًا بجنوب غالّه (فرنسا اليوم) وبالمستعمرات

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

الاغريقية (مَسّيليا في مقدمتها). فدانت كل جزر المتوسط وشواطئه الغربيّة لسلطة روما.

ب – الفتوح في الشرق: في عام ١٩٧ ق.م. اخضع الرومان دولة مقدونية ومعها اليونان. ونهبت مدينة كورنثه. وعام ١٩٠ انهزم انطيوخوس ملك سلوقيه (سوريا) المتّهم بالاستجابة لتحريض هنيبعل، فوصل نفوذ الرومان الى الفرات. ولكن المقاومة الوحيدة والعنيدة تزعّمها ملك البنط (على البحر الاسود) متريداتس. فطرد الرومان من آسية الصغرى ولاحقهم حتى اليونان. ولكنه عجز عن الصمود في النهاية امام الهجمات الرومانيّة المتتالية فانتحر بالسم عام ٦٣ ق.م. ودانَ الشرق لروما. اما مصر فقد اكتُفي بضمّها دون تبديل في اوضاعها. وكانت كليوپاترا آخر الفراعنة فيها.

٤ً – نهاية الجمهورية

عرفت روما فترة من النزاع على السلطة برز خلالها اسم الدكتاتور سيللا. وصمَّم پومپيوس فاتح الشرق على الاستئثار بالنفوذ. ولكنه فضّل اقتسام الحكم مع يوليوس قيصر. وتمَّ الاتفاق في النهاية على قيام حكم ثلاثي قوامه پومپيّوس ويوليوس قيصر وكراسّوس. ولم يكن لطموح يوليوس قيصر حدود، وفقه بأن الطريق الوحيد للاستيلاء على السلطة هو الانتصارات العسكرية في الخارج. فجهّز حملة على غالّه وجرمانيا وتمَّ له اخضاعهما نهائيًا (عام ٥٢ ق.م). وفكّر ساعتئذٍ بالعودة الى روما، لان كراسّوس قد مات واعلن پومپيّوس قنصلًا اوحد. فتجرَّأ على اصدار امر الى يوليوس قيصر بالعودة الى روما دون جيشه. ولكنَّ يوليوس عاد على رأس جيشه. ففرَّ پومپيوس شرقًا ولاحقه يوليوس وهزمه في اليونان. واصبحَ الحُكم دكتاتوريًّا في يد يوليوس قيصر فاحتكر السلطات، واعتبره الرومان إلهًا. فاقيمت تماثيله في المعابد. وتصدَّى لمعارضيه حتى اغتيلَ (عام ٤٤ ق.م). (انظر ص ١٨٥).

وآل الأمر الى ثلاثي آخر، قوامه اوكتاڤيوس ربيب يوليوس وقريبه، وماركوس انطونيوس ولپيّدوس وهو اضعفهم وقد اختير شكلًا. وانتقم الثلاثي الجديد ليوليوس ونكّل باعدائه. ثم اقتسموا النفوذ فكانت مصر من نصيب انطونيوس، وامضى وقته قرب كليوپاترا. فحمل اكتاڤيوس مجلس الشيوخ على توجيه حملة ضد مصر. وجرت معركة بحريّة في اكسيوم قرب اليونان

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

(٣١ ق.م) فقضي على نفوذ انطونيوس واضحى اوكتاڤيوس السيد الوحيد. فكافأه مجلس الشيوخ بان سمّاه اغسطس، وهو لقب لا يعطى الا للآلهة. وكقائد اعلى للقوات اي «امبراطور» اعتبر حاكمًا اوحد للدولة. وهكذا نشأت الامبراطوريّة مع اغسطس. (انظر ص ١٨٥).

الامبراطورية

١ً – ضعفها استمرّت الفتوح الامبراطوريّة خلال القرن الاول الميلادي حتى بلغت موريتانيا في الغرب. أما في الشرق فقد حارب الرومان الفارتيّين في فارس والعراق. ولكنَّ الفوضى دبّت بعد موت اغسطس وخاصّة ايام نيرون. وغدا تدفّق البرابرة على جميع حدود الامبراطوريّة شغل الدولة الشاغل، فبنى الاباطرة اسوارًا منيعة وعالية لصدٍّ هجماتهم. وزيدَ على خطر البرابرة فيما بعد وصول جحافل الهون بقيادة أتيلا. ودأب أولو الأمر في روما على التنازع والخصام. ولما آل الامر الى ديوقلتيانوس (٢٨٤–٣٠٥ ب.م) قسم النفوذ في الامبراطوريّة بينَ أربعة مسؤولين تسهيلًا للإدارة. ولكن هذا التقسيم لم ينجح كليّة.

٢ً – انقسامها وأخذ الغربُ بالافتقارِ تدريجيًا. وتفاقمت الحاجة فيما استمرت الضرائب مرتفعة. بينما حافظ الشرقُ على مجالات غناه. وبرزت مدنه مثل انطاكية والاسكندرية. ولمع نجم بيزنطية بعد ان انتقل اليها الامبراطور قسطنطين (٣٢٤). وقسم تيودوسيوس الامبراطورية بين ولديه (٣٩٥).

الامبراطورية الشرقية

غدت القسطنطينيّة (او بيزنطية) عاصمة للامبراطوريّة الشرقيّة. ولكنّها سرعان ما تعرّضت لخطرِ البرابرة والهون. وكان الفضل لأسوار القسطنطينيّة في صدٍّ العديد من الهجمات. وبرز خطر السلاڤيّين في الشمال والفرس في الشرق، وواجهت يوستنيانوس (٥٢٧–٥٦٥) ثورة قضى عليها وكانت نقطة تحوّل. فعزّز الدولة وسيَّر حملات بريّة وبحريّة، واعاد للامبراطوريّة هيبتها السابقة. ومنذ القرن السادس عاد الوهن يدبُّ في عروق الامبراطورية. فانتزع العرب بعد معركة اليرموك معظم سوريا وفلسطين. ودخل عمرو بن العاص مصر. وحاصر الامويون القسطنطينية مِرارًا. وعندما اشتدَّ ساعد العثمانيين هاجموا القسطنطينيّة عام ١٤٥٣ فسقطت. وبسقوطها تنتهي العصور الوسيطة لتبدأ النهضة في اوروبا.

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

شاعت الاسطورة ان يكون الأخوان روموس ورومولوس ، اللذان ارضعتهما الذئبة ، هما منشآ روما

طريق روماني

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

٢٨ المجتمع الرّوماني[1]

نشأة المجتمع لا بدَّ في دراسة المجتمع الروماني من الوقوف على التطوّرات التي اعترته. لا سيّما وان بُعد الشقة ووفرة الاحداث والفتوح تركت فيه تأثيرًا واضحًا، واعطت الصراع الطبقي مظاهر شتّى. فبعد ان تألف المجتمع من رعاة ومزارعين متساوين أصلًا، سرعان ما برزت الملكيّات الكبرى. واستأثر كبار الملّاكين بالمراعي الخصبة وحرموا المزارعين والرعاة من ارتيادها. فاشتدَّ النفور بين الطبقتين.

المجتمع الجمهوري ومع قيام الجمهوريّة (٥٠٩ ق.م.) اشتدَّ التباين بين الطبقات الاجتماعيّة فغدت ثلاثًا: الاشراف والموالي والعامّة.

والاشراف قوامهم الأُسر الغنيّة من كبار ملّاكي الاراضي والقطعان. توزّعوا في عشائر، عدّة كل منها بضع مئات من الأشخاص على رأسهم شيخ له السلطة المطلقة حتى على الارواح، ولكنّه يبتعد في سلطته هذه عن روح الاستبداد فيسيطر على العشيرة جوّ من الالفة والمودّة. وقد ادخل الاشراف في خدمتهم عددًا كبيرًا من الموالي، اتّبعوا في تنظيمهم الاجتماعيّ التنظيم العائد للاشراف وخضعوا لسلطة شيوخ العشيرة. وهذا طبيعيّ لأنهم ارتبطوا بهم في كل الأمور.

بينما توزّعت العامّة في أُسر صغيرة شبيهة بأُسرنا اليوم. معظمهم من الفلّاحين. وقد يثري بعض العامة فيصبح من كبار الملّاكين، ويقتني العبيد. ولكن عدد العبيد كان ضئيلًا ولم يزدد الا مع الفتوح.

تأثير الفتوح نجم عن الفتوح الرومانيّة تبدّل في وضعية فئة العامّة وازدياد في طبقة العبيد.

أ – تضاؤل الفلّاحين في الأصل ألّف الفلّاحون السواد الاكبر من المجتمع الروماني. ولكنَّ الفتوحات بدّلت في أوضاعهم. فالجنديّة قد صرفت المزارعين عن عملهم الأساسي، فتركوا أرضهم بورًا. ولمّا عادوا إليها وَجَدوا الحياة صعبة والانتاج ضئيلًا

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

الخطيب

شقاء العبيد

«وكانت حياة الرقيق في هذه المزارع شاقة تعسة. فانه كان يحشر ليلًا في الثكنات حشرًا ويساق نهارًا الى الحقل سوقًا. وكان يكوى بمياسم ليبقى الوسم علامة يعرف بها عند الفرار. فنفر الرقيق من صحبة سيده وانقبضت نفسه عن العمل له باخلاص وامانة. واضطر سيده ان يكلفه من العمل انواعًا معينة، تلك التي لا تتطلب الكثير من الامانة والاخلاص، فحمله على تربية المواشي ورعايتها. فتضاءلت على الايام حقول القمح وبساتين الزيتون وكروم العنب، وبار بعض الاراضي وترك لينبت فيه العشب فترعاه تلك المواشي. واعتمدت رومة على قمح مصر وحبوبها لتغذية ابنائها وابناء المدن الايطالية الاخرى، وحذرت تصدير هذه الحبوب الى اي مكان آخر. وسئم المزارع الكولوني هذا النظام، فهجر الارياف وازدحم في المدن، ولا سيما رومة، ونافس غيره من الفقراء فيها على نصيب يناله معهم من احسان الدولة. وكانت رومة قد اخذت تقل حروبها منذ عهد اوغوسطوس قيصر فيتناقص معها عدد الاسرى. وقلت اليد العاملة. فبارت الارض لهذا السبب ايضًا. وضعف الانتاج الزراعي.»

اسد رستم – «الروم ج ١ ص ١٠».

موكب من أعضاء مجلس الشيوخ في روما

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

نتيجة الإهمال الطويل. فنزحوا الى المستعمرات يفتّشون عن أراضي أخصب، او نزحوا الى روما سعيًا وراء الرزق. حيث كوّنوا الطبقة البرولتياريّة لأنهم لا يملكون بابًا للرزق إلّا عملهم. فدخلوا في خدمة الأغنياء وتحوّلوا الى موال، يعملون مقابل العيش، ويبيتون في منازل حقيرة عرضة للبرد. ويتسكّعون في الشوارع او يرتادون الملاهي. فتوافرت نسبة السكّيرين فيما بينهم. على ان بعض النازحين الى روما لم يجدوا العمل مطلقًا وهذا ما سيعقّد المشكلة.

٢ً – العبيد وثورتهم كان عدد العبيد ضئيلًا جدًا، معظمهم ممن أرهقهم الدين فاستعبدوا. ولكن الثورات التي قاموا بها ضدَّ دائنيهم حدَّت من الاستعباد.

وكنتيجة حتمية للانتصارات العسكريّة في الخارج، تدفّق الى روما عدد ضخم من الاسرى بيعوا عبيدًا. فشراهم الاغنياء بالمئات ووكلوا اليهم مختلف الاعمال. فنافسوا البروليتاريين والموالي، واسهموا في نشر البطالة.

واسيئت معاملة العبيد وتغذيتهم، ففكّروا بالثورة مرارًا. وتزعم اكبر ثوراتهم سپارتاكوس فجمع حوله عشرات الآلاف من العبيد الفارّين. وقاوم جيوش روما مدّة عامين (٧٣–٧١ ق.م). ولكنه هُزِمَ في النهاية وحلَّ بالعبيدِ بطش ذريع. (انظر ص ١٩١).

الصراع الطبقي

أ – المنجزات الأولى بدأ الصراع الطبقي منذ قيام الجمهوريّة (عام ٥٠٩ ق.م). وقد نجم آنذاك عن تعاظم نفوذ الأشراف. فاصبحوا الأسياد المطلقين. فحموا مواليهم وحرموا عامّة الشعب من أية حقوق. اذ اقتصر عليهم حق دخول «الجمعيّة» وانتخاب القنصلَين. فاستبدّوا في تشريعهم، وساعدتهم التقاليد غير المدونة على الاستبداد. فكان القنصلان يحكمان دائمًا حسب مشيئة الأشراف، فصادروا حقول العامّة واستعبدوا من عجز عن اداء ديونه.

وانفجر العامّة في ثورة اجتماعيّة، وهدّدوا بمغادرة روما ومعنى ذلك بوار الموسم. فأُجبر الاشراف ان يتخلّوا عن الديون التي لهم في ذمة العامّة. وافاد العامّة من هذا النصر الأوّلي، ونالوا حقّ انشاء «جمعيّة شعبيّة» تنتخب بدورها عشرة ممثلين سمّوا «حماة العامّة» لهم حق النقض ليُبطلوا به القوانين المضرة بمصلحتهم.

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

وتبعت هذا الفوز منجزات اخرى . ففي عام ٤٤٥ ق.م. اجاز القانون الزواج بين طبقتي الاشراف والعامّة . واضحى للعامة رأي في انتخاب القنصلَيْن واختيار اعضاء مجلس الشيوخ وتكلّل نجاحهم بإقرار المساواة الاجتماعيّة بين الطبقتين. فتبدّلت الأوضاع الاجتماعيّة حتى حق للعامّة ان يكونوا كهنة.

٢ – الأخوان غراكوس

خلال القرن الثاني ق.م. تبدّل المفهوم الاجتماعي لدى الرومان بظهور طبقة جديدة من الأثرياء. وسعوا لتحقيق مآربهم الخاصّة دون مراعاة مصلحة الدولة. فاستأثروا بالوظائف وبعضويّة المجلس (سناتوس)، وصوّتوا على قوانين لا تخدم إلّا مصلحتهم. وحصل تفاهم بين رجال الاعمال والتجّار من جهة وبين كبار الملّاكين من جهة أخرى. وصبرت الطبقة البروليتاريّة على تعنّت الأثرياء من «نبلاء وفرسان». وما انتصف القرن الثاني ق.م. حتى بدأت الاضطرابات، وانقسمت البلاد في حزبَيْن حتى كان الامر لتيبيريوس غراكوس.

حاول تيبيريوس غراكوس وضع حدّ لتسلّط الاثرياء. ومنع نزوح الفلّاحين من القرى الى روما. فوزّع عليهم «املاك الدولة» في المقاطعات. ولكن مقاومة النبلاء له كلّفته حياته. فخلفه اخوه كايّوس غراكوس واكمل عمله. فاعطى الكثيرين من العامّة حق «المواطنيّة الرومانيّة» وهذا حقّ يخوّلهم الاشتراك في اعمال المجالس والتصويت على القوانين. لكنَّ كايّوس قتل (عام ١٢١ ق.م). فالغى النّبلاء جميع هذه القوانين. واقتسموا فيما بينهم «املاك الدولة» المعطاة للفلّاحين.

وتفاقم الأمرُ مع دكتاتوريّة سيللا، فاضطهد طبقة البروليتاريا ونكّل بزعمائها وصادر املاكهم. وفقد «حماة العامّة» حق النقض ولم ينهض حزب العامّة من كبوته الا ليوصل يوليوس قيصر الى سدة الحكم. فاعطى حق «المواطنيّة الرومانيّة» لكل رجل حرّ.

٣ – في ظل الامبراطوريّة

ازداد عدد العبيد باطراد، نتيجة للفتوح الجديدة، حتى بلغ بضعة ملايين في القرن الميلادي الثاني. وإنما معاملتهم أخذت بالتحسّن تدريجيًا، وحرّم قتلهم. ونظرًا لتكاثرهم اعتقهم اسيادهم بالمئات شرط ان يواصلوا العمل في املاك اسيادهم. فانفتحت امامهم مجالات جديدة، وتبوّأ بعضهم مراتب عليا.

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

ومع اعتاق العبيد، واعطاء حق «المواطنيّة الرومانيّة» لكل رجل حرّ، بدأت الفوارق الطبقيّة بالزوال تدريجيًا، لتحلَّ محلّها فوارق على الصعيد الاقتصادي. وهذا الفارق على الصعيد الاقتصادي سيُعيد الصراع على الصعيد الاجتماعي. لأن الأثرياء عادوا فاستأثروا بالمراكز العليا. وفقد الفقراء بعض حقوق التمثيل في المجالس وان كان لهم حق المواطنيّة الرومانيّة. وغدت المواطنيّة على مراتب، محدودة بالنسبة للعامّة ومطلقة بالنسبة للأثرياء.

المواطنون والرعايا لم يكن جميع الرومان متمتعين بالحقوق السياسية نفسها. فانقسموا الى فئتين: المواطنين والرعايا. وللمواطنين وحدهم حق التمثيل في المجالس. وهذا ما ادّى الى استبداد الأثرياء، فهم جميعًا من المواطنين وبإمكانهم ان يقرّوا القوانين الملائمة لأوضاعهم. ولما كان الأمرُ لكايّوس غراكوس أعطى هذا الحق الى العديدين من العامّة. ويوليوس قيصر لم ينكر فضل حزب العامة عليه فأعطى حق المواطنيّة لكل رجل حرّ فارتفع عددهم من ثلاثماية ألف الى سبعماية الف. كما الغى يوليوس قيصر التفاوت القائم بين مدن ايطالية ومدن المقاطعات. وفي العهد الامبراطوري تضاعف عدد من استحقّوا لقبَ المواطن. فاستحقّه بنوع خاص مَن أدوا الخدمة العسكريّة. وهكذا تمكّن بعضُ البارزين من خارج روما وايطاليا ان يتوصّلوا الى المناصب العُليا امثال سبتيموس سويروس وهو من عرقه في لبنان. ومن المدن التي استحق ساكنوها لقب المواطنيّة: بيروت وبعلبك.

حياة الرومان في البدء امتازت الحياة الرومانيّة بالبساطة سواء في السكنى أم في المأكل أم في الملبس. ومنازلهم الأولى بنوها من الآجر واكتفوا بالقليل من الاثاث. واختصروا لباسهم برداء مربّع من الصوف الأبيض يلفّون به جسمهم. وحق لاعضاء مجلس الشيوخ فقط ان يلبسوا رداءً احمر مطرز الجنبات. واقتصر المأكل على حساء الشعير والخضار والفول والحمص. اما اللحم والخمر فلمواسم الاعياد.

أ – الاثرياء ونتيجة لليسر الناجم عن الفتوح. نزع الأثرياء الى تطوير اساليب معيشتهم. فابتنوا الدورَ الفخمة في روما وفي الريف. واكثروا من الاثاث والتحف

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

النبيل واجداده

طبقات المجتمع الروماني

«... ومنح الامبراطور كركلا حقوق الرومان المدنية لجميع سكان المدن في جميع انحاء الامبراطورية فاصبح كلهم مواطنين رومانيين منذ السنة ٢١٢ ب.م. ولكن هذا لم يعن التساوي بين جميع المواطنين. فبقي هنالك شرفاء ووضعاء: شيوخ وفرسان وجنود لا تنالهم شدة القانون في العقوبات واكثرية ساحقة خاضعة لكل ما جاء في القانون من قساوة وشدة. وانتظم الشرفاء طبقات طبقات فجاء على رأسهم القناصل ثم البطاركة ثم المدبرون فابناء الجنود والموظفين ثم الموظفون المستجدّون في الوظيفة ...»

«وانتظم سائر افراد الشعب طبقات وانحصروا فيها واورثوها ابناءهم من بعدهم. وجاء في طليعة هذه الطبقات طبقة الكوريالس (Curiales) اصحاب الاملاك. واتسق التجار واصحاب المهن والحرف نقابات مقفلة موروثة. ولا يستبعد ان يكون اصحاب الفاقة ممن تناول خبزه يوميًا من مخابز الدولة قد اصبحوا في عهد قسطنطين طبقة موروثة ايضًا ...»

اسد رستم – «الروم ج ١ ص ٦٩».

المصارع والنزاع الأخير

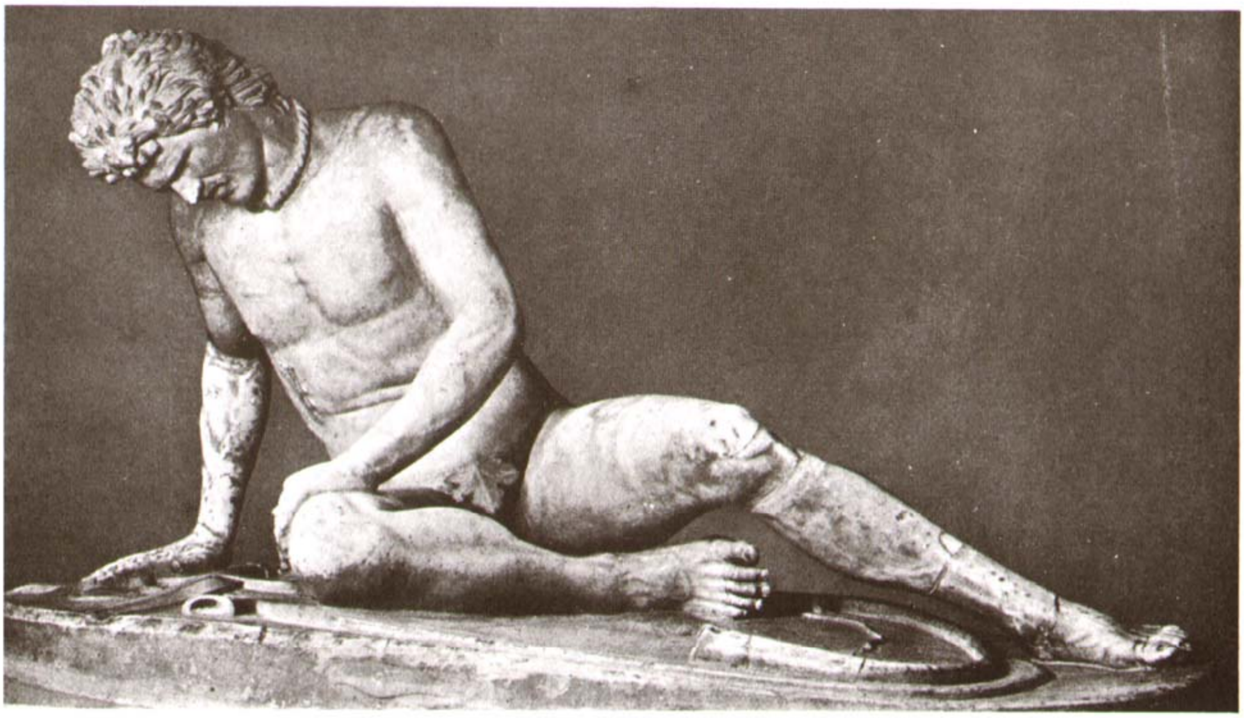

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

الفنيّة والسجّاد. وتفنّنوا في زخرفة ملابسهم، واعتنوا بهندامهم فحلقوا ذقونهم يوميًا. وبرز لدى النسوة حب الظهور حاليات. وبعد ان كانوا يكتفون بالقليل من الطعام، تملّكهم الشره. واشتروا العبيد للعمل في المطبخ. وكانت الوليمة اليوميّة تستمر من بُعيد الظهر حتى اول الليل. وتفشّت حياة الخمول، وانصرفوا الى المجون وارتياد الحمّامات العامّة.

٢ً – الفقراء وازاء تضخّم الثروات فيما بعد، لم يقتنع الاثرياء بالبيوت فابتنوا القصور، بينما ازدادت حالة الفقراء سوءًا. وانتشرت البطالة فيما بين هؤلاء نتيجة اعتاق عدد ضخم من العبيد فضاربوا العمال. واعجزهم ان يقوموا بأود أنفسهم. فاضطر الاباطرة الى تقديم الطعام اليومي لمايتي الف فقير انتشروا في روما.

وفقه الأباطرة أن البطالة خطر على الدولة لما ينجم عنها من ثورات. فعمدوا الى خلق مـلاهٍ وتسليات دائمة، فبنوا ميدانًا لسباق العربات وحلبات المصارعة. ولاءمت هذه الملاهي في الوقت نفسه معظم الاثرياء الخاملين. (انظر ص ١٩٥).

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

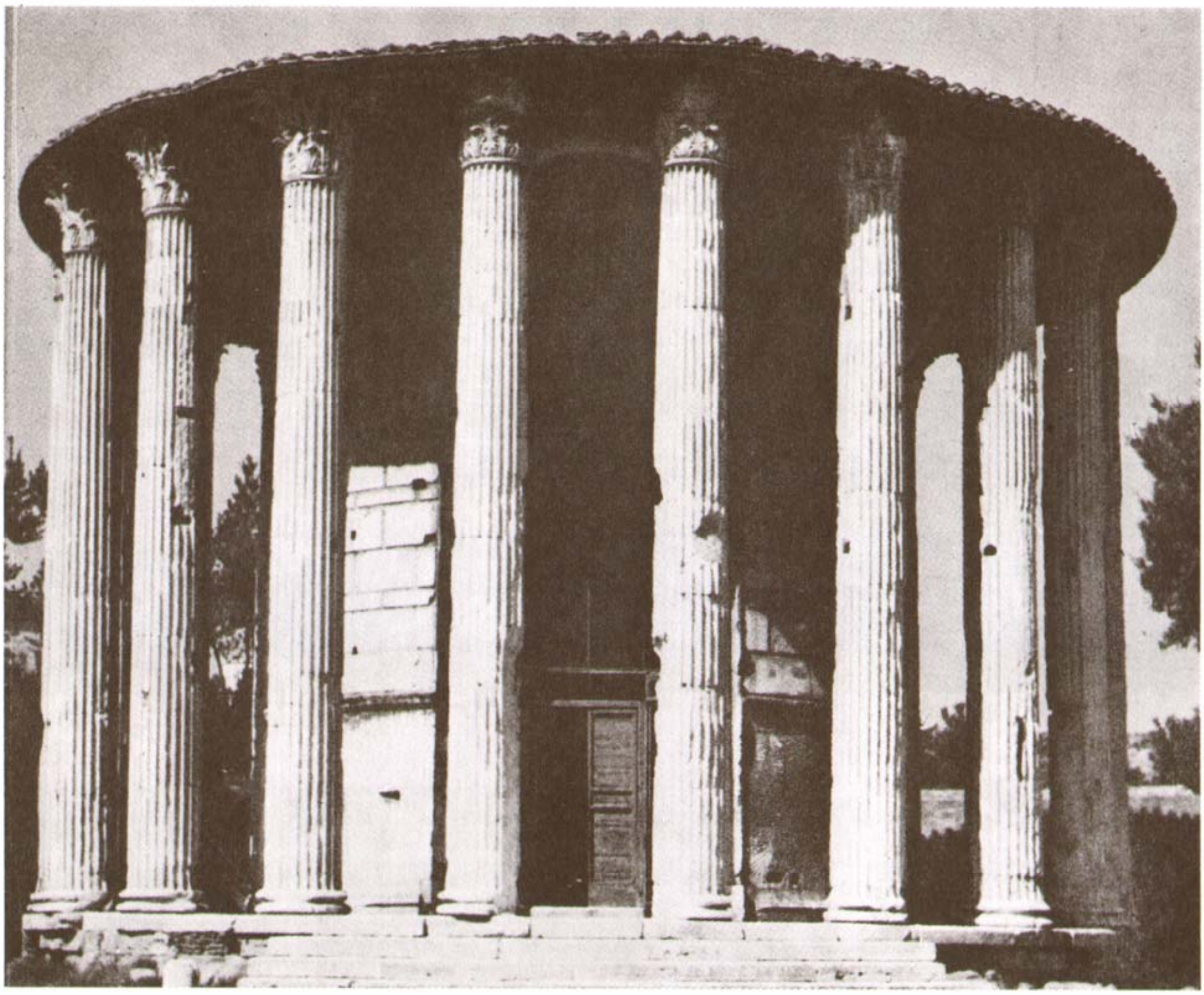

المعبد المستدير

تصميم ڤيلّا رومانية ، اي بيت الثري

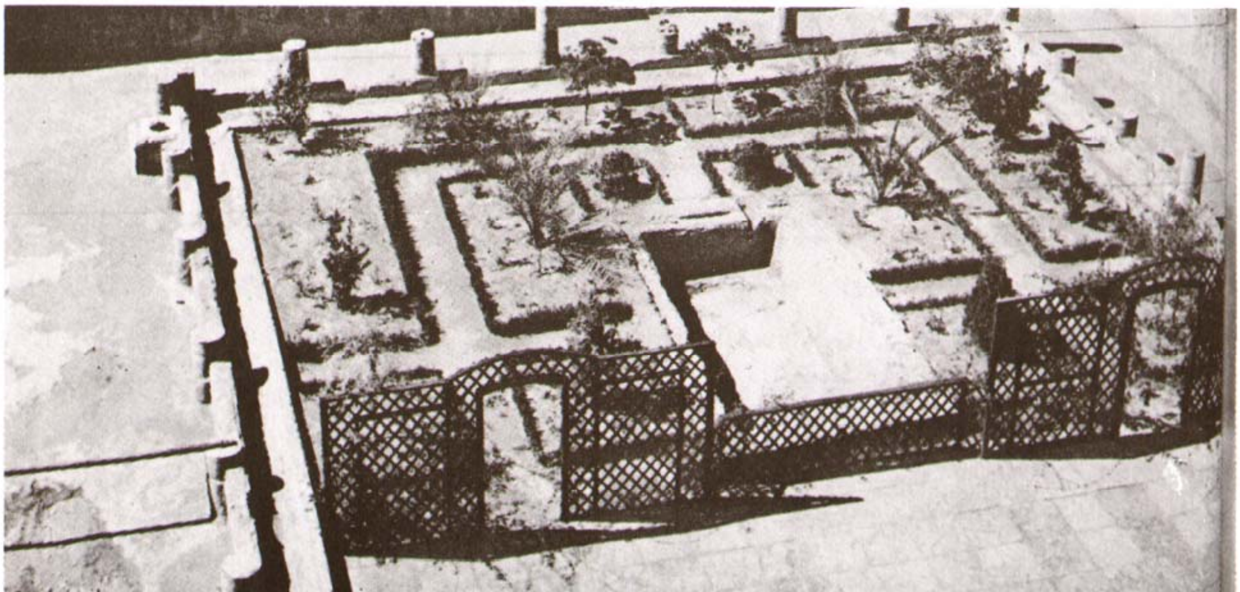

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

٢٩ ديانة الرّومان وظهور المسيحيّة

المعتقدات الاولى

عدّد الرومان آلهتهم، وجعلوا لكل من مظاهر الحياة إلهًا. واعتقد الشعب بالعرافة. فلا يجرؤ قوادُهم ان يخوضوا معركة قبل استشارة الكهنة. فيستقرون الدجاج المقدس، وطريقة اكله للطعام او يستقرون كبد الحيوان شكلًا ولونًا. واقاموا المذابح في جدران المنازل. وتولّت الكاهنات امر ابقاء الشعلة الخالدة. ووكلوا إلى الإله «جانوس» إله النور والسلام حراسة مدخل المنزل. وعلى صورة هذه العبادة المنزليّة كانت عبادة آلهة الرومان في الهياكل.

من الاغريق الى الرومان

ثمَّ حصل التقارب بل التمازج بين معتقدات الإغريق والرومان. وكان لسكّان «اليونان الكبرى» أثر في ذلك. فقد نقلوا الى ايطاليا معتقدات الاغريق، وبنَوا هياكل تفوق هياكل اثينا ضخامة. ولما قيّض للامبراطوريّة الرومانيّة أن تبسط نفوذها في اليونان والشرق قبست الكثير عن العالم الهليني المطعّم بمعتقدات وآلهة الشرق. واضحى آلهة الرومان صورة طبق الاصل عن آلهة الاغريق، فلا فرق بينهم إلّا في التسمية. فحلَّ جوپتير محل زفس، ومارس محل آريس، وجونون بدل هيرا، ومينرڤا بدل اثينا، وڤينوس بدل افروديت... وتبنّوا ما ورد في الميتولوجيا الاغريقية، فكأنّها نابعة من خيالهم ولم يقبسوها.

وقلّدوا المعابد الإغريقية. واضافوا إليها الشكلَ المستدير، وزيّنوها بالانصاب والتماثيل. وتولّى مجلس الشيوخ السهر على الدين والمراسم والطقوس. وتوزع الكهنة في مجامع، على رأسهم الكاهن الاكبر. وألّفت الكاهنات مجمعًا خاصًا بهنَّ. وأُنيط بهنَّ أمر ايقاد الشعلة الخالدة في الهيكل، فاذا انطفأت عوقبت الكاهنة بالوأد حيّة. وكان كافيًا ان يقوم الناس بواجباتهم نحو الآلهة ليكسبوا رضاهم. واذا لاحظوا ان احداثًا غير عاديّة قد طرأت، عمد اعضاء مجلس الشيوخ الى اقامة مراسم دينيّة خاصّة إرضاءً للآلهة.

ولكنَّ الرومان شأن الاغريق، انتهوا بالتهكّم من الآلهة، بالرغم من نفوذ مجلس الشيوخ. ولا شكّ ايضًا بأن تعاليم سقراط وغيره من الفلاسفة قد أثّرت فيهم فتساهلوا في أمور الدين.

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

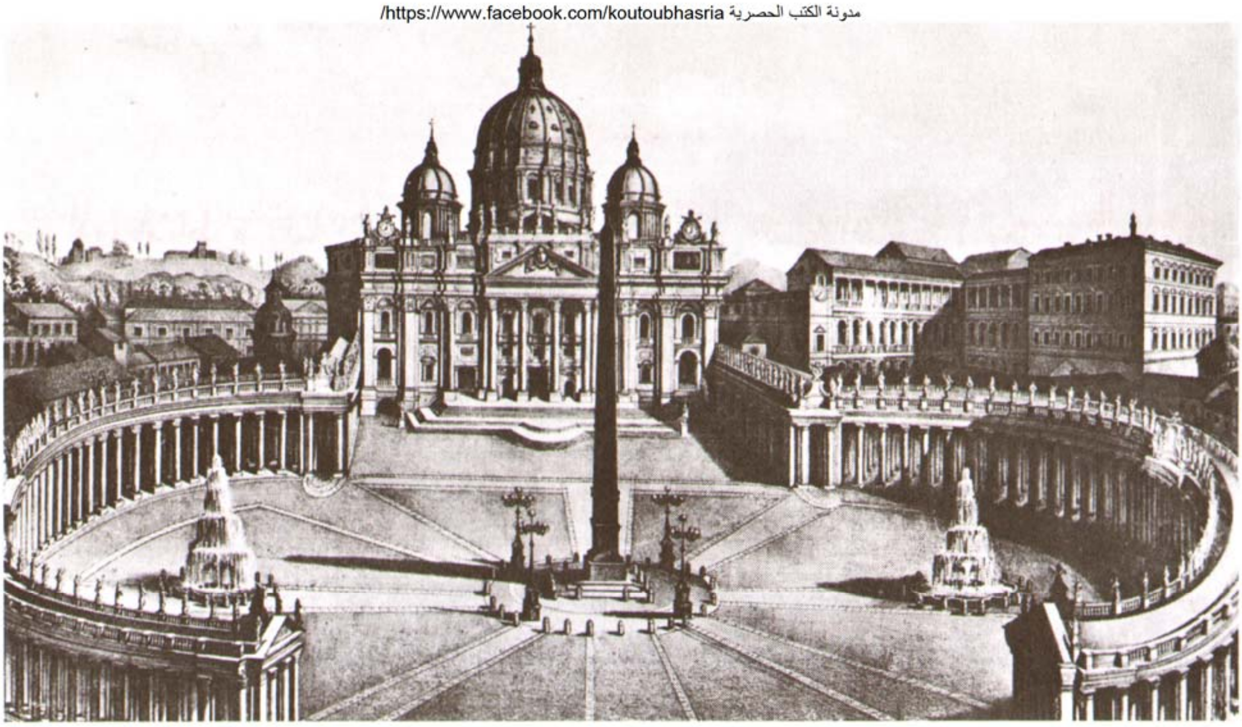

الڤاتيكان، مركز الكنيسة الكاثوليكية

من انجيل لوقا

«ورفع عينيه الى تلاميذه وقال طوبى لكم ايها المساكين فان لكم ملكوت الله. طوبى لكم ايها الجياع الآن فانكم ستشبعون. طوبى لكم ايها الباكون الآن فانكم ستضحكون. طوبى لكم اذا ابغضكم الناس ونفوكم وعيّروكم ونبذوا اسمكم نبذ شرّير من اجل ابن البشر. لكن الويل لكم ايها الاغنياء فانكم قد نلتم عزاءكم. الويل لكم ايها المشبعون فانكم ستجوعون. الويل لكم ايها الضاحكون الآن فانكم ستنوحون وتبكون. لكن اقول لكم ايها السامعون أحبّوا اعداءكم واحسنوا الى من يبغضكم. وباركوا لاعنيكم وصلوا لاجل من يعنتكم. ومن ضربك على خدك فقدّم له الآخر. ومن اخذ رداءك فلا تمنعه ثوبك. وكل من سألك فأعطه. ومن اخذ مالك فلا تطالبه به. وكما تريدون ان يفعل الناس بكم كذلك افعلوا انتم بهم. لا تدينوا فلا تدانوا. اغفروا يغفر لكم. اعطوا تعطَوا. انكم تعطون كيلًا صالحًا ملبّدًا مهزوزًا فائضًا في احضانكم لانه بالكيل الذي تكيلون به يكال لكم.

الإلهة مينرڤا التي بلغت عند الرومان منزلة اثينا عند الاغريق

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

دور الاباطرة لمّا كان الأمر لاوكتافيوس، أُعطي لقب اغسطس، وهو لقب لا يُعطى إلّا للآلهة. وليست الصّفة الإلهيّة المعطاة للحاكم بالأمر الجديد. فيوليوس قيصر من قبل اعتبر إلهًا. ومعنى ذلك ان الأمر قد انتهى باعطاء الامبراطور عامّة صفة إلهيّة. كذلك نفسر اهتمام الأباطرة بامور الدين عندما أكثروا من الهياكل وعزّزوا مركز الكهنة. واقيمت الألعاب في مواسم الأعياد. ومن بين المراسم الجديدة التي ادخلها أغسطس «عبادة الامبراطور». وسرت العدوى الى المتنفذين وبولغ في احترام حكّام المقاطعات المشرقيّة فاعتبروا آلهة. بينما في الغرب لم يعتبر الامبراطور الهًا إلّا بعد موته. هذا اذا لم تسؤ سمعتهم أمثال نيرون.

التأثيرات الشرقية

أ – الاقتباس لم يجد الرومان صعوبة في تبنّي آلهة غيرهم من الشعوب. فقد اخذوا عن الأتروسكيين والإغريق معًا. ولما سيطروا على العالم الهليني، ادخلوا الى روما عبادة الإلهة «ايزيس» المصريّة، وعبادة الإله الفارسي «ميترا». ولا بُدَّ ايضًا أن يكونوا قد تأثّروا بالمرحلة الصوفيّة من ديانة الإغريق. وازدادَ شغفهم بالمراسم الدينيّة الشرقيّة لما فيها من اسرار وغموض وأبهة.

٢ – التوحيد والروحانيات وعرفت بعض مناطق الشرق مظاهر التوحيد في الدين. منها عبادة الفرعون اخناتون لقرص الشمس آتون دون غيره من الآلهة. واصطبغت ديانة الفرس بروحانيّات الشرق الاقصى، شأن المزديّة بعد ان شذّبتها اصلاحات زرادشت. ثم كان حجر الاساس في التوحيد والروحانيّات مع العبرانيين.

٣ – دور العبرانيين تميّزت ديانة العبرانيين بابتعادها عن المظاهر الماديّة وبعبادة إله سماوي سموه «يهوه» هو الله. وبواسطة كليمه موسى انزل الله وصاياه العشر. وقام ميثاق بين الله وموسى وتجدّد هذا الميثاق مرارًا. ولكن ديانة العبرانيّين لم تسلم من الشرك احيانًا. فتوصّلت زوجات ملوكهم الفينيقيّات من فرض العبادات الفينيقيّة لديهم. فثارت ثائرة «الانبياء» وندّدوا بالمشركين فردّوا المعوجين. وآخر انبيائهم كان يوحنا الذي بشّر بقرب مجيء المسيح، ثم عمّده في الاردن. فكانت ديانة العبرانيّين اقرب الديانات الموحّدة الى المسيحيّة، حتى اذا جاء المسيح قال: «اتيت لاكمّل لا لانقض».

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

ظهور المسيح

لبث العبرانيون او اليهود (سكّان اليهوديّة والسامرة) ينتظرون مجيء المسيح (أي الذي مسحه الله) ليخلّص شعب اسرائيل [١] من التشتيت والاضطهاد اللذين لحقا به. وليؤمّن له ملك العالم. وبالفعل ظهر المسيح ايام اغسطس قيصر. وقد ولد في بيت لحم وترعرع في الناصرة. ولما بلغ الثلاثين انطلق مبشّرًا بين فلسطين وجنوبي لبنان. ولما صرح بانه ابن الله مخلّص البشر جميعًا لا اليهود فقط، ثارت ثائرة اولئك وحملوا الحاكم الروماني بيلاطس البنطي على صلبه في عيد الفصح [٢] على جبل الجلجلة حوالى العام (٣٠). فمات وبُعث في اليوم الثالث من موته، وصعد الى السماء.

ونعرف تعاليم المسيح واقواله من «الأناجيل الاربعة»، وقد دُوّنت خلال القرن الاول لظهوره. فقال بوحدانيّة الخالق أي الله، الآب السماوي لجميع البشر. وبأنه (أي المسيح) مرسل من ابيه الله ليخلّص الناس من الخطيئة، وليهبهم طريق الخلاص والسعادة بعد الموت. وشدّد على محبة الله والقريب فكانت المحبة احد اسس تعاليمه.

انتشار المسيحية

أ – الوصيّة

مات السيد المسيح سنة ٣٠ م. ولم يتجاوز عدد المسيحيين آنذاك المائة والعشرين، ابرزهم الرسل الاثنا عشر والتلاميذ الاثنان والسبعون. فراحوا يكرزون بيسوع مسيحًا. فاغاظ ذلك مجمع اليهود واعتبرهم خارجين على الله والناموس. فقبض على الرسل ومثلوا امام المجمع فجلدوا؛ إلا انهم لم يتراجعوا عن الكرازة. وحصروا نشاطهم في البدء في فلسطين عملًا بوصية «المعلم»: «الى طريق الامم لا تمضوا، بل اذهبوا الى خراف بيت اسرائيل الضالة». ولما توطّد العمل، وسّعوا نطاق التبشير متجاوزين حدود البلدان والأمم عملًا بقول آخر: «واذهبوا الى العالم اجمع، واكرزوا بالاناجيل للخليقة كلها».

وتضاعف عدد اتباع المسيح في فلسطين، ولكن استشهاد اسطفانوس، احد الرسل، مرجومًا بالحجارة على يد اليهود، اضطر بقية المسيحيين الى الفرار، فلجأوا الى لبنان وسوريا والبادية وآسية الصغرى واليونان. ونزل الاضطهاد

---

١) اسرائيل اسم آخر ليعقوب والد يوسف.

٢) الفصح لدى اليهود هو ذكرى عودتهم من مصر يقودهم موسى.

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

بالرسل والتلاميذ، فقصدوا انطاكية حيث لحق بهم بطرس الرسول (٤٥ م). وفي انطاكية عرف المسيحيون بهذا الاسم لأول مرة.

٢ً – دور بولس الرسول وآلى احد ابناء «طرسوس» – شاوول بولس اليهـودي – على نفسه اضطهاد المسيحيين باسم الناموس. واجبر انصار اسطفانوس، اول الشهداء، على الفرار من فلسطين. وتوجه الى دمشق مصممًا على التنكيل بالمسيحيين. واثناء الطريق «أبرق حوله نور من السماء، فسقط على الارض، وسمع صوتًا يقول له: «شاوول شاوول لماذا تضطهدني؟»». فانتهى بولس باعتناق المسيحية. ودمشق التي قصدها مُنَكِّلًا جاب انحاءها مبشّرًا بالدعوة المسيحية. فاضطُهد بدوره، وفَرَّ الى البادية يبشر بين العرب. وبعد فترة عاد الى مسقط رأسه طرسوس فانطاكية. وانتهى به الامر في روما حيث استشهد ايام «نيرون» مع بطرس وغيره من المؤمنين.

ولبولس دور خاص في توطيد دعائم المسيحية. ففي الرسائل التي كتبها ميَّزَ بولس بين المسيحية واليهودية، وكان فيلسوف المسيحية، يساعده على ذلك علومه في الدين التي حَصَّلها في مسقط رأسه «طرسوس» وفي «أورشليم».

٣ً – الاضطهادات وتشدّد اباطرة الرومان في معاملتهم للمسيحيين، لانهم رفضوا احترام آلهة روما. وكان من عادة الرومان ان يتساهلوا حيال تسرّب العقائد الجديدة، شرط ألّا تتعرض لآلهة روما. لهذا اضطهد المسيحيون واستشهد منهم خلق كثير، واتهمهم نيرون باحراق روما لينزل بهم عقابه الصارم. وخاف اباطرة آخرون، أخصّهم «ديوقلتيانوس» (٢٨٤–٣٠٥) من ان يؤدّي انتشار المسيحية وتنكّرها لآلهة الدولة الى زعزعة السلطة المركزية في انحاء الامبراطورية، فتشدد في عقاب المسيحيين، و «عمّاله قطعوا الانوف والآذان والألسن، وغرزوا القصب تحت الاظافر ودقّوا الحديد في البطون.»

ولكن هذا الاضطهاد شدَّد عزائم المسيحيين، فاقبلوا على الاستشهاد بجرأة نادرة، واضحوا يجتمعون خفية في بيت احدهم، ويتمسكنون في حياتهم تشبهًا «بالمعلم»، وينقادون لتعاليمه، ويتقاسمون العيش، حتى سيطر جو من المحبة والتسامح. ولاقى الفقراء في هذا المحيط ترحيبًا وحظوة لأنهم أحقّ بالمحبة. فأتت نتيجة الاضطهاد معكوسة. وازداد عدد المؤمنين بين الفقراء والعبيد خاصة، واختفى في المسيحية التمييز الطبقي أو الجنسي.

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

صور المركز المسيحي الاول

« كانت صور اول مدينة قامت فيها جالية مسيحية. يقول لنا بولس الرسول انه عندما رجع من بلاد اليونان لزيارة اورشليم – وكانت آخر زيارة له – عرج على صور فوجد فيها كنيسة تضم اعضاء من رجال ونساء واولاد. وقد اقام بينهم سبعة ايام. وقد حذره مسيحيو صور من الذهاب الى اورشليم لانهم كانوا يوجسون خيفة عليه. فتضرعوا اليه ان يظل عندهم. وعندما شيعوه الى الشاطئ ليستقل السفينة ركعوا على الرمال وصلوا من اجله. وعند منصرم القرن الثاني الميلادي اصبحت الجالية المسيحية في صور من الكثرة والقوة بحيث انه أُنشئ في المدينة كرسي لمطران، واصبح لهذه المطرانية بعد قليل من الزمن اربع عشرة اسقفية ... »

حتي – «لبنان في التاريخ ص ٢٦١».

محاربة الوثنية

« ... وقد أمر قسطنطين بهدم هيكل افقا، الذي كان معقلًا حصينًا للوثنية، وذلك لان المتعبدين في هذا الهيكل كانوا يمارسون طقوسًا وشعائر تتنافى مع المسيحية، واليك ما يقوله يوسيبوس عن هذا الهيكل:

«لم يكن هذا الهيكل في وسط مدينة بل كان في غابة نائية عـن العمران بعيدة عن الطرق التي يسلكها الناس، في مكان اسمه افقا على قمة من قمم لبنان. وكان مكرسًا لعبادة شيطان رجيم يعرف بالزهرة (ڤينوس). كان هذا الهيكل بؤرة فساد وشر يقيم فيه اشرار نذروا نفوسهم للدعارة والبغاء. في هذا المعبد كان الانسان يفقد كل احترام لقدسية الانسان وقدسية طبيعته الجنسية، فكان يقدم جسده ذبيحة على مذبح الدعارة ليستميل رضا الشيطان.»

حتي – «لبنان في التاريخ ص ٢٥٤–٢٥٥».

الإله مترا. مقتبس عن الفرس.

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

ولما اشتد اضطهاد الدولة لهم، لجأوا في اجتماعاتهم الى دهاليز مخصصة في الأصل لدفن موتاهم. فاتهموا بتدبير المؤامرات في خلواتهم تلك. ولم يتوقف اضطهاد المسيحيين إلا ايام قسطنطين بموجب براءة ميلانو (٣١٣). ولما كان الامر للامبراطور «تيودوسيوس»، اعترف بالمسيحية دينًا للدولة؛ وفي ذلك اكبر كسب لدين المسيح على صعيد الانتشار.

٤ً – الانتشار لم يكن تقبّل الافكار المسيحية وقفًا على فئة معينة من الناس، بل امتدّ الى كل الاجناس والبلدان والحضارات. وتغلغلت المسيحية في المدن الرئيسية كما تسرّبت الى القرى والأرياف، انطلاقًا من فلسطين حتى روما عاصمة الدولة. وساعد تنظيم الامبراطورية على نشر المسيحية، لان روما كانت قد بسطت نفوذها على كل انحاء المتوسط، وربطت العاصمة بالمستعمرات بواسطة شبكة متقنة من الطرق، ووحدت اللغة والشرائع، فَتَوَحَّدَ بذلك العالم الروماني. حتى اذا وصل التبشير الى روما سَهُلَ عليه ان يذهب في كل الاتجاهات مستفيدًا من وحدة العالم الروماني. فمن العاصمة انتقلت المسيحية بسهولة الى افريقيا الشمالية واوربا الغربية. وفي عام (٨٠٠ م) تقبلت الشعوب الجرمانية تعاليم المسيح، ومن بعدها الشعوب السلافية في اوروبا الشرقية وروسيّا واخيرًا اوروبا الشمالية في القرن الثالث عشر.

انما ظهور الاسلام حَدَّ من انتشار المسيحية في آسيه وشمالي افريقيا واسپانيا. وفشلت فيما بعد محاولات الصليبيين في استرجاع الاراضي المقدسة. إلّا ان المَدَّ الاستعماري الاوروبي رافقه اقبال المبشرين على تعليم الاناجيل في ارجاء العالَمين: القديم والجديد.

التنظيم والاستمرار

أً – الكنيسة في الوقت نفسه الذي كرَّسه بولس الرسول للتبشير، اهتم بتأسيس كنائس المدن والمقاطعات التي يكرز فيها. فجعل على رأس كل كنيسة ممثلًا عنه يُدعَى أُسقفًا، ويساعد الاسقف عدد من القسيسين والشمامسة. وتكاثرت الكنائس، وتكتلت في كل ولاية واعترفت بسلطة كنيسة عاصمة الولاية عليها. فعلت بذلك مرتبة اسقف كنيسة العاصمة كأسقف انطاكية في الشرق، واسقف الاسكندرية في مصر، واسقف قرطاجة في شمال افريقيا. أما روما عاصمة الامبراطورية فقد اختارها بطرس، هامة الرسل، مركزًا له فكانت

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

لها الاولوية بين سائر الاسقفيات. ولا تزال البابوية اليوم وريثة هذا الواقع.

٢ – آباء الكنيسة وأكمل عَمَلَ الرسل والشهداء فئةٌ من «القديسين» لُقبوا باسم «آباء الكنيسة»، لانهم انصرفوا الى التنظيم والتعليم، موطدين بذلك اركان الكنيسة، متعمقين بجذور العقيدة والايمان. وبلغوا ذروة عملهم في القرن الرابع. وقد اعتُبر ما خلّفوه من مؤلفات حجر الاساس بالنسبة للّاهوت. وامتازت كتاباتهم بِنَفَسٍ انساني جاوز حدود عصرهم وعقليته، وتحدُّوا مشاكل الانسان عامة في سبيل ايجاد الحلول لها. وفي القرن السادس عشر، عندما قام الاصلاح البروتستانتي والكاثوليكي، أحسَّ المصلحون بانهم بحاجة للعودة الى ما كتبه آباء الكنيسة من شرقيين وغربيين. ومن مشاهيرهم بين الشرقيين القديس «افرام السرياني» و «يوحنا الذهبي الفم»، وفي الغرب القديس «أغسطينوس» والقديس «إيرونيموس» مترجم الكتاب المقدس الى اللغة اللاتينية.

٣ – التنسك والرهبانيات من وصايا السيد المسيح الى تلاميذه «ألّا يحملوا شيئًا للطريق: لا عصًا ولا مزودًا ولا خبزًا ولا فضة، وألّا يكون للواحد منهم ثوبان». فحفظوا وصيته واحتقروا المادة. وتخلُّوا مخيّرين عن ملاذّ الحياة الدنيا ومقتنياتها. وكثر المتمثلون بهم، لا سيما عندما ألمّت الاضطهادات بالمسيحيين، فانصرف العديد منهم الى البراري مفتشين عن العزلة للتقشف والصلاة وناشدين طمأنينة النفس واعدادها لليوم الآخر. ولما انفرجت الضائقة، كانت الرهبانية قد توطدت بين المسيحيين واضحت احدى مظاهرها المميزة.

وكان «انطونيوس» الكبير (٢٥٠–٣٥٦) اشهر الرهبان، اصله فلّاح مصري ذاع صيته وكثر محبذوه، وانتشروا في صحراء مصر. وكذلك شاع صيت القديس «باخوميوس» المصري. وانشأت اخت «باخوميوس» هذا رهبانية نسائية. وفي آسية الصغرى طغت شهرة الراهب «باسيليوس» الكبير (٣٢٩–٣٧٩) اسقف قبادوقية السابق. اما اشهر الرهبان لدى اللبنانيين فهو مار مارون.

ثم انتقلت الرهبانيات الى الغرب، وانتظمت على يد القديس «بندكتس» (٤٨٠–٥٤٧)، وجُمع فيما بعد بين الرهبنة المنعزلة والخدمة الرعائية، وانصرف الرهبان الى اعمال الخير والتبشير والتعليم.

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

تأثير المسيحية

قال السيد المسيح: «إن ملكي ليس من هذا العالم». وفي ذلك تأكيد لخلود النفس وتفريق بين المادة والروح. فشدَّد عزيمة الفقراء والمساكين والعبيد. وصبر المضطَّهَدُون على ضيمهم، وتقبلوا اوضاعهم لأن لهم «ملكوت السماوات». فبعد الموت ينتفي كل تمييز طبقي، ويتساوى الحُرّ والعبد امام الله. وينال كلٌّ جزاء اعماله. فيكون المسيح قد حلَّ مشكلة الدينونة التي شغلت الاقدمين، وبرزت في «كتاب الموتى» لدى المصريين وفي تعاليم «زرادشت». ولما اوقف الامبراطور قسطنطين اضطهاد المسيحيين، سيطرت على المجتمع روح جديدة. وتبدَّل مفهوم الحكم مع «تيودوسيوس» عندما اعترف بالمسيحية دينًا للدولة. فتطعّمت الشرائع والقوانين بمفهوم «المحبة المسيحية»، واحتل رجال الدين مرتبة سامية في جهاز الامبراطورية.

١ – التأثير الاجتماعي

وتبدلت النظرة الى المجتمع بعد ان تعرّض آباء الكنيسة للقضايا الانسانية، متجاوزين بذلك حدود عصرهم الزمنية. فهيّأوا للطبقات الوضيعة احترامًا لم يكن لها في السابق.

وافادت المرأة من احترام المسيح لها. فقد نظر فيها الى الانسان قبل كل شيء، وحذّر الناظرين اليها بسوء فقال: «من نظر منكم الى امرأة واشتهاها فقد زنى». ومنح الغفران لمريم «المجدلية»، ودافع عن غيرها قائلًا: «من كان منكم بدون خطيئة فليرجمها بحجر». وحارب الطلاق ضنًّا بقدسية الزواج والعائلة، وحذّر مريديه بقوله: «من طلّق زوجته فقد زنى، ومن تزوج مطلقة يزني».

٢ – التأثير الحضاري

خاطب المسيح بطرس قائلًا: «انت الصخرة وعلى هده الصخرة ابني بيعتي». فاهتم بطرس بتنظيم الكنيسة وجعل مركزها روما. ولما حل الانشقاق في الامبراطورية تبعه انشقاق في الكنيسة. واضحت القسطنطينية مركزًا للكنيسة الشرقية. وازاء تعرض الامبراطورية لهجمات البرابرة والهون، كان للرهبان والاديرة والاكليروس عامة فضل في حفظ التراث القديم. لانهم تضلعوا من الدين والمعرفة والادب، واسسوا المدارس فحافظوا بالتالي على هذا التراث من الضياع. ولما كان عصر النهضة في اوروبا، عاد الفضل لمكتباتهم في مدّ العلماء والمفكرين بذخائر الفكر القديم. وعن طريقهم انتقلت المعرفة من العصور القديمة والوسطى الى العصور الحديثة.

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

رسم رمزي يمثّل الطفل يسوع وامه مريم
لوحة زيتية عائدة لعصر النهضة

علامة المسيحيين الأول

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

٣٠ الحياة الاقتصاديّة

أثر الاتروسكيين تقدّمت الزراعة في ايطاليا بفضل ما خلّفه الاتروسكيّون من آلات واقنية وأساليب في تجفيف المستنقعات واخصاب الارض.

ولم يقصّروا في الصناعة فاستغلّوا مناجم الحديد والنحاس في جزيرة ألبا المجاورة. وصهروا منها البرونز، وصنعوا الأسلحة والتماثيل والآنية. وطوّروا صناعة الآجر وبَرعوا في الخزف فجعلوا منه الآنية والتماثيل ايضًا.

واقاموا مع قرطاجة والمستعمرات اليونانيّة صلات تجاريّة فصدّروا اليها منتجاتهم واشتروا منها حاجاتهم. وفي كل هذا تأكيد لإزدهار الاقتصاد في ايطاليا قبل قيام الجمهورية الرومانية واتساع حركة الفتوح.

الاقتصاد في الايام الاولى لروما توزّعت أرض ايطاليا الى ملكيّات صغيرة، يعمل فيها الفلّاح وأُسرته وبعض العبيد، اذا كان قادرًا على اقتناء العبيد. فيزرع القمح والشعير والفول والحمص والخضار والزيتون والكرمة. ويقتني بعض الماشية من الاغنام والخنازير، واحيانًا الابقار اذا سمحت حالته الماديّة. ويربي النحل ليحلّي مآكله بالعسل.

وسرعان ما برز التفاوت في الثروات، فحلّت الملكيات الكبرى تدريجيًّا محل الملكيات الصغرى. ولجأ العديد من الفلاحين الى الاستدانة. وحيال عجز بعضهم عن أداء الدين كان نصيبهم الاستعباد. ومَن نجوا من الاستعباد اصطدموا بالاثرياء لأن هؤلاء حظروا عليهم رعاية مواشيهم في المراعي الخصبة.

أ – الزراعة ولمّا قامت الفتوح في أواسط القرن الثالث قبل الميلاد. تحوّل المزارعون عن العمل في الحقل الى الجنديّة. ولما عادوا الى املاكهم وجدوها بورًا قاحلة، فباعوها من الأغنياء بأسعار بخسة، وهجروا قراهم الى روما أو إلى مستعمرات رومانيّة بعيدة كصقلية وشمالي افريقيا حيث الارض أخصب. ولمست الدولة فيما بعد ان استيراد القمح اقلّ كلفة من انتاجه، فحوّل الاثرياء حقولهم الى مراعٍ. ومن بقي متشبثًا بأرضه من الفلّاحين لم يصمد امام مضاربة اسعار القمح المستورد فاضطرّ لبيع املاكه، واستحال عاملًا او شريكًا في ارض غيره. وهكذا تحوّلت كل منطقة اللاسيوم المحيطة بروما

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

التجارة اللبنانية ايام الرومان

«... ولم يقنع هؤلاء التجار السوريون الفينيقيون بالبقاء في مدن الموانئ بل كانوا يوسعون تجاراتهم مع داخلية البلدان التي كانوا ينزلون على شواطئها متتبعين الطرق النهرية والبرية الرئيسية. وحيثما كانت تبدو بارقة رزق أو ربح كانوا يذهبون حاملين الى جانب بضائعهم وسلعهم عناصر حضارية ثقافية. ففي ايطاليا نجدهم في زفنا وتريستا وأكيليا (عند راس البحر الادرياتيكي) وفي صقلية نجدهم في مدينة سيراقوسة ومسّينا، وفي دلماشية (على شواطئ الادرياتيكي الغربي) نجدهم في سالونة، وفي اسبانية نجدهم في اماكن بعيدة في داخلية البلاد مثل قرطبة. وقد عثر على نقش في مدينة ملقا، يعود تاريخه الى القرن الثاني الميلادي، يذكر فيه كاتبه شركة تجارية سورية. اما في وادي الدانيوب فنجدهم مثلاً قد اوغلوا الى اماكن بعيدة مثل ابولوم في داكية وسرميوم عاصمة بانونية (وهي القسم الشرقي من بلاد النمسة وهنغارية). وقد استهوتهم بشكل خاص بلاد الغال (فرنسة). فاننا نجدهم في وادي نهر الجيرون في مدينة بوردو. وفي وادي نهر الرون نجدهم في مدينة ليون...»

حتي – «لبنان في التاريخ ص ٢٤٢».

تمغاد، مدينة رومانيّة في شمال افريقيا

قوس النصر في تدمر

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

الى ملكيّات شاسعة اقام فيها الاغنياء « فيلّاتـهم » الفخمة، واحاطوها بحقول الكرمة والزيتون. هكذا نفهم ان ارض مصر وشماليّ افريقيا كانت في وقت من الاوقات اهراءً لروما.

٢ً – الصناعة لم يكن للصناعة الا منزلة ثانويّة. انتاجها ضئيل، لم يتعدَّ النطاق الذي كان عليه الاتروسكيّون. واقتصرت المصنوعات على الحاجات الضروريّة، كالاواني الفخّارية والخزفيّة والاسلحة والمحاريث. ونادرًا ما قامت المحترفات التي تضمُّ عددًا وفيرًا من العمال.

٣ً – التجارة لم يتّسع نطاق التجارة الداخلية. فالاسواق كناية عن حوانيت قليلة لبيع المنتجات المحليّة. اما التجارة الخارجيّة فقد شجّعها الاثرياء لأنها تأتيهم بالكماليات عن طريق الاغريق والفينيقيّين. وزاد في ضآلة التبادل الخارجي قلة النقود المسكوكة.

تأثير الفتوح كان العامل التجاري احد الاسباب الرئيسيّة للفتوح. فقد اقتنع رجال المال والتجار بان اتساع رقعة الامبراطوريّة هو اتساع لنطاق التبادل التجاري.

١ً – ازدهار التجارة وقامت صلات مشبوهة بين التجّار واعضاء مجلس الشيوخ فحثّوهم على اعتماد سياسة التوسّع واشركوهم في الربح. فتعزّزت بذلك التجارة الخارجيّة، واثرى العديدون. وتعددت المحترفات، وضاقت بالمئات من العمال. واغرقت الاسواق بالكماليّات. وتدنّت في الوقت نفسه قيمة اليد العاملة نتيجة لتدفّق اعداد ضخمة من الأسرى العبيد.

٢ً – استقلال المقاطعات وعوملت المقاطعات الرومانيّة بمنتهى القسوة. وفرضت عليها الضرائب بجشع. ولم يعبأ حكّامها باعتراضات السكّان، لأن شكاويهم ستضيع أمام مجلس الشيوخ كصرخة في واد، إذ من بين أعضاء مجلس الشيوخ ينتقى الحكّام عادة. فتأخرت هذه المقاطعات نظرًا لسوء المعاملة والاستغلال، واذا احجمت عن اداء الضرائب تعرّضت للتنكيل. ولم يتبدّل هذا الوضع الّا مع اغسطس قيصر واصلاحاته.

وفكّر الرومان بأن يخففوا احيانًا من عبء هذا الحمل عن المقاطعات. فاعطوا بعضها لقب المستعمرة الرومانيّة، وفي هذا اعتراف لسكانها بالحقوق

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

نفسها التي للمواطنين الرومان. فحظيت اذّاك بمعاملة المدن الايطالية نفسها.

ولا مجال للعجب من موقف الرومان هذا، لا سيّما بعد اهمالهم زراعة القمح في ايطالية، معتمدين على انتاج مقاطعاتهم. وبهذه السياسة اتيحت لهم حياة البذخ والترف أو حياة الخمول والانحلال لدى الاثرياء واهمالهم لمصالح الدولة.

الازدهار الاقتصادي تمكن اباطرة القرنَيْن الأول والثاني للميلاد من حفظ الأمن في جميع انحاء الامبراطورية. فسيطر «السلم الروماني». ومع استتباب الأمن نشطت الحياة الاقتصادية، وقامت الاصلاحات، فتخلّصت المقاطعات من استبداد الحكّام واعتباطيتهم في جمع الضرائب. وسكّت النقود فسهل التبادل. واهتمَّ الاباطرة بالتجارة لأن لهم مصلحة شخصيّة في ذلك.

أ – في الشرق تعدّى نطاق التجارة حدود الامبراطوريّة الى فارس والشرق الاقصى وشمال افريقيا. ونالت كل من انطاكية والاسكندريّة حظوة. وتأمّنت طريق القوافل ومحطّاتها كتدمر مثلاً. وحفر الامبراطور «تراجان» (٩٨–١١٧) قناة وصلت البحر الابيض بالبحر الاحمر، فكانت السفن تسلك طريق النيل حتى جنوب القاهرة ومن هنالك تدخل في قناة تقودها الى البحر الاحمر. وهكذا اتصلت روما بالشرق الاقصى. (انظر ص ٢٠٩).

٢ – في الغرب وكانت روما ايضًا مركز نشاط تجاري. فازدهر مرفأها «اوستيا». وانتهت اليه كل منتجات الامبراطورية الرومانية، من كماليات الشرق، وخمور غاله وخزفها وقمحها وانسجتها، ومعادن اسبانيا وبريطانيا. وعاد الازدهار الى مرفأ «مَسّيليا»، فاستفاق بعد غفلة طويلة. ولكن مقابل هذا الاستيراد لم تصدّر روما شيئًا، وفي ذلك نزف مطرد لامكاناتها الماليّة.

اما سائر ايطاليا فقد بقيَ فقيرًا بامكاناته. لأن نزوح الفلّاحين الى روما او الى المستعمرات اضرَّ بالانتاج. فاضحت روما عالة على المقاطعات الرومانية.

بروز الشرق منذ القرن الميلادي الثالث، افتقر الشطر الغربي من الامبراطوريّة الى العناصر البشريّة. فنجم عن ذلك عجز في تأمين الخدمة العسكريّة. وعاث البرابرة فسادًا في المزروعات وأتلفوها. واضطرب حبل الامن فتأخّرت التجارة بين

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

المدن. وعجز السكان عن دفع الضرائب ، في وقتٍ ازدادت معه الحاجة الى هذه الضرائب. فسكّت الدولة عملة جديدة فيها نسبة قليلة من الفضّة والذهب. فتدنّت قيمة النقد وانعكس تأثير هذا التدني على الحالة الاقتصادية ، اذ لا مجال لازدهار الاحوال مع عملة متداعية.

وفيما كان الغرب يقاسي من متاعبه الاقتصاديّة ، برزت مدينة انطاكية كمركز تجاري هام. وانتهت اليها قوافل الشرق حاملة عطور شبه الجزيرة العربيّة وافاويه الهند وحرائر الصين. ودأبت الاسكندرية على نشاطها عبر البحرين الأبيض والاحمر. فاضحت مقصد رجال الاعمال من غربيّين وشرقيّين معًا. وكان لحسن اختيار مركز القسطنطينيّة ، ان وجّه ضربة قاصمة الى اقتصاديّات روما.

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

جسر وقناة رومانيّان في غالّه (فرنسا اليوم)

الانتاج اللبناني

«وقد ادرك اللبنانيون في العهد الروماني اهمية السوق الاوروبية وتعاظم الطلب على النتاج اللبناني الذي يمكن تصديره الى الخارج. كانت زراعة القنّب (الذي تصنع من اليافه الانسجة الكتانية) معروفة في لبنان وفي جميع انحاء غرب آسية. اما القطن، الذي يظهر ان زراعته كانت قديمًا تقتصر على الهند، فقد دخل البلاد بدخول العرب. وكانت المدن الفينيقية تصدّر الخمور وزيت الزيتون والتمر والجلود والفراء «واجود انواع الطحين» وقد اشتهرت بيروت بزبيبها «الذي لا يفوقه في حلاوته زبيب آخر» وكان الرومان يقدرون جودة خمرها كما كانوا ايضًا يقدرون خمر صور. وقد اشتهر الكتّان البيروتي في كل العالم. وفي شرائع ديوكليشيان التي تتعلّق بالضرائب والمكوس نجد انه راعى بصورة خاصة الضريبة على الكتان اللاذقاني والجبيلي والصوري».

حتي - «لبنان في التاريخ ص ٢٣٦».

عربة زراعيّة

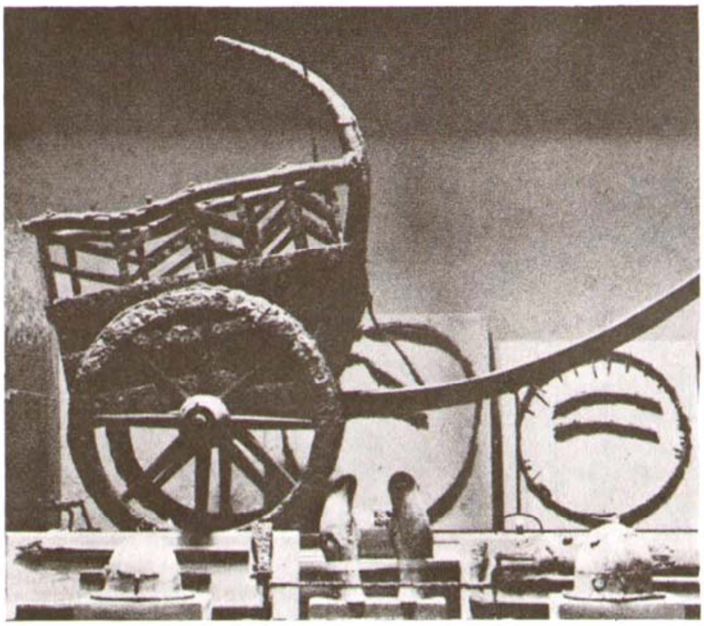

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

٣١ الأدب والفنون والعمران

التعليم في البدءِ، لم يُبدِ الرومان، بالرغم من مجاورتهم للاغريق، أي حماس للأدب والفن. ولكن الفتوحات في الخارج بدّلت من مفهومهم للعلم، ودفعت اثرياءهم الى تأمين التعليم والثقافة لاولادهم. فوكلوا أمرهم الى مربّين يونانيي الاصل أو رومانيين.
وفي القرن الثاني قبل الميلاد توافر عدد «المربّين» في احياء روما: ففتحوا مدارس بسيطة ارتادها اولاد العامّة لأنها لم تحلْ دون تعلم مهنة اوليائهم في الوقت نفسه. وشاء الاثرياء ان يتعلم اولادهم على يَدِ مربّين خاصّين كانوا من العبيد احيانًا. فلقّنوهم، في مرحلة اولى، مبادئ اللغة اللاتينيّة، وفي مرحلة ثانية، قواعد اللغة واصول البلاغة. دون ان يعرضوا عن اللغة الاغريقيّة لأنها اغنى تراثًا. ولم يتردّدوا في اكمال دراستهم في اثينا. حتى اضحت اليونانيّة لغة اساسيّة في روما، وان لم تكن رسميّة. (انظر ص ٢١٩)

الآداب أوّل البارزين في ادب اللاتين كانوا اغريقيي الأصل. اشهرهم في القرن الثالث قبل الميلاد، اندرونيكوس. وتوكأ ادباء اللّاتين في البدء على ادباء الاغريق، فقلّدوهم في كل المذاهب. وكتب كل من پلوت وتيرانس المسرحيات. وتوصل بعضهم ان يبزّ شعراء الاغريق مثل لوكريس (٩٧–٣٥ ق. م) الفيلسوف، وقد تهجّم في «قصيدة الطبيعة» على الآلهة والمعتقدات، شأن الكثيرين من مفكري الاغريق. وجارى شيشرون في بلاغته وخطبه السياسية فيليبيات ديموستينيس؛ وثمة اتفاق حاليًا بان كلا الخطيبَين يحتلُّ القمّة في البلاغة. ويوليوس قيصر نفسه لم تشغله امور الحكم على كثرتها عن تأريخ حملته على غالّه.
وتهيّأت بذلك نهضة أدبيّة بلغت ذروتها مع قيام الامبراطوريّة. واتسع نطاق المعرفة والتعليم، حتى عمّت اللاتينيّة كل انحاء الغرب. ولكن البرابرة وحدهم عجزوا عن تلقّنها. بينما احتفظَ الشطر الشرقي من الامبراطوريّة بلغته اليونانيّة. وحافظت مدينة الاسكندريّة على مركزها العلمي المرموق.

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

بيروت مركز معهد الحقوق

« كان من ابرز المشترعين الرومانيين الذين درّسوا في معهد، الحقوق البيروتي عالمان مشهوران: اميليوس بابنيانوس ودوميتيوس اولبيانوس. ويظهر ان بابنيانوس كان من اهالي حمص، وقد استدعاه الامبراطور سفيروس عام ٢٠٣ ليكون مستشاره القانوني في روما... وترك للعالم ارثًا تشريعيًا اعظم واغنى من اي ارث آخر خلّفه لنا المشترعون الرومان. فانه في عام ٥٣٣، عندما وضعت مجموعة الشرائع المعروفة بشرائع يوستنيان الكبير، ادخل فيها لا أقل من ٥٩٥ مادة او بندًا من المواد القانونية التي خلفها بابنيانوس في مؤلفاته. »

« كان خليفة بابنيانوس رجلًا فاضلًا من مواطنيه: دوميتيوس اولبيانوس. ولد في صور حوالى ١٧٠ ب.م. وكان استاذًا في معهد بيروت. ثم انه استدعي الى رومة ليكون معاونًا لبابنيانوس. وقد عمَّر اولبيانوس اكثر من زميله بابنيانوس، وكانت خدماته في حقل التشريع والقوانين أجل واوسع من خدمات زميله. وقد اقتبس المشترعون الذين وضعوا مجموعة قوانين يوستنيان اكثر من ٢٥٠٠ بند او فقرة من كتاباته ومؤلفاته، مما يشكل ثلث المجموعة اليوستنيانية. وقد كان المسؤول الاول الذي نيط به جمع القوانين لمجموعة يوستنيان استاذًا آخر من اساتذة الحقوق في بيروت واسمه دوروثيوس. فلا عجب ان رأينا يوستنيان يفضل المدينة اللبنانية على غيرها، ولا عجب في انه كان يلقبها «بام الشرائع ومرضعتها».

حتي – «لبنان في التاريخ ص ٢٧٧–٢٧٨».

قوس نصر سبتيموس سويروس

جانب من قوس النصر

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

ويعود الفَضل في بعثِ تلك النهضة الى أوّل الاباطرة أغسطس. فقد حمى الأدباء وصادقهم. ومثله فعلَ صديقه ميسين حتى أضحى اسم هذا الاخير مرادفًا للفظة حامي الادباء والفنّانين. (انظر ص ٣٣٤).

وفيما بعد لمع اسم «تيت – ليف» كاتب تاريخ روما، انما لم يرقَ الينا كل ما كتب. ومهّد لوكاين للتجربة الملحميّة. وتبعه ڤرجيل شيخ شعراء اللاتين، فقلّد هوميروس في ملحمته «الانياذة»، يقصّ فيها تاريخ روما، ويختار لها بطلًا متحدّرًا من طروادة هو «اينيه» جعل منه ڤرجيل احد اجداد اغسطس. ثم انعكس «السلم الروماني» في ابيات «هوراس» التي تتغنى بعذوبة الحياة الايطاليّة.

ولم يطل الامر بالشعر بعد ذاك. وسيطر المنطق على كتابات المؤرخ «تاسيت»، فاستحق ان يقارن بتوسيديدس. ومن بعده برز اسم «بليني الصغير». وكثر الجدل حول المذهب الرواقي، واعتنقه من بين مشاهير الرومان «سينيك» والامبراطور «مرقس اوريلوس».

ولم تتخلَّ لغة الاغريق عن مكانتِها، ففيها كتب سترابون الجغرافي وبلوتارخوس والامبراطور مرقس اوريلّوس نفسه. وحافظت الاسكندرية على نشاطها كمركز للحضارة الهلينيّة. وحيال انتشار المسيحيّة، انقسمت الآراء وكثر الجدل، فظهر مذهب فلسفي جديد همّه التوفيق بين مختلف الاتجاهات هو «الافلاطونيّة المحدثة» ومن مشاهيره افلوطين. وسرعان ما انتقل هذا المذهب الى روما واتخذها قاعدة له.

القانون

أ – اللوحات عند قيام الجمهورية (٥٠٩ ق.م) تسلّط الاشراف، وانفجر العامّة في ثورة اجتماعيّة. فعيّنت لجنة قوامها عشرة من القضاة، وضعت قانونًا مدونًا عُرِفَ باسم «اللوحات الاثنتي عشرة». فاقلع الرومان عن اتباع العرف والعادة الشفويين. وبالرغم من قبول العامّة بقانون اللوحات، لم ينفكوا عن التذمّر منه لما انطوى عليه من قسوة.

٢ – توحيد القانون وأعترى الحياة السياسيّة والاجتماعيّة تبدّل كبير، واستحدثت قوانين كثيرة، وعُدِّلت مرارًا. لكن أباطرة «السلم الروماني» تمسكًا بمبادئ الصدق والأمانة والعدل، رأوا ان يجمعوا القوانين ويوحّدوها في كل ارجاء الامبراطوريّة

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

ويستخلصوا منها القواعد العامّة. فنسمع تراجان (٩٨–١١٧) مثلًا يقول: «ان يفلت مذنب افضل من ان يعاقب بريء». ونرى هادريان من بعده مهتمًا بتوحيد القانون في كل ارجاء الامبراطورية. فانيط ببعض العلماء والاساتذة امثال غايوس وپاپينيانوس ان يجمعا القوانين والاحكام المعمول بها في روما.

٣ – قانون يوستنيانوس واشمل المحاولات وابعدها اثرًا ما قام به الامبراطور يوستنيانوس (٥٢٧–٥٦٥) في الامبراطورية البيزنطية. فقد اكمل عمل هادريان. والّف لجنة جمعت وصنّفت كل القوانين السائدة والمنسية. واكملت اللجنة عملها (عام ٥٣٤) فكان «قانون يوستنيانوس» وهو أساس ما نسمّيه اليوم «القانون الرومانيّ».

وفضل هذه المحاولة في انها عملت بمبدأ المساواة بين الناس، بصرف النظر عن تأثير العقائد والمذاهب. ولكن انتشار المسيحية فيما بعد، فرض بعض التعديلات تمشيًا مع المفهوم الجديد للانسان والمجتمع. ولا ضير في ذلك اذ ليس ثمة قانون جامد.

العمران

ترقى اولى المنجزات الفنيّة في ايطاليا الى ايام الاتروسكيّين. فقد بنوا اثنتي عشرة مدينة بينها روما، واحاطوها بالاسوار. واقاموا فيها المعابد ومدّوا المجارير، وزيّنوا بيوتهم بالرسوم والالوان – وبرعوا في صناعة الخزف والتماثيل والمصاغ.

وفي الوقت نفسه كان جنوب ايطاليا مركزًا للحضارة الاغريقيّة. فبدا طبيعيًا ان يقتدي الرومان بالاتروسكيّين والاغريق معًا.

أ – المنازل اقتصرت اولى منازل الرومان على حجرة واحدة مربّعة الشكل، قليلة الأثاث، يتوسطها حوض من المياه تنصبّ فيه مياه من فتحة مربّعة في السقف. وتقوم هذه الفتحة بالوقت نفسه مقام المنفذ للنور والدخان. (انظر ص ٢١٩).

ومع ازدياد الثروات وتطوّر العيش زيدَ على المنزل حجر جانبيّة أهمها مكتب رب البيت. ولما تكاثر عدد الموالي لم يعد البيت الجديد كافيًا فأُلحق به قسم ثانٍ قوامه حجر جانبيّة مطلّة على بهو بأعمدة وحديقة. ثم اضيف اليه قسم ثالث ضم غرفة الطعام والمطبخ والاستقبال. وغرفة الطعام هي افخم ما في المنزل كلّه. ففيها تقام المآدب اليوميّة، حيث يأكل الجميع نيامًا على اسرة وثيرة. وحسب قدرة المالك، يزدان المنزل بالاثاث الفاخر والرسوم الزيتيّة والفسيفساء والتماثيل.

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

٢ً – التشبه بالاغريق لم يأتِ مهندسو الرومان بنماذج جديدة في تصاميمهم. فقد قلدوا المنازل والهياكل الاغريقية. فكأن المعابد الرومانيّة نسخة طبق الاصل عن المعابد اليونانيّة. سواء من حيث أحجامها أو من حيث اعمدتها. واقتصر التجديد على اعتماد الشكل المستدير فقط. واستُبدل الرخام بالآجر. واقيمت في الهياكل انصابٌ، وازدانت بالنقوش والتماثيل.

٣ً – عصر أغسطس بدأت المنشآت العامة في الظهور في اواخر عهد الجمهوريّة، وقد اهتم بها بشكلٍ خاص يوليوس قيصر. ولكن اغسطس هو مَن صمَّمَ على «جعل روما مدينة الرخام لا مدينة الآجر» وصحّ الكلام عن «عصر اغسطس في روما كما صح الكلام عن «عصر پيريكليس» في اثينا. فبنى المسارح والمدرّجات والحمّامات والقصور. فتألقت روما في عهده. واتسعت مساحتها وازدادت سكّانًا حتى قسمت الى اربع عشرة منطقة مقسّمة بدورها الى أحياء. وما لبثت روما ان ضاقت بسكّانها المليونَيْن. فتعدّدت الطبقات في المنازل واضطر الامبراطور تراجان الى تحديد الارتفاع بثمانية عشر مترًا فقط.

وحافظ العمران على اطراده بعد اغسطس، وتبارى الاباطرة في اقامة آثار تخلد اسماءهم. فاقام «تيطس» قوسًا للنصر، ومثله فعل الكثيرون ومنهم سبتيموس سويروس اللبناني. واقام «ڤسبازيان» اضخم مدرجات روما وهو «الكوليزيوم». ونصب تراجان عمودًا ارتفاعه اربعون مترًا نقش عليه مراحل انتصاراته. وبنى «هادريان» سورًا عاليًا ليحفظ حدود الدولة من غزوات البرابرة. واكثر «كركلّا» من الحمامات العامة.

ونتيجة لهذا التسابق على اقامة الآثار الخالدة، تضخَّمَ عدد المنشآت العامَّة، والمعابد، واقواس النصر، والحمّامات، والتماثيل، والأنصبة، والأعمدة، وميادين السباق.

٤ً – في المستعمرات ولم يغفل الرومان امر مستعمراتهم، حتى لا تشعر هذه المستعمرات بأنها على هامش الامبراطوريّة. فتشبّهت بروما. واقيمت فيها المعابد، والمسارح، والمدرجات، واقواس النصر، وميادين السباق؛ وذاع صيت مدينة «تمغاد» في الجزائر اليوم، وبعلبك وبيروت في لبنان، وتدمر ايام اذينة وزوجته زينب الزّباء، وانطاكية، والاسكندرية واثينا... (انظر ص ٢٠٩).

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

المدرسة الرومانيّة

عمود تراجان

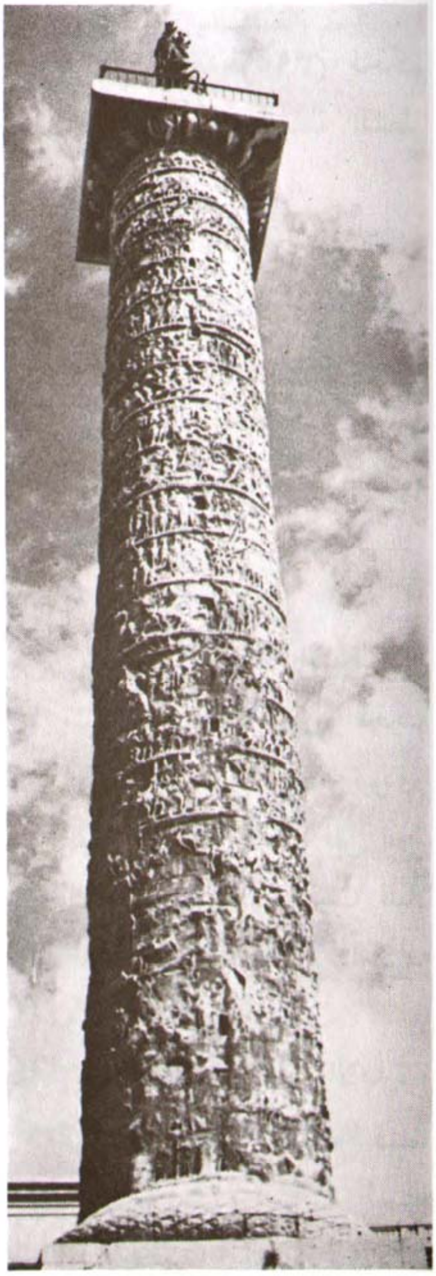

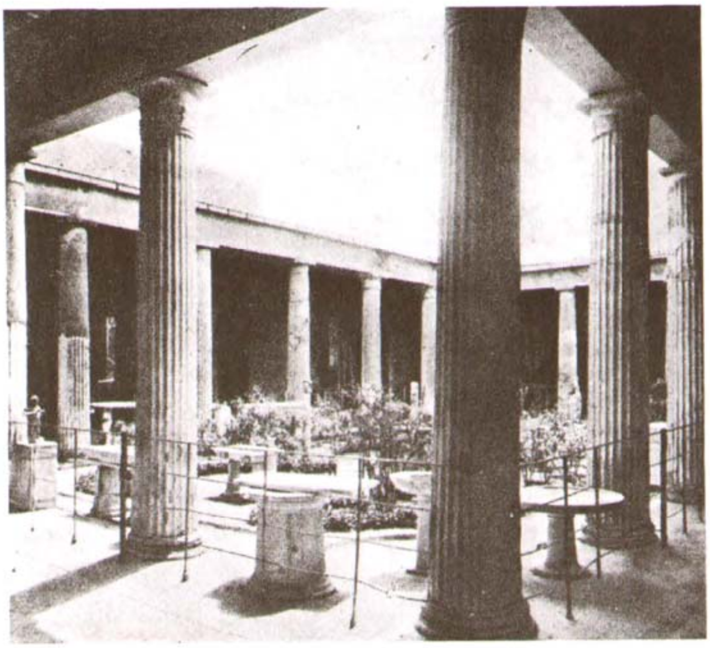

صحن الدار الرومانيّة

تصميم لروما الامبراطوريّة

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

٣٢ الـدّولة البيزنطيّة

دور قسطنطين ٣١٣-٣٣٧

منذ القرن الرابع للميلاد ازداد اهتمام الرومان بالقسم الشرقي من الامبراطوريّة. فلما كان الامر لقسطنطين، غرّه الشرق، فانتقل الى مستعمرة يونانيّة قديمة اسمها بيزنطية. واقام على انقاضها مدينة تسمت باسمه، أي القسطنطينيّة، وفضّل سُكناها على روما.

وفيما بعد، قسم تيودوسيوس الامبراطوريّة بين ولديه (٣٩٥) فحكم اركاديوس الشرق وهونوريوس الغرب. وغدت القسطنطينيّة عاصمة الشطر الشرقي من الامبراطوريّة.

وبعد غزوة أتيلا لروما دخلت الامبراطوريّة الغربيّة مرحلة من الضعف، فاستبدَّ بها البرابرة. وتجرّأ احد القادة «اودواكر»، وهو من البرابرة اصلًا، فخلع الامبراطور الطفل رومولوس أغسطول عام ٤٧٦ م. واعلن نفسه ملكًا. ومنذ ذلك الوقت اختفى اسم امبراطور في الغرب ليحل محلّه اسم «ملك ايطالية». اذّاك اتجهت الانظار نحو القسطنطينيّة باعتبارها امتدادًا لنفوذ روما ووريثة مجدها.

يوستنيانوس ٥٢٧-٥٦٥

منذ حكم اركاديوس حتى حكم يوستنيانوس لم يقدّر للدولة الشرقية او بيزنطية (نسبة الى اسم العاصمة الاغريقي) سيدٌ كفؤ. ولما تولى الحكم يوستنيانوس واجهته ثورة عارمة (٥٣٢ م)، ففكر بالهَرَب. لكن زوجَتُه تيودورا شدّدت من عزيمته قائلة: «ان تشأ ايها الامبراطور ان تنقذ نفسَك فلن تجد صعوبة فالبحر قريب، والمراكب مجهّزة، والمال موفور. ولكن تريث قليلًا وسَلْ نفسك: ألنْ تندم بعد فرارك؟ ... أما أنا فأرى أن الارجوان لا بأس به كفنًا».

وكان ذلك فاتحة عهد جديد. فانتصر يوستنيانوس. ونظم الادارة، وجمع القوانين، وعدد المنشآت والأبنية. وعزّز الاسطول واخضع قسمًا كبيرًا من المتوسط والغرب. وأمدّته فتوحه في الخارج بكل اسباب اليسار المادّي ... فتألقت بيزنطية أو القسطنطينيّة في أيامه وَوَصلت الى ذروة مجدها.

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

تمشرق الدولة

بعد سقوط روما بيد اودواكر (٤٧٦ م) اضحت بيزنطية الامبراطورية الوحيدة. وقد تسلم الامبراطور مرقيانوس تاجه من يد بطريرك القسطنطينيّة (٤٥٠ م) دون ان يكون لروما رأيٌ في الموضوع. واتخذ التتويج آنئذ صفة دينية مسيحية. وتغلغلت اللغة اليونانيّة في دوائر الدولة، دونما اكتراث لكون اللاتينيّة هي اللغة الرسميّة. واشتدَّ التنافس بين بطريرك القسطنطينيّة وبابا روما. واقيمت الصلوات باليونانيّة، فكانت بداية « الطقس البيزنطي ».

الفن البيزنطي

١ ــ الرسم والفسيفساء

وتمشرق الفن أيضًا. « فجـاء ثمرة لامتزاج وتفاعل موفـق بين عوامل ثلاثة: الدين المسيحي والحضارة الهلينيّة وأوضاع الشرق ». ومنذ ايام قسطنطين، أي قبل استقلال الشرق، ظهرت بوادر فنٍّ شَرقيّ الايحاء هو الفن البيزنطي في كنائس القدس وبيت لحم والناصرة، ثم في دير مار سمعان العمودي بين حلب وانطاكية، وفي كنيسة الرسل في القسطنطينيّة، تلك الكنيسة التي رمّمها يوستنيانوس قبل ان تتحوّل الى مقبرة لأباطرة الروم (أي البيزنطيّين).

وازدانت جدران الكنائس برسوم القديسين وخاصة بالفسيفساء المستوحى من الكتاب المقدس، وانتشرت الايقونات. واستأثرت الموضوعات الدينية بكل المنجزات الفنية حتى صح القول بان الفن البيزنطي « فن موجّه » لم يحد عن اطار الدين طيلة المدة التي عاشتها الامبراطورية البيزنطية.

٢ ــ فن البناء

وأكثر يوستنيانوس من بناء الكنائس وترميمها. واهتم بالمنشآت العامة والقصور والملاعب والمدرجات. ولم تحظ القسطنطينية وحدها برعايته، بل وزّع اعماله على مختلف انحاء الامبراطورية، لا سيما في « رابينة » قاعدة حكم البيزنطيين في ايطاليا الشمالية. ولا يزال الشاهد قائمًا في روعة كنيسة القديس « بيتال » وفسيفسائها.

غير اننا عندما نتكلم عن فن البناء البيزنطي، انما نتكلم في الدرجة الاولى عن الابنية الدينية. وقد روعي في بناء الكنائس تصميمان لا ثالث لهما. اولهما موروث في شكله عن المعابد الاغريقية، فهو مستطيل ينتهي بمذبح رئيسي يحيط به مذبحان جانبيان أو أكثر. ولما تطور فن البناء اعتمد التصميم الثاني؛ وهو شبه مستدير تتوسط سقفه قبة رئيسية تحيط بها قباب جانبية بحيث تتوزع الأحجام بشكل صليب بيزنطي. والأرجح ان هذا الشكل نابع عن

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

انصهار التصميم الغربي المستدير او الثُماني الاضلاع بالتصميم الشرقي المربع. وابرز الأمثلة على ذلك هي كنيسة القديس «بيتال» في «رابينة». اما كنيسة الحكمة الالهية (آغيا صوفيا) في القسطنطينية فتصميمها اندماج بين الشكلين المستدير والمستطيل؛ فأتت آية في الابداع، أبرز ما فيها قبتها الرحبة – فريدة عصرها – وتناسق قياساتها.

ولم يزل الفن البيزنطي بزوال القسطنطينية، بل ظل مستمرًا في الشرق طيلة حكم العثمانيين. وأدل ما في هذا الفن من رونق ان الاتراك قد استوحوا منه عندما بنوا مساجد الاستانة فيما بعد.

الفكر كل مجد روما لم يستطع أن يمحو تأثير الاغريق من بلدان الشرق. فقد اقترنت هذه اللغة بتراث فكري عظيم، استمر في عواصم المشرق عن طريق الهلينة. ومتحف الاسكندرية كان ولا يزال الشاهد على ذلك، بالرغم من اضطهاد الامبراطور كركلّا (٢١١ م) لعلماء المتحف، وبالرغم من نهب جنود زينب الزّباء (سيدة تدمر) للمنشآت العامّة. وقبل ان تصبح القسطنطينيّة مركزًا للدولة البيزنطيّة كانت انطاكية عريقة في الثقافة والمجد، منذ ايام السلوقيّين. ففيها علّم الفيلسوف اللبناني الوثني ليبانيوس، وفيها دوّى صوت البطريرك القديس يوحنا الذهبيّ الفم (+ ٤٠٧)، ولعل في لقبه ما يغني عن الكلام على خطبه، والتراتيل الدينيّة التي يفاخر بها ابناء الكنيسة الشرقيّة حتى اليوم هي من نظم شعراء مشرقيّين. وأسهم رقي الفكر البيزنطي في التباعد القائم بين الشرق والغرب. وتكرّس الانشقاق اخيرًا على الصعيد الديني (١٠٥٤). ولا مجال للعودة الى الكلام عن القانون، فقد اقترن به اسم يوستنيانوس عندما كلف لجنة من المشترعين ان يجمعوا كل القوانين المنسية والمعمول بها حتى ايامه، ولما انتهى العمل اطلق على مجموعة الشرائع هذه اسم «قانون يوستنيانوس»؛ وقد غدا اساسًا لما نسميه اليوم القانون الروماني.

النمو الاقتصادي نشطت الحياة الاقتصاديّة في بيزنطية نتيجة اعتبارات عدّة، منها موقع العاصمة، وانتعاش الطرق التجاريّة، والثقة بالنقد، وتعزيز الاسطول التجاري والحربي.

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

زلازل بيروت

«وقد اصيبت بيروت بهزات ارضية... فقد حدثت هزة سنة ٣٤٩ تهدم بسببها بعض اجزاء المدينة. ولكن لم تكن من العنف بحيث انها اثرت على مجرى التدريس في المعهد. وقد شعر الناس بهزات اخرى عام ٤٩٤ و ٥٠٢ تسبّب عنهما بعض الاضرار، وانما حل من جرّائها خراب في صيدا وصور. ولكن بين ٥٥١ و ٥٥٥ وقعت سلسلة من الزلازل العنيفة التي خرَّبت المدن اللبنانية الساحلية تخريبًا يكاد يكون كاملًا ولا سيما مدينة بيروت. وقد طغت موجة عارمة من البحر اثر احد الزلازل (٥٥١) سببت خسارة في الارواح والممتلكات اكثر مما سببه الزلزال ذاته. فقد قيل ان البحر ارتد الى الوراء مسافة تقرب من ميل واحد، ثم انه عاد بشكل موجة عالية غمرت المدينة كلها فاغرقت البنايات وهدمتها، وغرقت المراكب او تحطمت على الشواطئ وغمرت الاشجار. ونرجح ان بنايات المعهد تهدمت في هذا الزلزال.»

حتي – «لبنان في التاريخ ص ٢٨٣».

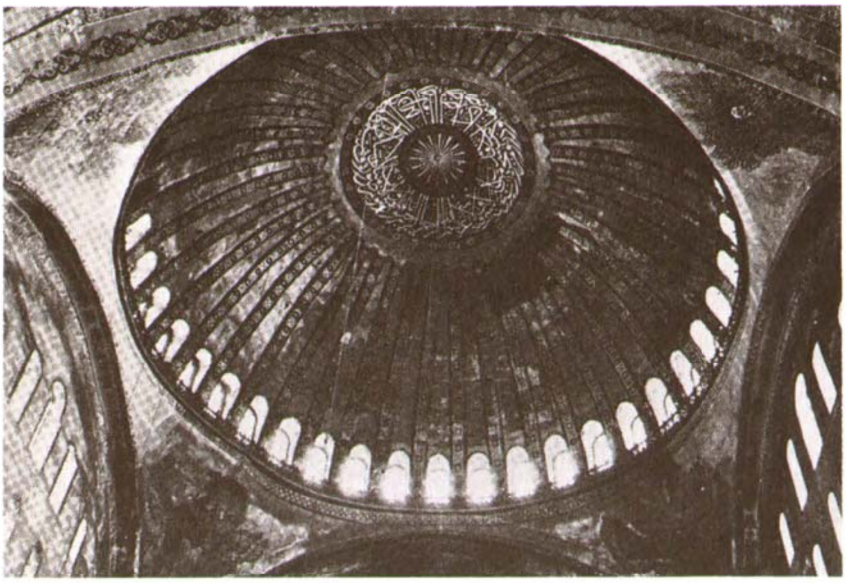

قبة آجيا صوفيا من الداخل

فسيفساء تمثل الامبراطورة تيودورا في الوسط. نقش في كنيسة القديس بيتال في رابيته

آجيا صوفيا، وهي اليوم متحف

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

فقد كانت القسطنطينيّة صلة اتصال بين البحرين الأسود والأبيض، وبين أوروبا والشرق. وصمم يوستنيانوس على تعزيز الطرق التجاريّة البريّة نحو الشرق الاقصى، رغم اصطدامه بالفرس الساسانيّين. كما ان الاسكندريّة، ثاني ثغور الامبراطوريّة، كانت حلقة اتصال بين البحرين الأبيض والأحمر من جهة، وبين القسطنطينيّة والعالم الافريقيّ من جهة اخرى.

وحافظ النقد الذهبيّ على قيمته لا بل زادت مناعته وكثر الاقبال عليه. فنشط التبادل دون خوف. وساعد في تدعيم الاستقرار كون بيزنطية عززت قوتها البحرية، فنشرت الأمن واطمأن التجّار ورجال الاعمال وجعلوا من القسطنطينيّة والاسكندريّة قاعدتَيْن لهم. وفي هذا العهد بالذات تمكّن راهبان من نقل دود القز خلسة من الشرق الاقصى. فانتشرت زراعة التوت وصناعة الحرير. واضحت القسطنطينيّة من منتجي الحرير ومصدّريه.

وفي ازدهار الحياة الاقتصاديّة ما عزّز موقف الدولة البيزنطيّة. فقد استغنت نهائيًا عن الغرب، وتمتّعت بثقة ذاتيّة لم تكن لها من قبل. ولكن المنشآت والحروب التي قام بها يوستنيانوس كلفتها غاليًا وأنهكت قواها. فعجز خلفاؤه عن اكمال عمله، فكأنّ عهده بارق عظمة لم يتبعه الا تقهقر بطيء.

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

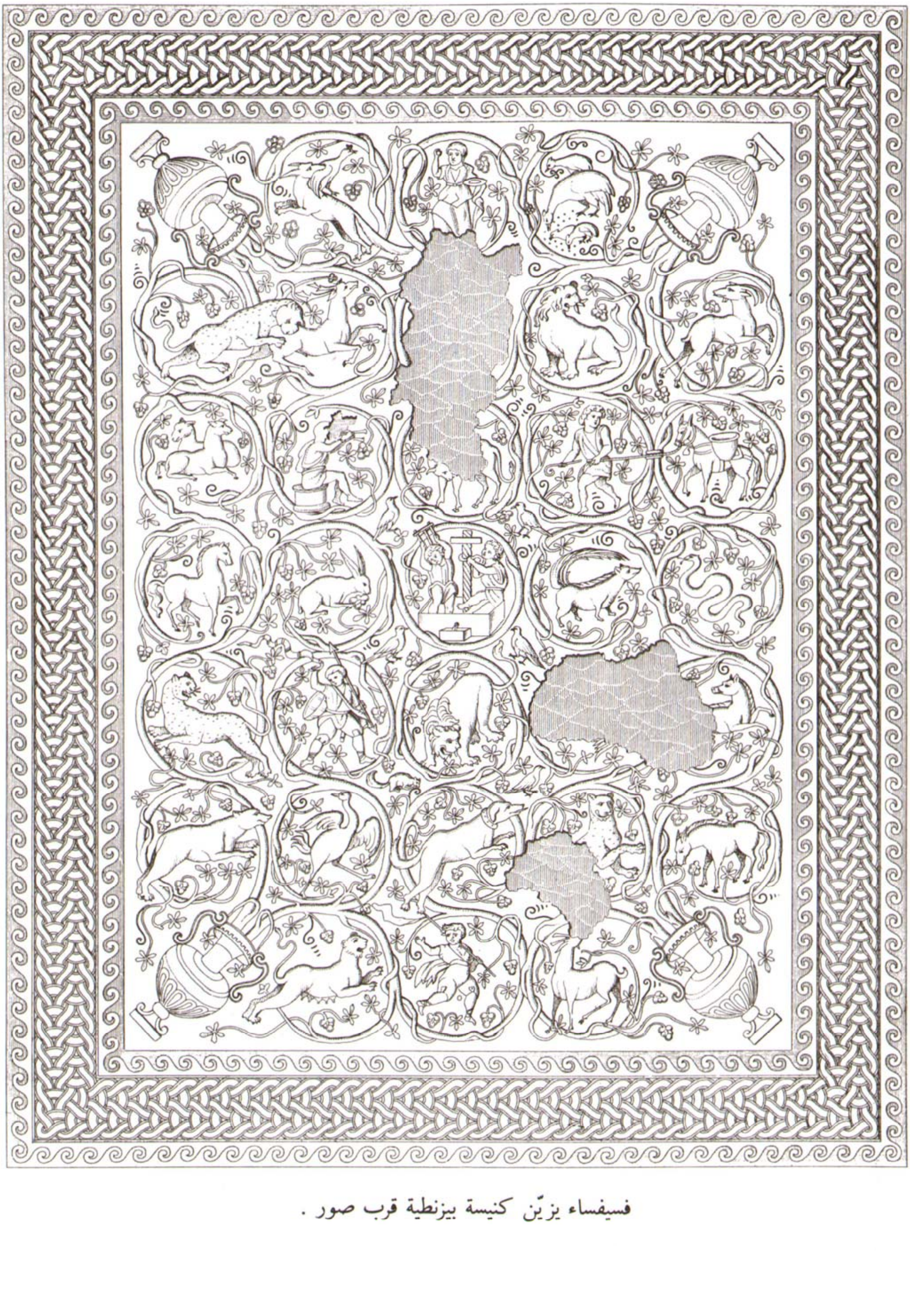

فسيفساء يزيّن كنيسة بيزنطية قرب صور .

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

٣٣ الحضارة العربيّة قبل الإسلام (١)

الارض بلاد العرب قطر صحراويّ فسيح تبلغ مساحته حوالى ثلاثة ملايين كيلومتر مربّع. وهي شبه جزيرة تقع في الجنوب الغربيّ من آسيا، يحدّها الخليج العربيّ وبحر عُمان من الشرق، والمحيط الهنديّ من الجنوب، والبحر الأحمر من الغرب، وبادية الشام وبلاد الرافدَيْن من الشمال. وهي بهذا الموقع تحتلّ مركزًا غاية في الأهمية بالنسبة للمواصلات والمبادلات التجاريّة بين عالم حوض البحر المتوسط، وعالم المحيط الهندي.

الشعب يعتبر العرب الممثلون الرئيسيون لما دعاه علماء الأجناس بالجنس الشرقيّ، انسان الشرق القديم المربوع القامة، والهزيل البنية، الأسمر البشرة، والأسود الشعر. وقد توزع ابناء الجنس الشرقيّ هذا في مناطق مختلفة من «الجزيرة» العربيّة، وأصابوا درجة معيّنة من التقدّم الحضاريّ، وتكاثروا ولم تعد واردات الجزيرة المحدودة كافية لإعالة اعدادهم المتزايدة، وعلى الأثر اخذت جماعات منهم تنزح، على شكل موجات بشريّة متلاحقة، الى الاقاليم المجاورة حيث تيسّرت موارد العيش في الاحواض النهريّة، وعند السواحل البحريّة. من هذه الموجات كان: الاكاديّون والبابليّون، والكلدانيّون، والاراميّون، والكنعانيّون... كما نزحت فئات منهم الى وادي النيل وتَشكَّل من امتزاجها مع العناصر الافريقيّة الشعب المصري.

التاريخ السياسي لم تعرف بلاد العرب قبل الاسلام شكل الحكومة المركزيّة، وإنما قامت فيها وحدات سياسيّة مستقلّة على أسس قَبَليّة، تفاوت تنظيمُها وفقًا لتباين اتساع نطاق نفوذها وسلطتها. وهذه ابرز المظاهر السياسيّة في تاريخ العرب قبل الاسلام.

أ – في الجنوب في جنوبي بلاد العرب، حيث المناخ أكثر ملاءمة للزراعة، وحيث الموقع يغري بقيام نشاط تجاريّ، تأسّست منذ الألف الثالث قبل الميلاد دويلات

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

تعاقبت على مسرح الاحداث وساهمت في تشييد البنيان الحضاري في تلك المنطقة. واما هذه الدويلات فكانت:

أ – الدويلة «المعينيّة»: قامت في منطقة الجوف السهليّة بين نجران وحضرموت، منذ الالف الثالث قبل الميلاد، وامتدَّ نفوذها شمالًا حتى بلغ جنوبيّ فلسطين واعالي الحجاز. وقد سيطرت هذه الدويلة على طرقات التجارة الدوليّة آنذاك، واقامت علاقات تجاريّة وثيقة مع مصر، وكان تجّارها يصدّرون البخور والعطور الى المعابد المصريّة.

ب – الدويلة «القتبانية»: عاصرت الدويلة المعينيّة، وقامت عند الزاوية الجنوبيّة حول «عدن»، وسيطرت على طريق التجارة الدوليّة عند مضيق باب المندب. وفي القرن الثاني قبل الميلاد اندمج القتبانيّون بالسبئيين وفقدوا استقلالهم.

ج – الدويلة «السبئية»: ينسب المؤرخون قيام هذه الدويلة الى عبد شمس ابن يشحب الذي لقب بسبأ لأنه اكثر من الغزو في أنحاء الجنوب العربيّ وسبا خلقًا كثيرًا. وقد جاء عبد شمس على رأس قبائل من البدو وفدت من الشمال وسكنت اليمن الى جوار المعينيّين. ثم احتلّت عاصمتهم «مأرب»، واستقرّت في «صرواح»، ومنها مدّ السبئيّون نفوذهم الى ديار حضرموت وقتبان. اتخذ ملوكهم الدين وسيلة للحكم، وخاضوا الكثير من الحروب المحليّة، وشادوا الحصون والهياكل، وبنوا سدَّ مأرب العظيم في القرن السابع قبل الميلاد. وسيطروا على التجارة البحريّة بين الهند ومصر، وعلى الطرف الجنوبيّ من طريق القوافل الى سورية وفلسطين عبر الحجاز.

د – الدويلة «الحميريّة»: حوالى السنة ١١٥ ق.م. قامت مملكة صغيرة اخرى في الجنوب العربيّ، هي مملكة الحميريّين، فهاجمت مملكة سبأ وغلبتها على أمرها، ثم سيطرت على طرق التجارة. وفي عام ٢٥ ق.م. غضب اغسطس الرومانيّ لهذا الوضع، فسيّر جيشًا بقيادة «جالوس» للاستيلاء على مأرب، ولكنه فشل في تحقيق مهمّته، وتبعه جيش آخر استطاع أن يستولي على عدن، وبذلك انتقلت السيطرة على طرق التجارة الى روما.

في هذه الاثناء كان قسم من الحميريّين قد عبروا البحر الاحمر واستعمروا الحبشة، ونشروا ثقافتهم بين الاحباش والزنوج.

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

وفي مطلع التاريخ الميلاديّ، انتشرت اليهوديّة بين الحميريّين وتعصّب لها ملكهم ذو نؤاس الذي أخذ يضطهد المسيحيّين، فاستغاث هؤلاء ببني دينهم الاحباش. استجاب هؤلآء الى الدعوة وهزموا ملوك الحميريّين سنة ٥٢٢ م.، واجلسوا على العرش أُسرة حبشيّة تحالفت مع يوستنيانوس امبراطور الروم. وعلى الأثر انحاز الفرس الى الحميريّين المخلوعين، وطردوا الاحباش، واقاموا حكمًا فارسيًا (٥٧٥م.) دام حتى الفتح الاسلامي.

وكان الحاكم الحبشي أبرهة قد أنشأ كنيسة ضخمة في مدينة صنعاء، واراد ان يجذب الحجّاج العرب اليها بدلًا من الكعبة، فتقدّم على رأس جيش زاحفًا الى مكة ليهدم الكعبة، ولكنّه عجز عن تحقيق غايته. وكان ذلك سنة ٥٧٠ م. المسمّاة عام الفيل. (انظر ص ٢٣٧).

٢ – في الشمال أما اهم الدويلات التي قامت في الشمال فكانت:

أ – الدويلة «النَبْطِيّة»: هاجر الانباط من وسط شبه الجزيرة العربيّة حوالى سنة ٥٠٠ ق.م. واستقرّوا في المنطقة الممتدّة من نهر الفرات الى البحر الاحمر، ووصلت حدود دولتهم الى دمشق. وكانت عاصمتهم البتراء. تكلّموا لغة عربيّة شماليّة واستخدموا الخطّ الآرامي النبطيّ الذي استعمل في تدوين لغة القرآن. (انظر ص ٢٣٣).

حافظ النبطيّون على استقلالهم في العهد الهليني، وسيطروا على طرق التجارة، وبقوا كذلك في العهد الروماني. إلّا أن الامبراطور «تراجان» هاجمهم وقضى على دولتهم سنة ١٠٦م. وانشأ مكانها المقاطعة العربيّة التي احاط حدودها بسور من الحصون المنيعة.

ب – الدويلة «التدمرية»: التزم التدمريّون الحياد في النزاع القائم بين الرومان والفارتيّين، فعزّزوا بذلك مركزهم التجاريّ، ووسّعوا مدى علاقاتهم مستفيدين من وجود الاباطرة العرب على عرش روما. وفي سنة ٢٦٠ م. استطاع ملك تدمر اذينة بن السميذع ان يحارب الفرس ويبسط سيطرته على كل سورية، ويحمل الامبراطور الرومانيّ «غلينوس» على الاعتراف به امبراطورًا على المشرق. وبعد وفاته سنة ٢٦٨ م. تولّت الحكم زوجته زينب او زنوبيا (الزباء) وبلغت تدمر في عهدها اقصى حدودها. فقد حاولت

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

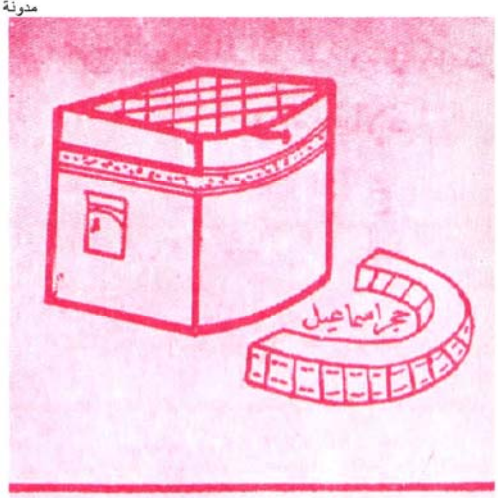

بناء الـكعبة فى عهد قريش

زنوبيا (زينب الزباء)

من آثار البتراء

آلهة تدمريون في اللباس الحربي

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

ضم مصر الى دولتها العربيّة وحاربت الرومان وانتصرت عليهم عند الفسطاط سنة ٢٧٠ م . فاعترف كلوديوس بهذا النصر واقرَّ بضمٍّ مصر الى تدمر بما في ذلك مدينة الاسكندريّة . وهكذا امتدّت دولة زنوبيا من الفرات الى الاسكندريّة ، الأمر الذي اثار الرومان وجعلهم يصممون على التخلّص منها . وقد جهَّزَ اورليانوس جيشًا كبيرًا حاربها وانتصر عليها وضمَّ اراضيها الى روما . وبالقضاء على تدمر انتهى عهد الدول العربيّة المستقلة في الشمال .

ج – دويلة « الغساسنة » : كانت أراضيهم تشمل المناطق الواقعة شرقي نَهْرَي العاصي والاردن ، وتمتدّ من شمالي العراق الى خليج العقبة . تحالفوا مع الروم في عهد يوستنيانوس حوالى العام ٥٢٩ م . فاستخدمهم هؤلاء لصد غارات الفرس على حدودهم الشرقيّة . وكان الحارث الخامس أشهر ملوكهم حيث بسط نفوذه على كل العرب في سورية . وانضمَّ الغساسنة الى الدولة العربيّة الاسلاميّة سنة ٦٣٦ م . (انظر ص ٢٣١).

د – « اللَخْمِيُّون » : وقد عُرفوا ايضًا بالمناذرة ، أسّس دولتهم نصر بن ربعة ابن لخم في الحيرة على الفرات ، على مقربة من بابل ، وكان ذلك في القرن الثالث الميلاديّ. اشتدَّ التنافس بينهم وبين الغساسنة على طرق التجارة في البادية ، فاغتنم الفرس هذه الفرصة وساندوا اللخميّين واتخذوهم عمّالًا لهم في العراق ، يردّون عن حدودهم الغربيّة غارات الروم وعملائهم الغساسنة . كان النعمان الثالث (٥٨٠–٦٠٢) أشهر ملوكهم ، أراد ان يستقلَّ عن الفرس ، فاستدرجه كسرى الثاني الى عاصمته المدائن ، وخلعه عن العرش ، فغضب العرب لهذا التصرّف ، وهاجموا الفرس سنة ٦١٠ م. وانتصروا عليهم في موقعة ذي قار .

٣ – في الوسط وفي وسط الجزيرة العربيّة قامت ايضًا بعض الكيانات السياسيّة :

أ – « الكِنْدِيُّون » : وهم من عرب الجنوب ، نزحوا الى الشمال سنة ٤٨٠ م. بقيادة ملكهم حجر بن عمرو . استقرَّ الكنديّون في معظم بلاد نجد وتوسّعوا شمالًا باتجاه العراق والشام ، وجنوبًا باتجاه عُمان . نشب خلاف بينهم وبين مناذرة الحيرة ادّى الى استيلائهم على الحيرة في الفترة ما بين ٥٠٥ و ٥٢٩ م.

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

ب – «جمهورية مكة»: تقع مكّة في تهامة جنوبيّ الحجاز، على طريق القوافل بين مأرب وغزة. وعلى الرغم من انها كانت في أول عهدها مقامًا دينيًا، فقد برعَ اهلها في شؤون التجارة وما يتعلّق بها من مرافق ووظائف. ومع الزمن اصبحت مكّة جمهوريّة تجاريّة، يرئسها الموسرون من أكابر قريش الذين اتاحت لهم موارد التجارة ومناصب البيت الحرام جاهًا ووسائل للترف على أوسع نطاق. وابتنى قصي مؤسس مجد قريش، في اواخر القرن السادس الميلادي، دار الندوة ليجتمع فيها كبار اهل مكة تحت امرته للتشاور في شؤون المدينة. وإلى عبد المطلب يعود الفضل في انقاذ المدينة من غارة ابرهة سنة ٥٧٠م (عام الفيل). (انظر ص ٢٣٧).

حياة العرب الدينية تعددت الديانات عند العرب قبل الاسلام، وتأثرت بمعتقدات الامم التي اتصلوا بها او جاوروها. ولذلك عرفوا في جاهليتهم الديانات السماويّة كالمسيحيّة واليهوديّة، وغير السماويّة كالمجوسيّة والصابئة. الا ان الوثنيّة كانت الغالبة والاوسع انتشارًا.

أ – الديانة الوثنيّة شاعت الوثنية شيوعًا كبيرًا في بلاد العرب، وقامت على فكرة عبادة مظاهر الطبيعة. ولما كان العربيّ يعتقد ان لهذه المظاهر تأثيرًا بالغًا على حياته، فقد حرص على استرضائها، واتخذ لها اشكالًا مختلفة من بيوت واشجار واحجار منحوتة تمثّل بشرًا وحيوانات، واخرى غير منحوتة. وكان العرب يطوفون حول هذه الاصنام، ويتاجرون عندها، ويعتبرون المكان الذي فيه المعبود حرمًا. وكانت بعض كبريات القبائل تعبد اصنامًا معيّنة، عرفت بالاصنام الخاصّة وزاد عددها على الثلاثمائة. اهمها: ودّ – سواع – يفوت – يعوق – هبل – بعل – جهار ...

اما الاصنام العامّة التي تشترك في تقديسها معظم القبائل فكانت: اللات والعزّى ومناة. والاولى عبارة عن صخرة مربّعة بيضاء في الطائف ترمز الى فصل الصيف، بينما كانت الثانية عبارة عن ثلاث شجرات في وادي نخلة، ترمز الى الخصب. اما مناة فهي اقدم الاصنام عند العرب، وهي عبارة عن حجر اسود اقيم له معبد خاص، على الطريق بين مكة ويثرب، وهي ترمز الى الموت او القضاء والقدر.

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

٢ً – الديانة المسيحيّة كان لا بدَّ للمسيحية من ان تنتشر في بلاد العرب وتجتذب اليها العديد من قبائلهم مثل بني اسد وتغلب وتميم وقضاعة وكندة، وذلك لوجود دولتين مسيحيّتَيْن في جوار بلاد العرب هما: مملكة الاحباش في الجنوب، والدولة الرومانيّة ثم البيزنطيّة في الشمال. وقد انتشر المبشّرون المسيحيّون في سائر انحاء الجزيرة، واحرزوا نجاحًا بارزًا في نجران بشكل خاص. كما تعرّفت مدن الحجاز الى التعاليم والتقاليد المسيحيّة بفضل اتصالها الدائم مع الدويلات العربيّة المسيحيّة في الشمال وعلى الاخصّ الغساسنة والمناذرة.

٣ً – الديانة اليهوديّة لم تصل اليهوديّة الى مثل ما وصلت اليه المسيحيّة من اتساع ونفوذ في بلاد العرب. وذلك عائد لكونها لم تدخل البلاد بفضل التبشير، بل حملها قوم من اليهود لجأوا الى الجزيرة العربيّة بعد ان اشتد الضغط الروماني عليهم في فلسطين، وخاصة في عهد الامبراطور تيطس الذي هدّم الهيكل وشرّد اليهود المتآمرين على سلامة الدولة. قصد هؤلاء اللاجئون اليهود بعض مدن اليمن والحجاز، وعملوا في التجارة واحيانًا في الزراعة. وتأثرت بالدين اليهوديّ بعض القبائل العربيّة فاعتنقته وكان أهمها: بنو نمير، وبنو كنانة، كما اعتنقه ذو نؤاس ملك الحميريّين وتعصّب له.

٤ً – الصابئة والمجوسيّة اخذتا طريقهما الى بلاد العرب بتأثير المجاورة مع الفرس، وهما مذهبان قائمان على اسس فلكيّة. غير ان تأثيرهما بقي محدودًا.

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

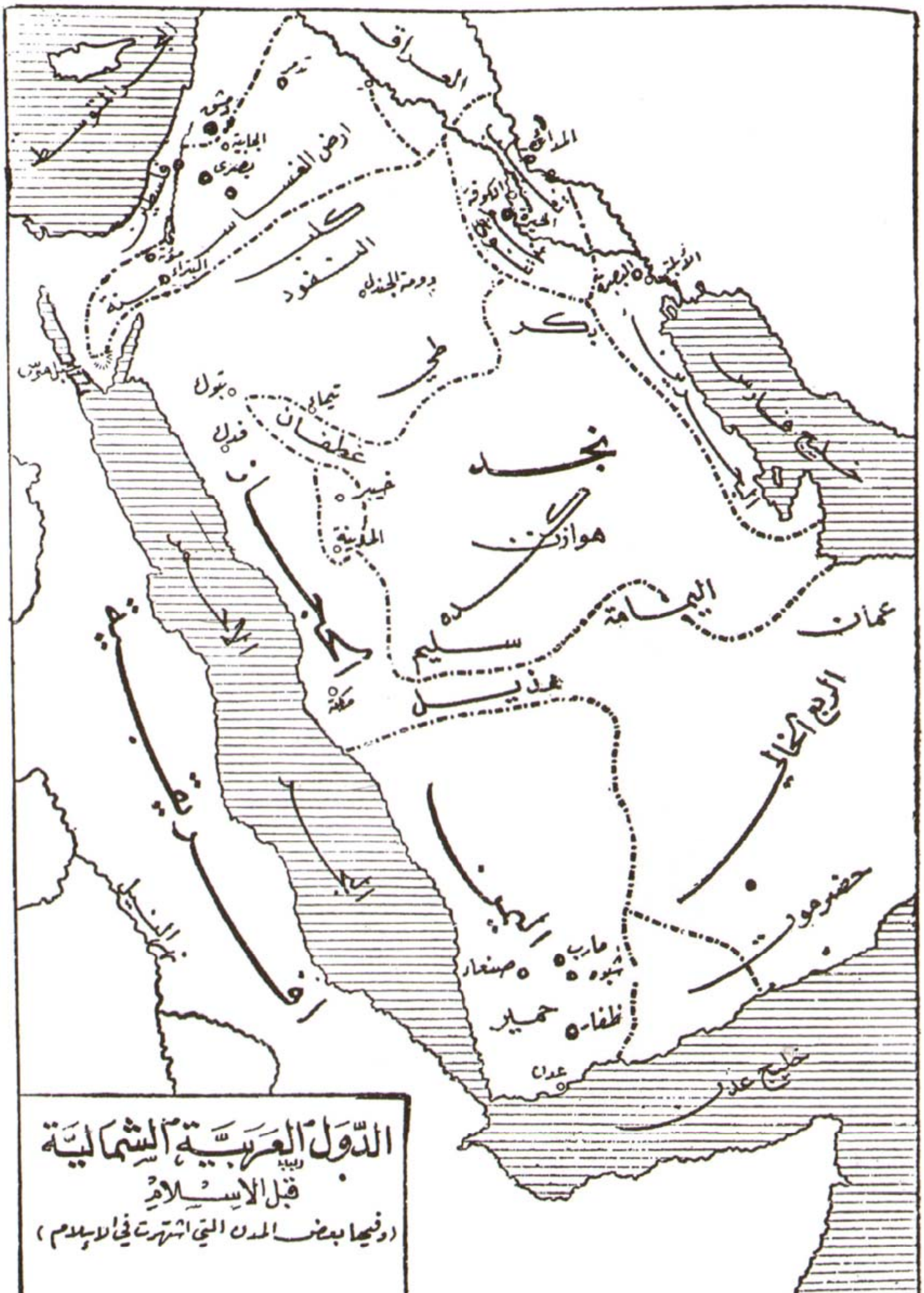

خريطة مأخوذة عن تاريخ العرب المطوّل لفيليب حتي

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

٣٤ الحضارة العربيّة قبل الإسلام (٢)

الحالة الاقتصادية كان لطبيعة البلاد ونوعيّة المناخ تأثير كبير على أنماط العيش عند العرب وتحديد نشاطاتهم الاقتصاديّة. ففي الوَسَط، حيث الصحارى والجفاف، فرض على العربيّ ان يحيا حياة البداوة والارتحال، وتربية المواشي. أما في الجنوب والشمال حيث يجود المناخ وتغزر الأمطار، فقد استقرَّ العربيّ وتعاطى الأعمال الزراعيّة وتفنّن في طرق الري، ولعلَّ سدّ مأرب المُقام في اليمن لحصر المياه وتوزيعها على الاراضي الزراعيّة، هو اصدق دليل على ما وصلت اليه التقنية الزراعيّة في تلك البلاد.

ومارس عرب الجزيرة التجارة يساعدهم على ذلك أمران: موقع بلادهم بين امم اشتهرت بالتجارة منذ اقدم العصور، وكثرة الطرق التجارية التي تخترق بلادهم. فكان العرب يقومون بدور الوسيط التجاريّ بين شعوب حوض البحر المتوسط، وشعوب المحيط الهنديّ، ويسيطرون على طرق التجارة البحريّة في المحيط الهندي والبحر الاحمر، والخليج العربي، ويحتفظون لانفسهم باسرارها، كما كانوا يتحكمون بطرق القوافل البرّية. وقد بقي اهل اليمن اسياد التجارة العربيّة، حتى سقوط مملكة حِمْيَر في القرن السادس الميلاديّ. وبعد ذلك انتقلت الزعامة، ولكن على نطاق اضيق الى مدن الحجاز الثلاث: مكة، يثرب، الطائف. واما الاسواق فقد كثرت وتنوّعت في انحاء الجزيرة لتسهيل عمليّات التبادل، والتباريّ الادبيّ، والتنافس القَبَليّ، والتلاقي الاجتماعيّ، وكان أهمها: عكاظ – عُمان – دبي – عدن.

واما الصناعة فلم تعرف طريقها الى عرب الجزيرة الا نادرًا وفي ممالك الجنوب اليمنيّ. ولذلك أسباب عديدة أهمها قلّة المواد الاوّليّة، ونفور العربيّ من العمل الصناعيّ واعتباره من العيوب. وقد اقتصرت صِناعتهم على دبغ الجلود وحياكة الثياب، وصقلِ السيوف.

الحياة الاجتماعية على الرغم من تعدد كياناتهم السياسيّة في الجزيرة، وتنوّع الأحوال الاقتصاديّة،

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

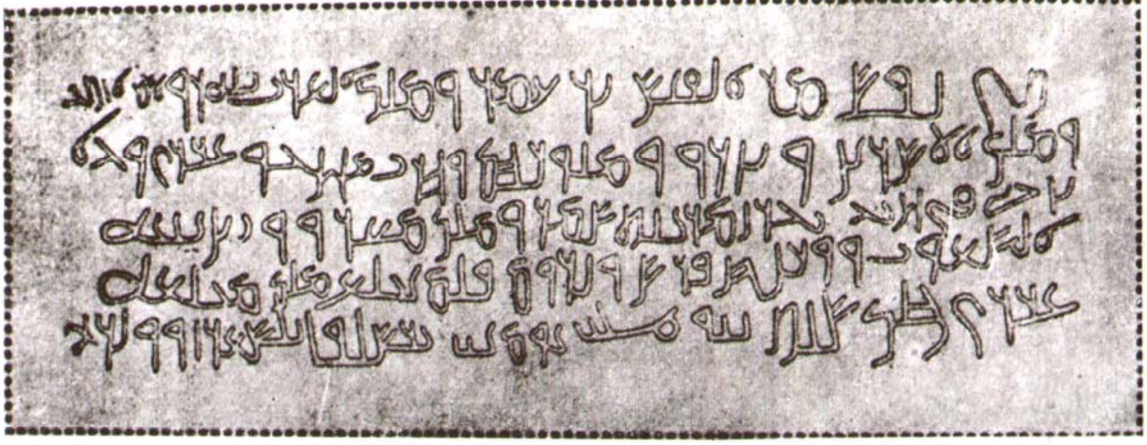

من اقدم النقوش العربيّة المعروفة

آثار من البتراء القديمة

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

ظلّت القبيلة الاطار الذي يتحرّك العربيّ داخله سياسيًا وينتَظِم اجتماعيًّا. وذلك أن الشعورَ القَبَليّ كان آنذاك يطغى على أي احساسٍ أو ولاء آخر.

١ً – الحياة في القبيلة القبيلة عبارة عن أُسرة كبيرة تفرّعت إلى ما كان يسمّى البطون والافخاذ والعشائر. يرئسُها شيخ يراعى في اختياره شرط السن والتجربة والشجاعة وسداد الرأي والكرم. سلطته أبويّة، يعاونه في الحكم وتقديم المشورة رؤساء العشائر الذين فُرضت عليهم واجبات كثيرة منها: ايواء الغريب، حماية الحِمى، الذود عن النساء وإجارة المستجير.

لم يكن للقبيلة قانون مكتوب، بل كانت تُحكم حسب «العرف» او مجموعة العادات والتقاليد المتوارثة.

وافراد القبيلة يعملون كجماعة واحدة: يرتحلون معًا، ويقاتلون معًا. واذا ارتَكَبَ أحدهم جناية حملتها قبيلته، واذا غنم غنيمة فهي للقبيلة، شعارهم: «انصر اخاك ظالمًا كان ام مظلومًا».

ولم يكن الفرد يؤمن إلّا بتقاليد قبيلته وعاداتها التي يتعصّبُ لها ويعتزُّ بها ويُفاخر، ولذلك كانت العصبيّة القبليّة تحلُّ عنده محل الروح القوميّة.

هذه العصبيّة هي التي جعلت العلاقات بين القبائل علاقات عداوة واقتتال وغزو في معظم الأحيان، وهي التي جعلت الدويلات المستقلة التي قامت على التخوم تأكل بعضها البعض، وتضع نفسها تحت تصرف الاجنبيّ استعداء له على جاراتها.

٢ً – مكانة المرأة كانت للمرأة مكانة مرموقة في بلاد العرب منذ القِدم. فقد ظهرت خلال العصور المختلفة طبقات من النساء ذوات شأن عظيم ومن بينهنَّ: الكاهنة – العرّافة – المتنبئة – الشاعرة – الفارسة المحاربة – السياسيّة البارعة. والمرأة العربية على العموم شديدة الحِرص على شرفها، كثيرة الاعتداد بكرامتها. ولما كانت حياة الغزو والاقتتال تعرّض هذا الشرف الى الامتهان على الدوام، فقد شاعت عند قدماء العرب عادة وأد البنات، أي دفن البنت حيّة ساعة ولادتها، خوفًا على شرفها وشرف القبيلة.

٣ً – انواع التسلية عند العرب لقد شاعت عند العرب القدماء بعض انواع التسلية كالصيد وسباق الخيل ولعب الكرة والارجوحة. كما ولعوا بلعب الميسر ولوعًا كبيرًا. وأما أبرز

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

هواياتهم المفيدة فكانت رِواية الشعر ولولاها لما وصل الينا اليوم أي شيء من تراثهم الشعري.

التراث الفكري

خلافًا لما ذهب اليه بعض المؤرّخين من ان العرب بقوا في عزلة عن الحضارة حتى ظهور الإسلام، واحتكاكهم بحضارات الفرس والروم، فقد اثبتت الحفريّات وسياق الاحداث التاريخيّة ان العرب استطاعوا ان يبنوا تراثًا حضاريًا بالغ الأهمية ما زال الجزءُ الاكبر منه مطمورًا تحت الرمال حتى اليوم.

أ – الكتابة واللغة

تكلم العرب في مختلف انحاء بلادهم لهجات متقاربة، ذات ارومة واحدة، ولم يكن من الصّعب عليهم تفهّم هذه اللهجات، الأمر الذي ساعد على تسهيل التبادل التجاري فيما بينهم.

وقد كانت لغة الجنوب، لغة معين وسبأ وحِمْيَر، الأوسع انتشارًا في تاريخ العرب القديم، وكانت ابجديتها تتألّف من تسعة وعشرين حرفًا، وتُكتب بخطوط مستقيمة، تسمّى الخط المسند. ويرجّح المنقّبون انها قد تطورت عن الحروف السينائيّة (نسبة الى سيناء) المشتقّة عن الهيروغليفيّة المصريّة المتطورة.

اما عرب الشمال فلم يكن للغتهم العربيّة حروف، ولذلك استخدموا في كتابتها الحروف الآراميّة، بالخط النبطيّ النسخيّ المستدير الشكل. هذا الخط هو الذي استخدمه عرب قريش لتدوين القرآن، فاصبح بذلك الخط العربيّ المعروف.

٢ – الأدب والشعر

نادرة هي الاثار الادبية العربية العائدة الى الجاهلية الاولى (وهي تختلف عن الجاهلية الثانية التي تسبق ظهور الاسلام مباشرة.) وذلك سببه عائد الى كون هذه الآثار لا تزال مجهولة ومدفونة تحت الرمال. وقد عُثِر في حفائر صنعاء على ألواح مكتوبة بالخط المسند وفيها ادعية دينية وصلوات.

أما الأدب الجاهليّ فقد وصل إلينا عن طريق الرواة، وكان معظمه من الشعر. وكان الشاعر الجاهليّ يُعتبر الناطق بلسان قبيلته، بأمجادها يُفاخر، ولمعاركها وأيام انتصاراتها يؤرّخ. ولعل المعلّقات السبع هي أفضل ما انتقل الينا من شعر الجاهلية الثانية.

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

٣ً – العلوم من منجزاتهم العمرانية، وتفوقهم التجاري، وبراعتهم في ركوب البحر، وتفننهم في وسائل الري، يُستدَل على ان العرب القدماء قد احرزوا تقدمًا كبيرًا في كثير من العلوم التي ارتبطت بها نشاطاتهم. فمن المرجّح انهم ألَمُّوا بالرياضيّات والهندسة، والجغرافية، والفلك. كما احرزوا بعض التقدّم في علم الطب، ولكنهم خلطوه بالسحر، واكثروا فيه من الاعتماد على الكيّ بالنار. كذلك اجادوا علوم الفراسة والقيافة (اقتفاء الآثار) والريافة (معرفة مواطن الماء).

٤ً – العمران من المنجزات العمرانيّة التي تدلّ على مدى ما احرزه العرب القدماء من تقدم، آثارُ مدنهم، وبقايا قصورهم، واعجوبة الهندسة المائيّة في مأرب. فمدينة البتراء الكائنة في شرقي الاردن، عاصمة النبطيّين، قدّت في الصخر الصلد وازدانت بالقصور والهياكل والأديرة. أما مدينة تدمر القائمة في وسط بادية الشام، فتدلّ آثارها على انها كانت غاية في الرونق والعظمة. نقلت الحجارة الغرانيتيّة اليها من صعيد مصر. وقد شيّدت المباني على جانبَيْ الشارع الرئيسيّ المزدان بحوالى ٧٥٠ عمودًا كورنثيًا من الحجر الكِلسيّ الأبيض والوردي، ارتفاع الواحد منها حوالى ١٨ م. كما أُقيم عند اول الشارع قوس نصر فخم. وحفرت تحت الشوارع مجارير للمياه. (ص ٢٠٩).

هذا في الشمال، اما الجنوب، فقد دُعي «بلاد القصور». ويظهر ان سكان الحضر في الجنوب كانوا يبتنون القصور الحصينة إتقاء لغارات البدو. ويعتبر قصر غَمدان أعظم تلك القصور. وقد وصفه المؤرّخ ياقوت على انه كان يتألّف من عشرين طبقة مسقوفة بعضها فوق بعض، وبين كل سقفين عشرة اذرع (حوالى ٧ امتار)، كلها مبنيّة بالغرانيت والبرفير والرخام. والطبقة العليا، مقرّ صاحب القصر، كانت مسقوفة برخامة واحدة. وللقصر أربعة أوجه منها وجه مبنيّ بحجارة بيضاء وآخر بحجارة سوداء، وثالث بحجارة حمراء. وفي كل ركن من اركان القصر أسد من نحاس فاتحًا فاه باتجاه الريح، فاذا عصفت تردّد صداها في التمثال وبدا وكأنه زئير.

اما سد مأرب فهو أقدم سدّ من نوعه في التاريخ، وبناؤه في وقت لم يكن الإسمنت والحديد قد عُرفا فيه بعد، يصنفه بين عجائب الدنيا السبع.

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

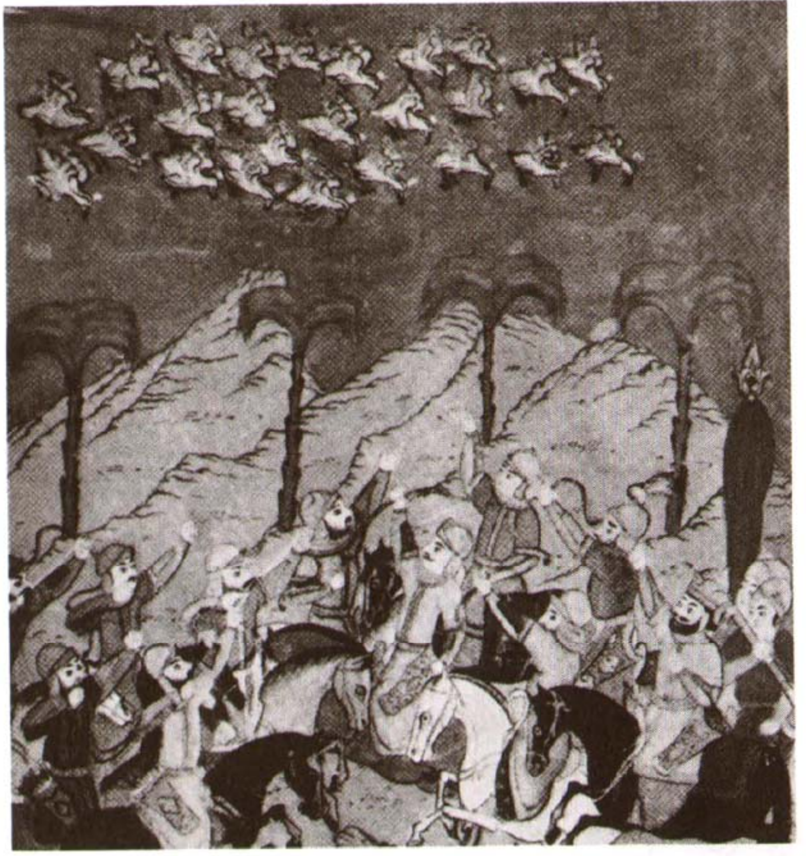

بعد الحملة على مكة
قضت الطير على
جيش ابرهة

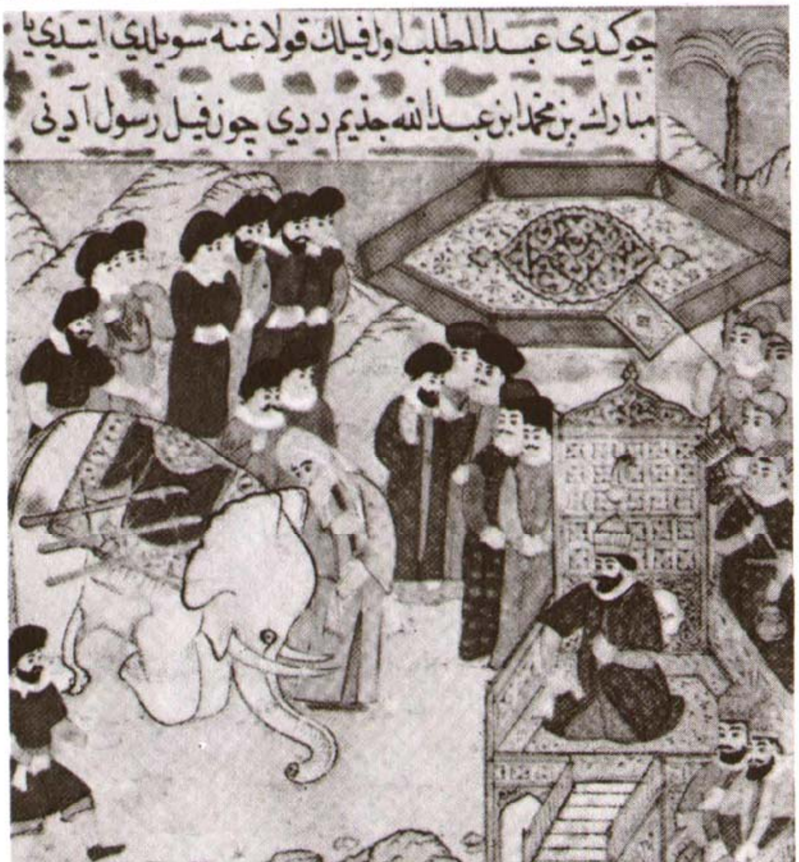

حملة ابرهة عام ٥٧٠
وسمّيت بعام الفيل
لاستعمالها الفيلة

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

٣٥ ظهور الإسلام

نشأة الرسول نشأ محمد في قبيلة قريش، من أبَوين فقيرين في مالهما. وقد مات والده قبل ان يولد، وكانت ولادته في ٢٠ نيسان ٥٧١م. وماتت امه وهو لا يزال صبيًا فكفله جده عبد المطلب. وما لبث هذا ان مات ومحمد لا يزال في التاسعة فكفله عمه ابو طالب ورعاه ودرّبه على شؤون الحياة.

كان محمد يرعى الغنم وهو فتى، ثم اشتغل بالتجارة وسافر الى بلاد الشام مع القوافل. وامتاز بين اقرانه بالذكاء والامانة والاخلاص والنشاط، فأُعجبت به السيدة خديجة بنت خويلد صاحبة المكانة المرموقة بين اشراف قريش، والتجارة الواسعة مع بلاد الشام، وانتهى هذا الاعجاب بالزواج على الرغم من ان محمدًا كان يصغرها بخمس عشرة سنة.

الوحي والرسالة عاش محمد عيشة النسّاك والمتعبّدين، فكان يتردد على غار حراء بالقرب من مكة، ليصلّي لإله لا تعرفه قبيلته. ولما بلغ الاربعين من عمره، نزل عليه الوحي، وبشّره جِبريل بأنه رسول الله. ومن ثم بدأت الآيات تهبط عليه، وراح ينشر دعوته سرًّا في أقرب الناس اليه. فكانت زوجته أول من آمن به من النساء. وأما المؤمنون الأوائل من الرجال فكانوا: عليّ بن ابي طالب – زيد بن حارثة – ابو بكر الصدّيق – عُثمان بن عفّان – الزُبَيْر بن العوام... وبعد ثلاث سنوات جهر بالدعوة للاسلام. وكان عليه ان يرشد الناس الى عبادة إله واحد لا شريك له، ويحملهم على الاعتقاد بانه رسول الله، وبأن هناك بعثًا وثوابًا وعِقابًا. كما كان عليه ان يُصلح من شأن مجتمعه العربيّ.

هجرة الرسول دعا محمد بني قومه الى نبذ عبادة الأوثان التي كانت مَصدر ثروة قريش وزعامتها. فوجد القرشيّون في دعوته خطرًا يهدّد مصالحهم، ولذلك قرّروا القضاء على دعوته، عن طريق الهزء به وبأصحابه في بادئ الأمر، ثمَّ بواسطة التنكيل والتعذيب. وعِندما اشتدّت الوطأة على المسلمين في مكّة،

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

أمرهم الرسول بالهجرة الى الحبشة ليكونوا هناك في مأمن ، وقد أحسن النجاشي وِفادتهم. وكان ذلك في السنة الخامسة للدعوة.

واما الرسول فقد مكث في مكّة يواجه بصبر مقاومة القرشيّين لدعوته وإعلانهم المقاطعة التامّة لبني هاشم آل الرسول. وكان الرسول في هذه الاثناء قد فقد اهم دعامتَيْن قرشيتَيْن له: عمّه ابو طالب وزوجته خديجة ، فانتهزت قريش ، بزعامة عمه أبي لهب ، هذه الفرصة وضاعفت محاولاتها لإيذاء الرسول وصحبه الذين ازدادوا تمسّكًا بدينهم. ولما اشتدت عليهم وطأة الاضطهاد امر الرسول اتباعه بالهجرة الى يثرب ، ثم هاجر اليها شخصيًّا بعد ان تآمر القرشيّون على قتله ، فوصلها في ٢٠ ايلول سنة ٦٢٢م. وتحوّلت يثرب الى مدينة الرسول.

وتُعدّ الهجرة اول حدث تاريخي عظيم في الاسلام ، ولذلك جعلت هذه الحادثة في عهد عمر بن الخطاب بداية للتاريخ الهِجري الذي يؤرّخ به المسلمون.

حكومة الرسول في المدينة

أصبحت المدينة بعد وصول الرسول إليها ملجأ لجميع المسلمين ، فعمد محمّد الى إرساء قواعد المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار. واحلال الوحدة الدينيّة محل الشعور القَبلي. ثم عقد مع اليهود ، باسم المسلمين ، حِلفًا ليأمن شرهم ، ومنح كل فرد حريّة اختيار الدين وحرية الرأي.

ووضع الرسول لهذه الدولة الإسلامية الجديدة الأُسس العامّة لسياستها ، وشرَّع لها القوانين ، جاعلًا من القرآن دستورًا لها . واحتفظ ، الى جانب سلطته الدينية ، بكل مظاهر الحكومة السياسيّة . فكان يقود الجيوش ، ويفصل في الخصومات ، ويجبي الأموال . ولكنّه في الأمور التي يتعرّض لها الوحي ، يستشير كبار المهاجرين (الذين هاجروا معه الى يثرب) والانصار (الذين ناصروه في مكّة).

انتصار الاسلام

عندما انتهى الرسول من تنظيم شؤون المسلمين في المدينة ، انصرف الى نشر الدين الإسلامي . وقد اعتمد ، في باديء الامر ، على الحجة والإقناع ولكنَّ تمادي قريش في اضطهاد المسلمين وايذائهم ، ونقض اليهود للعهود ،

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

وبثّهم بذور الشقاق بين القبائل ، كلّ ذلك حمل الرسول على تغيير نهجه ، وامر المسلمين بالقتال والجهاد في سبيل الدين . فكان انتصار بدر اولى ثمرات هذا الجهاد (٦٢٤ م) ، عقبه معارك مع اليهود وقريش الى ان تم فتح مكة سنة ٦٣٠ م ، فازال منها الرسول التماثيل والصور ، وجعل الكعبة قبلة المسلمين .

وما ان تهادت الى القبائل أخبار هذا الانتصار ، حتى هرعت وفودها الى الرسول تُعلن إسلامها وولاءها. وهكذا في اقل من عشر سنوات على الهجرة ، اصبحت الجزيرة العربية بكاملها تدين بالاسلام ، وتخضع لحكومة واحدة ، لأول مرة في تاريخها. وكان الرسول في هذه الاثناء قد اوفد رسله الى ملوك الأرض يدعوهم الى الاسلام.

تعاليم الاسلام تتلخص الدعوة الاسلاميّة التي أبلغها الرسول العربيّ الى الناس في عقائد خمس تقابلها اركان خمسة.

١ – العقائد

أ – الإيمان بوحدانيّة الله مبدع الكائنات ، وخالق الوجود .

ب – الإيمان بان محمدًا هو رسول الله ونذيره الى امته ، وخاتمة الأنبياء ، وبأن القرآن هو كلام الله وآخر الكتب المنزلة .

ج – الإيمان بالملائكة .

د – الإيمان بالرسل الذين ارسلهم الله لهداية البشر كعيسى (المسيح) وموسى ، وبالكتب المقدسة مثل الانجيل والتوراة .

ه – الإيمان باليوم الآخر الذي تحاسب فيه كل نفس عما فعلت وتثاب على ذلك أو تعاقب .

٢ – الأركان

أ – الشهادة بان « لا اله الا الله وأن محمدًا رسول الله » ، وهي كافية لاعلان اسلام المرء .

ب – الصلاة خمس مرات في اليوم ، على ان يولي المصلّي وجهه شطر مكة مرددًا « الكلام المفروض » .

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

ج - الصوم طوال شهر رمضان المبارك من الفجر الى الغروب ، والامتناع عن كل مأكل ومشرب .

د - الزَّكاة وهي بذل مقدار معيّن من المال سنويًّا ، حسب الطاقة ، وانفاقه على الفقراء .

هـ - الحج وهو فرض على كل مسلم ومسلمة يستطيعان اليه سبيلًا ، ويستدعي زيارة الاماكن المقدسة مرّة في العمر على الأقل في شهر ذي الحجّة .

قيام الامبراطورية العربية

في السنة العاشرة للهجرة (٦٣٢ م) خرج الرسول في حوالى مائتي الـف من المسلمين الى المسجد الحرام ، وعند جبل عرفات القى على الجموع خطبته الشهيرة التي تعتبر دستور الإسلام. فقد أوضح فيها رسول الله اصول الدين الاسلامي وشرعه. ونادى بالمساواة التامّة بين الناس بقطع النظر عن اللّون والجنس والعنصر . ودعـا المسلمينَ إلى نشر تعاليمه وحمل لِواء دعوته ، والجهاد في سبيلها . وفي ١٣ ربيع الاول سنة ١١ هجريّة (٨ حزيران سنة ٦٣٢ م) انتقل الرسول الى جوار ربّه بعد ان بلّغ رسالته ، وأرسى قواعد دولة عربيّة اسلاميّة موحدة .

وأدركَ خُلفاء الرسول أنَّ عليهم حمل تعاليم الإسلام الى جهات العالم الأربع ، وانطلقت ، بِناء على توجيهاتهم ، جيوش العرب الى الفتح ونشر التعاليم تحدوها حماسة الإيمان الشديد ، واستطاعت هذه الجيوش ان تقيم للعرب دولة من اوسع الدول في التاريخ . وقد تمَّ ذلك على مراحل ، وفي عهود ثلاثة هي :

اولًا - عهد الخلفاء الراشدين

دام حكمهم من سنة ٦٣٢ م. الى سنة ٦٦١ م. وكان عددهم أربعة: أبو بكر الصدّيق - عُمر بن الخطّاب - عُثمان بن عفّان - عليّ بن أبي طالب. استطاعت جيوش العرب في هذه الفترة أن تقهر الروم في موقعة اليرموك (٦٣٦ م) ، وتهزم الفرس في مَعركة القادسيّة (٦٣٨ م) وقد هبّت لنجدَتِها العناصر العربيّة في بلاد الشام والعراق. وبذلك تم توسيع رقعة الدولة العربيّة الاسلاميّة فشملت ، الى جانب الجزيرة العربيّة ، بلاد فارس والعراق ، وبلاد

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

الشام، ومصر، وافريقيا حتى طرابلس الغرب. وكذلك أرمينيا واواسط آسيا حتى نهر جيحون (امودار يا).

ثانيًا – عهد الخلفاء الأمويين

دام حكمهم من سنة ٦٦١م. الى سنة ٧٥٠م. وبلغ عددهم اربعة عشر خليفة كان من أبرزهم معاوية مؤسّس الدولة الأموية، وعبد الملك بن مروان معرّبها ومرسّخ دعائِمها، والوليد وسليمان وقد وصَلت الدولة في عهدهما الى التركستان شرقًا والأندلس وأواسط فرنسا غربًا، وأسوار القسطنطينيّة شمالًا، وشملت بلاد السِند وكلّ الشمال الافريقيّ، وجزيرتي قبرس ورودوس.

ثالثًا – عهد الخلفاء العبّاسيين

وقد دام من سنة ٧٥٠ الى سنة ١٢٥٨ م. وبلغ عدد خلفائه سبعة وثلاثين اشهرهم أبو جعفر المنصور المؤسّس الحقيقيّ للدولة العبّاسية، وهارون الرشيد وابنه المأمون وفي عهدهما بلغ التاريخ العربيّ أزهى عصوره على الإطلاق ازدهارًا إقتصاديًا، وتقدمًا حضاريًا. ومنذ عهد الخليفة العاشر المتوكّل تسرّب الضعف الى جسم الدولة، وخضع خلفاؤها للنفوذ الفارسيّ تارة، وللنفوذ التركيّ تارة اخرى، واستقلّت الولايات، وقامت الدويلات في الامصار، وانقسمت كلمة العرب والمسلمين، فتساقطت اقسام امبراطوريتهم في أيدي الأعداء. فقد اغار المغول بقيادة هولاكو على بغداد العاصمة سنة ١٢٥٨م. وقضوا علىٰ الخلافة العبّاسيّة. أما في الأندلس فقد استطاعت الدولة العربيّة ان تستمرّ حتى سنة ١٤٩٢، وتساهم في بناء الحضارة العربية مساهمة فعّالة. (انظر الجدولين ص ٢٥٥).

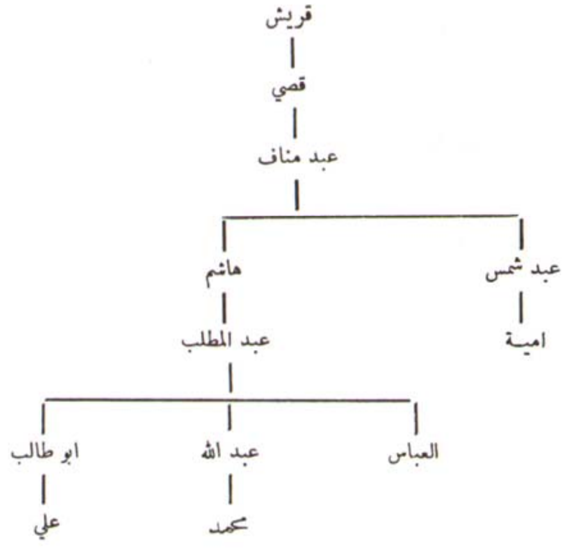

الخلفاء الراشدون

ابو بكر الصديق	٦٣٢–٦٣٤
عمر بن الخطاب	٦٣٤–٦٤٤
عثمان بن عفان	٦٤٤–٦٥٦
علي بن ابي طالب	٦٥٦–٦٦١

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

وصية الخليفة أبي بكر لأسامة بن زيد قائد أول جيش خرج للقتال بعد وفاة الرسول :

« أيها الناس قفوا أوصيكم بعشر ؛ فاحفظوها عني : لا تخونوا ، ولا تغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا طفلًا صغيرًا ، ولا شيخًا كبيرًا ، ولا إمرأة ؛ ولا تعقروا نخلًا ، ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرًا إلّا لمأكله ، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له... »

(ابو زيد شلبي - « تاريخ الحضارة الإسلامية ص ١٥٤ - نقلًا عن الطبري الجزء الثاني ص ٤٦٣ طبعة الإستقامة ») .

خطبة أبي بكر بعد مبايعته بالخلافة

« ... أما بعد أيها الناس فإني ولّيت عليكم ولست بخيركم ، فإن أحسنت فأعينوني ، وإن أسأت فقوّموني ، الصدق أمانة والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوي عندي حتى أريح عليه حقه إن شاء الله ، والقوي منكم الضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله ، لا يدع أحد منكم الجهاد في سبيل الله ؛ فإنه لا يدعه قوم إلّا ضربهم الله تعالى بالذل ، ولا تشيع الفاحشة في قوم إلّا عمهم الله بالبلاء ، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله ؛ فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم ، قوموا الى صلاتكم يرحمكم الله » .

(« ابو زيد شلبي - « تاريخ الحضارة الإسلامية ص ٨٤ ، نقلًا عن الطبري الجزء الثاني ص ٤٥٠ ») .

خطبة أبي بكر في جماهير المسلمين الثائرة لدى سماعها بنبأ وفاة الرسول :

« أيها الناس ، إن يكن محمد قد مات فإن الله حي لم يمت ، وقد علمتم أني أكثركم قتبًا في بر ، وجارية في بحر ، فأقروا أميركم وأنا ضامن ان لم يتم الأمر أن أردها عليكم »

(جرجي زيدان - « تاريخ التمدن الإسلامي - الجزء الثالث ص ١١٧ ، نقلًا عن البيان والتبيين الجزء الأول ص ٢٢١ ») .

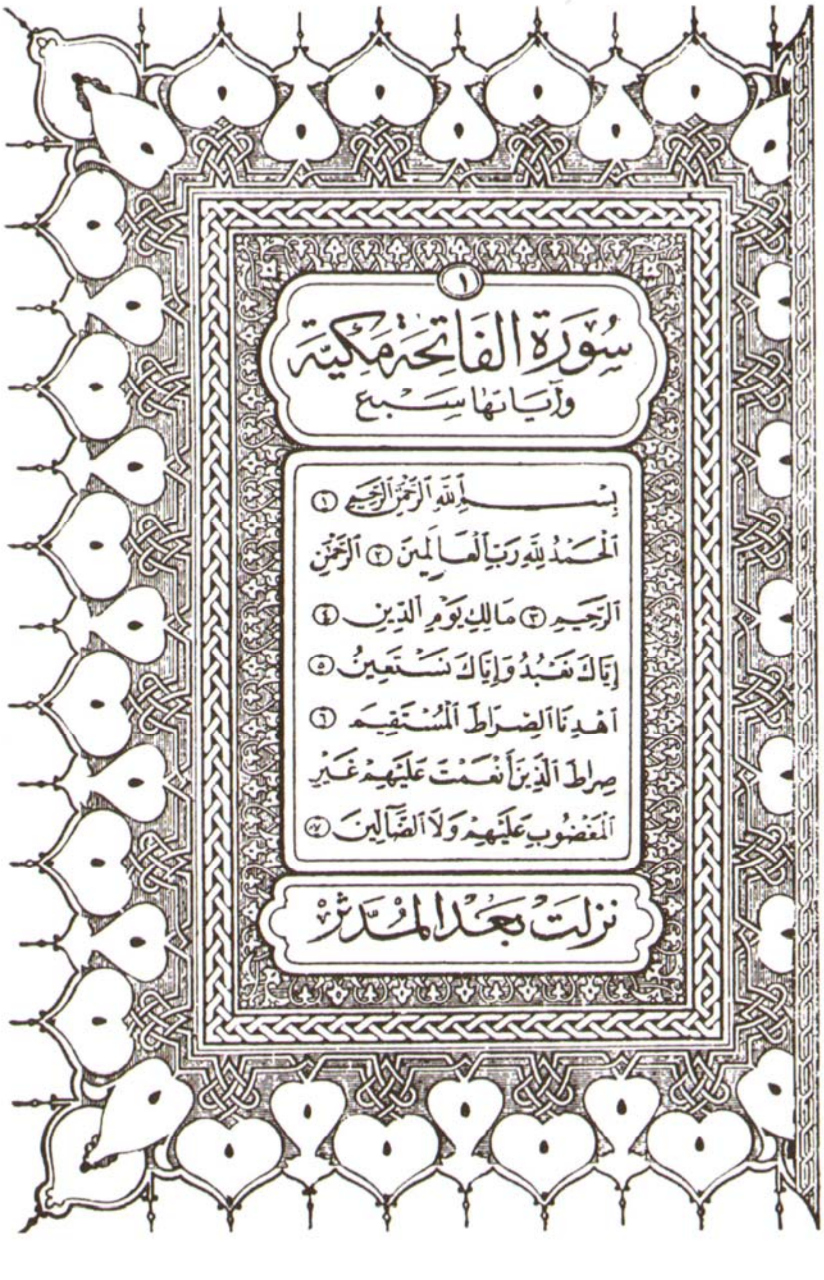

القرآن الكريم ، سورة الفاتحة

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

٣٦ الخلافة والإدارة والماليّة

النظام السياسي بعد وفاة الرسول، وحسمًا للخِلاف بين الأنصار والمهاجرين، والنِزاع بين القبائل، اتفق كبار الصحابة على ان يكون للرسول خليفة. فما هي الخلافة؟

أً – الخلافة الخلافة رئاسة عامة في الدين والدنيا، نيابة عن النبيّ العربيّ. ولمّا كان للخلافة هذه الاهميّة، فقد كان لا بدَّ من مراعاة الامور التالية في اختيار الخليفة: ان يكون قرشيًا ومن صحابة الرسول المعروفين بالتقوى والورع والصلابة في الدفاع عن الإسلام، ومن ذوي الاخلاق الحميدة، والصيت الحسن.

أ – في عهد الراشدين: كان هذا الاختيار يتمّ عن طريق الانتخاب، أو المبايعة بعد تبادل الرأي. وهذا ما يعطي الخلافة في عهد الخلفاء الراشدين الصفة الشوريّة الانتخابيّة. أما سلطة هؤلاء الخلفاء فمطلقة، لا يحدّها سوى منطوق الشرع، ورضا الأمة. ولذلك عندما خرج عثمان على منطوق الشرع ثارت عليه الأمة وقتلته. وقد جرت العادة ان يعمد الخليفة المنتخب الى الخطابة في الناس مبيّناً لهم منهجه في الحكم، وسياسته في ادارة شؤون الدولة، مطالبًا ايّاهم بمحاسبته اذا اساء الأمانة.

ب – في عهد الامويّين: امتازت الخلافة الامويّة عن الخلافة الراشديّة بأمور عديدة، جعلتها اقرب الى المَلَكيّة منها الى الخلافة. وقد كان معاوية يرمي بالفعل الى جعل الخلافة ملكًا، وهو القائل «أنا أوّل الملوك». وفي سبيل ذلك ابتدع في الدولة أشياء لم يسبقه اليها احد، ومنها:

- الجلوس على عرش.
- اتخاذ مقصورة خاصّة في المسجد تحجبه عن الناس.
- الجلوس اثناء الخطبة.
- إحاطة نفسه بحرس خاصّ، والإقامة في القصور، والحرص على الظهور بمظهر الحاكم المرهوب الجانب.
- جعل الخلافة وراثيّة ملكيّة، بعد ان كانت انتخابيّة شوريّة.

ج – في عهد العباسيّين: تأثر نظام الخلافة بانتقال الحكم من الامويّين

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

الى العباسيّين. فمن الوجهة النظريّة، ساد الاعتقاد عند العباسيّين بأن الخلافة حق شرعيّ لهم، ورثوه عن النبيّ. أما من الناحية العمليّة، فقد تطوّر نظام الخلافة كثيرًا بتأثير من الفرس. واصبح الخليفة العبّاسي، كملوك آل ساسان، لا يخاطب الناس إلّا من وراء حجاب، واتخذ له وزيرًا وسيّافاً، وأحاط شخصه بالقداسة والرهبة. واعتقد الخلفاء العباسيّون انهم يحكمون بموجب تفويض من الله، فأوجدوا بذلك نظريّة الحق الإلهيّ في الحكم، وكانوا يورّثون الحكم لمن يشاؤون من انسبائهم

وتلقب الخلفاء العباسيّون بلقب «إمام»، وارتدوا بُردة النبيّ توكيدًا للمعنى الدينيّ في خلافتهم. ولكنّهم كانوا، عندما تسمح الظروف، يستبدّون بالسلطة، ويتصرّفون تصرّف الحاكم المُطلق الصلاحيّات، في شؤون الدولة مع ما في ذلك من ظلم وطغيان لا يتفقان مع الدّين.

النظام الاداري

عندما تأسست الدولة الإسلاميّة في المدينة اتخذَ لها الرسول القرآن دستورًا، والمشورة نظامًا، وكان يشرف شخصيًّا على كامل شؤون هذه الدولة.

وفي عهد الخُلفاء الراشدين اتّسعت الدولة وتشابكت مصالحها، وتنوّعت مهامها. وقد ازدادت هذه الامور تعقيدًا في العهود الأمويّة والعبّاسيّة، وفرضت وضع نظام إداري متكيّف مع الحاجات المتغيّرة.

١ – في عهد الخلفاء الراشدين

حرص الخلفاء الراشدون على ضبط شؤون الدولة، فوضعوا لذلك تنظيمات اداريّة شَمَلت العاصمة والأمصار.

أ – في العاصمة (المدينة): عندما تولّى عمر بن الخطاب الخِلافة كانت الدولة العربيّة قد اتّسعت حدودها وتنوّعت مواردها، فانشأ، لضبط امورها، عددًا من الدواوين هي:

– ديوان الجند لكتابة أسماء الجنود، وما يعود الى كل منهم من العطاء.

– ديوان الخراج والجباية لتدوين كل ما يرد الى بيت المال.

– ديوان الرسائل وكان لصاحبه الاشراف على الرسائل التي ترد من الولاة.

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

واستعان الخلفاء الراشدون في تنفيذ مهامهم الواسعة بالكاتب الذي كان بمثابة وزير أو مستشار أول للخليفة. وكان الخليفة يختار كاتبه من بين الذين يجيدون الخط، على قلّتهم في صدر الاسلام.

ب – في الامصار: قسّم الخلفاء الراشدون البلدان التي فتحوها الى أجناد، على الطريقة البيزنطيّة، وجعلوا على رأس كلٍّ منها قائدًا عسكريًا له صلاحيّات واسعة في إدارة شؤون جنده، ويرتبط بالخليفة مباشرة. وقائد الجند يجمع في شخصه جميع السلطات التنفيذيّة والقضائيّة والعسكريّة.

٢ – في عهد الخلفاء الأمويين في عهد بني اميّة تشابكت مصالح الدولة، واستلزمت التغييرات الادارية التي تتلاءم مع الظروف.

أ – في العاصمة (دمشق): تعدّدت الدواوين واصبحت:

- ديوان الخراج ولصاحبه الإشراف على جباية الأموال وتحديد طرق انفاقها.
- ديوان الرسائل ويناط به أمر الاشراف على الرسائل المتبادلة مع الولاة.
- ديوان الايرادات المتنوّعة.
- ديوان الخاتم، وقد أنشأه معاوية، واعطاه اهميّة خاصّة ومهمته نسخ أوامر الخليفة وإيداعها هذا الديوان، بعد ان تُحزم بخيط وتُختم بالشمع بخاتم الديوان.
- ديوان الطراز، ويقضي بأن ترسم أسماء الملوك والسلاطين، أو علامات مميّزة تختصّ بهم، في طراز أثوابهم. وقد اقتدى الامويّون في ذلك بما كان متبعًا عند الأكاسرة والقياصرة.

ومما تجدر الإشارة اليه هنا هو ان نظام الدواوين قد ارتقى كثيرًا، وزادت اهميّته في عهد عبد الملك بن مروان الذي أمر بتعريب الدواوين، وجعل اللغة العربيّة الزاميّة في معاملات الدولة كافة. وكانت الدواوين من قبل تستخدم اللّغتين الفارسيّة واليونانيّة. وعلى الأثر تقلّص نفوذ الموالي واهل الذمّة، وأصبحت المناصب الاداريّة وقفًا على العرب المسلمين.

كذلك تعدّد الكتّاب في هذا العهد، لتعدد مصالح الدولة، وأصبح عددهم خمسة: كاتب الرسائل وهو الأهم – كاتب الخراج – كاتب الجند –

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

كاتب الشرطة – كاتب القاضي. وكان الخلفاء لا يولون هذا المنصب الّا اقرباءهم.

واما الحاجب الذي يشبه كبير الأمناء اليوم، فقد كانت مهمته تنظيم إدخال الناس على الخليفة، مع مراعاة مقامهم واهميّة اعمالهم. ومعاوية هو أول من أوجد هذا المنصب في البلاط، لتنظيم دخول الناس عليه. ولكن عبد الملك بن مروان أوصى حاجبه بان يبيح الدخول عليه في أي وقت لثلاثة: «المؤذن للصلاة، لأنه داعي الله، وصاحب البريد لأهمية ما قد يحمله من رسائل، وصاحب الطعام لئلّا يفسد».

ومعاوية هو اول من ادخل نظام البريد في الاسلام، وقد اخذه عن الفرس والروم. وفي عهد عبد الملك بن مروان، ادخل على البريد عدة تحسينات حتى اصبح اداة هامّة في إدارة شؤون الدولة، والربط بين انحائها.

ب – في الامصار: في عهد بني اميّة، وصلت الدولة العربيّة الى اقصى اتساعها، وقد قسمت اداريًا الى خمس إمارات كبرى، على رأس كلٍّ منها امير مرتبط بالخليفة رأسًا. وكان الخلفاء الامويّون، كأسلافهم الراشدين، يتولّون شخصيًا أمور تعيين الولاة، ويختارونهم من العرب دون غيرهم من الشعوب. والوالي الامويّ هو الرئيس الأعلى لحكومة الأقاليم: يؤمّ الناس في الصلاة، ويتولّى شؤون الحرب، ويشرف على الشرطة، ولا يعود إلى الخليفة إلّا في الأمور المهمّة. أما اعمال الجِباية فيقوم بها موظف مستقل هو صاحب الخراج في الاقليم.

٣ – في عهد الخلفاء العباسيين

بتأثير من الفُرس أدخل العباسيّون تعديلات جذريّة على نظام إدارة الدولة، سواء في الحكومة المركزيّة، ام في الملحقات.

أ – في العاصمة (بغداد): مع مطلع العهد العبّاسي عرف العرب الوزارة لأول مرة في تاريخهم. وأول من تقلّد هذا المنصب أبو سلمة الخلّال في عهد السفّاح. وكانت حكومة الخليفة تعرف باسم «ديوان العزيز». وكان الوزير الذي هو بمثابة رئيس وزراء يشرف على هذا الديوان. كما كان رؤساء الدواوين يحملون احيانًا لقب وزير ويتبعون الرئيس الأوّل او رئيس الحكومة. (انظر ص ٢٥١).

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

وعلى العموم، بدا منصب الوزير قليل الأهميّة في عهد الخلفاء العِظام، لأن الوزارة آنئذ وزارة تنفيذ لما يقرره الخليفة. ولكن نفوذ الوزراء تزايَد في عصور الانحطاط، وأصبحت الوزارة وزارة تفويض، يتنازل الخليفة فيها عن صلاحياته ويفوّضها الى الوزير. وبذلك اصبحت الوِزارة مجالًا واسعًا للكسب والشهرة والنفوذ.

اما الدواوين فقد تزايد عددها في العصور العبّاسيّة وتشابكت صلاحيّاتها. وكان أهمّها: الدية – الجند – الموالي والغلمان – البريد – المظالم – الشرطة – العطاء – الخراج – الرسائل – الأَكْرِيَة.

اما الكاتب فقد احتفظ في الحكم العبّاسي بمكانته، وكان يترأس ديوان الرسائل أهم دواوين الدولة العباسيّة. والخلفاء يختارون كتّابهم من رجال الأدب الواسعيّ الاطلاع. وكثيرًا ما كان الكاتب يتدرّج الى منصب الوزير الأول في البلاط (انظر ص ٢٧١).

كما اتخذ العبّاسيّون لهم حجّابًا يؤمّنون دخول الناس عليهم حسب مكانتهم إلى دار العامّة، أو إلى دار الخاصّة. إلّا ان مهمّة الحاجب العبّاسيّ لم تقتصر على حماية الخليفة ومنع الناس من الاتصال بــه، بل كثيرًا ما كان الحاجب يتدخل في شؤون الدولة ويستبدّ بها في عصور الانحطاط.

واما البريد، فقد اعتنى العبّاسيّون بتنظيمه وأقاموا المحطّات على الطّرقات في هذا السبيل. كما استخدموا الحمام الزاجل في نقل الرسائل المستعجلة. وبذلك ضمن الخُلفاء الاتصال السريع بعمّال الوِلايات، وكانت اخبار هذه الولايات تصلهم يوميًا بصورة منتظمة.

ب – في الأقاليم: في العصر العبّاسي الأول، عصر الخلفاء العظام، أصبح النظام الاداريّ نظامًا مركزيًا، وأصبح العمّال على الأقاليم مجرد موظفين سلطتهم محدودة. فقد حرص الخلفاء، منذ عهد أبي جعفر المنصور، على حصر السلطة في أيديهم، وكانوا يتولّون بأنفسهم تعيين حكّام الأقاليم ويجعلونهم مسؤولين أمامهم عن كــل اعمالهم، ويختارونهم مــن الفِئات العاديَّة، بعكس الامويّين والراشدين الذين جعلوا عمّالهم من الشخصيَّات البارزة. وقد اتبع الخلفاء العبّاسيّون سياسة تغيير هؤلاء الولاة من وقت لآخر حتى لا يتبلّدوا في ولايتهم. واقتصر عمل الوالي العباسي

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

على ترؤس الصلاة وقيادة الجند، فيما تزايد نفوذ صاحب المال، وصاحب البريد والقاضي. وكان الخليفة يستخدم كل واحد من هؤلاء سرًا، للتجسس على الآخرين، وموافاته باخبارهم.

وبتزايد ضعف الدولة العبّاسيّة صار عمّال الأقاليم يفضّلون البقاء في بغداد، وينيبون عنهم من يصرّف الأعمال باسمهم في الأقاليم. ولما اشتدَّ ضعف السلطة المركزيّة ساءت الاحوال في الأقاليم، واستغلَّ الكثيرون من العمّال هذه الفرصة للتمرّد على سلطة الخليفة واعلان الثورة والاستقلال بولايتهم. فظهرت دويلات كثيرة في جسم الدولة العبّاسيّة المتفكك.

النظام المالي لضبط مداخيل الدولة وتحديد نفقاتها، كان لا بدَّ من اعتماد نظام مالي يكفل ذلك. وقد تطوّر هذا النظام خلال عهود الدولة العربيّة الثلاثة:

١ – في عهد الخلفاء الراشدين انشأ الخلفاء الراشدون بيت المال، وهو بمثابة وزارة المال اليوم. فيه بيان شامل بمصادر ايرادات الدولة، يقابله بيان آخر بنفقاتها المتنوّعة.

أ – موارد بيت المال: في هذا العصر كانت أهم موارد بيت المال هي:

– الخراج، وهو الضريبة على الأرض يدفعها الشخص الذي يعمل في الأرض ويستفيد من خيراتها، وهذه الضريبة واجبة على الجميع، ولا تسقط بالإسلام.

– الجزية، وهي مبلغ معيّن من المال، يوضع على الأشخاص، ويسقط بالاسلام. وكان الخلفاء الراشدون يعفون من هذه الضريبة الفقراء والعُجَّز، وذوي العاهات والرهبان، والنساء والأولاد والشيوخ. وقد فرضت الجزية على اهل الذمّة مقابل فرض الزكاة على المسلمين.

– العشور، وهي ضريبة فرضها الخليفة عمر بن الخطّاب على السفن التي تمرّ بالموانئ العربيّة، وعلى التجارة التي تمرّ عبر البلاد العربيّة، وقيمتها عُشر (١/١٠) حمولة السفن او عُشر ثَمَن البضائع والسلع.

– الزكاة، وهي المال المفروض، بموجب الشريعة، على اغنياء المسلمين ليوزّع على فقرائهم.

– الغنائم، وهي ما يكسبه المسلمون من أعدائهم في الحروب.

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

ب – نفقات بيت المال: والمال المتجمّع من هذه الضرائب يصرف على الشكل التالي:
– دفع مرتّبات القضاة والولاة وسائر الموظفين.
– دفع مرتّبات الجنود (منذ عهد عمر بن الخطّاب).
– حفر الترع واصلاح مجاري الانهر، والإنفاق على المعدّات الحربيّة، والأسرى، والعطايا والمنح للادباء والعلماء.

٢ – في عهد الخلفاء الأمويين

لم يدخل الامويّون تغييرًا يذكر على النظام الماليّ الذي اوجده الخلفاء الراشدون. وكل ما هنالك انهم زادوا قيمة الضرائب في بعض الأحيان لدرجة حملَت الاهالي على التذمّر. كما انهم تشدّدوا في محاسبة الجباة والولاة على الاثراء غير المشروع. والى الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان يعود الفضل في استبدال نقود عربيّة بالنقود الفارسيّة والبيزنطيّة في الدولة
اما موارد بيت المال فكانت لا تزال: الخراج – الجزية – العشور – الزكاة – الغنائم.

وأما المصروفات فإلى جانب مرتّبات القضاة والولاة والموظّفين والجنود، والأشغال العامّة، وشراء الأسلحه، والعطايا، صرف خلفاء بني اميّة اموالًا طائلة على حياتهم الباذخة وقصورهم وحشمهم.

٣ – في عهد الخلفاء العبّاسيين

لكي يتقربوا من الفلاحين الذين ظلمهم الامويّون بالضرائب، عمد الخلفاء العبّاسيّون، منذ عهد أبي جعفر المنصور، إلى الغاء الضرائب على القمح والشوفان، ثم عمّم الخليفة المَهدي هذا الالغاء وجعله شاملًا لكل المحاصيل الزراعيّة – وصار الفلّاح يدفع نسبة معيّنة عينيّة من محاصيله حسب المواسم. وبذلك حلَّ نظام المقاسمة محلّ نظام المحاسبة في دفع الضرائب.

كذلك عمد العبّاسيّون، منذ عهد المنصور، الى إدخال تعديل مهمّ على النظام الماليّ قضى باقطاع بعض أعيان الدولة، إقطاعات من الارض يعمّرونها ويستثمرونها مكافأة لهم على ما قدّموه من خدمات للدولة، على ان يؤدوا إلى دار الخلافة مبلغًا من المال إلى جانب الهدايا والمعونة عند الطلب.

أما فيما يختصّ بموارد بيت المال ونفقاته فقد بقيت على حالها.

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

صفات الوزير في نظر الخليفة المأمون

«إني التمست لأموري رجلًا جامعًا لخصال الخير، ذا عفة في خلائقه، واستقامة في طرائقه، قد هذّبته الآداب، وأحكمتـه التجارب، إن اؤتمن على الأسرار قام بها، وإن قُلّد مهمات الأمور نهض فيها، يُسكته الحلم، وينطقه العلم، وتكفيه اللحظة، وتغذيه اللمحة، له صولة الأمراء، وأناة الحكماء، وتواضع العلماء، وفهم الفقهاء. إن أحسن إليه شكر، وإن ابتلي بالإساءة صبر، لا يبيع نصيب يومه بحرمان غده، يسترقّ قلوب الرجال بخلابة لسانه وحسن بيانه.»

(ابو زيد شلبي – «تاريخ الحضارة الإسلامية ص ٩١»).

خطبة عمر بن الخطّاب في الناس حول الولاة

«أيها الناس! إني والله ما أرسل إليكم عمّالًا (ولاة) ليضربوا أبشاركم (جلودكم)، ولا ليأخذوا أعشاركم (أموالكم)، ولكن أرسلهم ليعلموكم دينكم وسنتكم. فمن فُعل به شيء سوى ذلك فليرفعه إلي. فوالذي نفس عمر بيده لأقصنّه له منه».

(حسن وعلي ابراهيم حسن – «النظم الإسلامية ص ١٥٥ – الطبعة الثالثة – نقلًا عن الطبري الجزء الخامس ص ٢٠»).

حول نشوء الوزارة

يقول صاحب الفخري:

«والوزارة لم تتمهد قواعدها، وتتقرّر قوانينها إلّا في دولة بنى العباس؛ فأما ما قبل ذلك فلم تكن مقننة القواعد، ولا مقررة القوانين، بل كان لكل واحد من الملوك أتباع وحاشية، فإذا حدث أمر استشار ذوي الحجا، والآراء الصائبة، فكل منهم يجري مجرى وزير، فلما ملك بنو العباس، تقررت قوانين الوزارة، وسمي الوزير وزيرًا، وكان قبل ذلك يسمى كاتبًا أو مشيرًا».

(ابو زيد شلبي – «تاريخ الحضارة الإسلامية ص ٩٤ نقلًا عن كتاب الفخري لإبن الطقطقي ص ١١١»).

الصفة الشورية في الخلافة الراشدية

يقول الإمام أبو يوسف:

«كان يساعد الخليفة مجلس من الكبار المسنين، هم أهل الشورى، وكان يتألف من كبار الصحابة، وكانت جلساته تعقد في مسجد النبي (صلعم)، وفي غالب الأحيان كان يساعد هذا المجلس أعيان المدينة، وزعماء البدو الوافدون الى المدينة، فضلًا عن أنه كان في مقدور كل فرد ممن يحضر المسجد أن يدلي برأيه، وكان شيوخ المجلس من بين المهاجرين والأنصار».

(ابو زيد شلبي – «تاريخ الحضارة الإسلامية ص ٨٧»).

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

٣٧ القضاء والجيش

النظام القضائي

أ – القضاء لم يكن للمسلمين في عهد الرسول قاضٍ سواه، يحكم بين الناس على أساس احكام القرآن. وطُرق الإثبات عنده ثلاث: البيّنة على مَنْ ادّعى، واليمين على مَنْ أنكر، وشهادة الشهود. وبحكم اتساع الدولة وتكاثر عدد سكانها وتشابك مصالحهم في العهود التالية، تطوّر القضاء ليتجاوب مع هذه الظروف:

أ – في عهد الخلفاء الراشدين: ترسّم الخليفة الاول ابو بكر خطوات الرسول، ولكنّه اسند مهام القضاء الى عُمَر بن الخطّاب، فظلَّ سنتين لا يأتيه متخاصمان، لما عُرف عنه من الشدة والحزم.

وعندما تسلّم عُمَر مهامّ الخلافة، واتّسع نطاق الدولة، أوكل شؤون القضاء الى اشخاص سُمّوا «قضاة»، وزّعهم على المدن والأمصار لفضٍّ الخلافات بين الناس، وجعل لكل منهم مرتبًا شهريًا محدّدًا، وسنَّ عُمَر لهؤلاء القضاة دستورًا يسيرون على هديه في الأحكام. وقد لبث هذا الدستور مرجعًا للقضاء. (انظر ص ٢٥٩).

والخليفة هو الذي يعيّن القضاة ويختارهم ممن تتوفر فيهم الغزارة في العلم والتقوى والورع والعدل والذكاء.

وجلس هذا القاضي في بادئ الأمر لمقاضاة الناس في منزله، ثم أصبحت الجلسات تُعقد في المسجد. إلّا ان هذا القاضي لم يكن لديه أي سجلّ لتدوين الأحكام، بل كانت تنفّذ فورًا. وفي عهد الخليفة علي ابن ابي طالب، قضت الضرورة بان ينشأ السجن، لأول مرة في الإسلام، لتقويم المنحرفين.

ب – في عهد الامويين: تميّز القضاء في العهد الأمويّ بميزتَيْن:

الاولى: ان القاضي كان يحكم بما يوحيه اليه اجتهاده، استنادًا الى الكتاب والسنّة. **الثانية:** ان القضاة لم يتأثّروا بالسياسة، بل استقلّوا في أحكامهم، وكان قضاؤهم نافذًا على الولاة وعمّال الخراج.

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

واختار بنو أميّة قضاتهم من خيرة الناس كرامـةً وعدلًا وتقوىً، وأوفرهم علمًا. وكان القاضي يتقاضى راتبًا شهريًّا يكفل له العيشَ الكريم.

وفي هذا العصر ظهرت الحاجة الى وجود سجلّات تدوّن فيها الأحكام الصادرة منعًا لكل نكران أو تملّص.

ج - **في عهد العباسيين:** تطوّر القضاء تطورًا كبيرًا. ومن أهم مظاهر هذا التطور:

- ضعف روح الاجتهاد، بعد ظهور المذاهب الفقهيّة الاربعة: الحنفيّ - الحنبليّ - الشافعيّ - المالكيّ، نسبة الى واضعيها.
- تأثر القضاء بالسياسة، وتدخّل الخلفاء في شؤون القضاء.
- استحداث مركز «قاضي القضاة»، وهو يشبه وزير العدل اليوم، يقيم في العاصمة ويعيّن القضاة للأقاليم والأمصار.
- اتساع سلطة القاضي وضمّ الشرطة والحسبة والمظالم اليه في بعض الأحيان. وتكليفه باستيفاء بعض الحقوق العامّة للمسلمين، وتنصيب الأوصياء، والاشراف على الأوقاف.

٢ً - ديوان المظالم نَظَرُ المظالم هو حمل المتظالمين على التناصف بالرهبة والهيبة، ولذلك من شروط الناظر فيها ان يكون جليل القدر، نافذ الأمر، عظيم الهيبة، ظاهر العفة، قليل الطمع، كثير الورع.

لم تظهر ضرورة للجلوس والنظر في المظالم، على أيام الرسول أو في عهد الخلفاء الراشدين. وبقي الحال كذلك حتى تولّى عبد الملك بن مروان الخلافة. فقد بلغه ما يصيب الناس من مظالم. وعلى الأثر قرر أن يخصص يومًا في الأسبوع للنظر في مظالم رعاياه، فأنشأ ديوان المظالم. وهذا الديوان عبارة عن هيئة قضائيّة عليا، تشبه محكمة الاستئناف اليوم. وأما اختصاصاتها فهي النظر في ظلامات الشعب ضد القضاة أو الولاة أو الجباة أو أصحاب النفوذ. وكانت الجلسات تُعقد في المسجد بحضور الخليفة أو من ينيبه عنه لهذه المهمّة. وقد جلس لهذه المهمّة من خلفاء بني أميّة عبد الملك بن مروان، وعمر بن عبد العزيز. كما جلس لها من خلفاء بني العبّاس المهدي والهادي والرشيد والمأمون والمهتدي.

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

٣ – الحسبة تقضي الحسبة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهي لذلك وظيفة دينيّة. نشأت هذه الوظيفة في عهد الرسول، وقد تولّاها بنفسه انفاذًا للآية الكريمة: «ولتكن منكم امّة يدعون الى الخير، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، واولئك هم المفلحون». وسار الخلفاء على هديه من بعده، وعيّنوا لها محتسبين توفّرت فيهم شروط الحسبة وهي أن يكون المحتسب حرًّا، عدلًا، ذا رأي سديد، صارم في الدين.

ومن اختصاصات المحتسب مراقبة الصلاة والصوم، والإشراف على الأسواق لمنع الغش، ولذلك كان المحتسب يطوف للمراقبة: يأمر وينهى ويحاسب. (انظر صفحة ٢٥٩).

وكان للحسبة دار خاصة بها، يأتي اليها جميع الباعة، في أوقات معيّنة لتعيير مقاييسهم ومكاييلهم وموازينهم.

٤ – الشرطة الشرطة هم أفراد الجُند الذين يعتمد عليهم الخليفة أو الوالي في حفظ الأمن، والقبض على الجناة والمفسدين، والمحافظة على أرواح الناس وممتلكاتهم.

أول من أوجد الشرطة هو الخليفة عمر بن الخطّاب، إلّا أن أمر تنظيمها يعودُ الى الخليفة عليّ بن أبي طالب الذي أطلق على رئيسها لقب «صاحب الشرطة». ثم ازدادت أهميّتها والعناية بها في عهد الدولة الامويّة.

وكانت الشرطة في البدء من توابع القضاء، الغرض منها تنفيذ الأحكام القضائيّة، أو فرض العقوبات الزاجرة قبل ثبوت الجرائم، ومساعدة القاضي في اثبات الذنب على مرتكبه. ثم انفصلت عن القضاء واصبحت وظيفة مستقلّة.

وفي العصر العبّاسي لم يكن عَملها شاملًا جميع الطبقات نظرًا لمداخلات ذوي النفوذ والسلطان، وتعطيلهم عملها. أما في الأندلس فقد أولاها الامويّون كل عنايتهم وجعلوها قسمَين: شرطة كبرى للخاصّة من ذوي النفوذ والسلطان، وشرطة صغرى للعامّة.

النظام الحربي

لقد حدّد القرآن للمسلمين الأسباب التي تصبح الحرب معها مشروعة بل واجبة. فقد جاء في سورة البقرة «وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

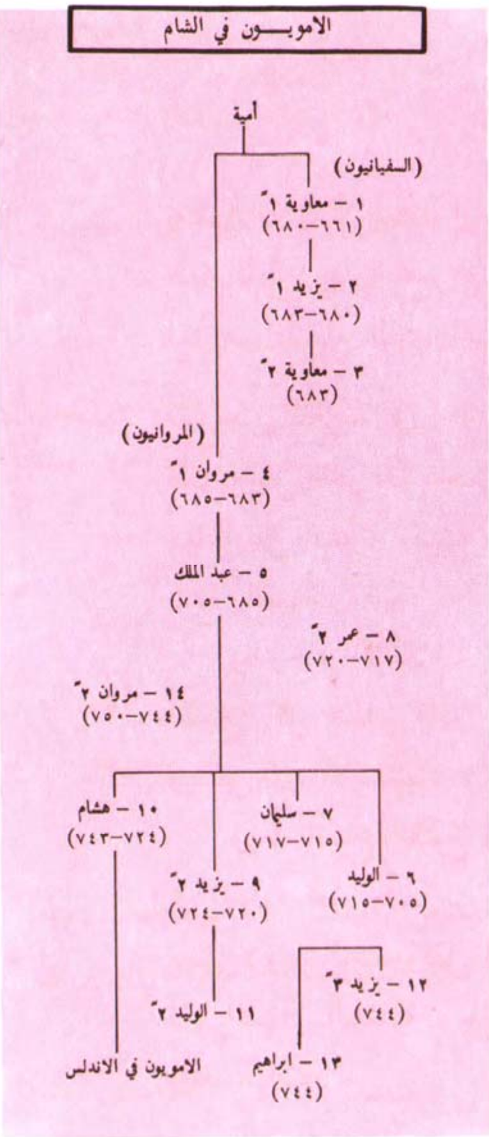

العباسيون

السفّاح	٧٥٠
المنصور	٧٥٤
المهدي	٧٧٥
الهادي	٧٨٥
هارون الرشيد	٧٨٦
الامين	٨٠٩
المأمون	٨١٣
المعتصم	٨٣٣
الواثق	٨٤٢
المتوكّل	٨٤٧
المنتصر	٨٦١
المستعين	٨٦٢
المعتز	٨٦٦
المهتدي	٨٦٩
المعتمد	٨٧٠
المعتضد	٨٩٢
المكتفي	٩٠٢
المقتدر	٩٠٨
القاهر	٩٣٢
الراضي	٩٣٤
المتقي	٩٤٠
المستكفي	٩٤٤
المطيع	٩٤٦
الطائع	٩٧٤
القادر	٩٩١
القائم	١٠٣١
المقتدي	١٠٧٥
المستظهر	١٠٩٤
المسترشد	١١١٨
الراشد	١١٣٥
المقتفي	١١٣٦
المستنجد	١١٦٠
المستطيع	١١٧٠
الناصر	١١٨٠
الظاهر	١٢٢٥
المستنصر	١٢٢٦
المستعصم	١٢٥٨ – ١٢٤٢

فسيفساء من قصر خربة المجفر (الاردن اليوم)

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

تعتدوا ان الله لا يحبّ المعتدين». وعلى هذا تكون الحرب في الإسلام الغرض منها الدفاع عن النفس، أو الدفاع عن الدعوة عن طريق الجهاد المقدّس. فما هو النظام الذي اعتمده المسلمون العرب في جيوشهم؟

١ً – نظام الجندية لم يكن للعرب في جاهليتهم نظام خاصّ للجند لبداوتهم في الحجاز. فكل رجل قادر على حمل السلاح، يخرج للقتال، عندما تدعو الضرورة، دفاعًا عن عشيرته وقبيلَته، وكانت اسلحتهم السيف والرمح والقوس. يقودهم شيخ القبيلة.

ولما جاء الإسلام، وأذن للمسلمين بالقتال والجهاد في سبيل الله، أصبح كل مسلم قادر على حمل السلاح جنديًّا، يحمل راية الجهاد، ويسعى الى الاستشهاد في سبيل الله.

وبعد اتّساع الفتوح وتدفّق الغنائم على المحاربين، واستقرار قسم منهم في المدن، خشيَ عُمَر بن الخطّاب من تأثير هذه الظاهرة على مصير الإسلام، فأنشأ ديوان الجند وكفل للجنود معيشتهم ومعيشة عائلاتهم، مقابل انصرافهم الى اعمال الجنديّة. والى عُمَر يعود الفضل كذلك في انشاء الحصون والمعسكرات.

تابع الامويّون عمل عُمر في تنظيم ديوان الجُند، والاعتناء بالجيش. ولمّا لاحظ عبد الملك بن مروان انصراف المسلمين عن القتال والحرب، ادخل نظام التجنيد الإجباريّ، ولكنّه قصره على العرب فقط من رعايا الدولة الامويّة.

وفي عهد الدولة العبّاسيّة، ولضرورات داخليّة وخارجيّة، اعتنى الخلفاء العظام بالجيش واكثروا من عدده، وجعلوه قِسْمَين: الجنود النظاميّة ويتقاضون مرتّبات شهريّة، والمتطوّعة وهم من البدو والفلّاحين وسُكان المدن الذين دفعتهم عوامل دينيّة لحمل السلاح والجهاد. واعتاد الخُلفاء العبّاسيّون أن يستعرضوا جيوشهم، منذ عهد المنصور الذي كان يرتدي لذلك لباس الجنديّة ويجلس على عرش مرتفع، أثناء الاستعراض. ومنذ عهد المتوكّل اصبح للجيش لباس موحّد رماديّ اللون. والى العباسيّين أيضًا يعود الفضل في ايجاد نظام الجاسوسيّة، حيث بثّوا النساء والرجال في بلدان اعدائهم متنكرين في ازياء التجّار والأطبّاء والعلماء لجمع الاخبار لدولتهم.

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

٢ً – قيادة الجند تولّى الرسول بنفسه قيادة جيوش الإسلام في حياته. وبعد وفاته تغيّرت الاحوال، باتساع حدود الدولة، وتعدّد ميادين القتال، لم يعد الخليفة قادرًا على أن يتولّى هذه القيادة بنفسه، فأسندها الى من يصلح لها ممن عرف بالشجاعة والإقدام والحزم، وحسن التدبير، والخبرة بفنون القتال، من أمثال خالد ابن الوليد، وعَمْرو بن العاص، وأبي عُبيدة بن الجراح، وسعد بن ابي وقاص.

ولما كان القوّاد ينوبون عن الخليفة في ترؤس الصلاة، لذا كانت الطاعة لهم واجبة كطاعة الخليفة نفسه...

والقائد يطمئن الى حالة جنوده، والى عدتهم قبل لقاء العدو. ومتى انتهى القتال، اصبحت مهمّة القائد النظر في امر جنوده، وتدريبهم، وتحسين معدّاتهم، وتجديد اسلحتهم.

٣ً – عناصر الجيش تكوّن الجيش في بادئ الأمر من العنصر العربيّ فقط. وبقي كذلك حتى أيام الوليد بن عبدالملك الأمويّ الذي سمح بانخراط البربر في الجيش، والإستعانة بهم في فتح الاندلس.

وفي عهد العبّاسيين، دخل العنصر الفارسيّ الخراسانيّ بشكل خاصّ في الجيش العربي، ليشكل مشاة هذا الجيش. ومنذ عهد المعتصم أضيف العنصر التركي الذي اصبح عماد الجيش بعد ان أبعد عنه العرب والفرس.

٤ً – تعبئة الجيوش وتنظيمها كان العرب في الجاهليّة البدويّة يحاربون بطريقة الكرّ والفرّ، بدون اي نظام خاصّ للقتال. وفي عهد الرسول أصبح النظام ان يقاتل المسلمون صفوفًا مرصوصة. ولمّا اتسعت الفتوح، والتحمت جيوش المسلمين بجيوش الفرس والروم المنظّمة، أدخل القادة العرب تعديلات مهمّة على طريقة تنظيم الجيوش وتعبئتها. فجعلوا الجيش مقسّمًا على شكل النسر: المقدمة والقلب والجناحان والساقة. وانقسمت كل من هذه الفرق الى كراديس تحت إمرة نقباء يأتمرون بأوامر القائد الأعلى الموجود في القلب.

٥ً – اسلحة الجيش كانت الدولة تتعهّد الجند بكل ما يحتاجون اليه من سلاح ومؤَن. وأمّا الجيش فيتألف من الفرسان وأسلحتهم هي: الدروع والسيوف والرماح، ومن الرجّالة أو المشاة وأسلحتهم هي: الدروع، والحراب، والسيوف،

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

والقوس والسهام. وقد برع العرب في الرماية الدقيقة بالسهام. واستعمل العرب في حروبهم أيضًا المنجنيق والدبّابة الخشبية.

لم يكن عرب الحجاز، المسلمون الأوائل، لبداوتهم، يجيدون ركوب البحر، والقتال فيه. ولمّا انتشر الإسلام وخفقت أعلامه على سواحل مصر والشام، ورأى المسلمون سفن الروم تغير على ثغورهم وسواحلهم، تاقت نفوسهم لمحاربة الروم في البحر. ولكن من أين لهم ذلك وهم يجهلون كل شيء عن البحر والسفن. وعرف معاوية والي دمشق كيف يتخطّى كل الصعاب ويقنع الخليفة عثمان بن عفان بالسماح له في ركوب البحر ومنازلة الروم، معتمدًا في ذلك على بحّارة مصر وبلاد الشام الذين بنوا له اسطولًا حربيًا دحر الروم في معركة ذات الصواري.

وعندما انتقلت الخلافة الى بني أميّة، واتّسعت حدودهم البحريّة، أولوا الأساطيل عناية خاصّة، وأقاموا دور الصناعة لبناء السفن على سواحل لبنان وفلسطين ومصر وتونس والمغرب والأندلس. وكانت الأساطيل الامويّة تشنّ على الأعداء حملات منظّمة تعرف بالصوائف والشواتي.

اما العبّاسيّون فقد اهملوا أمر الأساطيل لأنهم شكّوا بولاء سكان السواحل لهم، وعلى العكس من ذلك استمر امويّو الأندلس وفاطميّو مصر في العناية بالأساطيل وتطويرها. وقد افاد العرب كثيرًا من أساطيلهم التي مكّنتهم من الكثير من الفتوحات، ومن السيطرة على البحر المتوسط.

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

دستور القضاء كما صاغه الخليفة عمر بن الخطاب

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله عمر أمير المؤمنين ، الى عبد الله بن قيس (ابو موسى الأشعري) ، سلام عليك ، أما بعد ، فإن القضاء فريضة محكمة ، وسنّة متبعة ، فافهم إذا أدلي اليك ، فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له ، آس بين الناس في وجهك ، وعدلك ، ومجلسك ، حتى لا يطمع شريف في حيفك ، ولا ييأس ضعيف من عدلك. البيّنة على من ادعى ، واليمين على من انكر ، والصلح جائز بين المسلمين ، إلّا صلحًا أحلّ حرامًا أو حرّم حلالًا ، ولا يمنعك قضاء قضيته بالأمس فراجعت فيه اليوم عقلك ، وهديت فيه لرشدك ، أن ترجع الى الحق ؛ فإن الحق قديم ، ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل. الفهم الفهم فيما تلجلج في صدرك مما ليس في كتاب ولا سنّة ، ثم اعرف الأشباه والأمثال ، وقس الأمور بنظائرها ، واعمد الى أقربها الى الله واشبهها بالحق ، واجعل لمن ادعى حقًا غائبًا أو بيّنة أمدًا ينتهي إليه ؛ فإن أحضر بيّنته أخذت له بحقه ، وإلا استحللت عليه القضية ، فإن ذلك أنفى للشك ، وأجلى للعمي ، والمسلمون عدول بعضهم على بعض إلّا مجلودًا في حد ، أو مجربًا عليه شهادة زور ، أو ظنينًا في ولاء أو نسب ؛ فإن الله عز وجل تولى منكم السرائر ودرأ بالبيانات والإيمان ، وإياك والغلق والضجر ، والتأذي بالخصوم ، والتنكر عند الخصومات ؛ فإن الحق في مواطن الحق يعظم الله به الأجر ، ويحسن به الذخر . »

من رسالة الى أبي موسى الأشعري عامله في البصرة:

(ابو زيد شلبي – « تاريخ الحضارة الإسلامية ص ١١٧ – نقلًا عن سيرة عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص ١١٦ ») .

رأي إبن خلدون في عمل المحتسب

« يبحث المحتسب عن المنكرات ، ويعزر ويؤدب على قدرها ويحمل الناس على المصالح العامة مثل المنع من المضايقة في الطرقات ، ومنع الحمّالين ، وأهل السفن من الإكثار في الحمل ، والحكم على أهل المباني المتداعية للسقوط ، بهدمها وإزالة ما يتوقع من ضررها على السابلة ، والضرب على أيدي المعلمين في المكاتب ، وغيرها في الإبلاغ في ضربهم للصبيان المتعلمين » .

(ابو زيد شلبي – « تاريخ الحضارة الإسلامية ص ١٣٢ – نقلًا عن مقدمة ابن خلدون ص ٥٧٦ ») .

من قصيدة الشاعر الأندلسي إبن هاني في الإشادة باسطول الخليفة المعز :

« لك البر ، والبحر العظيم عبابه
فسيان أغمار تخاض ، وبيد
اما والجوار المنشآت التي سرت
لقد ظاهرتها عدة ، وعديد
مواخر في طامي العباب كأنها
لعزمك بأس ، أو لكفك جود
من الراسيات الشمّ لولا انتقالها
فمنها قنان شمخ ، وريود
من القادحات النار تضرم للطلى
فليس لها يوم اللقاء خمود
إذا زفرت غيظًا ترامت بمارج
كما شبان نار الجحيم وقود ... »

(ابو زيد شلبي – « تاريخ الحضارة الإسلامية ص ١٦٨ – نقلًا عن ديوان ابن هاني ») .

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

٣٨ المجتمع والاقتصاد

المجتمع العربي للمجتمع العربيّ في ظلّ الإسلام سمات خاصّة ومميّزات فريدة. فقد حمل الإسلام للمجتمع العربيّ القديم بذور انقلاب اجتماعيّ شامل. فالمساواة والاخاء اللذان فرضهما الدين الجديد على جميع المسلمين بقطع النظر عن اللون والجنس والعنصر، يعتبران ثورة اجتماعيّة كاملة.

وهذا المجتمع يتكوّن من عدة طوائف أو طبقات لكل منها أوضاعها الخاصّة التي تغيّرت مع تبدّل الأحوال السياسيّة. فما هي تلك الطبقات؟ وكيف تغيّرت اوضاعها؟

١ً – تركيب المجتمع تألف المجتمع العربي من الفئات التالية، ولكل منها مميزاته الطبقية:

أ – كبار رجال الدولة من خلفاء وأمراء وقوّاد وقضاة، وكانوا يشغلون المناصب الكُبرى وينعمون بمميزات حياتيّة كثيرة.

ب – العلماء والأدباء، ولهم في الدولة نفوذ أدبي واسع، ويتمتّعون بمنزلة اجتماعيّة مرموقة، ويحوزون كل مظاهر الاحترام.

ج – رجال الأعمال كأصحاب الأملاك والصنّاع والتجّار، ويتميّزون بملابسهم وطرق معيشتهم وفقًا لدرجة ثرائهم.

د – العامة وهم اكثرية السكان، يتعاطون الفلاحة والرعاية.

هـ – الخدم وغالبيتهم من الرقيق.

٢ً – احوال المجتمع والأمّة في فجر الإسلام تتألّف من ثلاث فئات:

أ – المسلمون العرب.

ب – المسلمون من غير العرب، وقد عُرفوا باسم الموالي.

ج – اهل الذمّة وهم النصارى واليهود الذين احتفظوا بدينهم.

وقد احتفظ المسلمون العرب لأنفسهم بكل المناصب المهمّة في الدولة العربيّة، وخاصة في العهد الأموي الذي تعصّب خلفاؤه لعروبتهم اكثر من تعصبهم لدينهم. وهذا التعصّب هو الذي جعلهم يستعلون على المسلمين

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

من غير العرب، ومعاملتهم معاملة الاتباع لا الإخوة في الدين. وقد حقد الموالي على العرب نتيجة لهذه المعاملة وساندوا الحركة العبّاسيّة، واستطاعوا ان يستأثروا بمركز الصدارة في الدولة العبّاسيّة، ويحتلّوا المناصب الرئيسيّة فيها، بينما ابعد عن السلطان المسلمون العرب.

أما أهل الذمّة فقد تسامح معهم المسلمون منذ البدء، ومنحوهم حريّة العبادة والعمل والإقامة، مقابل دفع الجزية. وأفسحوا لهم مجال الانخراط في الوظائف العامّة والدواوين، ولذلك اخلص أهل الذّمة، وخاصّة النصارى، للعهود العربيّة الاسلاميّة المختلفة وخدموها بأمانة، وساهموا في بناء حضارة العرب.

٣ – **الاسرة** اعتبر الإسلام ان الأسرة هي نواة المجتمع وأساسه، لذلك عني بأمرها، وأحاطها بالرعاية الكليّة. وقد حدد الإسلام واجبات كل فرد من أفراد الأسرة تجاه الآخرين، وأوضح له حقوقه:

أ – فمن حقوق الرجل وواجباته:

– انه ربّ الأسرة والقائم بشؤونها والإنفاق عليها.

– له الحقّ في التزوّج باكثر من واحدة الى اربع ضمن الشروط المعروفة في الاسلام.

– أباح له الطلاق في ظروف معيّنة، عندما لا تعود الحياة الزوجيّة ممكنة.

– معاملة الزوجة والاولاد بالمعروف.

ب – ومن حقوق المرأة وواجباتها:

– حق المهر والنفقة والمعاملة الحسنة من قبل زوجها، وحرية التصرف بمالها، وحق طلب الطلاق عند الضرورة.

– المساواة مع زوجها في الحقوق والواجبات.

– فرض عليها الامانة والإخلاص والوفاء لزوجها.

ج – ومن حقوق الأولاد وواجباتهم:

– ان يحسن والدوهم تربيتهم وتنشئتهم.

– ان يعرفوا حقّ الوالدين عليهم فيحترموهم، ويكفلوا لهم شيخوخة صالحة.

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

٤ً – المرأة ببزوغ فجر الإسلام نعمت المرأة بمطلع عهدٍ سعيد. فقد أعلى الإسلام من مكانتها، وأحاطها بسياج من الحماية، وكفل لها حياة مرضيّة. وقد حافظت في العهود الأولى للإسلام، على الحريّة والبساطة اللّتين عرفتهما في الجاهليّة، وشاركت بالحروب كما ساهمت بمجالس الشعر والأدب.

وفي العهد الأموي حافظت المرأة على مكانتها الرفيعة في المجتمع، إلّا أنها اخذت تُكثر من الاهتمام بمظهرها وشاع التفنّن في الملبس والزي والتبرّج.

اما في العصر العبّاسي فبتأثير من الفرس شاع وضع الحجاب، وفصل المرأة عن المجتمع، وحُرمانها من المشاركة في الصلاة العامّة في المساجد. غير ان بعض نساء الطبقة العليا، لم يتأثرن بهذا الحرمان وذلك الفصل، ولم يضعنَ الحجاب، بل على العكس ساهمن مساهمة فعّالة في مختلف مظاهر الحياة العامّة، وكان لهنَّ نفوذ كبير حتى على الخلفاء.

٥ً – الرقّ في الاسلام شاع الرق في مختلف المجتمعات القديمة، ولم يَرِد في القرآن ما يحرّمه إلّا انه حثَّ على حسن معاملة الأرِقّاء ورفع الظلم عنهم، وحدّد سبل اعتاق الرقيق وتحريرهم. وحاول الإسلام، الى جانب تحسين حالة الأرقّاء، ان يضيّق دائرة الاسترقاق، فقصره على أسرى الحرب من غير المسلمين وابنائهم. وكان للسيد من المسلمين، مع ذلك، حق الحياة والموت على عبده. وراجت تجارة الرقيق في عهد العباسيّين.

والأرقّاء يقومون بمعظم الأعمال في الحقول والمهن البسيطة، ويخدمون في المنازل. إلّا ان النبهاء من اولادهم كانت مجالات التعلم مفتوحة امامهم. وقد ثار العبيد مرارًا في العصور العبّاسيّة لتحسين اوضاعهم، واستطاع الكثيرون منهم ان يتسرّبوا الى حياة البلاط، وتصبح لهم الكلمة الأولى فيه، بل ان بعضهم استطاع ان ينتزع السلطة ويقيم دولة للمماليك مرهوبة الجانب. (انظر ص ٢٦٨).

٦ً – التسلية من اهم وسائل التسلية عند العرب الأعياد والولائم والصيد ومغازلة النساء، وسماع الشعر وقرضه، والموسيقى والغناء. وقد مارس العرب ايضًا الكثير من الالعاب الرياضيّة مثل: الملاكمة – المصارعة – الركض – رمي النبال – قذف الحراب – لعب الكُرة – ركوب الخيل – رفع الأثقال – ثم النرد والشطرنج.

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

النشاط الاقتصادي اصبح العرب، عند قيام دولتهم الواسعة، يسيطرون على مناطق غاية في الخِصب مثل وادي النيل، وحوض الرافدين، وسهول الشام، والساحل الافريقي الشمالي، وسهول الأندلس. كما سيطروا على مناطق أخرى غنيّة بالمعادن والمواد الأوليّة. وبسطوا نفوذهم على شعوب عريقة في نشاطاتها الاقتصاديّة المختلفة. وكان لموقع بلادهم الجغرافي أثر مهمّ في تنشيط التجارة، وتحويل العواصم والمدائن العربيّة الى اسواق عالميّة تزخر بالنشاط والحركة.

أً – الزراعة ما ان بسط العربُ نفوذهم على المناطق الخصبة، التي كانت حروب الفرس والروم، قد قضت على ازدِهارها، حتى بادروا الى الإهتمام بشؤونها. ومما عملوه لتحسين اوضاع الزراعة في دولَتهم الواسعة:

أ – اصلاح وسائل الري وتنظيمها: بنى العرب السدود، وشقوا القنوات، وقوّموا مجاري الأنهر ونظّفوها واقاموا عليها الجسور والقناطر. فعَمْرو بن العاص مثلًا استخدم نحو ١٠,٠٠٠ عامل في اصلاح طرق الري في مصر. وأما العبّاسيّون فقد فاق اهتمامهم بشؤون الري في بلاد الرافدين كل وصف، فقد جدّدوا حفر القنوات القديمة، واستحدثوا قنوات جديدة حملت مياه الفرات الى أرض الجزيرة، ومياه دجلة الى بلاد فارس، بالاضافة الى الشبكة الداخليّة التي نظمت توزيع المياه في بلاد الرافدَيْن، وأعادت لها أمجادها القديمة.

وقد وضع العبّاسيّون للري تشريعاتٍ دقيقة معقدة أخذها عنهم الاوروبيّون فيما بعد. وأشرفت دولتهم اشرافًا مباشرًا على شؤون الري، وأنشأت ديوانًا خاصًا لذلك في مدينة «مرو» سمي «ديوان الماء» يشرف صاحبه على اكثر من ١٠,٠٠٠ عامل مختصّ يسمّون المهندسين. وقد توصل هؤلاء المهندسون الى قياس الماء بمقياس سموه «البست»، كما قاسوا ارتفاع مياه الانهر بجهاز هو عبارة عن لوح مشقوق طوليًّا تتحرك عليه شعيرة مؤشرة.

ب – دراسة التربة: قام العرب بدراسة انواع التربة، واختيار افضل المزروعات لها للحصول على افضل انتاج، وشجّعوا على استخدام الأسمدة العضويّة بعد ان ثبتت لديهم فائدتها. كما عرفوا التلقيح والتطعيم. وأدخلوا زراعات جديدة الى بلادهم اهمّها القطن والبرتقال.

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

وبفضل هذه العناية الفائقة ازدهرت الزراعة في مختلف انحاء الدولة وخاصة في « الجنات الأرضية » الاربع : اقليم ما وراء النهر بين بخارى وسمرقند، جنوبي فارس، جنوبي العراق، غوطة دمشق.

ج – المحاصيل: وقد تنوعت المحاصيل الزراعية بتنوّع المناخ وطبيعة التربة. وهذه اهمها:

القمح، في اكثر انحاء الدولة وخاصة في العراق واقليم ما وراء النهر.

الذرة، في المناطق الفقيرة الجافّة من اليمن وبلاد النوبة والصعيد المصري وكرمان في فارس.

الأرز، في اقليم ما وراء النهر وعند بحر قزوين.

الكرمة، وكانت اوسع الفاكهة انتشارًا في زراعتها حيث كانت منتشرة في شمال العراق وارمينية واذربيجان واليمن.

البطّيخ، وكان أكثر ما يباع من الفاكهة في الأسواق وقد اعطي اسمه لسوق الفاكهة التي كانت تعرف في بغداد «بـدار البطيخ». اشتهرت بزراعة اجود انواعه شمالي بلاد فارس، وفي اقليم ما وراء النهر حيث توصّلوا الى تقديد البطيخ وتجفيفه وارساله مقدّدًا إلى الأسواق البعيدة. كما كانوا في عهد المأمون ثمّ الواثق، يضعون البطيخ في قوالب من الرصاص وحوله الثلج ليصل طازجًا الى الخليفة في بغداد.

التفّاح، واحسن أنواعه تفاح الشام ولبنان.

التمر، ومواطنه في جنوبي العراق وكرمان وشمالي افريقية.

الزيتون، وانتشرت اشجاره في لبنان وفلسطين وشمالي افريقيا.

قصب السكر، وكان يُزرع في صور والاندلس ومصر واقليم ما وراء النهر.

القطن، وكانت زراعته رائجة في بلاد فارس، والعراق، واقليم ما وراء النهر، وشمالي افريقيا، والاندلس.

الأزهار، وقد اعتنى العرب كثيرًا بزراعتها في العراق ونافسهم على الاهتمام بها الفرس.

٢ – الصناعة زودت الزراعة الدولة العربيّة بالكثير من المواد الأوليّة الصالحة للتصنيع مثل: قصب السكر والقطن والكتّان والأزهار والفاكهة والحبوب. كما حوت الارض العربيّة الكثير من المعادن كالحديد (كرمان – شمالي افريقيا –

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

صقلية – فرغانة) والنحاس (اصفهان بخارى) والذهب والفضة (مصر – السودان – اقليم ما وراء النهر). وجادت البحار المحيطة بالأسماك، والخليج العربيّ باللآلئ. كما جادت المراعي الواسعة بالمواشي (لحوم – اصواف) والغابات بالاخشاب.

بفضل هذه الموادّ الأوّليّة المتنوّعة قامت في انحاء الدولة صناعات مختلفة باختلاف تلك المواد، وازدهرت بذلك الصناعة ازدهارًا كبيرًا، على الرغم من انها كانت لا تزال عملًا يدويًّا يتطلب الكثير من المهارة والدقة والصبر والفن. فقد اشتهرت المنسوجات الفارسيّة والشاميّة والمصريّة بجمالها الفنيّ الرائع. وذاع صيت الموصل بنسيجها القطني الرفيع المسمّى «موصلين». كما امتازت دمشق بنسيج التيل «الدمقس»، وعدن بالصوف.

واشتهرت دمشق كذلك بالسيوف المصنوعة من الصلب، وصيدا وصور وبغداد بالزجاج الذي لا يدانى برقته وصفائه وزخرفه. واشتهرت مدينة الرقة بالزيت والصابون، والمدن الفارسيّة والعراقيّة بصناعة العطور، وبلاد فارس بالسجاد والطنافس. والاسكندريّة والفيّوم بنسيج الكتّان، وسمرقند بصناعة الورق، واليمن بالمربّيات. وأما مدينة حرّان (بين الموصل والرها) فقد انفردت بصنع الآلات الرياضيّة، كالموازين والمقاييس والاسطرلاب، والساعات المائيّة.

ومما تجدر الإشارة اليه ان الصنّاع العرب انتظموا في طوائف حسب مهنة كل منهم. وكانت هذه الطوائف المهنيّة رتيبة، فهناك الأسطة او شيخ المهنة، والمساعد والصبيّ، وهي تحل محل النقابات المهنيّة اليوم.

٣ – التجارة كان للعرب قبل الإسلام معرفة بالتجارة، وخبرة واسعة، فقد مارسوها في البرّ والبحر. وعندما جاء الإسلام، واتّسعت الفتوحات، وبسط العرب نفوذهم على طرقات التجارة الدوليّة، نشطت التجارة وازدهرت، واتسع نطاقها ليشمل انحاء العالم المعروف آنذاك. ففي الشرق اقام التجّار العرب علاقات تجارية لهم، وفتحوا اسواقًا لبضائعهم في الهند وجنوب شرقي آسيا ووصلوا الى الفلبّين والصين. وفي الغرب فرضوا تجارتهم على شعوب الفرنجة الاوروبيّة على الرغم من حالة الحرب التي كانت قائمة بين دولهم. وجاب التجار العرب السواحل الافريقيّة وتاجروا مع الحبشة ونيجيريا والصومال، وزنجبار ... وفي الشمال ارتادوا بلاد الروس ووصلوا الى فنلندا.

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

وسرعان ما تحوّل الكثير من المدن الإسلامية الى مراكز زاخرة بالحركة والتبادل التجاري البرّي والبَحري. ومن أهم المدن التجاريّة آنـــذاك: بغداد – البصرة – طرابلس – صيدا – بـيروت – صور – القـاهرة – الاسكندرية – اصفهان – بخارى – سمرقند... وكانت الاسكندريّة وبغداد هما اللتان تقرّران الأسعار العالمية للسلع.

هذا النشاط التجاريّ الواسع حمل المسلمين على ابتكار بعض النظم الماليّة والتجاريّة التي اخذها العالم عنهم. فاليهم يعود الفضل في انشاء الاتحادات التجاريّة، واستعمال الحوالات الماليّة والشيكات، وخطابات الاعتماد، والايصالات، ووثائق الشحن. وكان التجار المسلمون، في العهد العبّاسي، قد انشأوا، لأول مرة في التاريخ، نقابة مسؤولة عن مراقبة المعاملات التجاريّة، تنتخب رئيسًا لها يسمّى «شيخ التجّار» يعاونه عدد من الافراد في النقابة ويعرفون «بالامناء».

وقد استفاد العرب والمسلمون كثيرًا من تجارتهم، فعلاوة على الثروات الخياليّة التي تجمّعت للكثيرين منهم، استفادوا خبرة في شؤون الحياة، ومعرفة بأخلاق الناس، وساهموا مساهمة فعّالة في تقدّم علوم الملاحة والجغرافية والأجناس والتاريخ، والحِساب والمال.

ثورة الزنج

«.. وكان زعيمهم في الثورة «صاحب الزنج» داهية محتالًا اسمه علي بن محمد لعله عربي الأصل. فاغتنم الفرصة حين كانت الاحوال مضطربة في العاصمة والعمال مستائين يتذمرون والشكوى عامة فادعى انه علوي ارسل لخلاصهم بالنبوءة والعلم الروحاني وكان ذلك في ايلول ٨٦٩م. ودعا الناس الى طاعته فاستجاب الدعوة زمر كثيرة من العبيد التفّت حوله... وانفذ الخليفة العساكر لتأديب «عدو الله» «الخبيث» فاستعصم في منطقة كثيرة المستنقعات والاقنية ملائمة لحركاته الحربية وتمكن ورجاله الزنج من رد جند الخليفة على اعقابهم. وظلت نيران هذه الحرب ملتظية طيلة اربع عشرة سنة (٨٧٠–٨٨٣م) وذلك في عهد الخليفة المعتمد (٨٧٠–٨٩٢). وتختلف المصادر في عدد القتلى ومنها ما يجعلهم نصف مليون واكثر. وحدث بعد احدى المعارك الحامية ان بقي من رؤوس القتلى المسلمين التي لم يأت لها طالب عدد كبير فالقاها الزنج في قناة فوافت البصرة فجعل الناس يأتون تلك الرؤوس فيأخذ رأس كل رجل اولياؤه.

حتي، تاريخ العرب المطوّل. ج٢ ص٥٦٢

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

نبات العدس (عن مخطوط طبي قديم)

الكرمة (عن مخطوط طبّي قديم)

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

٣٩ الآداب والفلسفة

استطاع العرب، بما لهم من أصالة حضاريّة قديمة، وبعد اطلاعهم على مناحي الفكر عند الشعوب القديمة التي اتّصلوا بها من فرس وهنود ويونان وبيزنطيّين، أن يقيموا للفكر صرحًا بالغًا في الرفعة والشمول. فكيف تيسّر لهم ذلك؟ وماذا شملت منجزاتهم؟

التعليم في الاحاديث النبويّة دعوة للمسلمين الى طلب العلم. ولذلك حرص العرب، بعد الإسلام، على طلب العلم وتأمين المعرفة لطالبيها.

وكان تعليم الاطفال يبدأ منذ اقتدارهم على الكلام الصحيح وبلوغهم سنَّ السادسة. فأبناء الأغنياء يتلقّون تعليمهم على أيدي معلّمين خصوصيّين. وأما سائر الأبناء، وبعض البنات، والنابهين من أبناء الارقّاء، فكانوا يذهبون الى مدارس ابتدائيّة ملحقة بالمسجد، أو مقامة تحت شجرة بجوار عين ماء. وكان التعليم في هذه المدارس مجّانيًا تقريبًا، ويتناول ما يكفي لأداء الصلاة وقراءة القرآن وحفظه، ومعرفة ما فيه من احكام الدّين، والقصص، ومبادئ الأخلاق. وطريقة التعلّم في هذه المرحلة هي المذاكرة، وأداته هي العصا. (انظر ص ٢٧١).

كان هذا التعليم الابتدائي يهدف الى تقويم الأخلاق. أما التعليم الثانوي الذي حظيَ بعناية الدولة وإشرافها فقد كان يتلقّى التلميذ فيه دروسًا في التفسير والحديث والفقه والشريعة، وكذلك في اللّغة والنحو والبلاغة والأدب والمنطق والعلوم الرياضيّة والفلك.

وأما طلّاب التخصّص، أو التعليم الجامعيّ فعليهم الانتقال الى احدى عواصم الثقافة العربيّة: بغداد – دمشق – القاهرة – قرطبة... ليتعلّموا على أيدي مشاهير المفكّرين ويحصلوا منهم على شهادة تُثبت كفاءتهم فيما درسوه. (انظر ص ٢٧٣).

وفي معظم المساجد، الى جانب المدرسة، مكتبات. كما كانت في معظم المدن دور عامة للكتب تضمّ مئات الألوف من المخطوطات

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

النفيسة، جميعها تحت تصرّف طلّاب العلم والمعرفة. وفي القرن الثالث عشر عرفت بغداد ستًا وثلاثين مكتبة عامة، فضلًا عن عدد لا يحصى من المكتبات الخاصّة، لأن الأغنياء كانوا يتنافسون في اقتناء الكتب. ويُروى عن الخليفة المأمون أنه كان يدفع لكل من يأتيه بكتاب جديد ثقل وزن الكتاب ذهبًا. وقد استخدم العرب الورق، واقاموا مصانع لصنعه في عواصمهم منذ القرن الثامن الميلاديّ.

علوم اللغة والفقه عندما اتسع نطاقُ الفتوح الإسلامية، وأصبحت الدولة تضمُّ شعوبًا كثيرة، اختلطَ العرب بغيرهم، فتفشّت العجمة، وبدت الحاجة ماسّة الى ضوابط تعصم الناس من الخطأ في فهم الكتاب والسنّة، فنشأت لذلك علوم اللغة العربيّة وهي:

١ً – النحو وهو قانون اللّغة العربيّة وميزان تقويمها. والدافع الى وضعه الحِرص على ان ينطق القرآن بلسان عربيّ صحيح، بعد ان كادت اللّغة العربيّة السليمة تنوء بما لحق بها من الأعاجم.

واما واضع علم النحو فهو أبو الأسود الدؤلي بإشارة من عليّ بن ابي طالب. وقد تطوّر واكتمل بسرعة، وخاصّة في العهد العباسيّ. وكانت له مدرستان البصرة والكوفة. ومن اشهر نحويّي مدرسة البصرة: أبو الأسود الدؤلي – نصر بن عاصم – الخليل بن احمد – سيبويه – المازني... وأمّا نحويو الكوفة فمنهم: الرؤاسي – الكسائي....

بفضل علم النحو اصبحت اللّغة العربيّة لغة المنطق والقياس. وقد زاد في غناها بالمفردات، ما وضع لها من معاجم وموسوعات ومختصرات منظمة بدقة.

٢ً – الفقه هو علم الشريعة، أي دراسة الحلال والحرام والشرائع والاحكام من خلال الكتاب والسنّة. وقد مرّ الفقه في أربعة اطوار:

أ – **طور النشأة** أو طور التشريع في حياة الرسول، وكان يعتمد على الوحي الذي بلّغه محمّد للناس.

ب – **طور الشباب** وبدأ مع عهد الخُلفاء الراشدين، وقد قضت

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

ضرورات كثيرة باللجوء الى الاجتهاد من قبل الصحابة التي عايشت الرسول، ثم واجهت قضايا يحتاج إصدار الحكم فيها الى اجتهاد، لعدم وجود نصوص صريحة بشأنها.

ج – طور النضج والكمال وبدأ في مطلع القرن الثاني للهجرة ودام الى منتصف القرن الرابع وفيه ظهرت المذاهب الفقهيّة الأربعة: الحنفيّة والمالكيّة والشافعيّة والحنبليّة. ويتميّز هذا الطور بتدوين السنّة والفقه تلافيًا للتضارب في الآراء.

د – طور التقليد حيث أخذ الناس، ولا يزالون، يقلّدون المذاهب الأربعة المعروفة ويتولون شرحها واختصارها ووضع حواشٍ لها.

الأدب عن الجاهلية اخذ المفكرون العرب بعد الاسلام فنون الادب، وخاصة الخطابة والشعر، وبفضل اتصالهم بالفرس والهنود استطاعوا ان يبرعوا بفن النثر سواء أكان ذلك في الرسائل أم في إنشاء الكتب.

أ – الخطابة وهي السبّاقة في الإرتقاء، بعد الاسلام. فقد كان العرب المُسلمون يشعرون أنهم بحاجة ماسّة الى الخطابة في ميادين كثيرة: الصلاة – الفتوحات – قمع الاضطرابات. فالخطيب هو الذي يستنهض الهمم، ويجمع الكلمة، ويرهب الأعداء.

واصبحت الخطبة في الإسلام اكثر بلاغة، وأعمق حكمة مما كانت عليه في الجاهليّة. وأما السبب في ذلك فعائد الى كون الخطيب يحرص على مجاراة أسلوب القرآن واقتباس آياته في خطبته. وقد زادت الفتوحات والانتصارات العرب أنفة فاصبحت خطبهم أكثر بلاغة، واشدّ وقعًا في النفوس. (ص ٢٧٧).

وللخطابة العربيّة دور بارز في نشر الإسلام، وتحقيق الكثير من الانتصارات، خاصّة وان معظم الخلفاء والأمراء والقوّاد كانوا، في صدر الإسلام، يجيدون الخطابة، ويستخدمونها لتحقيق الكثير من الاغراض.

وتجدر الإشارة الى أن خطبة ابي بَكْر، في جماهير المُسلمين الغاضبة لدى سماعها بخبر وفاة الرسول، قد حالت دون انتشار الفوضى، وحفظت وحدة الاسلام. (انظر ص ٢٤٣).

وكان اكثر الخلفاء يخطبون، غير ان بلاغتهم الخطابيّة كانت شديدة

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

من رسالة عبد الحميد الكاتب للكتّاب:

«... فتنافسوا يا معشر الكتّاب في صنوف الآداب، وتفقّهوا في الدين، وابدأوا بعلم كتاب الله عز وجل والفرائض. ثم العربية، فإنها ثقاف ألسنتكم، ثمّ اجيدوا الخط فإنه حلية كتبكم، وارووا الأشعار، واعرفوا غريبها ومعانيها، وايام العرب والعجم وأحاديثها وسيرها؛ فإن ذلك معين لكم على ما تسمو إليه هممكم.»

(ابو زيد شلبي – «تاريخ الحضارة الإسلامية ص ١٠٦ – نقلاً عن مقدّمة ابن خلدون ص ٦٢١»).

الكاتب، صورة تزين كتاب «رسائل اخوان الصفا»

حول الإجازات التعليمية:

«وكان الشيوخ يمنحون طلابهم إجازات، إن هي إلّا شهادة يكتبها الشيخ على الورقة الاولى، او الأخيرة من الكتاب، يثبت فيها للطالب قراءة هذا الكتاب ويجيز تدريسه. وكان يجوز أن يحصل الطالب على إجازة في موضوع معين، وما زال طالبًا في موضوع آخر، وكانت تتسلسل الإجازات من المؤلف الى آخر من وصلت إليه. وقد عرفت هذه الإجازات في مطلع القرن الرابع الهجري. وكان يشترط لمن يشتغل بالطب، أن يجتاز امتحانًا، وينال شهادة مكتوبة، تحدد له الأمراض التي يمكنه أن يتصدى لعلاجها...»

(عبد الحليم منتصر – «تاريخ العلم – ص ٦٨»).

وصية هارون الرشيد لمعلم ولده الأمين:

«يا أحمر إن امير المؤمنين قد دفع إليك مهجة نفسه، وثمرة قلبه، فصيّر يدك عليه مبسوطة، وطاعته لك واجبة، فكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين: أقرئه القرآن، وعرّفه الأخبار، وروّه الأشعار، وعلّمه السنن، وبصّره بمواقع القرآن وبدئه، وامنعه من الضحك إلا في أوقاته، وخذه بتعظيم مشايخ بني هاشم إذا دخلوا عليه، ورفع مجالس الفقراء إذا حضروا مجالسه، ولا تمرّنّ بك ساعة إلا وأنت مغتنم فائدة تفيده إياها، من غير أن تحزنه فتميت ذهنه، ولا تمعنن في مسامحته فيستحلي الفراغ ويألفه، وقوّمه ما استطعت بالقرب والملاينة، فإن أباهما فعليك بالشدة والغلظة».

(ابو زيد شلبي – «تاريخ الحضارة الإسلامية ص ٣٣٨»).

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

التفاوت. وليس هناك ريب بأن اخطب الخلفاء هو عليّ بن ابي طالب صاحب نهج البلاغة.

وبعد انتهاء عصر الفتوح والانغماس في الترف والبذخ، تحوّلت الخطابة عن الحماسة لتصبح مواعظ وبالتالي شكايات. وتداعى فنّ الخطابة بتداعي دولة العرب في المشرق، وبعثت من جديد في الأندلس، ولكن كوسيلة للترحيب والتبجيل.

٢ً - الشعر بعد ظهور الإسلام، انشغل الناس بالفتح لنشر الدّين الجديد، وانصرفت قرائحهم الى الخطابة لحاجتهم اليها. وقد انقضى عصر الراشدين والعرب في شاغل عن الشعر. ولكن ما ان برزت الاطماع مع بني أميّة، وكثر المطالبون بالخلافة، حتى أخذ الامويّون يستنفرون الناس لنصرتهم. وكان الشعر من بين أفضل الوسائل التي استخدمها الأمويّون في الدعاية لأنفسهم ومهاجمة خصومهم. وكانوا في سبيل ذلك يقرّبون إليهم الشعراء ويغدقون لهم العطاء. وتحول الشعر في عهدهم عن وصف الأطلال ومفاجأة الحبيب، الى السياسة. واضحى الثالوث الأموي: الأخطل - جرير - الفرزدق، ابرز الشعراء السياسيّين في ذلك العهد، وقد امتازوا بالمديح، كما برعوا في الهجاء.

وقيض للشعر في هذا العصر مدرسة أخرى، في الحجاز، بعيدًا عن السياسة والتحزّبات، هي مدرسة الشعر الغنائي الغزلي ومن روادها عُمَر بن ابي ربيعة الإباحيّ، وجميل بثينة العذريّ.

وفي العصر الأمويّ جرت كذلك أول محاولة لجمع الشعر الجاهليّ، قام بها حمّاد الراوية، وخاصة ما عرف منها بالمعلّقات. وكان ذلك في عهد الوليد بن يزيد.

وعند قيام الدولة العبّاسيّة، حاول المنصور إهمال الشعراء، فتحوّلوا عن العبّاسيّين لنصرة العلويّين، الأمر الذي اضطرَّ الخلفاء من بعده، ان يسترضوا الشعراء ويجزلوا لهم العطاء. ولهذا تزاحم الشعراء على باب المهدي والرشيد والمأمون، ونبغ منهم بشّار بن برد، وأبو نواس، وابو العتاهية. وبعد تزايد النفوذ الفارسي ثم التركي في البلاط العبّاسي، ضعف أمر الشعراء لأن الشعر من الفنون العربية. غير ان قيام الدولة الحمدانيّة في حلب، وهي عربيّة، أعاد للشعر رونقه، فقد تزاحم الشعراء في باب سيف الدولة

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

الذي أجزل لهم العطاء واكرمهم. ومن ابرز الشعراء في عصره: المتنبّي وأبو فراس وأبو العلاء.

أما في الاندلس، فقد كان للشعر تاريخ خاصّ، حيث تيسّرت له العناية، بعد ان انشغل عنه الجميع في المشرق. امتاز الشعر الأندلسي بأنه جاء متحرّرًا من قيود التقليد، مهذّبًا في مناحيه وفنونه. نشأت فيه اوزان جديدة أبرزها الموشّح والزجل. وأما أبرز شعراء الأندلس فكانوا: ابن عبد ربه – ابن حزم – ابن الخطيب – ابن زيدون – ابن خفّاجة – ابو بكر ابن قرمان القرطبيّ الزجّال – أبو العباس التطيليّ الوشّاح.

٣ – النثر لم يكن عرب الحجاز، حيث ظهر الإسلام، يجيدون، في جاهليتهم الكتابة، ولذلك تجلّت عبقريتهم في الشعر ينشدونه فيحفظه الحفّاظون ويروونه عنهم. وعندما اصبح القرآن، مثال البلاغة والفصاحة عند العرب، نموذجًا يُحتذى، زاد اهتمام العرب بالكتابة، وجاءت عبارتهم بليغة وفصيحة، خصوصًا وقد زوّدها عُلماء اللغة بكل ما يلزمها من قواعد في الصرف والنحو والمعاني والبيان، والاشتقاق... وتجلّت عبقرية العرب نثرًا في كتابة الرسائل ووضع الكتب.

أ – الرسائل: توخّى العرب في صدر الإسلام من الرسالة أن تكون عبارتها قادرة على تصوير التهديد أو الوعيد أو النصح أو الاستنهاض أو الاستعطاف بأجلى صورة، وبأدق معان. وكان المسلمون الأوائل يتوخّون الاختصار في رسائلهم ويسعون لجعل الكلام القليل يعبّر عن المعنى الكبير. فغدا لتلك الرسائل تأثير لا يقل عن تأثير الخطب البليغة.

ومن أمثلة الرسائل المختصرة البليغة رسالة عُمَر بن الخطاب الى عامله في مصر عمرو بن العاص «من عبدالله عمر، سلام عليك، اما بعد فلعَمْري يا عُمَرو ما تبالي، اذا شبعت انت ومن معك ان اهلك انا ومن معي ... فياغوثاه ثمَّ يا غوثاه».

واختار الخلفاء كتّابهم من البلغاء الذين يتوخّون جهدهم في الاختصار مع البلاغة. من ذلك رسالة عُمَر بن عبد العزيز الى عامل شكاه الناس: «كثر شاكوك وقلَّ شاكروك، فاما اعتدلت واما اعتزلت، والسلام».

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

وبقي الاختصار مع البلاغة معمولًا به حتى بدأ اختلاطهم بالفرس يفعل فعله. وعنهم اخذ العرب عادة التفخيم والمبالغة والتوسّع في كتابة الرسائل. وعبد الحميد الكاتب أول من اطال الرسائل واستعمل التحميدات والتفخيم، وذلك في عهد آخر خلفاء بني اميّة. وقد سار الكتّاب على خطته وقلّدوه في العهد العباسي لأن اكثرهم من غير العرب، ومنهم: يحيى البرمكي – الفضل بن سهل – ابن العميد – عماد الدين الكاتب.

ب – انشاء الكتب: والمقصود بها الكتب المؤلفة في الموضوعات الأدبيّة والعلميّة، وهي تختلف بلاغة وفصاحة باختلاف موضوعاتها. ومما لا ريب فيه أن كتب الأدب أحوج من غيرها الى البلاغة نظرًا لما تقتضيه الموضوعات الأدبيّة من التخيّلات الشعريّة والكنايات ونحوها. وقد تأثر النثر هنا ايضًا بالفرس فجاء الكلام متناسقًا مرسلًا. ولعلّ افضل من كتب بهذا الأسلوب هو ابن المقفّع في كتاب كليلة ودمنة، حيث جاءت عبارته بليغة رغم سهولتها. وممن جاروه في البراعة من الناثرين الجاحظ وابن قتيبة وابن عبد ربه وابو الفرج الاصبهاني. (انظر الصورة ص ٢٧٩).

ومع الزمن شاع الشعر على الألسنة، والف الناس التلذذ برنّة القافية فاستحسنوا إدخالها في المراسلات وسموا ذلك التسجيع. ثم أدخلوا ذلك في انشاء الكتب وولدت المقامة على يد بديع الزمان الهمذاني، واتسع نطاقها على يد الحريري.

وأما أبرز الكتب العربيّة التي اكتسبت شهرة عالميّة فهو كتاب الف ليلة وليلة، بفضل سهولته والحكايات الواردة فيه والنوادر والنكات والاوصاف الرائعة.

٤ً – الفلسفة قرأ العرب الفلسفة في كتب افلاطون وارسطو وفي الشروحات والآراء التي اضيفت اليها من المفكّرين اليونان فيما بعد. وبعد اخضاعهم هذه الافكار والآراء للدرس والتلخيص، أخذوا يشرحونها ويعلّقون عليها ويناقشونها ويحاولون التوفيق بينها وبين الدين الإسلامي. وقد بدا ذلك بمثابة نشأة الفلسفة في الإسلام، على يد **المعتزلة** الذين أثاروا جدلًا كبيرًا بسبب قولهم بخلق القرآن. وكان ذلك على عهد الخليفة المنصور. فلاقت افكارهم تأييدًا كبيرًا

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

من هارون الرشيد وأصبحت افكار المعتزلة مذهب الدولة الرسمي في عهد المأمون، واستمرّت كذلك في عهد المعتصم والواثق. وكانت هذه الفلسفة قد اخرجت في ذلك الوقت اول داع كبير لها هو: ابو يوسف بن اسحق الكنديّ الذي كتب **٢٦٥** رسالة في مختلف العلوم. وقد تأثر الكنديّ بمذهب الافلاطونية المحدثة. وانضمَّ الى المعتزلة.

ولما انتقلت الخلافة الى المتوكل سنة ٨٤٧م. اعتمد على الاتراك، وهم حديثو العهد في الإسلام متعصّبون له، حاقدون على الفرس، جاهلون لفكر اليونان، فنقض الخليفة سياسة أسلافه، ولاحق المعتزلة ونكّل بهم، وسنَّ قانوناً يحتّم القول بان القرآن ازلي غير مخلوق. وقامت جماعة من العلماء السنّيين، عرفوا **بالمتكلّمين**، تقول بتحكيم المنطق والعقل في اثبات العقائد الاصليّة. وكان ابرزهم ابو الحسن الأشعريّ الذي آمن بالجبريّة. ونتيجة لموقف البلاط خبت موجة الفلسفة في بغداد، لتشع في عواصم الإسلام الأخرى. فقد تعهد سيف الدولة الحمداني رعاية **الفارابي** الذي وضع **٣٩** مؤلفاً في الفلسفة والعلوم أشهرها المدينة الفاضلة التي نادى فيها باقامة ملكيّة على اسس عقائديّة دينيّة.

ثمَّ انشأ جماعة من المفكرين في البصرة سنة **٩٧٣** م. جمعية سريّة هي «**جمعيّة اخوان الصفاء**». وكان سبب قيامها ثورة منشئيها على ما آلت اليه ديار الاسلام من ضعف وانحطاط وفساد، وتوقهم الى التجديد الأخلاقيّ والروحيّ والسياسيّ. وخيّل الى هؤلاء ان هذا التجديد يتحقق بالمزج بين الفلسفتين اليونانيّة والمسيحيّة وبين التصوف الاسلامي. أصدرت الجماعة، بعد الدرس والتحليل، احدى وخمسين رسالة ضمنتها خلاصة العلوم الطبيعيّة والدينيّة والفلسفيّة. وكان لها تأثير بالغ على الفلسفة الإسلاميّة فيما بعد، حيث يظهر هذا الأثر جليًا عند **الغزالي وابن رشد والمعرّي** وخاصة عند ابن سينا الذي تخطّاهم في نزعته العقليّة. وقد فصّل **ابن سينا** فلسفته العقليّة المنطقية في كتابَي «الشفاء» و «النجاة». وهو آخر فلاسفة المشرق العربيّ. فبعد وفاته خبت الفلسفة بسبب ملاحقة السلاجقة لاصحاب الافكار الجريئة.

غير ان هذه الافكار الفلسفيّة، وخاصة افكار الشيخ الرئيس ابن سينا واخوان الصفاء، كانت قد تسرّبت الى الاندلس، وتلقّفها مفكّروه بشغف

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

ودرسوها وعلّقوا عليها، ونبغ منهم في الفلسفة: **ابن باجه** – **ابن رشد** – **ابن طفيل**. وكان ابن رشد اعظمهم لأنه افضل مَن شرح فلسفة ارسطو وسمّي لذلك «بالشارح العظيم». وعن طريق شروحاته وصلت فلسفة أرسطو الى الاوروبيين في القرون الوسطى. ودافع عن الفلاسفة الذين هاجمهم الغزالي وردّ على كتابه «تهافت الفلاسفة» بكتاب «تهافت التهافت».

٥ً – التصوّف يلتقي الدين والفلسفة في اعلى درجاتهما في معنى وحدة الكون وتأملها. وحيث تعجز الفلسفة ويقصّر العقل في اكتناه اللانهاية، يستطيع الايمان ان يسمو بالانسان القادر على تقييد نفسه بنظام صارم من الزهد والتقشف والتفاني في العبادة، والتجرد، وافناء الجزء في الكل.

ويرجع التصوف الاسلامي الى اصول كثيرة تمتد جذورها الى الهندوسية والمسيحية وبعض الفلسفة اليونانية كالافلاطونية المحدثة. ومن ابرز المتصوفين الذين يرفضون فكرة وجود اي وسيط بينهم وبين الله: ابو يزيد – الحلّاج – رابعة العدوية – ابو سعيد بن ابي الخير – الغزالي – ابن عربي...

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

زي العلماء

«وكان للعلماء زي خاص، يميزهم عن غيرهم، إنه طيلسان لعله بالروب الجامعي أشبه لدرجة أن الصاحب بن عباد، لما اراد ان يحدّث وهو وزير، دخل فخلع لباس الوزراء، ولبس لباس العلماء، قبل أن يجلس الى سامعيه. وفي عهد الفاطميين كانت كسوة رجال التعليم مذهبة، تتكوّن من ست قطع، أهمها القلنسوة، والطيلسان والعمامة، وقد نقلها عنهم مصممو أزياء رجال العلم في الجامعات الاوروبية...»

(عبد الحليم منتصر - «تاريخ العلم - ص ٦٩»).

بيت الحكمة

بعض ما جاء حول بيت الحكمة:

«ويعتبر «بيت الحكمة» اول مكتبة عامة ذات شأن في العالم الإسلامي، ولعله اول جمعية علمية، أو جامعة إسلامية يجتمع فيها العلماء للبحث والدرس، ويؤمها الطلاب. وكانت بذلك مركزًا علميًا شمل علوم الطب والفلسفة والحكمة وغيرها...»

(عبد الحليم منتصر - «تاريخ العلم - ص ٦٣»).

من خطبة الحجاج بن يوسف في أهل العراق:

فاجأ الحجاج اهل العراق بقوله، بعد أن أزاح لثامه عن وجهه:

«أنا ابن جلا وطلاع الثنايا
متى أضع العمامة تعرفوني»

وأضاف: «اما والله لأحمل الشر بثقله واحذوه بنعله، واجزيه بمثله. أما والله اني لأرى رؤوسًا قد أينعت وحان قطافها، وكأني أرى الدماء بين العمائم واللحى.

هذا أوان الشد فاشتدي زيم
قد لفها الليل بسواق حطم

ألا وان أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان نثر كنانته فعجم عيدانها فوجدني أصلبها عودًا فوجهني إليكم... فإنكم أهل بغي وخلاف وشقاق ونفاق، طالما سعيتم في الضلالة وسننتم سنن البغي... اما والله لألحونّكم لحو العصا، ولأعضبنكم عضب السلمة، ولأقرعنكم قرع المروة، ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل... والله ما أخلق إلا فريت، ولا أعد إلا وفيت...»

(جرجي زيدان - «تاريخ التمدن الإسلامي - الجزء الثالث - ص ١١٦ - نقلًا عن العقد الفريد الجزء الثالث ص ٧»).

صورة تمثل ملكًا وهي من الصور التي تزين احدى نسخ كتاب «الأغاني»

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

٤٠ العلوم

العلوم الدخيلة بعد ان فرغ العرب من انشاء العلوم اللغويّة والفقه لصيانة الدين ولغة القرآن، تشوّقوا الى الاطلاع على سائر العلوم، وقد سمعوا عنها الكثير من النصارى واليهود والفرس فانكبُّوا على مؤلفات الاعاجم يشجعهم على ذلك شغف الخلفاء بالعلوم، حتى استطاعوا ان ينقلوا الى لغتهم معظم ما كان معروفًا من العلوم والفلسفة والطب والرياضيات والآداب، عند سائر الأمم المتمدنة. وقد اخذوا عن كل امة افضل ما عندها، واعتمدوا بصورة خاصة على ما وصلت اليه أيديهم من علوم ومعارف عند اليونان والفرس والهنود.

وأما ابرز العاملين في نقل هذه الآثار الفكريّة الى العربية فكانوا: آل بختيشوع – آل حنين – آل ماسرجويه – آل الكرخي – آل ثابت – قسطا بن لوقا البعلبكي – الحجّاج بن مطر – البرامكة – آل نوبخت...

ولم تكد هذه العلوم الدخيلة تنقل الى العربيّة حتى تهافت المثقّفون العرب على درسها وتلخيصها، ثم شرحها والتعليق عليها. وما ان بدأ القرن الثالث للهجرة، حتى كان العرب قد هضموا ما درسوه، وبدأوا في التأليف من عندياتهم.

وكانت بغداد كعبة العلم ومحجّة الطلّاب إبّان هذه النهضة الفكريّة الفريدة، وخاصة في عهد المأمون الذي أنشأ دار الحكمة لتكون منتدى للنقاش الفكري، وأجزل العطاء للمفكّرين. ولكن ما ان تزايد النفوذ التركي حتى أخذ الخلفاء الضعفاء يضيقون على رجال الفكر واكثرهم من الفرس والعرب، فتفرّقوا في انحاء الامبراطوريّة شرقًا وغربًا. وتعدّدت المراكز التي تجمّع فيها رجال الفكر، واصبحت للفكر منائر مشعّة في خراسان وبلاد ما وراء النهر وشمالي فارس شرقًا، وفي حلب ودمشق والقاهرة وفاس وقرطبة وطليطلة غربًا. (بيت الحكمة في بغداد ص ٢٧٩).

واما منجزات العرب في هذه العلوم فكانت قيّمة وكثيرة اشتملت مختلف الميادين المعروفة آنذاك.

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

العلوم الطبيعية مما لا ريب فيه ان العلوم الطبيعيّة وثيقة الصلة بالحياة البشريّة ، ولها شأن عظيم في تقدم الحضارة التي تقوم على الاختراع والاكتشاف والاختبار . وقد اعتنى الاقدمون بهذه العلوم وتركوا مؤلفات كثيرة حولها . وبعدما اتصل العرب بهذه المؤلفات نقلوها الى العربيّة ، ثم توسّعوا بشرحها ، واضافوا اليها ، ووضعوا اسس البحث العلمي القائم على الملاحظة ، وحبّ الاستطلاع والتجربة والاختبار . وقد جلّى العلماء العرب في مختلف العلوم:

أ – الطب: عرف العرب الطبّ قبل الإسلام ، وقد زاد اهتمامهم به بعده ، خاصة وان الرسول يحثّهم على ذلك بقوله: «يا عباد الله تداووا ، فان الله عزَّ وجل لم يضع داء الا وضع له دواء الا واحد وهو الهرم» . ومن اطباء العرب على عهد الرسول «الحارث بن كلدة الثقفيّ» وقد درس الطبّ في اليمن وبلاد فارس.

ولما انتشر الإسلام واتصل المسلمون بحضارات الأمم الأخرى ، أولوا دراسة الطبّ ونقل مؤلفاته الى العربيّة عناية فائقة ، ثم عدّلوها وصحّحوها ، وزادوا عليها ابوابًا جديدة . وقد تقدّم الطب على أيديهم تقدمًا ظاهرًا في مختلف فروعه: عرفوا طبّ العيون ونبغوا فيه ، كما عرفوا الحمّيات كالجدري والحصبة وعالجوها ، وعرفوا أمراض الاطفال ، والامراض النفسيّة ، برعوا في تحديد مكان الحصى وتفتيتها ، ونجحوا في وقف النزيف الدمويّ . كما عرفوا التشريح ومارسوه ، واستخدموا التخدير في العمليات الجراحيّة . ولعل من اغرب ما توصل اليه الطبّ العربي على يد الرازيّ هو معرفة السرطان واجراء عمليات جراحية لاستئصاله .

وكما برع العرب في وصف الأمراض والجراحة ، ابتكروا كذلك وسائل علاجيّة متفوّقة ، وركّبوا الكثير من الأدوية من مستحضرات نباتيّة ومعدنيّة مختلفة .

واولى العرب المستشفيات عناية فائقة فشيّدوها في بغداد ودمشق والقاهرة ... وجعلوها مدارس للطب ، وزوّدوها بكل ما يضمن راحة المريض وسلواه وصحته .

وهم أول من انشأ مدرسة للصيدلة ، وأوجد مخازن الأدوية والصيدليّات . ولعلَّ أبرز ما امتازوا به في هذا المجال إقامة رقابة صارمة على مهنتي الطبّ

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

والصيدلة. وكان للاطباء والصيادلة نظام خاصّ صارم يسيرون عليه، ولم يسمح القانون بممارسة هاتين المهنتين الا لحملة شهادات التخصّص بهما.

ولا بدَّ من ايراد بعض الاسماء اللامعة في هذا الحقل: علي بن عيسى طبيب العيون وصاحب كتاب «تذكرة الكحالين» الذي بقيت مدارس الطبّ الاوروبيّة تعتمده حتى القرن الثامن عشر، ابو بكر محمد الرازي مكتشف الحمّيات وأمراض الاطفال، ابن سينا واضع كتاب القانون الجامع لشؤون الطب والصيدلة، ومكتشف الطفيليّات. وحنا بن ماسويه واضع علم التشريح، سابور بن سهل صاحب كتاب الاقرباذين (علم الأدوية)، ابو القاسم الزهراويّ الاندلسيّ وستة أجيال من أبنائه.

ب - **الكيمياء:** يعود الفضل للعرب في تأسيس الكيمياء الحديثة بتجاربهم وملاحظاتهم الدقيقة ومستحضراتهم الهامّة. لهم يدين العالم باكتشاف الكحول، وزيت الزاج (الحامض الكبريتيّ)، وماء الفضّة، وماء الذهب، والبوتاس، وروح النشادر وملح النشادر، والزرنيخ، وملح البارود (نيترات البوتاس)...

واقدم علماء الكيمياء عند العرب هو جابر بن حيّان (٧٦٥م) ومن اشهرهم الرازي.

ج - **الفيزياء:** اهتمَّ العلماء العرب اهتمامًا كبيرًا بالفيزياء، واضافوا الى المعروف فيها معلومات جديدة هامّة، وخاصّة في علم البصريّات. فإلى العرب يعود الفضل في تعيين الكثافة النوعيّة لكثير من أنواع الحجارة الكريمة. وشرحوا أسباب تدفّق المياه من الينابيع الطبيعيّة والآبار الارتوازيّة بنظريّة الأواني المستطرقة. واشتغلوا بالعدسات، وكتبوا في الضوء، والمرايا. واجروا تجارب عديدة لإيجاد العلاقة بين وزن الهواء وكثافته.

وقد لمعت في الفيزياء أسماء عربيّة كثيرة كان اشهرها:

- ابو الريحان البيروني الذي عيَّن الكثافة النوعيّة لـ١٨ نوعًا من الحجارة الكريمة.

- الحسن بن الهيثم، عاش في القرن الحادي عشر ووضع عدة مؤلفات تبحث في الرؤية المستقيمة والمنعكسة والمنعطفة، وفي الضوء، والمرايا،

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

واشتغل بالعدسات والبصريّات، وابتكر طريقة صحيحة لايجاد البعد البؤري. وهو أول من قام بأبحاث حول الغرفة المظلمة (آلة التصوير) واستخدمها. واكتشف الفارق بين الظل وشبه الظل. ترجمت مؤلفاته الى اللاتينيّة والايطاليّة.

– الخازن المصري (١٠٧٨ م) وقد اجرى ابحاثًا قيّمة في علم البصريّات وخاصة حول المرايا وحرارتها ومحل الصور الظاهرة فيها، وانحراف الأشياء وجسامتها الظاهرة.

د – علم الحياة: ان اهتمام العلماء العرب بعلم الحياة عائد الى اهتمامهم بالطب والتشريح والنباتات الطبيّة. فالشيخ الرئيس ابن سينا يخصّص في كتابه «القانون» عدّة مقالات وفصول لوصف النباتات الطبيّة وطريقة استخلاص العقاقير منها. وفي كتابه «الشفاء» اجرى ابن سينا دراسات بحتة في علم الحياة عند النبات والحيوان. فقد وصف انواعًا مختلفة من النبات وطريقة امتصاصها للغذاء، وتحدّث عن البيئة النباتيّة وطرق تكاثر النبات. كما وصف مئات الانواع من الحيوانات والطيور.

وممن عكفوا على دراسة الحيوان، الجاحظ في كتابه «الحيوان». والدميري في كتابه «حياة الحيوان الكبرى». وفي هذين المؤلّفين الضخمين وصفٌ لكثير من انواع الحيوان والطير من حيث الشكل العام وسلوك الحيوان.

أما علم النبات فقد كان له أنصار كثيرون من العلماء العرب، نظرًا للعلاقة الوثيقة بين النبات والطبّ. فقد كتب ابن سينا، وداود الانطاكي، وابن البيطار، والادريسي، في وصف النباتات وتحديد طرق الاستفادة الطبيّة منها. أما ابو حنيفة الدنيوريّ فقد كان عالمًا نباتيًا درس النباتات وخصائصها واستشهد بآراء سابقيه من العلماء العرب دون غيرهم. وامتاز ابن الصوريّ بانه كان يستصحب معه الى الحقول مصورًا مزوّدًا بالأوراق والألوان والأدوات ليرسم له النباتات في اطوار نموّها المختلفة. (ص ٢٦٩).

العلوم الرياضية

اولى العرب العلوم الرياضية اهتمامًا خاصًا. وأضافوا الى ما أخذوه عن اليونان والهنود، في الرياضيّات، حقائق علميّة جوهريّة.

أ – في الحساب: اخذ العرب عن الهنود اشكال الارقام واختاروا سلسلتين منها عرفت الأولى بالأرقام الهنديّة وهي المستعملة اليوم في معظم

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

البلاد العربية (١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥) وعرفت الثانية بالارقام الغبارية وشاعت في شمالي افريقيا والاندلس حيث تسرّبت الى اوروبا وسمّيت بالارقام العربية. واوجد العرب طريقة الاحصاء العشري، وعرفوا الصفر واستعملوا له النقطة. وابتكر غياث الدين جمشيد الكاشيّ علامة الكسر العشري. وتوسّع العرب في بحوث النسبة وقالوا إنها على ثلاثة أنواع: عدديّة، هندسيّة، تأليفيّة. وعرفوا المتواليات الحسابيّة والهندسيّة، ووضعوا قوانين خاصّة لجمعها وقواعد دقيقة لاستخراج الجذور لجمع المربّعات المتوالية والمكعّبات.

ووضع العرب مؤلّفات كثيرة في الحساب ترجمت الى اللغات الأوروبيّة، وكان أولها واشهرها وأفضلها تبويبًا كتاب «الحساب» لمحمّد بن موسى الخوارزمي.

ب – في الجبر: محمّد بن موسى الخوارزميّ الذي عاش في عصر المأمون هو واضع علم الجبر وأول من كتب فيه، حيث وضع «كتاب الجبر والمقابلة» الذي ترجم الى اللغات الاوروبيّة واعتمد عليه لعدة قرون، واحتفظ لهذا العلم باسمه العربيّ «الجبر».

ومن مراجعة مؤلّفات العرب في الجبر يتضح انهم عرفوا حلّ المعادلات الجبريّة، ووضعوا حلولًا جبريّة وهندسيّة لمعادلات ابتدعوها مختلفة التركيب، واستعملوا الرموز في المعادلات الرياضيّة، وحلّوا معادلات الدرجتَيْن الثانية والثالثة ومهّدوا لاكتشاف اللوغاريتمات على يد سنان بن الفتح الحرّاني صاحب كتاب «الجمع والتفريق»، وابن حمزة المشهور ببحوثه في المتواليات العددية والهندسية.

ج – في الهندسة: لقد ترجم العرب كتاب «الاصول» لاقليدس، وزادوا على نظريّاته، والّفوا على نسقه. فقد وضع العربُ مؤلفات كثيرة في المساحات والأحجام، وتحليل المسائل الهندسيّة واستخراج المسائل الحسابيّة بالتحليل الهندسي والتقدير العدديّ، وفي الزوايا وتقسيمها، ورسم المضلّعات المنتظمة، وربطها بمعادلات جبريّة، وفي محيط الدائرة.

وقسّم العرب الهندسة الى نوعين: عقليّة وحسيّة. وكان ابرز علمائهم في الهندسة: ابن الهيثم، محمد البغدادي، البيروني، الطوسي.

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

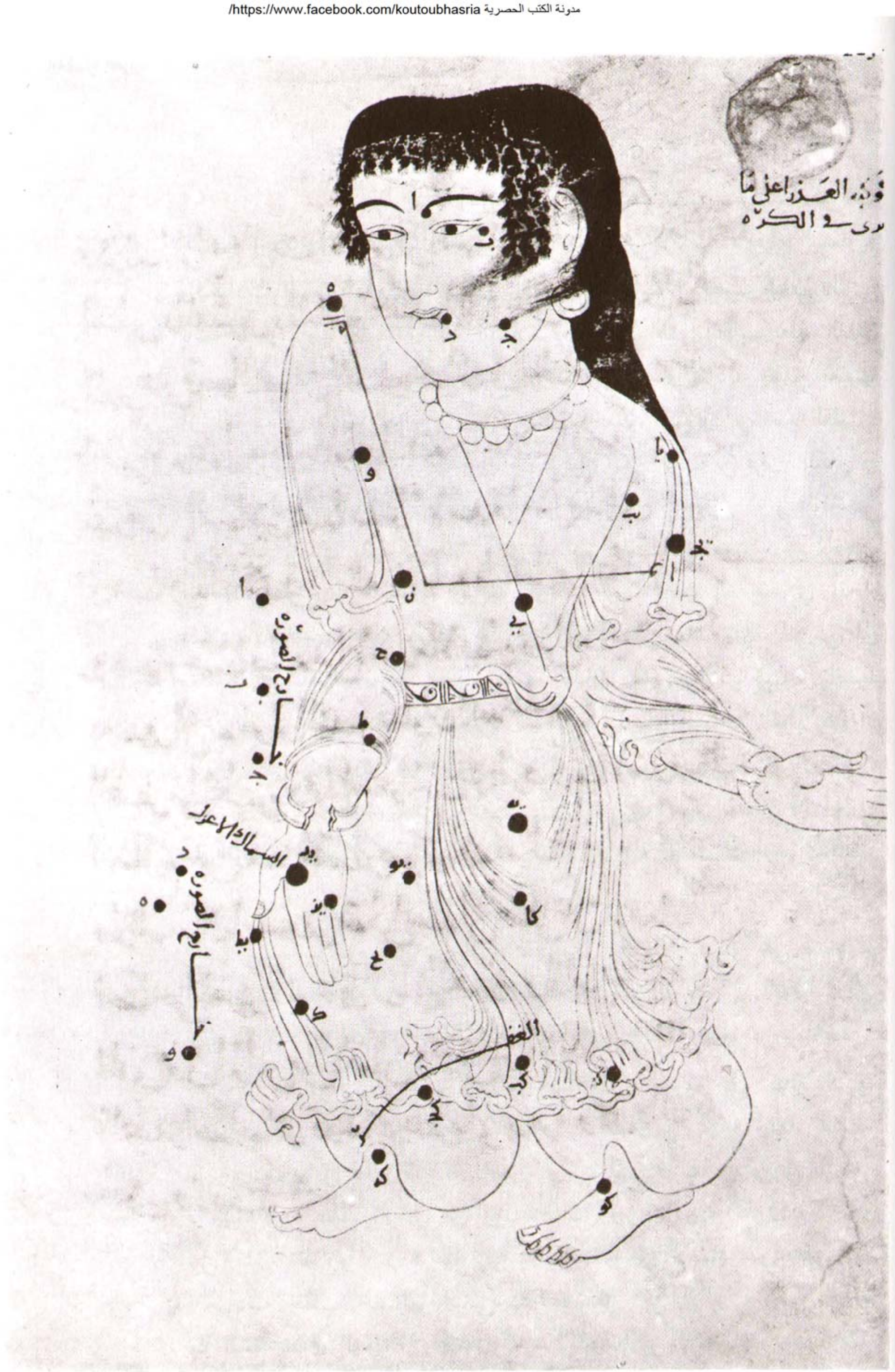

برج العذراء. صورة مأخوذة عن كتاب «صور الكواكب الثابتة» للصّوفي

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

د – في الفلك – وقد عرف العرب ، قبل العصر العبّاسي ، رصد الكواكب والنجوم وحركاتها والكسوف والخسوف ، وربطوا بين حركات الأجرام السماويّة والحوادث البشريّة ، وكانوا يسمّون ذلك علم التنجيم . وبسبب شغف الناس بالتنجيم وضرورة معرفة أوقات الصلاة والصوم ، اهتمَّ العرب بعلم الفلك فدرسوا اعمال اليونان والكلدان والسريان والفرس والهنود ، ونقلوا بعضها الى العربية في العهد العباسي . وبعد ذلك نبغ منهم كثيرون في علم الفلك ، الفوا فيه وعملوا أرصادًا وازياجًا (جداول فلكيّة) مثل : ثابت بن قرة – البتاني – قسطا بن لوقا البعلبكيّ – الطوسيّ – ابن يونس – البيروني – ابو الوفاء ... وكان علم الفلك يدرّس بحماس في مدارس بغـداد ، دمشق ، سمرقند ، القاهرة ، فارس ، طليطلة ، وقرطبة . وأقاموا له المراصد العديدة في أنحاء البلاد الاسلاميّة . وقد توصّلوا عن طريق هذه المراصد وتلك المدارس الى تحقيق اكتشافات فلكيّة هامّة : وضع جداول لحركة الكواكب ، تحديد موعد الاعتدالين وسمت الشمس ، تحديد صحيح للسنة ، القول بدوران الأرض حول محورها وبكرويّة الأرض ، حساب محيط الكرة الارضيّة ، تحديد دقيق لخطوط الطول والعرض . والى العرب يعود الفضل في اختراع آلة الرصد (التلسكوب) وتحسين الاسطرلاب ، وآلة المثقال لتحديد الأوقات .

العلوم الاجتماعية

اهتمَّ العرب بالعلوم الاجتماعيّة يدفعهم الى ذلك حرصهم على تسجيـل انتصاراتهم ، ومعرفة اوضاع البلاد التي دانت لهم ، وأحوال الشعوب التي ارتبطت بهم . ولهذا عني العرب بالتاريخ والجغرافية وعلم الاجتماع .

أ – التاريخ : من أهم الدوافع التي حدت العرب على كتابة التاريخ حرصهم على معرفة سيرة الرسول ، وأخبار الفتوح في عهده وعهد خلفائه .

وانتهج المؤرخون العرب الأوائل في عملهم طريقة الروايـة بالسند ، لا سيما فيما يتصل بالرسول من اقوال وافعال . ومن هؤلاء : الطبري ، الحافظ ابن كثير . ثم رأوا ، في مرحلة ثانية ، ان يتخلوا عن الاسناد ، ويكتفوا بذكر الحوادث حسب حصولها الزمنيّ ، كما فعل ابن الأثير ، وابو الفداء . ولما اتسع نطاق الدولة ، واختلط العرب بغيرهم من الشعوب والحضارات ، اخذ مؤرخوهم يتخصصون ؛ فمنهم من ألّف في السيَر ، ومنهم من أرخ لمدينة

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

أو دولة معيّنة، ومنهم من كتب في التاريخ العام، ومنهم من درس الطبقات...

واشهر من كتب في السيرة محمد بن اسحق، وقد وصلتنا سيرته عن الرسول مهذّبة عن طريق عبد الملك بن هشام وعرفت باسم «سيرة ابن هشام».

وممن ارّخوا للدولة المقريزي الذي يعد كتابه احسن مصدر عن مصر الاسلامية.

وفي تاريخ المدن، ابرزهم ابو بكر الخطيب البغدادي واضع «التاريخ الجامع لمدينة بغداد»، وابن كثير واضع كتاب «تاريخ دمشق».

واما في التاريخ العام فاشهر المؤرخين: الطبري والمسعودي ومسكوَيْه، وابن خلدون الذي اسبق تاريخه «المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر» بمقدمة طويلة حدّد فيها مبادئ النقد التاريخية وفلسفة التاريخ والاجتماع.

ب - الجغرافية: أخذ العرب عن اليونان كل ما توصّلوا اليه في علم الجغرافية، ثم درسوه ودققوا فيه، وصحّحوه، وزادوا عليه، ونقلوه الى اوروبا.

وقد ساعد العرب على التفوّق في علم الجغرافية اتّساع بلادهم، وانتشار تجارتهم وحبهم للرحلات، حيث جابوا الأقطار من الصين الى مجاهل افريقيا، وسجّلوا مشاهداتهم. ومن طلائع هؤلاء التاجر سليمان الذي أبحر في منتصف القرن التاسع من الخليج العربيّ الى شواطئ الصين، وسجّل مشاهداته في كتاب هو الأول من نوعه في العالم عن الصين. ثم جاء من بعده المسعودي الذي امضى ربع قرن في التجوال في انحاء الدولة والممالك المجاورة لها، وخاصّة الهند، وسجّل ملاحظاته في عدّة مؤلفات أشهرها: «مروج الذهب ومعادن الجوهر». واما اشهر الرحّالة العرب فكان ابن بطّوطة الذي أبحر من مدينة طنجة الى مختلف انحاء العالم القديم وسجّل مشاهداته في مختلف الاقطار التي زارها.

واشتهر بعلم الجغرافية ورسم الخرائط الشريف الإدريسيّ واضع كتاب «نزهة المشتاق في ذكر الامصار والاقطار والبلدان والجزر والمدائن والآفاق» المزوّد بحوالى اربعين مصوّرًا جغرافيًا، احدها عن منابع النيل. ويعدّ «معجم البلدان» لياقوت الحموي موسوعة جغرافيّة ضخمة لا مثيل لها. كما ترك الاصطخري كتاب «مسالك الممالك» وزيّنه بالخرائط الملوّنة لكل بلد على

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

حدة. ووضع المقدسي، بعد رحلة دامت عشرين عامًا، كتاب «احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم».

ج – الاجتماع: درس العرب علم الاجتماع على انه بحث في أحوال الجماعات والشعوب. ولذلك جاءت مؤلّفاتهم عن الرِحلات مراجع ذات قيمة كبرى. ففي هذه الكتب التي وضعها أمثال: المسعودي، ابن حوقل، البيروني، ابن بطوطة، المقريزي، دراسة دقيقة لأحوال الشعوب وعاداتها، وطرق معيشتها ومواسمها وأعيادها.

واما أعظم الأسماء في هذا المجال فهو ابن خلدون الذي درس، في مقدمته، عوامل الجماعات وتطوّرها، وما يعتريها من عوامل ضعف وقوة، وبقاء وانحلال، ولذلك اتّفق على اعتباره مؤسّس علم الاجتماع في العالم.

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

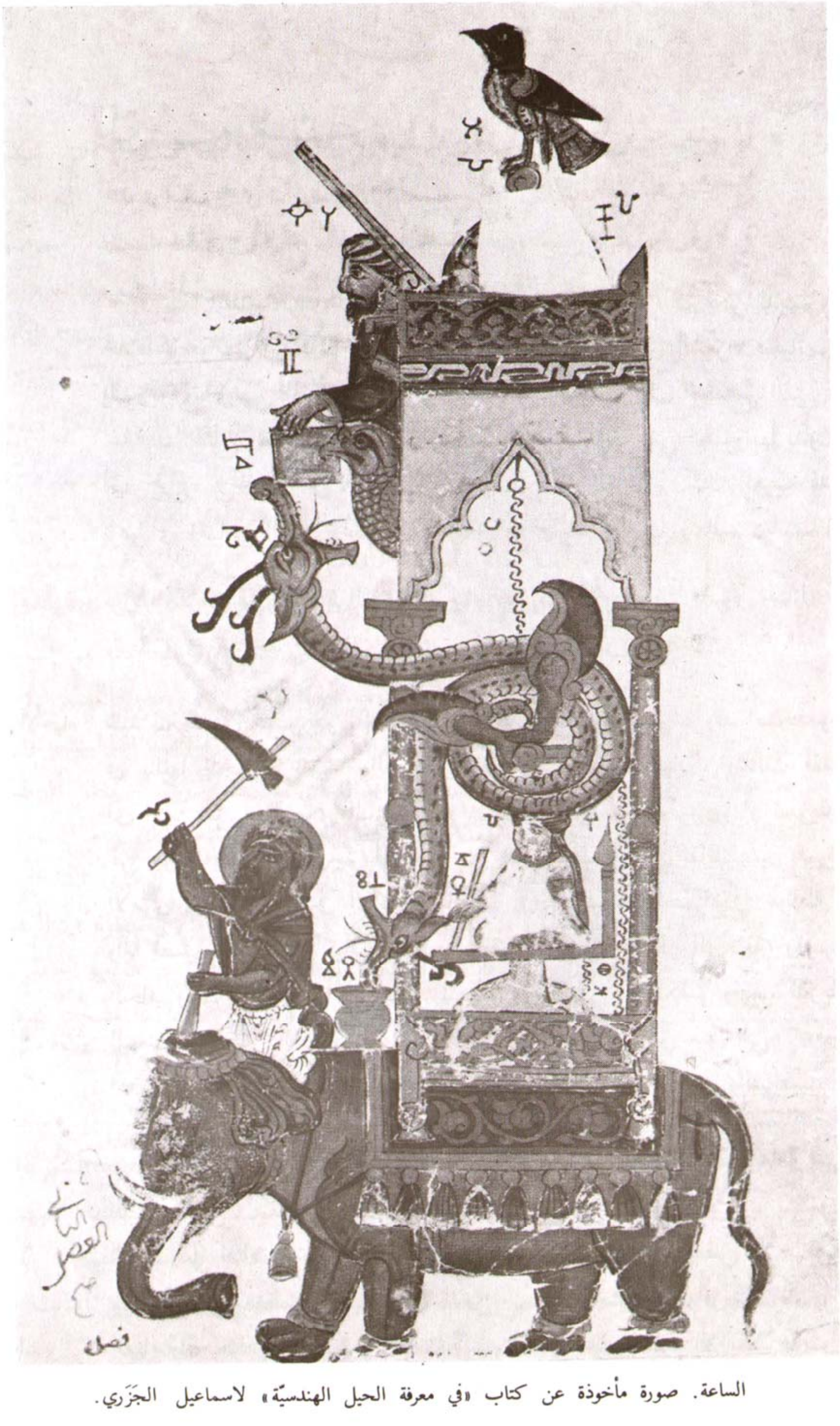

الساعة. صورة مأخوذة عن كتاب «في معرفة الحيل الهندسيّة» لاسماعيل الجزَري.

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

٤١ الفُنون

عندما انطلقَ عرب الحجاز في فتوحاتِهم بعد الإسلام، لم يكن لديهم، خلافًا لإخوانهم عرب الجنوب والشمال، من الفنون سوى الشعر. فحياتهم البدويّة وتجارتهم المحدودة لم تمكّنهم من الوصول الى النضوج الفنيّ. غير ان انفتاح العربيّ دفعه الى الإستعانة بخبرة الشعوب التي اتصل بها بدون أي حرج. وعندما أطلَّ القرن الثاني من الحكم العربيّ، كان العرب قد برعوا في اقتباس الفنون وعدّلوها بما يتفق مع طبيعة بلادهم وتعاليم ديانتهم.

فن العمارة برزت ملامح فنّ العمارة العربي في بناء مساكن الأحياء من قصور ومنازل، وتجلّت في مساجد الصلاة، وتميّزت في تشييد المدن والأمصار.

أ – مساكن الأحياء شيّد العرب في عصورهم المختلفة العديد من القصور والمباني، وقد استخدموا في بنائِها الحجارة أحيانًا والطين والآجر في معظم الأحيان، ولذلك فقد أتى الزمن على معظمها، والباقي تولّت يد الانسان تهديمه وتخريبه، أو تحويله عن طِرازه الأصلي. ولم يبقَ الى اليوم من هذه القصور سوى بقايا قصير عمرة الأموي في صحراء شرقيّ الأردن، والقصر في اشبيلية، والحمراء في غرناطة. وأما قصور العباسيّين كباب الذهب (القبة الخضراء – دار الخلافة) وقصر الخلد وقصر الرصافة التي بناها المنصور، وقصور البرامكة، وقصر الثريا للمعتضد، ودار الشجرة للمقتدر وكثير غيرها... فلم يبقَ منها شيء. وقد اعتمد العرب في تشييد هذه القصور على فنّ العمارة عند الفرس والبيزنطيّين.

اما المساكن العاديّة فكانت عند الفقراء، مستطيلة الشكل، مقامة من اللبن والطين، سقفها خليط من طين وأغصان وقش. وعند الأغنياء، يشتمل البيت على فناء داخليّ مكشوف ذي فسقية، وشجرة في بعض الأحيان. ويتضمّن في معظم الأحيان طائفة من العُمد الخشبيّة ورواقًا مسقوفًا بين الفناء والحجرات. ونادرًا ما كانت البيوت تطل على الشارع إلا بمشربيّات. غير أن اكثرها كان له أبواب سرّية، وأجنحة خاصة بالنساء.

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

٢ – المساجد خلافًا للقصور التي اندثرت معالمها، بقيت المساجد التي شيّدها المسلمون في مختلف عصورهم تعاند الدهر، وتنطق بما توصل اليه الفنّ الإسلامي من روعة ودقة وانسجام في هذا المجال. وكان المسلمون يحرصون على بناء المسجد بالقرب من سوق المدينة ليتاح للجميع الوصول اليه بسهولة وقت الصلاة. ولم يهتمّ مشيّدوه بمظهره الخارجي، ولولا واجهته الأمامية ومئذنته لتعذّر تمييزه عما يجاوره، ويلتصق به من مبان. وقد حدّد شكل المسجد الغرض الذي اقيم من اجله: فهو يتألف من بهو رباعي الشكل يتسع للمصلّين، في وسطه حوض ونافورة ماء للوضوء، تحيط بهذا البهو إيوانات ذات بواك لوقاية المصلّين واظلالهم، ولتلقي الدروس في القرآن. وفي ناحية البهو المتجهة الى مكّة، يقام المسجد الأساسي، وهو في العادة قسم مسوّر من الرواق، رباعي الشكل، تعلوه قبّة مستديرة، ترتكز على اكتاف مثلثة الشكل بين عقود متعامدة. وأهم ما تمتاز به عمارة المساجد هو المئذنة، والراجح ان المسلمين في بلاد الشام اخذوا فكرتها عن برج الجرس في الكنائس، بينما استوحى مسلمو العراق فكرتها عن زقورات البابليين. واعتمد مسلمو الهند الشكل الاسطوانيّ الشائع في بلادهم. وتأثّر مسلمو أفريقية والاندلس في تخطيطها بمنارة الاسكندريّة. وعلى العموم كان بناء المسجد يجمع بين المتانة والبساطة في الخارج، والرشاقة والدقة والروعة في الداخل. نذكر من هذه المساجد: المسجد الأموي في دمشق، وقبّة الصخرة في القدس، مسجد الرسول في المدينة، المسجد الجامع في سامراء، مسجد جعفر في بغداد، مسجد ابن طولون، والجامع الازهر في القاهرة، مسجد سيدي عقبة في القيروان، المسجد الازرق في قرطبة. (انظر ص ٢٩٥).

٣ – بناء المدن والأمصار منذ اتّساع حركة الفتوح في عهد الخليفة الثاني عُمَر بن الخطّاب، برزت الحاجة الى ايجاد اماكن يستريح فيها الجند من عناء السفر، فكان لا بدّ من بناء المعسكرات التي سرعان ما تحوّلت الى مدن ومنها: البصرة، الكوفة، الفسطاط، الرملة، القيروان. وفيما بعد، وبسبب تضخم عدد السكان، وحرص بعض الخلفاء كالمنصور والمعتصم وعبد الرحمن الثالث على ان تكون لهم عواصمهم الفريدة، شيّدت المدائن الكبرى مثل بغداد والقاهرة، وقرطبة، وغرناطة... ومن ابرز مظاهر فن عمارة المدن الاسلامية ما يلي:

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

أ – ان تكون المدينة محاطة بسور منيع، فيه ابواب يمكن اغلاقها.

ب – ان تكون في وسط المدينة ساحة كبرى، في احد اطرافها اكبر مساجدها.

ج – ان تكون المدينة مقسمة الى احياء وفقًا للمهنة التي يمارسها ابناء كل حي.

د – ان تكون المدينة في موقع قريب من الماء ويسهل الدفاع عنه.

فن الزخرفة تجنّب المسلمون الصور والتماثيل، وتحرّجوا منها حتى لا يتشبهوا بعبدة الاوثان. إلّا أن بعض علماء الدين تساهلوا واجازوا تصوير الجماد، وتغاضوا عن تصوير الحيوان والإنسان على الأشياء التي لا تستعمل إلّا في الأغراض الدنيويّة. ومنذ ٧١٢م. تمرّد الوليد على هذا التحريم وزيّن قصره الصيفي في قصير عمره بلوحة تمثّل رجالًا يطاردون الوحوش، وفتيات يرقصن، ونسوة يغتسلن، وهو جالس على عرشه يراقب كل هذا. كما ان الكثيرين من خلفاء بني العبّاس زيّنوا قصورهم الخاصة بصور مختلفة تمثل مناظر صيد، ورجال دين، وراقصات... واستخدموا لهذه الغاية عددًا من الفنّانين المسيحيّين. ولكن لا بدّ من الإشارة الى ان ذلك بقي محدودًا. (ص ٢٥٥).

وكان لتحريم التصوير والنحت أثره عند الفنّانين المُسلمين، الذين استعاضوا عن الصورة بفيض من الاشكال غير البشريّة او الحيوانيّة. فقد بحث الفنّان المسلم، في أول الأمر، عن منفذ لمواهبه الفنيّة في الأشكال الهندسيّة: الخط – الزاوية – المربّع – المكعّب – متعدد الأضلاع... وكرّر هذه الاشكال ومزجها واخرج منها مئات التراكيب، وانشأ منها الدوامات والأربطة والخطوط المتشابكة والنجوم. ثم انتقل الى النبات واستخدمه لإخراج الزخرف العربيّ الذائع الصيت. ولما تحلّل الناس بعض الشيء من القيود والمحرّمات الدينيّة، ادخل الفنّان انواعًا جديدة من الزينة بأن رسم الطيور والحيوانات، وابتدع اشكالًا عن الحيوانات من نبت خياله. واستطاع هذا الفنّان بفطنته وشغفه بالزينة ان يسمو بكل شكل من اشكال الفنّ الزخرفيّ: الفسيفساء – النقش على العاج – الحفر على الخشب وتطعيمه، تلوين الخزف والاقمشة والبسط والسجّاد، تخريم المعدن وخاصّة الشبه

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

والنحاس – طلاء الزجاج بالميناء... وكان الفنّان في كل هذا يحرص على ان تؤلف بين اجزاء عمله وحدة منظّمة، تسيطر عليها صورة رئيسيّة او موضوع رئيسي، ينمو ويتطوّر من الوسط الى الاطراف، أو من البداية الى النهاية

وقد استعانت العمارة الاسلاميّة بهذا الفنّ الزخرفيّ لتجميل عماراتها واضفاء رونق جماليّ عليها تنفرد به من بين سائر العمارات في العالم. (ص ٢٩٥).

الخط العربي لقد جاء في تعريف الخط انه رسوم وأشكال تدل على الكلمات المسموعة. وليس لدينا من آثار العرب في الحجاز ما يدلّ على انهم عرفوا الكتابة لغلبة البداوة على طبائعهم. على أن الذين اتّصلوا منهم بإخوانهم عرب الشام أخذوا عنهم الكتابة، فأخذ بعضهم يكتب العربيّة بالحرف النبطي الذي تولّد عنه الخط النسخيّ (الدارج)، وبعضهم الآخر بالحرف السريانيّ الذي أعطى الخط الكوفيّ.

وعند ظهور الإسلام وتزايد الحاجة الى تدوين كلام الله، استخدم العرب المسلمون الخط الكوفيّ، المأخوذ عن عرب العراق، في تدوين الآيات القرآنيّة، والنصوص الدينيّة، بينما استخدموا الخط النبطيّ النسخيّ لكتابة المراسلات والمكاتبات العاديّة.

وقد تفنّن الخطّاطون العرب في رسم الحروف التي استحالت، على أيديهم، وقد اطالوها الى أعلى أو مدّوها على الجانبين ونمّقوها بالذيول والنقاط، الى تحفة فنيّة ذات روعة وجمال. واستخدم العرب مثل هذه الخطوط الفنيّة الرائعة للزخرفة والتزيين، وبلغ الخطّاطون الفنيّون منزلة عالية لم يصلها أي فنان آخر في ديار الاسلام. ومن اشهرهم: الريحاني – ابن البواب – ياقوت.

الموسيقى والغناء عرف عرب الحجاز في جاهليتهم الغناء على صورة حداء للإبل، وترنيم لطرد وحشة الوحدة. وعرفوا كذلك النقر عل الدفّ كايقاع موسيقي.

وبعد الإسلام، عندما استولى العرب على الكثير من الاقطار، وتدفّقت عليهم الثروة، مالوا الى نضارة العيش ورقة الحاشية، واستملاء الفراغ. وادرك الموالي من الفرس والروم ما عند العرب من ميول جديدة فقصدوا الحجاز يطربون اغنياءه بالغناء والعزف على العيدان والطنابير والمزامير... وبرزت

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

من بينهم أسماء: نشيط الفارسي، وطويس، وجاثر. وعن هؤلاء اخذ معبد وابن سريج اللذان كانا اول من لحّن لأشعار العرب.

ومن الحجاز، انتقل الشغف بالموسيقى والغناء الى بلاد الشام، في عهد الوليد الثاني بشكل خاصّ، وأصبحت الاموال تنفق بدون حساب على مشاهير المغنّين والموسيقيّين. وقد بلغت صناعة الغناء كمالها على يد ابراهيم ابن المهدي، وابراهيم الموصلي وولديه اسحق وحماد في عهد بني العباس، وخاصّة في عهد الرشيد الذي كان اول خليفة يجاهر بوضعها تحت رعايته، ويجعل منها مهنة شريفة، لا يتورّع عن ممارستها الأمراء والأميرات امثال «عليّة» وشقيقها «ابرهيم». كما تبحّرَ الخليفة الواثق بعلم الموسيقى واشتهر بالعزف. ومن اشهر المغنيات في العصر العبّاسي: جميلة، حبابة، سلّامة، عقيلة...

وقد تعدّدت الآلات الموسيقيّة وتنوّعت، فكان منها: الدفّ، الطنبور، العود، الرباب، الناي، الصنوج، القيثار، الارغول، القانون.

ولم يقتصر الإهتمام بالموسيقى والغناء على بلاد المشرق، بل تعدّاها الى المغرب والأندلس، حيث راح الخلفاء والأمراء هناك ينافسون اهل المشرق على جذب الفنّانين الى بلاطهم. وأول من قصد الأندلس كان زرياب غلام الموصليّين، وقد اخذ عنهم الغناء فأجاد، فصرفوه عنهم غيرة منه، فهاجر الى المغرب فالأندلس حيث استقبله الحكم بن هشام وبالغ في تكريمه. والى زرياب يعود الفضل في زيادة وتر خامس على أوتار العود، كما انه هو مخترع مضراب العود من قوادم النسر، ومؤسّس النهضة الفنيّة في الأندلس. وقد برز كثيرون من بعده كان اشهرهم عبّاس بن فرناس معمم الموسيقى الشرقيّة في الاندلس، ومنها الى سائر الاقطار الاوروبيّة.

وكما اشتغل العرب بنقل العلوم الدخيلة الى لغتهم، كذلك اهتمّوا بنقل الكثير من كتب الموسيقى عن اليونانيّة، والهنديّة، والفارسيّة، واخضعوها للدرس والتحليل والتهذيب ثم زادوا عليها فصارت، على ايديهم فنًّا متميزًا خاصًا بهم، وضعوا فيه الكثير من المؤلفات، واستنبطوا له العديد من الآلات والالحان. وقد توصّلوا الى وضع السلّم الموسيقي منذ القرن السابع. ومن اشهر من برع في الموسيقى وألّف فيها: الكنديّ والفارابي وعبد المؤمن...

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

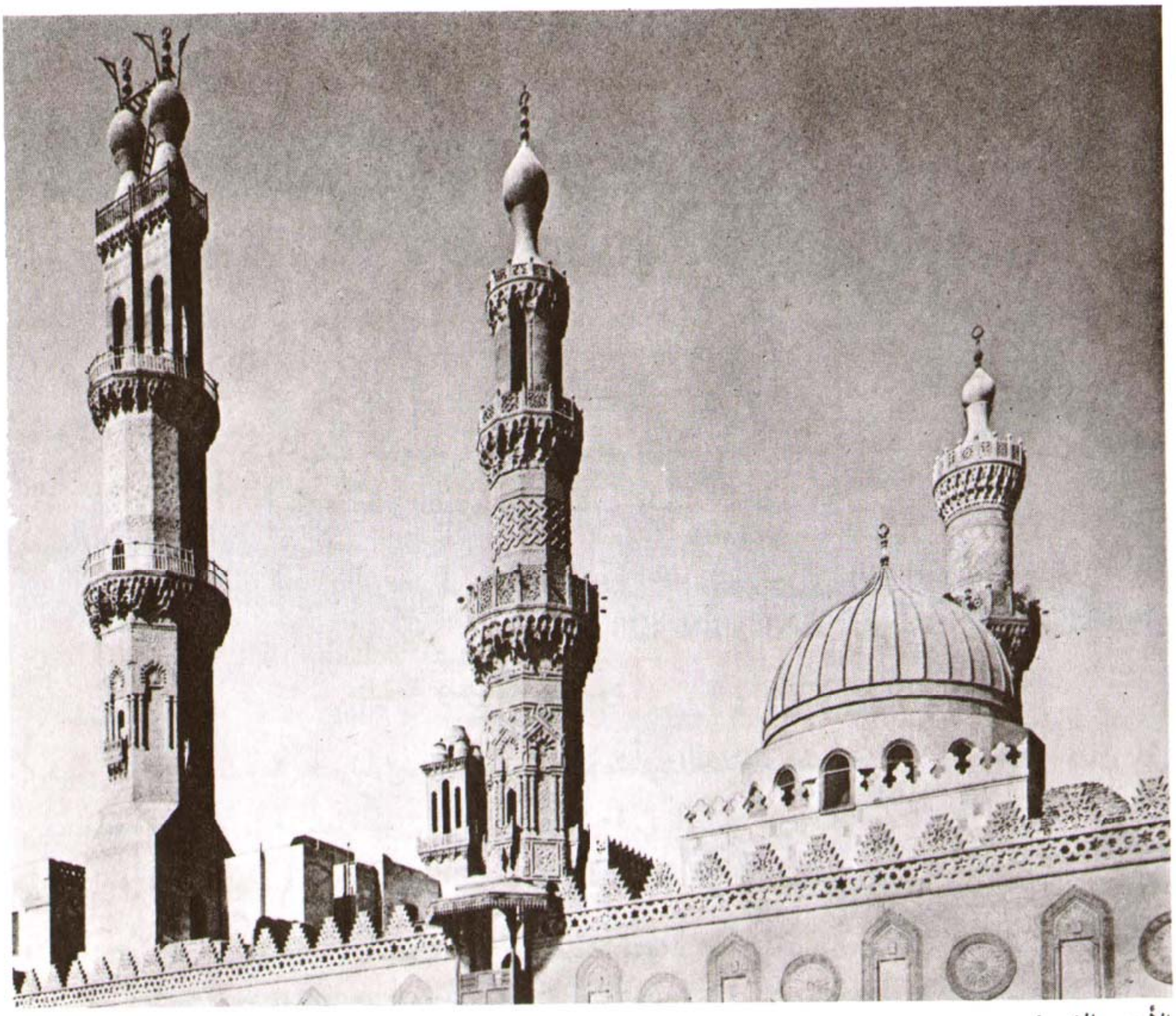

الأزهر الشريف

زخارف عربيّة

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

٤٢ الفِرَق الدّينيّة

اسباب الفرقة لم يتمكّن الإسلام من الصمود أمام اسباب الفرقة التي واجهته، كما واجهت غيره من الأديان. وقد برزت بذور الفرقة عند وفاة الرسول. ويمكن إرجاع هذا التفرق الى أسباب رئيسيّة ثلاثة:

١ً – النزعة الى ادّعاء النبوّة عند الشرقيّين. وقد اضطرّ الخليفة الأول ابو بكر ان يستعمل القوة لانقاذ الإسلام من هؤلاء الأدعياء أمثال طليحة ومسيلمة والأسود.

٢ً – تباين وجهات النظر بشأن الخلافة ومستحقّيها، وقد أدّى ذلك الى ظهور الخوارج والشيعة.

٣ً – الاختلاف في النظرة الى الألوهيّة بين العقلانيّين والصوفيّين وقد نتج عنه مذاهب فلسفيّة متعدّدة منها: القدريّة، والجبريّة، المعتزلة، الاشعريّة.

لهذه الاسباب ولدت الفرق الدينيّة في الإسلام، وخرجت على الإجماع، وصاغت لنفسها مبادئ مميّزة تعرّضت بسببها الى الانقسام من جديد. وكان لبعضها دورٌ بارز في التاريخ.

نشوء الفرق والخلافة هي المسألة الأولى التي اشتدَّ حولها الخلاف بين المسلمين، وتباينت فيها آراؤهم. وكان من نتائج هذا الخلاف ان نشأت الفرق في الاسلام، اهمها آنذاك:

– الشيعة وهم الذين يرون ان عليًا احق الجميع بالخلافة بعد الرسول.
– الخوارج الذين يقولون بان تكون الخلافة باختيار حرّ من المسلمين.

١ً – الشيعة الشيعة هم اصحاب الرأي القائل باولوية عليّ بن أبي طالب بالخلافة. وقد ابدوا هذا الرأي عقب وفاة الرسول مباشرة، وكانوا بذلك اول فرقة في الإسلام. خمد هذا الرأي في عهد أبي بكر وعمر، ولكنه برز على نطاق واسع في أواخر عهد عثمان، وحمل عليًا الى الخلافة من بعده. الا ان

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

الأمويّين تمكّنوا من انتزاع الخلافة، والتنكيل بالشيعة. غير ان هؤلاء استبسلوا في الدفاع عن آرائهم، وقضى الكثيرون منهم شهداء وكان مقتل الحسين في كربلاء (٦٨٠م) أعلى مراتب الشهادة عندهم. وتحولت الشيعة فيما بعد الى حركة دينيّة استقطبت أعدادًا كبيرة من الموالي الناقمين على العرب، وخاصة الفرس، وحصرت الشرعيّة في عليّ وذريته وسمّتهم «الأئمة» المعصومين عن الخطأ. ولكن هؤلاء المتشيّعين لعليّ عادوا فاختلفوا حول عدد الأئمة وحول شخص الإمام الغائب (المهدي المنتظر). ولهذا كانت الشيعة ارضًا خصبة لنشوء العديد من الفرق، وهي: (انظر الجدول ص ٣٠٣).

أ – الإمامية الاثني عشرية: بالنسبة للاماميّين الإثني عشريين الذين يشكّلون اكثريّة الشيعة، والإمام الغائب او الثاني عشر – هو محمد بن الحسن العسكري الذي اختفى في كهف بجامع سامراء سنة ٨٧٨م. وسيعود ثانية ليقوم بدور المهدي، ويحكم العالم. وقد اصبحت هذه الاماميّة دين الدولة الرسمي في ايران منذ عهد الشاه اسماعيل الصفوي سنة ١٥٠١م.

ب – الزيدية: نسبة الى زيد حفيد الحسين، خامس الائمة. وفي نظر مؤيديه يجب ان تكون الامامة انتخابيّة بعده. وهم اكثر فرق الشيعة اعتدالًا، لا يعتقدون بعصمة الإمام، واختفائه، وعودته، ولا يقرون التقية أو الكتمان ويجيزون امامة المفضول (ابو بكر، عمر)، مع وجود الفاضل (عليّ) اذا اتفقت على ذلك كلمة المسلمين. ولا يزال للزيديّة انصار في اليمن الى الآن.

ج – الاسماعيلية: كان للإمام السادس جعفر الصادق ولدان: اسماعيل وموسى. وبما ان اسماعيل هو البكر فقد اختاره جعفر خلفًا له، إلّا ان طريقة حياة اسماعيل وتعاطيه الشراب، جعلت والده يغيّر رأيه، ويختار شقيقه موسى لخلافته. وافقت اكثريّة الشيعة على هذا التغيير، ما عدا فئة اصرّت على ان عصمة الإمام تحول دون مؤاخذته على تصرّفاته، وبقيت على ولائها لإسماعيل، واعتبرته الإمام السابع والأخير، بل المهدي المستور.

ونَظَّم الاسماعيليّون لدعوتهم الدينيّة، طريقة متقنة جدًا لنشر العقيدة، وتشويق الناس لانتظار المهدي الوشيك العودة. وقالوا بالعقيدة الباطنية، أي بامكانية تفسير القرآن على سبيل المجاز.

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

كانت البصرة مقرًا للاسماعيليين في البدء، لكنهم نقلوا هذا المقر الى السلميّة في شمالي سورية. ومن هناك كانوا يبثون دعاتهم في شتى انحاء العالم الاسلامي.

واضحت الاسماعيليّة بدورها فرصة لنشوء فرق جديدة متفرّعة منها، حيث اتاحت الباطنيّة لبعض الدعاة ان يستأثروا بالدعوة لأنفسهم. وأما أهم تلك الفرق فهي: القرامطة، والفاطميون، النصيرية. ومن الفاطميين انبثق الدروز والحشاشون.

٢ً – القرامطة في منتصف القرن التاسع، ظهر من بين رجال الدعوة الاسماعيلية داع واسع الاطماح هو حمدان قرمط. وبعد ان لمس قبولًا من الناس للدعوة الباطنيّة، شذّ عن الاسماعيليّة، واخذ يدعو لنفسه، متخذًا من جنوبي العراق مقرًّا له، ومن الفلّاحين والفقراء انصارًا. وقد اتخذت حركته شكل منظمة سريّة ذات طابع اشتراكي. وقال القرامطة بتفسير القرآن تفسيرًا رمزيًا يتكيّف مع مقتضيات كل الاديان والأجناس. وأباحوا سفك دماء خصومهم حتى ولو كانوا مسلمين. وقد استطاعت هذه الحركة ان تكسب جماعة إخوان الصفاء الى جانبها.

وساهم القرامطة في ثورة الزنج في البصرة وكادوا يقوّضون اركان الخلافة في الفترة ما بين ٨٦٨ و **٨٨٣** م. واقاموا دولة قرمطيّة قاعدتها الإحساء. ومن هناك اخذوا يغيرون على البلدان المجاورة، فقطعوا طريق الحجّ، وخرّبوا سورية، ثم احتلوا مكة سنة **٩٣٠** م. واخذوا الحجر الاسود معهم الى عاصمتهم. وبهذا زرع القرامطة الرعب في انحاء العالم الإسلامي وهدّدوا الخلافة، فما كان من الفاطميّين إلّا ان تعقبوهم وقضوا على حركتهم، وشتّتوا اتباعها.

٣ً – الفاطميّون فيما كان حمدان قرمط يبث دعايته في العراق، استطاع داعية آخر، هو ابو عبدالله الشيعي من اهل صنعاء في اليمن، ان يكسب للدعوة الباطنيّة انصارًا كثيرين من بربر شمالي افريقيا وخاصة في قبيلة كتامة. وكان قد تعرّف الى بعض أفرادها في موسم الحجّ، وذهب معهم الى تونس. وهناك حرص ابو عبدالله على ان يثير حماسة الأهالي ويحرّك فضولهم بالاعلان عن قرب ظهور المهدي. فالتف حوله الجميع، وقضوا على دولة الاغالبة

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

السنيّة. وعندئذ ارسل ابو عبدالله الشيعي في طلب عبيدالله (المنتسب الى فاطمة والذي ادعى انه المهدي المنتظر) من السلمية في سورية، ومهّد له كل السبل لاعلانه إماماً للمسلمين بصفته من نسل عليّ وفاطمة بنت الرسول، ولذلك عرف اتباعه بالفاطميين. اقام عبيدالله في ضاحية القيروان ثم ابتنى لنفسه مدينة المهديّة واتخذها عاصمة له. ومن هنالك بسط الفاطميون نفوذهم على كل الشمال الافريقي، واحتلّوا صقلية، ثم مصر، وابتنوا فيها القاهرة عاصمتهم الجديدة، واقاموا خلافة فاطمية شيعيّة دامت اكثر من قرنين من الزمن، وتنافست مع العباسيّين وامويي الأندلس على خلافة المسلمين.

واستخدم الفاطميّون الدعوة الاسماعيليّة لتحقيق مآربهم السياسيّة. غير ان مبادئ الدعوة عرفت في عهدهم تشعّبات جديدة أدّت الى قيام فرق دينيّة لها مميزاتها الخاصّة أهمها اثنتان:

أ - الدروز الموحّدون: نشأت الدرزية في عهد الخليفة الفاطمي السادس، الحاكم بامره (٩٩٦-١٠٢١م)، أخذت اسمها من اسم داعية فارسي من دعاة الباطنية هو محمد بن اسماعيل الدرزي. وقد جاهر هذا بتقديس الحاكم بامره، وقال بان «مولانا» قد تجسّد بصورة انسان، وبان الحاكم بامره يمثل اهم مراحل هذا التجسّد ومنتهى غايته. رفض المصريون تقبّل هذه المعتقدات الاسماعيليّة الباطنيّة، فوجه الحاكم دعاته نحو بلاد الشام. فلاقت الدعوة اذاناً صاغية في وادي التيم من لبنان، وكثر اتباعها، فدب الطمع في نفس محمد الدرزي، وأعلن استئثاره بالدعوة لنفسه. فثار عليه الاتباع وقتلوه سنة ١٠١٩م، واصروا على ان يبقوا موحدين، موالين للحاكم.

ويعود الفضل الى داعية فارسي آخر هو حمزة بن علي، مساعد الخليفة، في ترسيخ دعائم الدعوة وصيانتها، واقناع اتباعها بان الحاكم قد «غاب» عنهم مؤقتًا (سنة ١٠٢١م) ويجب انتظار عودته المظفرة. وقد عمد حمزة ابن عليّ الملقب بالهادي، بمساعدة بهاء الدين المقتني مساعده، الى توجيه عدد من الرسائل لدعاته تحدّد اسس المذهب التوحيدي الدرزي.

ومن ابرز المبادئ والتعاليم التي جاءت في هذه الرسائل الاعتماد على السريّة والكتمان في المحافظة على مذهبهم الذي اقفلت ابوابه على الناس

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

منذ «غيبة» الحاكم، فلم يعد بمستطاع اي مريد ان يصبح درزيًا بعد ذلك التاريخ الا بالتوالد من والد درزي. وقد حل حمزة اتباعه من فرائض الإسلام الكبرى فيما عدا الشهادتين، وسنَّ مكانها شرائع أوجب فيها الصدق في القول، والعون المتبادل بين ابناء المذهب، ونبذ العقائد الباطلة في مختلف اشكالها، والخضوع التام للارادة الالهية، والإيمان بالقضاء وبتناسخ الارواح (التقمص).

يقسم الدروز الى قسمين: العقّال والجهال. وكتبهم المقدسة مباحة فقط لفئة العقّال القليلة العدد، وجميعها مخطوطة حرصًا على سريتها. ويستطيع الجاهل ان ينتقل الى فئة العقّال اذا برهن عن سلوك حسن واخلاق حميدة وقدرة على الكتمان. ويقيم الدروز صلواتهم ليلة الجمعة من كل اسبوع في المجالس او الخلوات، وارفعها مقامًا عندهم خلوات البيّاضة قرب حاصبيا.

وانتشرت الدرزية في جبال لبنان واعتنقها كثيرون من ابناء القبائل العربيّة والمستعربة مثل: التنوخيين والمعنيين وآل ارسلان وتلحوق والعماد وجنبلاط ... ومن لبنان انتقل الدروز الى فلسطين وجبل العرب في سورية الجنوبيّة . .

وللعائلات الدرزية دور بارز في تاريخ لبنان وسورية الحديث، وقد ناضل الدروز باستمرار في سبيل استقلال بلادهم وحريتها.

ب – الحشاشون: مؤسس هذه الفرقة الحسن الصبّاح الفارسي الذي استطاع، بمساعدة انصاره، ان يستولي على حصن «ألموت» (سنة ١٠٩٠ م) عند بحر قزوين، واتخذه مقرًا له. وفي بضع سنوات استطاع ان يبسط سيطرته على كل المنطقة ويستأثر بحصونها. اعتمد الحسن الصباح على المبادئ الاسماعيلية في دعوته، ولكنه تخطاها وقال بعدم الحاجة الى الانبياء. ورتّب الصبّاح فرقته على شكل هرمي. فقد وضع نفسه عند القمة على اعتبار انه «داعي الدعاة»، يليه في المرتبة عدد من الزعماء هم الدعاة الكبار ثم الدعاة العاملون، واخيرًا عند القاعدة الفدائيون الذين كان كبير الدعاة يخدّرهم بالحشيش، ثم يأمرهم بتنفيذ أعمال الإغتيال، وهم تحت تأثير المخدر، لا يدرون ماذا يفعلون. من هنا تسمية هذه الفرقة بالحشاشين.

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

استخدم داعي الدّعاة هؤلاء الفدائيّين لإغتيال مناوئي سياسته وحركته وعلى رأسهم نظام الملك وزير السلطنة السلجوقيّة في بغداد (١٠٩٢م) ، واقام دولة مستقلة امتدت من بحر قزوين حتى اواسط سورية . (ص ٣٠٣).

وانهارت قوة الحشاشين في بلاد فارس عندما اجتاحها المغول ، كما تولّى الظاهر بيبرس سلطان المماليك تشتيت حشّاشي سورية. تفرّق الحشاشون ، منذ ذلك الوقت ، في عدد من البلدان ، ويعرفون اليوم باسم الاسماعيليين مركزهم باكستان ويخضعون لسلطة الآغاخان.

٤ً – النصيريّة هي احدى الفرق الاسماعيليّة ، أخذت اسمها من محمد بن نصير الذي عاش في النصف الثاني من القرن التاسع ، وتحزّب للامام الحادي عشر الحسن العسكري. غالى النصيريّون في تشيعهم فقالوا بتجسد الألوهية في عليّ ، ولذلك شاعت تسميتهم فيما بعد بالعلويّين . تأثروا ببعض المبادئ الوثنيّة والمسيحية الى جانب المبادئ الاسلامية ، واصبحت مبادئهم خليطًا ، جعلت في طقوسهم ما يشبه القداس ، وجعلت من عليّ إلٰهًا للرعد ، ومن دم الحسين لونا للشفق. يتشدد النصيريون في كتمان دينهم ، ويعيّدون الميلاد والفصح ، ويولون قبور اوليائهم الكثير من التقديس. كانت النصيريّة منتشرة في جبال لبنان عندما بدأت الدعوة الدرزية التغلغل في ربوعه. ولم يتمكن النصيريون من الصمود في وجه الدروز فنزحوا عن لبنان الى الشمال واستقروا في الجبال السورية الواقعة عند اللاذقية ، والتي حملت اسمهم ، وما زالت مقرّهم ، منذ ذلك الوقت.

٥ً – الخوارج على اثر قبول عليّ بن ابي طالب التحكيم بينه وبين معاوية في معركة صفين (٦٥٧م.) ، رفض قسم من جنوده التحكيم واعلنوا: «لا حكم الا لله». ثم خرجوا على إرادة عليّ واعتصموا في قرية «حروراء» قرب الكوفة ، وسموا لذلك بالخوارج . وانضمَّ الكثيرون من أهالي جنوبي العراق الى الخوارج ، على اثر انفضاح خدعة التحكيم ، فخرج عليّ عليهم وحاربهم في موقعة «النهروان» وهزمهم ، غير انهم ثأروا منه واغتالوه سنة ٦٦١م. ناصب الخوارج الأمويين العداء ، وكانوا من أشد معارضيهم ، ومثيري الاضطرابات في عهدهم. وقد اولى الخوارج شهداءهم كل تكريم وتقديس.

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

وفي مطلع عهد مروان بن الحكم بدأت رياح الفرقة تعصف بالخوارج، فانقسموا الى فئات وفرق كان اهمها:

أ - **الازارقة**، وقد انشأوا شبه دولة مستقلة في جنوبي ايران، عاشت حتى نهاية القرن السابع.

ب - **الصفريّون**، اتباع زياد بن الاصفر، انتشروا في جنوبي الجزيرة العربية.

ج - **الإباضيّون**، نسبة الى عبدالله بن اباض التميمي، وقد ثاروا على آخر خلفاء بني اميّة، وساهموا عن غير قصد، بانجاح الدعوة العبّاسيّة. غير ان العبّاسيّين لاحقوهم، وأخرجوهم من المدن المقدّسة في الحجاز، فلجأوا الى معاقل الجبل الأخضر في عمان، ومن هناك انتقل كثيرون منهم الى زنجبار واقطار شمالي افريقيا. واستمرت الاباضيّة في المغرب وكان لها مراكز في «تاهرت». ولما اقام الفاطميّون دولتهم، انكفأ الخوارج الى اطراف الصحراء والواحات. ولا تزال لهم بقيّة فيها حتى اليوم،. كما ان سلطان عمان الاباضيّ لا يزال يعتبر نفسه امام المسلمين.

وأما المبادئ التي استندت اليها حركة الخوارج فكانت:

- القول بان الخلافة يجب ان تكون باختيار حرّ من المسلمين، وجعلوها حقًا لكل مسلم وليست وقفًا على آل قريش.
- القول بطاعة الإمام طاعة كليّة إلّا اذا خرج على كلمة الله، وعندئذ من الواجب الثورة عليه وخلعه.
- القول بان الايمان ليس اعتقادًا فقط، بل اعتقاد وعمل. فمن لا يعمل بفروض الدين هو كافر، في نظرهم، أياً كانت درجة ايمانه.
- التشدّد في العبادة واشتراط النقاء الوجداني قبل الوضوء الجسدي.
- رفض كل مظاهر البذخ والترف، وتحريم المَيْسر والمُسكِرات.

٦ - **المرجئة** على أثر النزاع الذي قام بسبب تحكيم صفين، قال جماعة من الصحابة بعجز البشر عن تعيين المخطئ والمصيب، وبضرورة ارجاء الامر الى الله، وسمّوا لذلك بالمرجئين. ثم تدرّج بحثهم الى امور دينيّة، وعرفوا الايمان على انه الاعتقاد بالقلب، دونما اية اهمية للعمل. من ذلك قولهم: «لا تضر مع الايمان معصية، كما لا تنفع مع الكفر طاعة.»

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

رسالة السلطان جلال الدين ملكشاه السلجوقي الى الحسن الصباح .

« لقد ابدعت يا حسن الصباح ، دينًا جديدًا وملة جديدة ، وانك لتخدع الناس وتدعوهم للخروج على ولي العصر ، وتجمع حولك بعض جهلة الجبال فتقول لهم اقوالًا توافق اهواءهم حتى انهم يذهبون فيطعنون الناس بالخناجر ، وتطعن بالخلفاء العباسيين الذين هم خلفاء المسلمين وبهم قوام الملك والملة ونظام الدين والدولة. ان عليك ان تدع هذه الضلالة وان تسلم ، وإلا فقد جهزنا جنودًا ، ونحن بانتظار قدومك او وصول جوابك. حذار حذار ، وارحم نفسك واتباعك ، ولا تلقينَّ بنفسك وبهم في ورطة الهلاك ، ولا تغرنك القلاع الحصينة ، واعلم حقًا ان لو كانت قلعتك ألموت برجًا من بروج السماء ، فاننا بعناية الحق سبحانه وتعالى نسوّيها بتراب الارض » .

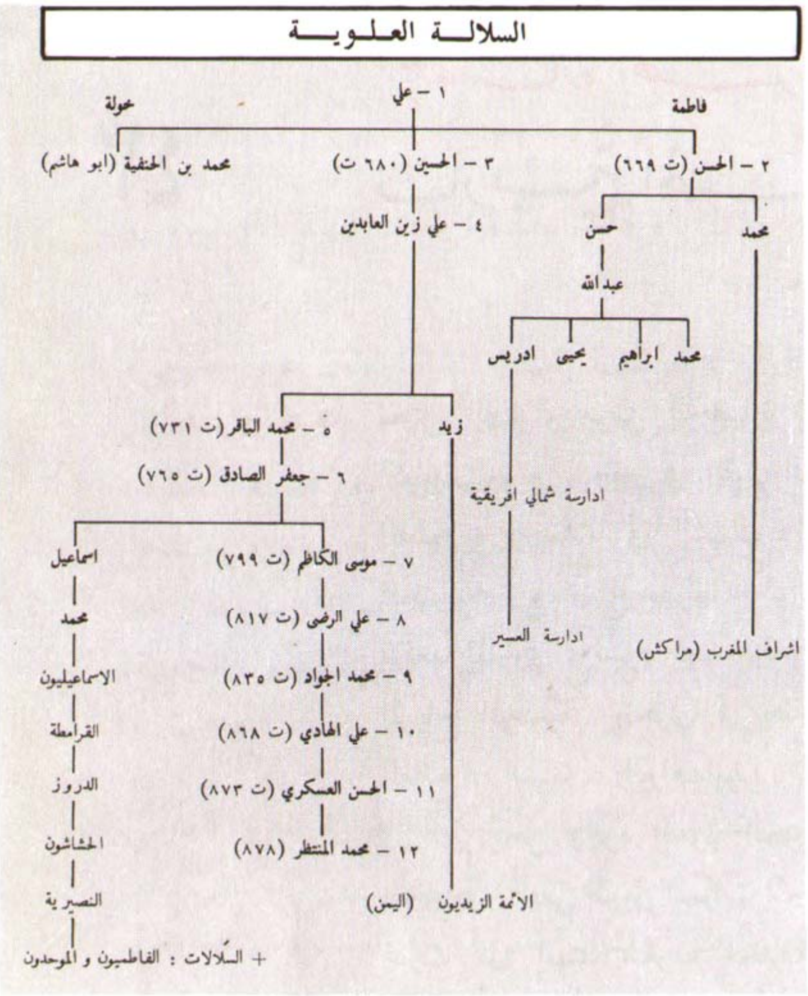

من جواب الحسن الصباح

...« غادرت بغداد الى مصر حيث كان الخليفة بحق الامام المستنصر .
تفحصت احواله وقارنت خلافته بخلافة العباسيين وإمامته بامامتهم ، فوجدتها احق ؛ فاقررت بها وزهدت تمامًا في خلافة العباسيين ... ان هذا الدين الذي انا عليه كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله ، وكان دين الصحابة ، وهذا المذهب هو الصحيح حتى يوم القيامة ، وهو الذي سيظل كذلك. والآن فديني الاسلام ؛ اشهد ان لا إله إلا الله واشهد ان محمدًا رسول الله ... وانني اعتقد ان ابناء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هم احق بخلافة ابيهم من ابناء العباس ...
ونصل الآن الى اننا نخدع الجهال ليخرجوا في قصد الاشخاص. ان من الواضح على ارباب البصيرة ألا شيء اعز من الحياة ، ولا احد يتنازل عن حياته ، وخاصة بسبب قول شخص ضعيف مثلي ، وكيف استطيع ان اتصدى انا لمثل هذا العمل؟... فما حاجة الحسن الصباح الى هذه القضايا والى ان يخدع احدًا ...
وأما بشأن حديث هذه القلعة التي ذكر السلطان انها لو كانت برجًا من بروج السماء [ننزلها] الى الارض ، فان المقيمين بها واثقون استنادًا الى قول مُحِقٍّ العصر من انها لن تخرج من ايديهم امدًا طويلًا ، فشأنها مرتبط بعناية الاله ... ادعو الى الله والرسول ان يهدي السلطان واركان دولته الى الطريق المستقيم وان يلهمهم دين الحق يومًا وان يقمع فساد العباسيين » ...

(عن الدراسات الادبية في الثقافتين العربية والفارسية)
منشورات الجامعة اللبنانية)

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

٤٣ تاريخ الهند

الهند وشعبها تحتل الهند، موطن الحضارة الهندية، مساحة تزيد على اربعة ملايين كيلومتر مربع، وتقع في القسم الجنوبي من قارة آسيا. تمتاز بسورها الجبليّ الضخم؛ (حملايا في الشمال، وهضاب مثلّثة الشكل قديمة التكوين في الجنوب)، وباتساع سهولها الرسوبيّة في احواضها النهريّة في الوسط. وبفضل موقعها المداريّ، تسود الهند مناخات حارّة متفاوتة الرطوبة، تحدد خصائصها الرياح الموسميّة. وتجري في بطاحها وسهولها الواسعة أنهار كُبرى أهمها: الغانج، السند، والبراهمايوترا.

ولم يَحُل وجود السور الجبليّ دون وصول المؤثرات البشريّة والحضاريّة الخارجيّة. فعن طريق الممرّات الجبليّة في الشمال الغربي (خيبر – بولان ...)، عبرت الى الهند شعوب مختلفة، حملت معها منجزاتها الحضاريّة، وطبعت البلاد بطابعها. وكانت أبرز تلك الموجات البشريّة: الآريّة – الفارسيّة – اليونانيّة – العربيّة – المغوليّة. كما ان انفتاح شبه الجزيرة الهنديّة على المحيط جعلها تتأثر بالشعوب المجاورة، وتقيم معها علاقات تجاريّة وثيقة وخاصّة مع العرب. وفي العصور الحديثة، استخدم الاوروبيّون هذه السواحل ليلجوا منها ويبسطوا نفوذهم على سائر انحاء البلاد.

ونتيجة لهذه المُعطيات اضحى الشعب الهندي خليطًا من عناصر مختلفة؛ بيضاء وسوداء وصفراء، تتكلم لغات متعدّدة زاد عددها على مايتين وخمسة وعشرين لغة. إلّا ان ذلك لم يحل دون صهر كل هذه العناصر بطابع خاصّ، هو طابع الحضارة الهنديّة.

التاريخ السياسي وراء الحضارة الهندية العريقة، التي استمرت خمسة واربعين قرنًا بدون انقطاع، يكمن تاريخ سياسيّ طويل، ولكنه كثير التداخل. فقد دلّت حفريات «موهنجو دارو» و«حَرَّابة»، في حوض نهر السند، على ان هذه المنطقة شهدت ولادة حضارة متقدّمة منذ القرن التاسع والعشرين قبل

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

الميلاد (٢٩٠٠ ق.م.). وكان بُناة هذه الحضارة سكّان الهند الاصليّين أي «الدراڤيديين». (راجع ص ٣٠٥).

١ً – الغزو الآري وحوالى السنة (١٦٠٠ ق.م.) تعرّضت الهند الشماليّة لأوّل غزو خارجيّ، قامت به عناصر آرية، قدمت عبر ممرات «خيبر» و «بولان»، في الشمال الغربيّ. وكان الغزاة من الرعاة، ادخلوا معهم الحصان، وفن تصنيع الحديد، الى جانب لغة «هندية – اوروبية» هي «السنسكريتية»، ونظامٍ اجتماعي طبقي. فبقيت الهند في ايامهم مقسّمة الى إمارات وممالك متنازعة، مما استدعى قيام الاصلاح على يد مؤسِّسَيْ الديانتين «البوذيّة» و «الجانتية» في القرن السادس قبل الميلاد.

٢ً – الغزو الفارسي واليوناني وفي أواخر القرن السادس تعرّضت الاقسام الشماليّة الغربيّة للغزو الفارسيّ على عهد داريوس (دارا). ثم عَقبه الفتح اليونانيّ على يد الإسكندر. غيرَ أن ذلك لم يمنع الزعيم الوطني «تشاندرا جوبتا» من تأسيس مملكة وطنيّة في منطقة «بيهار»، عرفت بمملكة «الموريا» واتّسعت لتشمل معظم انحاء الهند و «افغانستان». وكان «أشوكا» (٢٧٣–٢٣٢ ق.م) اعظم ملوك هذه العائلة. وقد بلغت الهند في عهده أوج ازدِهارها الفكريّ والفنيّ والعمرانيّ.

وبعد وفاة «أشوكا» تعرّضت الهند لغزوات جديدة من الشمال الغربي، حملت إليها عناصر مختلفة أهمّها «الكوشانيون» الذين أسّسوا مملكة مهمّة في شمالي الهند، وصلت الى أوج ازدِهارها في القرن الثاني بعد الميلاد. وكانت سائر انحاء الهند مجزّأة آنذاك بين العديد من الممالك والإمارات اهمّها: «البانديا» – «الشولا» – «الشيرا» – «الستاڤاهانا» – «الجوبتا».

٣ً – الغزو العربي ومنذ السنة ٧١١م. تعرّضت الهند لغزو جديد على يد القائد العربيّ محمد ابن قاسم، حامل الدين الاسلامي الى حوض السند. وبدأ على الاثر التبادل الحضاريّ والتجاريّ بين الهند وديار الإسلام، وازدهر في العهد العبّاسيّ. وخلال القرنين العاشر والحادي عشر، دخلت الى الهند من الشمال الغربيّ عناصر اسلاميّة كثيرة؛ فارسيّة وافغانيّة وتركيّة ومغوليّة. وكان أبرز الفاتحين المسلمين للهند في تلك الحقبة محمود الغزنوي (٩٩٧–١٠٣٠ م.)، ومحمد الغوري (١١٧٣–١٢٠٦) الافغانيّ، ثم قطب الدين أيبك الذي أعلن سنة

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

١٢٠٦ م. انفصاله عن الملك الافغانيّ، وأسّس سلطنة «دلهي» التي عمّرت حتى سنة ١٥٢٦ م.

٤ً – الغز المغوليّ وفي القرن السادس عشر تجزّأت الهند من جديد الى إمارات وممالك، واستهوت غزاة جددًا، كانوا من المغول في هذه المرّة. ففي سنة ١٥٢٦ استطاع «بابر» سليل «تيمورلنك» ان يحتلّ سلطنة دلهي، وينطلق منها في عمليّة توحيد جديدة للبلاد تحت سلطان المغول. وفي عهد حفيده «أكبر» (١٥٥٦–١٦٠٥ م.) عرفت الأمبراطورية الهنديّة عهدًا من التنظيم والتحسين. وقد اتاح ذلك للملك «شاه جيهان» أن يوصل الامبراطوريّة الى ذروة مجدها واقصى اتساعها. وبعد وفاة «اورانجزيب» سنة ١٧٠٧ م، دبّ الوهن في الامبراطوريّة وتفسّخت من جديد.

٥ً – الاستعمار الانكليزي وقد شجّع هذا الانحلال الاوروبيّين على بَسط نفوذهم السياسيّ والعسكريّ على الهند، بَعد ان وصلوا اليها كتجّار في القرن الخامس عشر. وبعد صراع طويل استطاع الانجليز ان يستأثروا بحُكم الهِند، ويلحقوها بالتاج البريطانيّ.

واستمرّ الاستعمار البريطانيّ للهند حتى سنة ١٩٤٧، عندها نالت الهند استقلالها. وقد شهدت هذه الحقبة الكثير من الانتفاضات القومية، ابرزها انتفاضة «المهاتما غاندي» محرر الهند وبطل استقلالها.

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

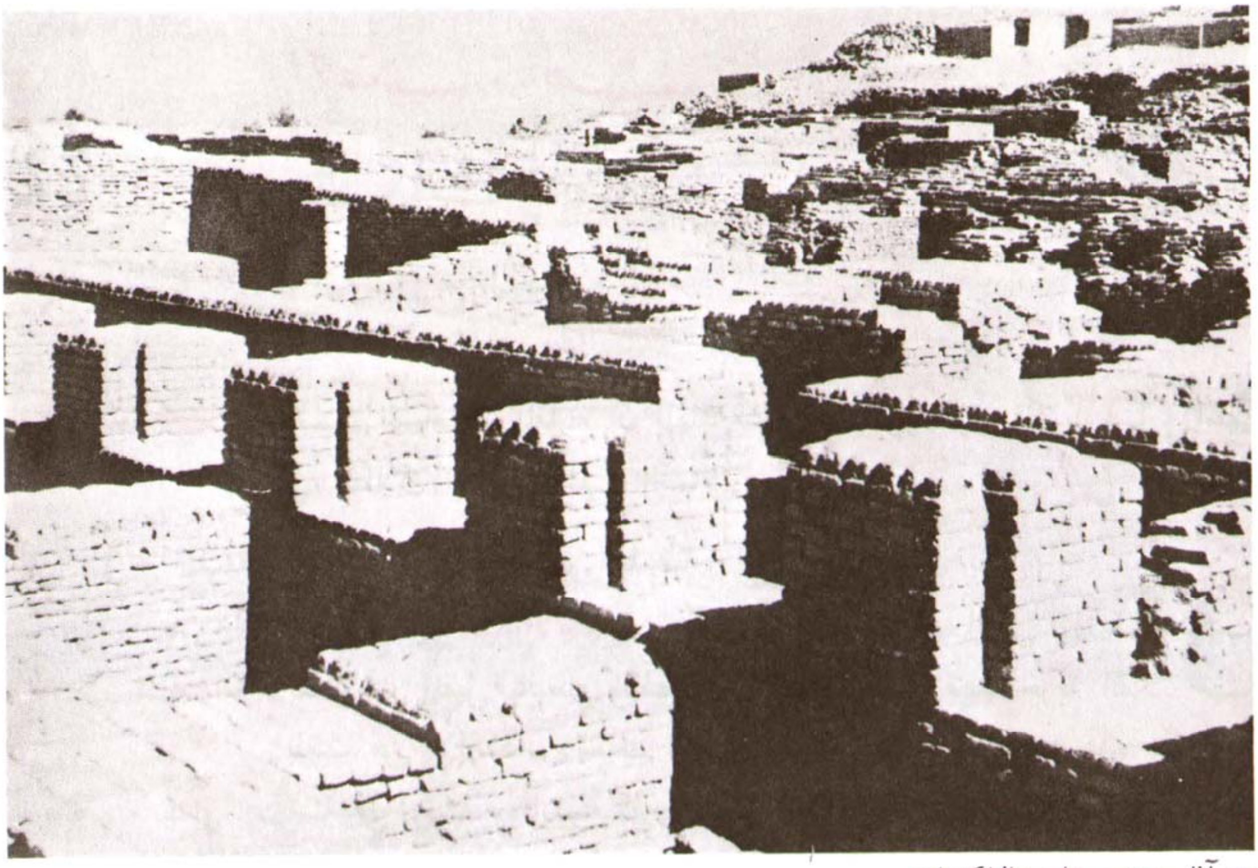

من آثار موهنجو دارو (الپاكستان)

من آثار حرّابه (الپاكستان)

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

٤٤ تُراث الهنْد

التراث الفكري اثبتت الدراسات المقارنة أن الهند أعطت البشريّة تراثًا فكريًا غنيًا، اسهم في انطلاق الفكر البشريّ اجمالًا.

١ً – الفلسفة يصنّف الهنود مذاهبهم الفلسفيّة، على تعددها، في بابين:

أ – المذاهب الأستيكية: وهي التي تؤمن باصول الدين، وتسلّم بالكتب المقدّسة، وتقبل بالنظام الطبقي، ولكنها ترفض تقييد حرية الفكر مهما بلغت من الالحاد. وبسبب التباين في التفسير اصبح عدد هذه المذاهب ستة هي: نيايا – ڤايشيشيكا – سانخيا – اليوغا – بيرڤاميمانسا – الأڤيدانتا. وقد اصبح على كل هندي، يعترف بسلطان البراهمة، ان يعتنق واحدًا من هذه المذاهب الستة التي تلتقي جميعها عند القول بان الڤيدات، او الكتب المقدسة وعددها اربعة، قد هبط بها الوحي.

ب – المذاهب الناستيكية: وهي التي تشكك في الدين، وتسخر من الكهنة، وترفض القبول بفكرة الحياة الثانية، ولا تعتقد إلا بالمادة المحسوسة. وكان الفيلسوف «شارڤاكا» رائد هذه المدرسة الماديّة في الفلسفة الهنديّة. وتتوجت هذه المدرسة بحلول ديانتين جديدتين: البوذيّة والجاينية، مكان العقيدة الڤيدية.

٢ً – الأدب دوّن المفكرون الهنود افكارهم باللغة السنسكريتية. ووضعوا لهذه اللغة، منذ القدم، اصولًا نحويّة لضبطها. غير ان التعليم الهنديّ بقي شفهيًا في اكثره، يتولاه رجال الدين بشكل عام. وكان للرواة اهميّة فائقة ودور بارز في حفظ تراث الهند ونقله عبر الاجيال. ففي الأدب الملحميّ يفاخر الهنود بوضعهم اطول واشمل ملحمة في تاريخ الملاحم هي: «الماهابهاراتا» المتضمنة قصة العنف والمغامرة والحروب باشراف الآلهة، وملحمة «رامايانا» التي تقصّ رواية السفر والاهوال والتوق الى الحبيب الوفيّ.

وامتازت المسرحيّة الهنديّة بطول فصولها وتعدد المناظر في كل فصل، وعدم التقيّد بوحدة الزمان والمكان. ولا تخلو مسرحيّة من قصة غراميّة،

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

وشخصيّة مضحكة، اذ ان المأساة لا وجود لها في هذا المسرح المَرِح الذي ينصر الحب ويكافئ الفضيلة. وأشهر هذه المسرحيّات: «شاكونتالا» التي وضعها «كاليداسا» في القرن الرابع الميلادي.

كما ان الادب الهندي خصيب بالحكايات الخرافيّة والأساطير الغريبة، بينما عجز مؤرّخو الهند عن رفع انتاجهم الى ما هو اكثر من السرد العاديّ للأحداث.

وأما الشِعر فقد اينع في بلاط «أكبر» على يد شعراء كبار مارسوه في مختلف اشكاله وأبوابه: الغنائيّة والحكميّة والملحميّة والوجدانيّة. وكان «تولسي» و«كابر» أعظم شاعرَيْن في الهند.

٣ - العلوم كانت العلوم المرتبطة بالدين أسبق من غيرها الى الظهور والتقدّم، وعلى رأسها علم الفلك لارتباطه بفن التنجيم. وقد توصّل علماء الفلك الى تعليل الكسوف والخسوف والاعتدالَيْن والانقلابين، وقالوا بكرويّة الأرض ودورانِها حول محورِها. وشرحوا نظريّة الجاذبيّة. كما قسّموا السنة الى ١٢ شهرًا والشهر الى ٣٠ يومًا، واليوم الى ٣٠ ساعة. وحددوا موقع القطبَيْن وأماكن النجوم الرئيسيّة ومدارات الكواكب.

ولحساب هذه العمليات المعقدة توصل الهنود الى وضع حساب رياضيّ متفوق، ومنحوا العالم الاعداد والنظام العشريّ، ووضعوا قواعد علم الجبر، ولكنهم بقوا متخلّفين في الهندسة.

واحرز العلماء الهنود تقدّمًا ملموسًا في علوم الفيزياء الطبيعيّة والكيمياء والطبّ. فبحثوا في الذرّات والعناصر، ومَهروا في الصباغة والدباغة والصابون والزجاج والاسمنت، وكذلك في التكليس والتقطير والتصفية والتبخير واللحام... كما مارسوا التشريح، ودرسوا وظائف الاعضاء، واجروا العمليّات الجراحيّة وشخّصوا الأمراض ووصفوا لها العلاج الملائم ومعظمه من النبات.

التراث الفني لم يبق أي اثر فنيّ من الحقبة الآرية في الهند؛ وهذا عائد الى كون العمارة والنقش آنذاك من خشب او معدن سريع التلف. ولذلك فإن اقدم الآثار الفنيّة تعود الى عهد «أشوكا» حيث بدأ استخدام الحجر الرملي

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

والأعمدة المنفردة ذوات التيجان بشكل رؤوس حيوانية. وقد كانت معظم هذه المباني هياكل نصف كرويّة أو أديرة قرميديّة أو قصورًا حجريّة ضخمة. وظهرت في ذلك العصر النقوش البارزة أو المحفورة لمشاهد طبيعية او حيوانية مختلفة. وكان التأثير الفارسي واليوناني ظاهرًا في كل هذه المنجزات.

ومع الفتح الاسلامي، دخلت الى الهند المؤثرات الفنية الاسلامية، سواء في بناء المساجد والمآذن، او في بناء القصور والمنازل. وشاعت النقوش والزخرفة للتزيين.

ومع المغول عادت المؤثرات الفارسية الى البروز، كما في مسجد «لاهور» وفي «تاج محل». وعندما تدفق المستعمرون الاوروبيون على الهند، حملوا اليها دقائق الفن الاوروبي الحديث. غير ان الفنان الهندي أضفى عل كل هذه المؤثرات مسحة هندية طبعت آثاره الفنيَّة بطابعها الهندي الخاص. (انظر ص ٣١٣).

المعتقدات الدينية في البدء عبد الهنود قوى الطبيعة وعناصرها. كالسماء، والشمس، والارض، والنار، والرياح، والماء... وقد شخصوا هذه العناصر، فجعلوا السماء أباً (ڤارونا) والارض أُماً (بريتيڤي). ولبثت النار، وهي الإله «أغني» لمدة طويلة أهم الآلهة القديمة في الهند. ولم يكن لهذه الديانة «الڤيدية» في اولى مراحلها معابد وأصنام. ومع الزمن تكاثرت طقوس العبادة وتنوعت الاحتفالات والقرابين، وتزايدت اهمية رجال الدين (البراهمة)، وتحولوا الى طبقة ممتازة تسيطر على الحياة الفكرية والروحية في الهند.

غير ان ظهور الفلسفة المادية على يد «شارڤاكا» الذي ختم اسفار «الڤيدا» و«اليوبانيشاد»، زعزع سلطة البراهمة على العقل الهندي، ومهّد الطريق لنشوء ديانتين جديدتين:

أ - الجاينيّة نشأت في القرن السادس ق.م. احتجاجًا على المعتقدات الهندوكية القديمة. ساهم في تأسيسها اربعة وعشرون قديسًا آخرهم «ماهافرا» أو جاينًا البطل العظيم. وتقوم هذه الديانة على الاعتقاد بان كل ما هو موجود في الكون أزلي حتى المادة، وان الارواح تحتفظ بنفس هويتها دائمًا في التقمصات المتتالية التي تترتب على نتائج السلوك مجتمعة، ويمكن بعد تسعة تقمصات الوصول الى النيرڤانا، اي الخلاص من الجسد والمادة. ويعتنق الجانتية حوالي مليوني هندي.

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

٢ – البوذيّة نشأت في شمالي الهند، عند نيپال، خلال القرن السادس ق.م. على يد «ساكياموني» الملقب بوذا، أي المتنوّر (٥٦٤–٤٨٣ ق.م.). وينحدر بوذا من اسرة عريقة، وكان والده حاكمًا لاحد اقاليم الهند الشمالية. عاش حياة رغد واطمئنان، تزوج وانجب طفلًا. وفي التاسعة والعشرين من عمره نبذ حياة الترف، واصبح ناسكًا يهيم في البلدان والقفار حتى نزل عليه الوحي في ظل شجرة تين. تلقى وحي «رسالة التنوير الكبرى» جزاء زهده وطهره. وراح يبشر بالدين الجديد، وجمع حوله الكثيرين من المريدين. وقد اعتمد في ذلك على الحوار والمثل والمحاضرة. ولخّص مذهبه في عبارات مركزة يسهل حفظها. وقد عقد اتباعه، خلال القرون الثلاثة التي تلت وفاته، عدة مجامع لحفظ التعاليم التي بشر بها بوذا. وكان لاعتناق الامبراطور «أشوكا» (٢٥٠ ق.م.) هذا الدين اثر كبير في انتشار البوذية في الهند وسائر اقسام شرقي آسيه.

وترتكز التعاليم البوذية، في معظمها، على الفلسفة البراهمية. ففي رأي بوذا أنَّ هناك حقائق سامية اربع مفادها ان الحياة ضرب من الألم (في الولادة، والمرض، والشيخوخة، والحزن...). وأن الشهوة هي سبب الألم (شهوة العاطفة والحياة...) ولوقف هذا الألم يجب القضاء على الشهوة بالانقطاع والعزلة والخلاص مما يشغلنا من شؤون العيش. وقد صاغ بوذا خمس قواعد خلقية للهداية وتأمين الحياة السليمة هي:

١ – لا تقتل كائنًا حيًّا. ٢ – لا تأخذ مما ليس لك. ٣ – لا تكذب. ٤ – لا تشرب المسكرات. ٥ – لا تقم على دنس.

كذلك يوصي بوذا اتباعه بالتغلب على الغضب بالشفقة، وعلى الشر بالخير، وعلى الكراهية بالحب. كانت فكرته عن الدين اذًا خلقية خالصة. وتقتصر على سلوك الناس دونما اهتمام بالطقوس الدينية وشعائر العبادة أو باللاهوت وما وراء الطبيعة. فساءت علاقته برجال الدين. ورفض بوذا نظام الطبقية، ومبدأ التضحية في سبيل الآلهة. وآمن بمبدأ التقمص كطريق لتحقيق النيرڤانا او اتحاد الفرد بالله والحصول على السعادة الكلية بعد الموت.

٣ – البراهميّة او الهندوكيّة طغت على البوذية، بعد ثلاثة قرون من الازدهار، الافكار الدخيلة. واخذت الطقوس والشعائر تحل محل المواعظ والدروس الاخلاقية، وكثر عدد الرهبان

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

والاديرة. فاستعاد الكهنة البراهمة نفوذهم السابق. كما انتشرت في الهند عقائد دينية جديدة خلال القرن العاشر الميلادي هي العقائد الاسلامية. وامام موجة الانتشار التوسعي للدين الاسلامي، راح الهنود يبحثون في معتقداتهم القديمة عن ملجأ لايمانهم. ولم تكن الديانة الجديدة التي حلَّت محل البوذية والجانتية في الهند، لمواجهة الاسلام، تقوم على عقيدة واحدة، بل كانت خليطًا من العقائد والطقوس تلتقي جميعها عند الاعتراف بنظام الطبقات وبزعامة البراهمة، وتقديس البقرة باعتبارها تمثل الالوهية، وبمبدأ التقمص.

وكان الآلهة الهندوكيون يتميزون بكثرة اعضائهم الجسدية، و «براهما»، كبير آلهتهم، كانت له اربعة وجوه، وهو مع «شيڤا» و «ڤشنو» يمثلون الثالوث الذي يسيطر على الكون؛ فالاول هو الخالق، والثاني هو الحافظ (إله الحب)، والثالث هو المدمّر.

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

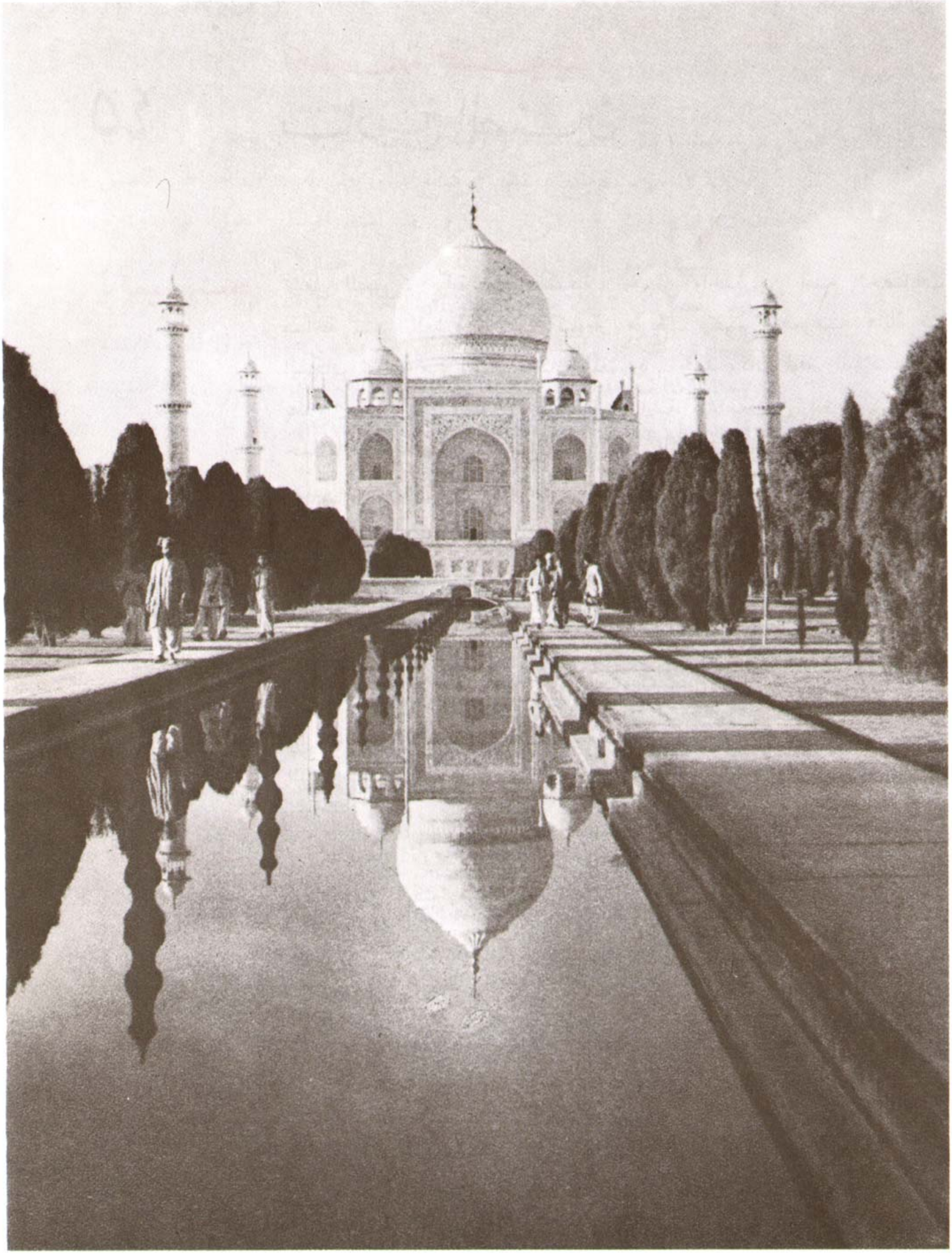

تاج محل. من روائع الفنّ الهندي المتأثر بالفرس والمغول

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

٤٥ تاريخ الصين

الصين وشعبها تشغل الصين، بوّابة آسية الشرقيّة، وموطن واحدة من أقدم الحضارات مساحة تناهز العشرة ملايين كيلومتر مربّع. وتضمّ مجموعة هائلة من السكّان تقرب من ربع سكان المعمورة. وقد كان لموقع البلاد، بين بطاح سيبيريا في الشمال، وصحارى آسية الشاسعة في الغرب، وجبال حملايا ومتفرّعاتها في الجنوب، والبحر الذي يحمل اسمها في الشرق، اهميّة كبرى في تحديد شخصيّة الحضارة الصينيّة.

كما ان وجود احواض نهريّة خصبة وجيّدة المناخ، مثل حوض «الهوانغ هو» و «اليانغ - تسي - كيانغ»، سهّل قيام تجمّعات بشريّة مستقرّة، منذ أقدم العصور. وأتاح لتلك التجمّعات أن تباشر، معتمدة على ذاتها تشييد بنيانها الحضاريّ المتكامل.

أما الشعب الصينيّ الذي يمتاز بنشاطه وصبره وذكائه ولباقته، فهو من الجنس الأصفر. ويغلب عليه الطابع المغوليّ، وقد جاءه عبر النجود الصحراوية، في موجات متعاقبة.

التاريخ السياسي بدأ الصينيّون تاريخهم، في حوض «الهوانغ هو»، كمزارعين. وقد تيسّر لهم تحقيق الكثير من التقدم الحضاري والثروة. إلّا ان هذه الثروة كانت سببًا في خلق خطر مستمرّ من جانب «البرابرة» المحيطين بالصين.

أ - نشوء الاقطاعيّة ولمجابهة هذه الاخطار اندمجت جماعات المزارعين تحت رئاسة الاقوياء منهم. وهكذا تولّد النظام الاقطاعيّ حول مراكز القوة، وأصبح في البلاد مئات الولايات الاقطاعيّة منذ اواخر القرن الثامن ق.م.

وما بين القرنين الخامس والثالث ق.م. أخذ عدد هذه الاقطاعات يتناقص، وحصلت عمليّات اندماج كثيرة لصالح العائلات الاقطاعيّة الأقوى التي حوّلت اقطاعاتها الى ملكيّات، تتنازع السيطرة على أكبر قسم ممكن من البلاد. واستطاعت عائلتا «تسين» في الشمال الغربي، و «تشيو» في الجنوب ان تقيما مملكتين كبيرتين.

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

٢ً – قيام الامبراطوريّة وفي سنة ٢٢١ ق.م. استطاع زعيم عائلة «تسين» ان يجتاح الاقطاعات الكائنة في حوض «يانغ – تسي – كيانغ»، ويُعلن نفسه اول امبراطور للصين تحت اسم «تشي – هوانغ – تي». ولما اشتدَّ الخطر المغوليّ على دولته، أمر بتشييد سور الصين العظيم لدرء هذه الأخطار. وإلى هذا الامبراطور يعود الفضل في تثبيت حدود الصين في الخارج، وإقامة أول حكومة مركزيّة منظّمة في الداخل. فقد قسَّم البلاد الى ٣٦ ولاية، وشقّ طرق المواصلات، ووحَّد الكتابة، وفرض الضرائب على الفلّاحين بعد ان حوّلهم الى ملّاكين، وقضى على رجال الإقطاع ونفوذهم. (انظر ص ٣١٧).

٣ً – التوسّع والعمران وبعد وفاته تعرّضت الصين لفترة من القلاقل والفوضى، وبرزت من جديد الممالك المتنافسة، واستطاع «جو – تسي» ان يعيد وحدة البلاد لصالح أُسرة «هان» التي حكمت طوال اربعة قرون (٢٠٦ ق.م – ٢٢٠ م.). وكان «وو – تي» أعظم أباطرة هذه الأسرة (١٤٠ – ٨٧ ق.م)، فقد صدّ البرابرة، ووسَّع حدود بلاده لتشمل كوريا ومنشوريا وأنّام، والهند الصينيّة، والتركستان، وحقق اول تجربة اشتراكية في الصين بأن جعل موارد الثروة الطبيعية ووسائل النقل والتبادل ملكًا للأمة. كما اهتم بالعمران وشؤون الفكر اهتمامًا كبيرًا. وفي مطلع التاريخ الميلادي، برز امبراطور مصلح آخر هو «وانج – مانج» الذي الغى نظام الرِقّ، وأمّم الاراضي الزراعية، وفي اواخر عهد هـذه الأسرة، توالى على العرش أباطرة ضعفاء، فعادت الفوضى والتجزئة، وتدفقت جحافل التتار على الأقسام الشماليّة، واستولت عليها. وعاشت الصين فترة طويلة من الحروب انتهت بامتزاج الشعبَيْن، وبروز عائلة مالكة جديدة، ومن دم جديد، هي اسرة «تانغ» (٦١٨–٩٥٩م). وكان «ناي – تزونغ» اعظم أباطرتها، فأعاد اخضاع الاقاليم المتمرّدة، وضمَّ التيبت الى امبراطوريته، وسيطر على طريق الحرير.

وفي عهده انتشرت البوذيّة في الصين، كما وصل اليها المبشّرون النساطرة، والزرادشتيون، ولقوا منه كل مساعدة، مع بقائه وفيًّا للكونفوشيوسيّة. وفي خلال نصف قرن من السلام المتواصل، تحققت في عهده اعمال عمرانيّة وحضاريّة جليلة، وعرفت الصين ازدهارًا قل نظيره.

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

٤ً – الغزو المغولي وفي مطلع القرن العاشر دبَّ الضعف في عجلة الحكم، وانقسمت الامبراطوريّة الى خمس ممالك متنازعة. وفي سنة ٩٦٠م استطاع «تاي – دزو» ان يفرض نفسه بقوة السلاح، ويؤسس اسرة «سونج» (٩٦٠ – ١٢٨٠ م) التي حققت الكثير من الاصلاحات الداخليّة، لمصلحة الفلّاحين والمثقّفين، وصانت الحدود الخارجيّة، حتى كانت سنة ١٢٠٦م.... ففي تلك السنة أغار جنكيزخان على شمالي البلاد وخرّبه. ثم اعاد حفيده «كوبلاي خان» الكرَّة، واسقط حكم اسرة «سونج»، ليقيم مكانه حكم اسرة «يوان» المغوليّة (١٢٨٠–١٣٦٨ م). غير ان المغول المتفوّقين في شؤون الحرب، لم يكونوا كذلك في شؤون الإدارة، فضعفت الإدارة الحكوميّة في عهدهم، واضطرّوا ان يستعينوا بالصينيّين، فذابوا فيهم. وفي سنة ١٣٦٨م. ثار الصينيّون بقيادة كاهن بوذي، واسّسوا أسرة وطنيّة جديدة هي أسرة «مينج» التي اسلست القياد لرجال الإدارة، محتكري النفوذ والثروة.

٥ً – الحكم المنشوري وفي سنة ١٦٥٩م. تعرَّضت الصين لغزو جديد من الشمال، جاء من منشوريا هذه المرّة، وفرض قيام حكم اسرة «تسنج» المنشوريّة. وكان «كانغ – هي» من أعظم اباطرة هذه الأسرة. بلغت الصين في عهده أوج توسعها، وانفتحت على التيارات الغربية. وفي عهد «كيان – لونغ» وخلفائه، عادت الصين تقفل ابوابها في وجه الغرب. غير ان ذلك لم يمنع المد الاستعماري الاوروبي من اختلاق الأعذار لضرب الصين، وتحويلها الى سوق ومخزن أوروبيين. وقد بدأ هذا المد بحرب الأفيون (١٨٣٩–١٨٤٢م)، وتعاظم بعد حرب اليابان التي ادت الى تقسيم الصين الى مناطق نفوذ استعماريّة (١٨٩٧–١٨٩٨ م). وفي تلك السنة بدأت المقاومة الوطنيّة ترتدي طابع العنف على يد «جماعة الملّاكين». وفي سنة ١٩١١ م. استطاع المثقّفون بزعامة «صان – يات – صن» ان يحوّلوا الصين الى جمهورية، قاومت الاستعمار الخارجي، والاحتلال الياباني، وانتهت باقامة جمهورية الصين الشعبية (١٩٤٩) بزعامة «ماو – تسي – تونغ».

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

سور الصين العظيم

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

٤٦ تُرَاث الصّين

التراث الفكري يمتاز الصينيّون عن غيرهم من الشعوب، بأن تراثهم كان من بنات أفكارهم. فكانوا مبدعين ولم يقتبسوا عن سواهم إلّا القليل القليل.

أ – الفلسفة تعتبر الصين اقدم بلاد العالم في الفلسفة الانسانيّة غير الدينيّة. وأول آثارها الفلسفيّة البارزة يعود الى القرن الثاني عشر ق.م.، وهو كتاب «التغيرات». ويرد هذا المرجع جميع الحقائق الكونيّة الى تعارض واتحاد العاملَيْن الاساسيَّيْن في الكون، أي عنصرَيْ الذكورة والانوثة (اليانغ و الين).

وقد شهد القرنان السادس والخامس ق.م. في الصين، كما في الهند وفارس واليونان، تفتح العبقريات الفلسفية، فبرز «لو – دزه» (المعلم القديم) وجمع فلسفته في كتاب «الطريقة والفضيلة». وفي رأيه يجب ان يعود الانسان الى الطبيعة، لان ابتعاده عنها افسده، وخاصة عندما تعلم وسكن المدن.

أ – **كونفوشيوس:** وأما ابعد فلاسفة الصين اثرًا في بني قومه فهو «كونغ – فو – دزه» المعروف باسم «كونفوشيوس» (٥٥١–٤٧٧ ق.م.). كان تعليمه كتعليم سقراط شفهيًا، ويعتمد على السؤال. ترك كونفوشيوس خمسة مجلّدات تضمّنت مجمل افكاره هي «كتب القانون الخمسة». في اول هذه الكتب بحث الفيلسوف في المراسم وآداب المجاملة التي هي، في رأيه اساس تكوين الاخلاق، واستقرار النظام الاجتماعي. وفي الكتاب الثاني شرح وعلّق على كتاب التغيرات. بينما حرص في الثالث على ان يشرح كنه الحياة البشريّة ومبادئ الاخلاق الفاضلة. وفي كتابه الرابع «حوليّات الربيع والخريف»، سجّل اهم احداث موطنه. واما كتابه الخامس فكان جامعًا لأهم ما عرفته الصين في تاريخها.

واثارت افكار كونفوشيوس الكثير من الجدل في البلاد، وتحزّب له الكثيرون وتحمّلوا من اجل افكاره التعذيب والتشريد. وحرص مريدوه وتلاميذه على جمع آرائه واقواله في كتاب نال شهرة واسعة هو «الاحاديث والمحاورات». وكان «منشيس» الفيلسوف أبعد هؤلاء التلاميذ اثرًا. وظلّت

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

مبادئ كونفوشيوس المحرك الاول للعقل الصيني طوال الفي سنة تقريبًا، منذ تأسيس أسرة «هان» حتى سقوط اسرة «منشو».

ب – بعد كونفوشيوس: وشهد القرنان اللذان عقبا عصر كونفوشيوس حماسة فلسفيّة جدليّة منقطعة النظير. فعارض «مو – دي» آراء كونفوشيوس عن الله، وسبق پاسكال والمعرّي في القول بأن الدين مربح في مطلق الاحوال، وأضاف بان الحب الشامل هو الحل الوحيد للمشكلة الاجتماعيّة. بينما رأى الانانيّة مصدرًا لكل شر. أما الفيلسوف «يانغ – جو» فعلى العكس، أنكر وجود الله والبعث، ورأى في الحياة طريقًا للذة ليس إلّا. واما منشيس الكونفوشيوسي، فقد بنى فلسفته على المبدأ القائل بان الناس اخيار بطبيعتهم، وفساد الحكومات هو الذي يفسدهم ويخلق المشاكل الاجتماعيّة. والحاكم الصالح في رأيه هو الذي يحصر همه في شن حرب لا هوادة فيها على الفقر والجهل، لتوفير الرفاهية لجميع رعاياه، وإلا كان من حق الرعيّة الثورة عليه وخلعه.

ومن ظهر من الفلاسفة في العصور التالية، فقد تابع الجدل والمناقشة حول الافكار الفلسفيّة السابقة.

٢ – الأدب يعتبر الصينيّون أدبهم أرقى الآداب، ويختلفون عن غيرهم من الشعوب في أنهم لا يعدّون القصة بابًا من ابواب الأدب، بل مجرّد تسلية شعبيّة. ولذلك جاءت القصص الصينيّة من النوع التاريخيّ البطوليّ والغراميّ معًا. وكانت جميعها تمتاز بطولها. كقصة «هونغ – لو – من» (حلم الغرفة الحمراء) التي تتألف من **٢٤** مجلدًا، ورواية «الممالك الثلاث». وخلافًا للقصة، يعتبر التاريخ أجل الآداب شأنًا عند الصينيّين، وأحبّها الى قلوبهم. فمنذ اقدم العصور وجدت وظيفة مؤرخ البلاط. وأقدم كتب التاريخ هو ذاك الذي جمعه وهذّبه كونفوشيوس (كتاب التاريخ). واما اعظمها فهو كتاب «السجل التاريخي» الذي جمعه المؤرخ «زو – ما – تشين» لأحداث امتدت الى ثلاثة آلاف عام.

والشعر الصيني، على تنوّعه، يمتاز بالايجاز؛ لانه في نظرهم نشوة عابرة تموت اذا طال امدها. والمثل الأعلى للشاعر الصيني هو قدرته على جمع المعاني الكثيرة في أنغام قليلة. ومن أبرز شعراء الصين شاعر الحب

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

«لي – پو»، و «داو – تشين» الشاعر «الرواقي»، و «دو – فو» الشاعر الانسانيّ.

وعلى الرغم من ان الصينيّين لا يقرون بان التمثيل أدب وفن، فقد كتبوا العديد من المسرحيات دون ذكر اسم اصحابها ومؤلفيها. وكان للمسرح الصيني نشأة دينيّة. ولم يصبح فنًا قائمًا بذاته إلا بعد الاتصال بالمغول، وتسلّط هؤلاء على الحكم في الصين. وكانت المسرحية الصينيّة مزيجًا من التاريخ والشعر والموسيقى، ذات غاية اخلاقيّة اصلاحيّة، تنصر على الدوام الفضيلة على الرذيلة.

٣ً – العلوم الصينيّون أول من اعطى العالم فن الطباعة، والورق، والحبر، والعملة الورقيّة، والبارود، والبوصلة، وآلة تسجيل الزلازل. وقد اهتمّوا بعلم الجغرافية فدرسوا ظواهر الفلك، ووضعوا تقويمًا قمريًا. فجعلوا اليوم اثنتي عشرة ساعة والسنة اثني عشر شهرًا. وحدّدوا مواعيد الكسوف والخسوف. كما اهتم الصينيون بالعلوم الرياضيّة ولا سيما الهندسة. ونبغوا في الطب ونظّموا دراسته ومزاولته. وعرفوا العديد من الامراض، ووصفوا لها ما يناسبها من علاج.

التراث الفني

كانت الصين، طوال تاريخها، ترفض الاعتراف بوجود فوارق بين الفنّان والصانع. لأن المصنوعات الصينيّة في معظمها من عمل الأيدي الحريصة على إخراجها آية في الروعة والجمال. وما ذلك إلا نتيجة اهتمام الصيني بجعل كل ما يحيط به، أو ما يقع عليه نظره، من حروف الكتابة الى صحون الطعام، ترمي جميعها الى تجميل الجسم والمعبد والمسكن... وانطلاقًا من هذا المبدأ تفوّق الصينيّون في قطع اليشب (الجاد) وغيره من الأحجار الصلبة. وبرعوا في حفر الخشب ونقش العاج وصناعة الحليّ. كما عرفوا البرونز، واستخدموه في صنع العديد من التحف الفنيّة: قدور، دنان خمر، مباخر، مرايا، أسلحة، نواقيس، زهريات، تماثيل.

أ – اللّاك: ونشأ فن الطلاء باللّاك في الصين. وهو سائل يستخرج من لحاء شجرة تنمو في بلادهم، ويستخدم في طلاء الخشب الرقيق والمعدن والخزف عدة أدوار وبالوان مختلفة، ثم يصار الى نقش هذه الطبقات بآلة حادة بحيث تظهر اجزاء من كل لون. ولقي هذا الفن كل دعم من

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

عائلات: تانج – مينج – مانشو، وغزت الصين بروائعه اسواق العالم.

ب – النحت: ولم يكن النحت من الفنون الكبرى. فالصينيّون قد رفضوا اتخاذ الجسم البشري نموذجًا من نماذج الجمال. وفضّل فنانوهم تمثيل الحيوانات على تمثيل البشر. وقد قصر النحات الصيني تماثيله البشرية على القدّيسين البوذيّين والحكماء الدويّين، ولم يحاول اطلاقًا تمجيد الجسم البشري. ولذلك عندما فقد فنّ النحت دوافعه الدينيّة بعد أُسرة تانج، واصطبغ بصبغة دنيويّة شهوانيّة اثارت عليه الكهنة والمتمسكين بقواعد السلوك والاخلاق، اضمحلّ هذا الفن.(انظر ص ٣٢٣).

ج – فن العمارة: كانت العمارة من الفنون الصغرى عند الصينيين، ولم يبق من نتاج كبار البنّائين أي اثر يعود تاريخه الى ما قبل القرن السادس عشر – هذا اذا استثنينا الهياكل والقصور – ولعل من أبرز الأسباب التي حالت دون تشييد المباني القادرة على مقاومة الزمن، الإحساس المرهف الذي دفع البنّاء او المهندس الصيني الى نبذ العمائر الضخمة من جهة، وانعدام ثلاث قوى كانت وراء عظمة العمارة في البلدان الاخرى وهي: طبقة الكهنة القويّة، الارستقراطيّة الوراثيّة، الحكومة المركزيّة الكثيرة المال.

وابرز خصائص البيت الصيني هو السور العادي الذي يفصل المبنى الرئيسي عن الطريق العام. ويحيط هذا السور بالفناء وتتخلله عدة ابواب. ويختلف الفناء باختلاف الطبقات الشعبيّة. فبقدر ما يزداد صاحبه ثروة يصبح هو اكثر رحابة، ويتضمن البرك والحدائق. واما المنزل بحد ذاته، فهو عند الفقراء كئيب مظلم، مدخله عبارة عن دهليز ضيّق، وسقفه منخفض، وارضه من التراب، ويتضمن غرفة واحدة يتقاسمها افراد العائلة مع الخنازير والدجاج والكلاب. واما عند الاغنياء فتتعدد المباني والغرف حول الفناء الجميل. ومادة البناء هي على العموم الخشب والآجر، ونادرًا ما تظهر الحجارة إلا في الأسس.

ولا بد هنا من كلمة عن الهياكل والقصور. فالهياكل (الپجودات) تشرف على جميع المدن الصينية. وكانت تقام على شكل ابراج ثُمَانِيَّةِ الاضلاع، مشادة من الآجر، وترتفع فوق قواعد من الحجارة خمس طبقات أو سبعًا أو تسعًا. وأشهرها تلك المقامة على جبل «سونج – شان» المقدّس في هونان

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

سنة ٥٣٢ م، وأروعها منظرًا بجودة اليشب في «پكّين»، وبرج الخزف في «نانكنغ».

واما اجمل الهياكل الصينية فهو هيكل كونفوشيوس الذي شيد في القرن الثالث عشر الميلادي، في العاصمة پكين. واجمل من هذه الهياكل، واكثر منها رونقًا وجاذبية القصور المزينة التي تمتاز جميعها بالعمد الرفيعة والنوافذ المتشابكة، والالوان الكثيرة الزاهية، والرفارف المقوَّسة المتجهة الى اعلى نحو السقوف القرميديّة الضخمة.

د – الرسم: مارس الصينيون فن التصوير واجادوا فيه، وكانت لهم خصائصهم الفريدة في هذا المجال. منها انهم رسموا على شاشات كبيرة قابلة لِلّف، واحتقروا المنظور والظلال في الصورة؛ فالشكل هو كل شيء في الصورة الصينيّة، ولم يكن السبيل الى اجادته الاكثار من الالوان والتزويق بل الانسجام والدقة في الخطوط، وهذا يتطلب دقة في الملاحظة، وارهافًا في الشعور، وضبطًا في الاحاسيس. ولم يهتم الفنان الصيني يومًا بواقعية ما يرسم، لان هدفه كان دائمًا الايحاء وليس الوصف. لقد ترك الحقيقة للعلم ووهب نفسه للجمال. (انظر ص ٣٢٣).

وبما ان الشكل هو كل شيء في الصورة، فمن الممكن ان يكون الموضوع اي شيء كالازهار والحيوانات، لان الانسان نادرًا ما كان موضوعًا للرسم. فالطبيعة على الدوام هي مصدر الوحي للفنان الصيني الذي اعطى صورًا طبيعية هي افضل ما عبّرت به الانسانيّة عن مشاعرها. ولقد نشأت في الفنّ الصيني مدرستان: إحداهما شماليّة اتباعيّة متمسكة بالتقاليد الصارمة وبقيود العفّة والوقار، عنيت عناية فائقة بابراز نماذج متقنة للاشكال التي تصوّرها لتبدو واضحة الخطوط والمعالم، وابرز اساتذتها «لي – سو – شون». والثانية جنوبية ثارت على القيود والواقعيّة البسيطة، ولم ترَ في الاشياء إلا عناصر في تجارب روحيّة او نغمات في مزاج موسيقي. وكان رائد هذه المدرسة الفنان «وانج – واي» الشاعر والمصوّر معًا، فعمل على ربط فنَّي الشعر والرسم وخلق الصورة المعبّرة عن القصيدة.

هـ – الخزف: وكانت صناعة الخزف من الفنون الكبرى عند الصينيّين، تفوّقوا فيها على كل الامم. وصناعة الفخّار مارسها الصينيّون منذ العصر

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

من النحت الصيني.
مدخل قصر صيفي
في جيهول

من الرسم الصيني

بوذا

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

الحجري ، وبدأوا يتفنّنون فيها ويجعلونها شبيهة بالزجاج منذ عهد اسرة «هان» (٢٠٦ ق.م.). وكان انتشار عادة شرب الشاي في عهد اباطرة «تانج» باعثًا قويًا على تقدم فن الخزف. وفي عهد اسرة «سونج» بلغ الخزف الصيني ذروة مجده، وقمة اتقانه. وحاول فنّانو أسرة «مينج» جهدهم للمحافظة على المستوى الذي وصل اليه الخزف الصيني ، واصبح من اثمن الهدايا التي يتبادلها الملوك في العالم. وتنوعت المصنوعات الخزفية كما تعددت الوانها وظهرت بِحُلَّةٍ غاية في الدقة والروعة والجمال.

و – الموسيقى: اما الموسيقى فلم تكن فنًّا قائمًا بذاته عند الصينيّين، بل كانت مرتبطة بالدين والمسرح. وقد تضمّن كتاب «المراسم» الذي جمعه كونفوشيوس عدّة رسائل في الموسيقى. وفي عهد «كونغ – فو – دزه» تمّ وضع السُلَّم الموسيقي الصينيّ (دو – ري – مي – سول – لا). وعرف الصينيّون تقسيم البعد الكليّ في الموسيقى الى اثني عشر نصفًا من انصاف النغمات. وكانوا يفهمون التوافق في الألحان. وشملت آلاتهم الموسيقيّة الناي والبوق ، والمزمار ، والصفارة، والكمان ، والدف ، والطبل ، والاجراس ، والصنوج.

المعتقدات الدينية

تركز المجتمع الصيني على خليط عجيب من الدين والاخلاق والفلسفة. فالصينيّون من أشد الشعوب تمسّكًا بالخرافات ، ومن اكثرها تشككًا ، وأعظمها تقى ، وابعدها تحررًا من سلطة الاكليروس.

ولم يكن دين البدائيين يختلف عن دين غيرهم ممن عبدوا مظاهر الطبيعة لأنهم خافوا منها وعجزوا عن تفسيرها فعبدوها. وكانت الارض والسماء في هذا الدين البدائي شطرَيْن في وحدة كونيّة عظيمة عملها الاسمى هو التكاثر والنموّ. والسماء الشاملة لكل المخلوقات والاشياء هي الإله الاعظم في نظرهم.

أ – عبادة السماء والعظماء: ومن هذا المنطلق برز العنصران الرئيسيّان في دين الصين القومي: عبادة الاسلاف المنتشرة بين جميع طبقات الأمة، وعبادة السماء وعظماء الرجال التي تدعو اليها الكونفوشيوسيّة. ومع الزمن اخذ إجلال الناس لكونفوشيوس يتعاظم حتى اصبح ، بفضل ما صدر عن

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

الاباطرة من مراسيم، في المكانة الثانية بعد السماء، تشاد له الهياكل ويحرق البخور، وتقدّم القرابين. ومن الأصول المقررة في هذه الديانة الاعتراف بالقوة العليا المسيطرة على العالم (شانج - تي)، وكان الامبراطور يقوم، مرة في السنة، بتقديم القرابين لشانج - تي. ولكن هذا الدين خلا من أيّة اشارة للخلود.

غير ان بساطة هذه العقائد لم تشبع خيال الصينيّين، فعرفت الخرافات، والتنبؤات، والرقى السحريّة طريقها الواسع الى نفوسهم، واخصبت خيالهم، واشبعت رغباتهم المتطلّعة نحو المجهول.

ب - الدويّة: وفي مطلع القرن الثاني للميلاد، استغلَّ بعض الفقهاء عقيدة المعلّم القديم «لو - دزه» الغامضة (وإليه تنسب الدويّة)، وصاغوها تدريجيًا في دين جديد. لقد كانت الدويّة في رأي صاحبها طريقة للحياة تهدف الى تحقيق السلام الشخصي في هذه الدنيا، فحوَّلها الفقهاء وادّعوا وجود إكسير، وصل اليهم من صاحب الطريقة، يهب صاحبه الخلود. ولهذا اقبل الناس على الدين الجديد الذي يمنحهم الخلود، وشادوا له الهياكل، واغدقوا على كهنته العطاء، وتحول «لو - دزه» الى إله معبود. واشتدّ الصراع بين اتباع الدوية واتباع الكونفوشيوسية في كل انحاء البلاد.

ج - دخول البوذية: ومنذ مطلع القرن الاول الميلادي، كانت البوذيّة قد بدأت تتسرب الى الصين. غير ان هذه البوذية لم تكن عقيدة بوذا القائمة على الزهد والتقشف، بل كانت دينًا يدعو الناس الى الايمان المبهيج بآلهة تعين البشر في أعمالهم، وتعدهم بجنة ذات ازهار ورياض.

وبعد سقوط اسرة هان، سادت الصين فترة من الفوضى والاضطراب، فوجد الصينيون في البوذيّة خير ملجأ لهم. وفتحت الدوية ذراعيها لاحتضان الدين الجديد وامتزجت به. وبعد مقاومة يائسة اضطر الاباطرة الى الرضوخ والقبول بالامر الواقع. وعلى الاثر اقيمت الهياكل والاديرة، وتعددت المزارات، وكثرت الاحتفالات، ورافق ذلك ازدهار في فنون التصوير والنحت والعمارة والآداب، وتقدمت الطباعة. ولكن سرعان ما تسرَّب الفساد الى كهنة ورهبان الدين البوذي فتمكنت الكونفوشيوسية منها، بعد ان اعاد «جو - شي» لها رونقها ونهض بها. (انظر تمثال بوذا ص ٣٢٣).

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

د – الايمان الصيني: بالرغم من انتشار الديانات المارّ ذكرها بقي الصينيّ متمسكًا بالدنيويّة. فجل ما يشغل باله هو ان يعيش بخير في هذه الدنيا، وصلاته تتوجه دائمًا نحو هذه الغاية، دونما أي اشارة للجنّة. ومن المعروف عن الصيني انه، اذا لاحظ عدم استجابة إلهه الى دعائه، شتمه وقذف بتمثاله الى النهر. وفي اللغة الصينيّة قول مأثور بهذا المعنى، مفاده: «ليس بين صانعي التماثيل والصور من يعبد الآلهة، فهم يعرفون من أي مادة تصنع».

لهذه الاسباب لم يقبل الصيني بحماس على المسيحيّة والإسلام، فكلتا الديانتين تعدانه بالخلاص في الآخرة، وهو يطلب السعادة في هذه الحياة الدنيا. وقد وصلت الاولى الى الصين في القرن السابع الميلادي، على يد المبشرين النساطرة، اما الاسلام فقد وصلها على يد الاتراك والمغول. وبقي تأثير الديانتين محدودًا، واقام الصينيّون على معتقداتهم القديمة المتشابكة والمتنافرة أحيانًا، دونما تعصّب لأي منها.

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

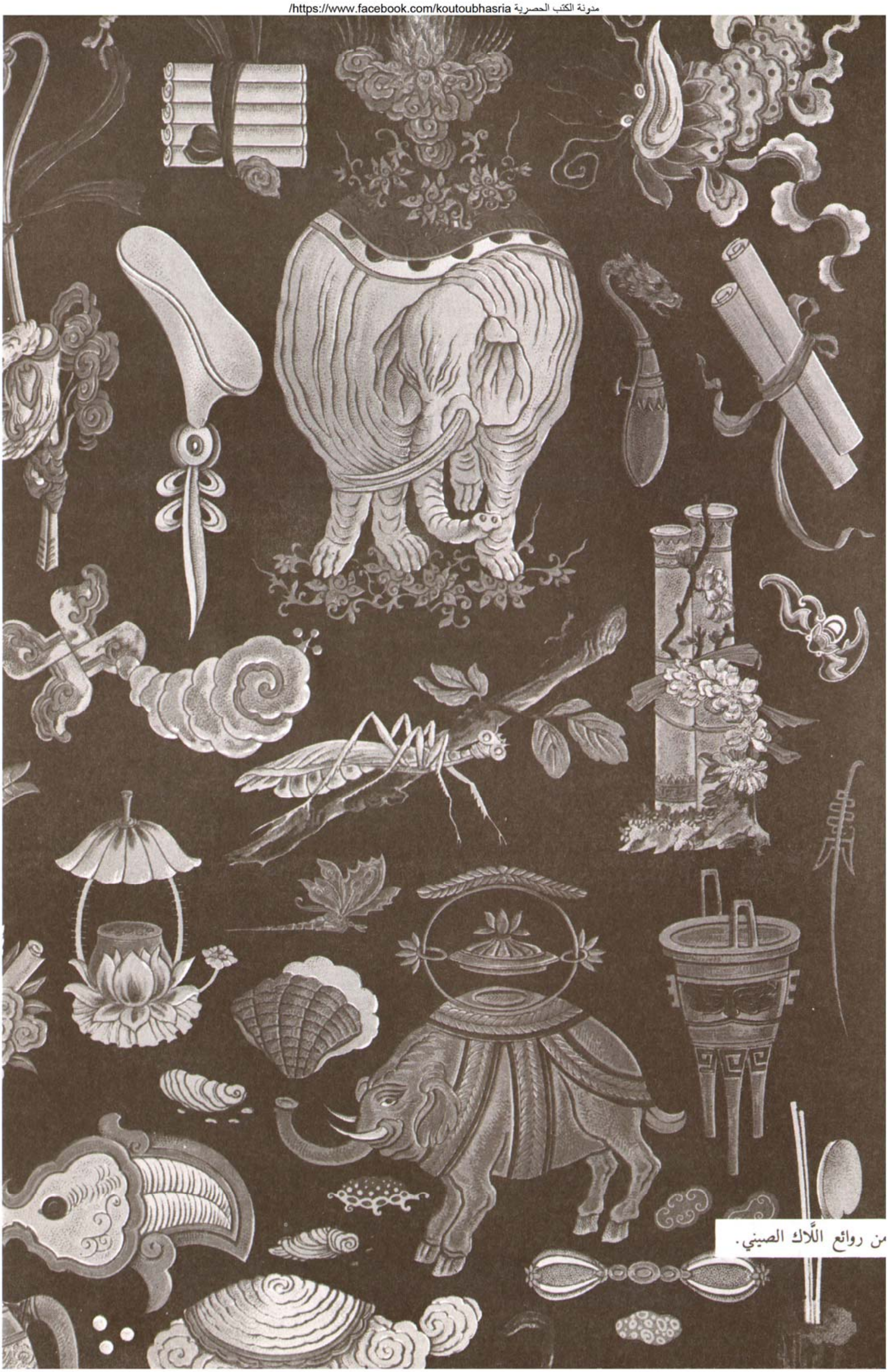

من روائع اللَّاك الصيني.

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

٤٧ نَهضَة الآدَاب

التململ خلال القرون الوسطى، تميّزت الحياة في أوروبا بمظهرَيْن: النظام الاقطاعيّ وسيطرة الدّين. وعند حلول القرن الخامس عشر، تململ المجتمع محاولاً التفلّت من سلطان هذَيْن العاملَيْن. وتفكّكت أواصر الوحدة الكاثوليكية، وتبلور مفهوم الوطن؛ فكانت الدول مثل فرنسا وانجلترا واسپانيا والمانيا... وسيطرت اللّغات القوميّة على حساب اللّغة اللاتينيّة التي كانت وحدها لغة الأدب والعلم والدّين.

واتسعت دائرة المعارف، وتعدّدت الاكتشافات وأبرزها الطِباعة. ووجّهت التجارة البحريّة ضربة قاصمة للنظام الاقطاعي. وتكاثر عدد المدن المستقلّة كجنوى والبُندقيّة ومرسيليا... وبرزت الطبقة البرجوازيّة (التي تسكن المدن)، وتبدّل وجه المجتمع.

وزاد بؤس الحروب والأمراض والمجاعات من نقمة الناس. وشعروا بالحاجة الى الانعتاق، والانصراف الى مباهج الحياة ومسرّاتها، وضاقوا ذرعًا بالتقشّف وإعداد العدّة للحياة الآخرة واهمال المادّة في سبيل الروح. وبدأوا يتلمّسون في الحياة المادّية مظاهر جديرة بالتقدير. ونفروا من الملل الذي يعتري حياتهم، وتمرّسوا بمظاهر البهجة يحاولون بها نسيان الماضي والهروب من الحاضر. فوجدوا في ألوان الطبيعة والنَغَم العذب والرسم والنحت والشعر والأدب ملاذًا جميلا.

وانعتق الفنّان من عقال الدّين، ساعيًا وراء الموضوعات العلمانيّة والألوان الزاهية، مستوحيًا من القديم ليصوغ بقالب جديد. فتعلمن الفنّ، وتشعبت موضوعاته لتعبّر عن الفرديّة في الشعور. واضحى الانسان، في ميدان الفنّ شأنه في ميدان الفكر والادب، محور النماذج والموضوعات.

النهضة ونظلم القرون الوسطى اذا نسبنا اليها كل مظاهر الانحطاط، لان القرن الخامس عشر بنوع خاص – أو ما عبَّر عنه الايطاليّون باسم «كاترو شنتو» (Quatro Cento) اي «اربع مئة» لأنه يبدأ بعام ألف وأربعماية –

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

غوتمبرغ ، رائد الفنّ الطباعي

رونسار ، ابرز شعراء الثريّا

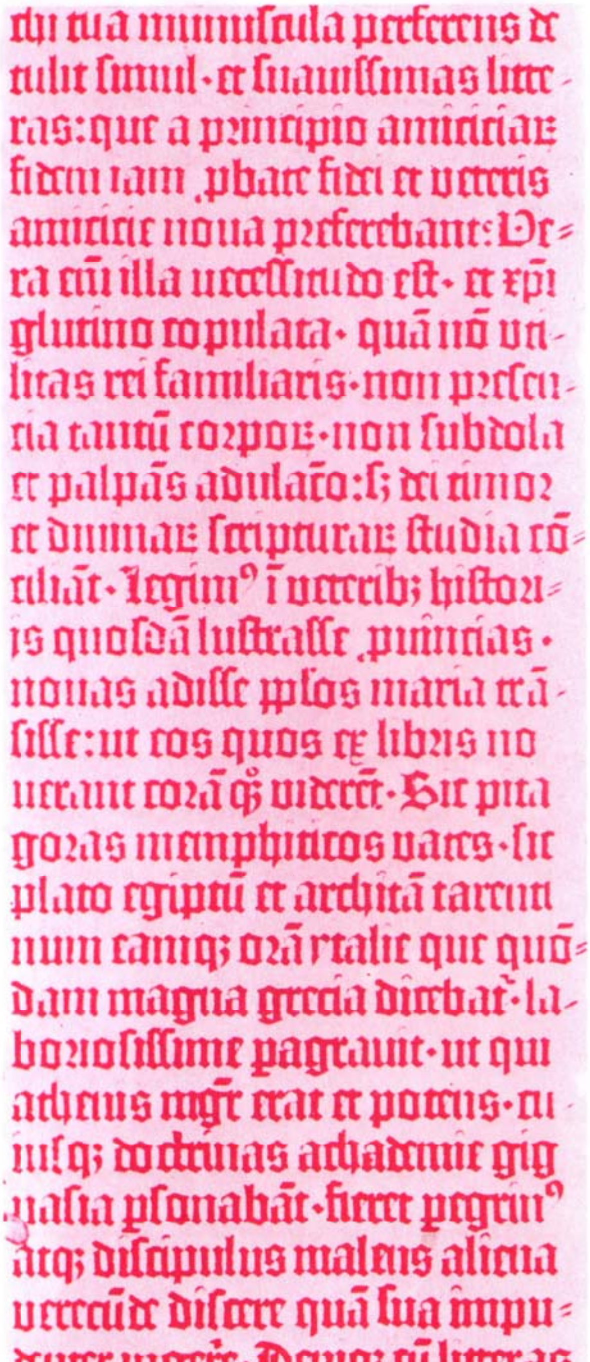

qui tua munuscula perferens de
tulit simul · et suauissimas litte-
ras: que a principio amicitiarum
fidem iam probate fidei et ueteris
amicicie noua preferebant: Ve-
ra enim illa necessitudo est · et xpi
glutino copulata · quā nō uti-
litas rei familiaris · non presen-
cia tantum corporum · non subdola
et palpans adulatio: sed dei timor
et diuinarum scripturarum studia cō-
ciliant · Legimus in ueteribus histori-
is quosdam lustrasse prouincias ·
nouos adisse populos maria trā-
sisse: ut eos quos ex libris no-
uerant corā quoque uiderent · Sic pita-
goras memphiticos uates · sic
plato egiptum et architam taren-
tinum eamque orā ytalie que quō-
dam magna grecia dicebatur · la-
boriosissime peragrauit · ut qui
athenis mgr erat et potens · cu-
iusque doctrinas achademie gig-
nasia personabant · fieret peregrinus
atque discipulus malens aliena
uerecunde discere quā sua impu-
denter ingerere · Denique cum litteras
quasi toto orbe fugientes persequi-
tur · captus a piratis et uenunda-

اول طباعة اخرجتها مطبعة غوتمبرغ

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

هو امتداد للقرون الوسطى وفاتحة لعصر النهضة. فيكون التململ اذاً قد بدأ في القرون الوسطى وبلغ مداه الأوسع في القرن السادس عشر. لذلك يختلف المؤرّخون حول تاريخ بدء النهضة. ولكن المسلَّم به ان اوروبا، عند سقوط القسطنطينيّة في يد العثمانيّين (١٤٥٣)، اضحت اكثر تقبّلًا لثورة شاملة بدّلت وجه الحياة فيها.

وليس من المعقول ان تنبثق النهضة من لا شيء. فقد رجع أركانُهَا الى التراث الاغريقيّ والرومانيّ القديم، او ما يسمّى بالتراث الكلاسيكيّ، فاستقوا من معينه مبادئ وموضوعات صاغوها بقالب يلائم العقليّة المتحرّرة. فتكون النهضة اذاً ردّة على القرون الوسطى واستقاءً من العصور القديمة وتعبيرًا بقالب حديث.

دور الطباعة

قامت الطباعة بدور فعّال في نهضة الأدب والفكر والفلسفة. فهي ابتكار بسيط في الظاهر ولكنه ثوريّ النتائج. اكتشفه ألماني اسمه «غوتمبرغ» حوالى سنة ١٤٥٠. وكان الانجيل المقدس اول كتاب اخرجته المطبعة. فانتهى عهد المخطوطات الباهظة الثمن والمليئة بالاخطاء. وتعدّدت النسخ عن الكتاب الواحد وعمّمت الفائدة. ولم تعد المخطوطات محدودة التأثير، لأنها انتشرت بسرعة وكثر عدد المطّلعين عليها. (انظر ص ٣٢٩).

ومع الطباعة انقضى عهد التعليم الشفويّ، حيث للذاكرة الدور الاكبر. وفقد رجال الاكليروس امتيازًا خاصًا بهم، لان التعليم كان مقصورًا عليهم، نظرًا لغنى مكتباتهم بالمخطوطات. ومع الطباعة أيضًا بدأ عهد التعليم بالكتاب وبالنصوص. فكان ذلك اساس ثقافة جديدة هي «الثقافة الانسانية».

الثقافة الانسانية (humanisme)

بعد ان سيطر الدّين على مرافق الحياة، لم يجرؤ المفكّرون والباحثون على تعليل الأشياء بمنأى عن الدّين. فالدّين يتغلغل في كل الأمور، ويطغى على كل عقلية أو تفسير. وكردة فعل ضدّ هذه الذهنية، ظهر لدى المفكّرين تعطّش الى المعرفة المتحررة. وقوي لدى المثقفين الحدس بأن تبدلًا جذريًا سيطرأ على حياتهم. فنبذوا التقاليد. واهتمّوا بالإنسان كأساس ومرجع لكل نشاطاتهم. ومن هنا تسميتهم «بالانسانيين».

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

ومن هنا ايضًا رجوعهم الى التراث الكلاسيكي الاغريقي والروماني. حيث ينتفي الكبت وكُرْهُ المادة والحياة، وحيث تَعَشُّقُ الحياة والبهجةُ المتمثلةُ في آثار الأقدمين من فنّ وفكر وأدب. ولم يعد يكفيهم من آثار الأقدمين ترجمتها او تحليلها ونقدها، بل راحوا يفتّشون المكتبات سعيًا وراء المخطوطات القديمة ينقّحونها وينشرونها. وقرعوا أبواب الأديرة باعتبارها أغنى الأمكنة بالمخطوطات ورحّبوا بالعلماء الآتين من الشرق (بيزنطية) ليساعدوهم في الوصول الى النصّ الاصلي للمخطوطات. ولما سقطت القسطنطينيّة في يد العثمانيّين (١٤٥٣ م)، هلّلوا لفرار علمائها نحو الغرب.

وتضخّم عدد المكتبات العامّة والتـأم المثقّفون في جمعيات دُعيت بالاكاديميات. وهيأ «الانسانيون» للمجتمع ثقافة جديدة، بعيدة عن سلطان الدّين، قريبة من العقل والمنطق. وكرّسوا الانفصال بين «الايمان والعقل». فانبعثت في اوروبا ذهنية جديدة تطعّمت بها التيّارات الفكريّة والعلميّة والفنيّة والادبيّة. ولم تسلم الكنيسة الكاثوليكيّة من خطر انتشار «الثقافة الانسانيّة». فكانت عليها تهجمات انتهت بانفصال البروتستانتيّين عنها.

أدب النهضة

وانطلاقًا من المقاييس الجديدة، بثّ الأدباء افكارهم عبر كل اوروبا. وباستثناء قِلّةٍ ضئيلة اشهرها «إراسموس»، أعرض الأدباء والشعراء عن اللّغة اللاتينيّة. وعبروا عن أفكارهم بلغاتهم القوميّة. فكان لكل بلد نهضته الخاصّة.

أ – في ايطاليا: في القرن الثالث عشر برز الشاعر دانتي (١٢٦٥ – ١٣٢١) في ملحمته «الكوميديا الالهية». تخيل فيها الجنّة والجحيم وحالَ الأعلام البارزين فيهما. وهذه الملحمة المكتوبة باللّغة القوميّة كانت فاتحة العهد الادبيّ الايطاليّ. (انظر ص ٣٣٥).

وفي القرن الرابع عشر لمع إسمان آخران كانا القدوة لسائر أدباء اوروبا؛ وهما بترارك وبوكاتشيو. وبترارك (١٣٠٤–١٣٧٤) فلورنسيّ الاصل، نُفِيَ الى فرنسا. وهنالك نظم قصائد غزلية نسجها بوحي من الأدب الكلاسيكيّ.

أمابوكاتشيو (١٣١٣–١٣٧٥) فهو تلميذ بترارك وصديقه. صرف شوطًا من عمره في التفتيش عن المخطوطات القديمة. فكان أول ناثري ايطاليا في عصر النهضة. ترك مجموعة من القصص دعاها «ديكاميرون». (ص ٣٣٣).

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

وأول المفكرين في أواخر القرن الخامس عشر هو نقولا مكيافيلّي (١٤٦٩–١٥٣٧). اديب يسَّرت له وظيفته افكارًا في الحكم دوَّنها في كتاب شهير دعاه «الأمير». واتخذ من «قيصر بورجيا» مثال الحاكم. ويتلخص مبدأه السياسي بعبارة: «الغاية تبرّر الوسيلة» حتى ولو كانت مغايرة للاخلاق. وفي هذا إعراض عن قواعد المسيحيّة وخروج على سلطة الدّين، وعبر بعضهم عن ذلك «باليقظة الوثنية».

أَما «أَريوستو» (١٤٧٤–١٥٣٣) فقد ترك قصة شعرية ساخرة، بطلها فارس سخيف دعاه «اورلاندو فيريوزو». وظلت القرون الوسطى من جهة والحميَّةُ الدينيّةُ من جهة اخرى مصدر الإلهام بالنسبة للشاعر «**تاسّو**» (١٥٤٤–١٥٩٥) واضع ملحمة «اورشليم المنقذة». كما ان الاهتمام بالمظاهر والتعلق بالمادة والتربية المدنية والاجتماعية برزت كلها في كتاب «رجل البلاط» لكاتبه «كاستيغليوني» ١٥٢٨.

ب – في فرنسا: تأثرت النهضة الفرنسيّة بسلسلة «الحروب الايطاليّة» (١٤٩٤–١٥٤٧)، حيث طمع ملوك فرنسا بمناطق من ايطاليا. وحسبهم انهم رجعوا منها بغنم أدبيّ وفنّي كان فاتحة النهضة في بلادهم. واهتمَّ الملك فرنسوا الأول بتشجيع «الثقافة الانسانيّة». ووكل الى «غليوم بودي» امر تنظيم التعليم الجامعيّ. وشجّع اللّغات القديمة كاللاتينيّة والاغريقيّة والعبريّة واللغات الشرقيّة كالعربية.

وأول الشعراء كان «فرنسوا ڤيلّون» (–١٤٨٩)، مشاغب وشاعر، حكم عليه بالإعدام. فنظم بانتظار الموت قصيدة مؤثرة بلغ فيها الذروة. وقد عفي عنه فيما بعد. واعتبر ڤيلُّون من منبهي الأدب الفرنسي الى النهضة. أما «**مارو**» فقد ترسّم خطى الشاعر الايطالي پترارك. وكانت له جهود حميدة في خدمة اللغة القوميّة الفرنسيّة.

واخيرًا ولدت «الثريّا» من مجموعة أدباء. ووضعت نصب عينيها إنهاض اللغة الفرنسيّة وإغناءها بالمفردات لتضاهي اللغات القديمة. وسَخَّر لها «يواكيم دوبيليّ» (١٥٢٥–١٥٦٠) اقصى إمكاناته الادبيّة. انما ابرز شعراء الثريّا هو «**رونسار**» (١٥٢٤–١٥٨٥)، فهو شاعر حق أعطى الادب الفرنسيّ ما كان يعوزه حتى ذلك الوقت من نفحة شعريّة وجدانيّة. (ص ٣٢٩).

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

أريوستو

ارسموس

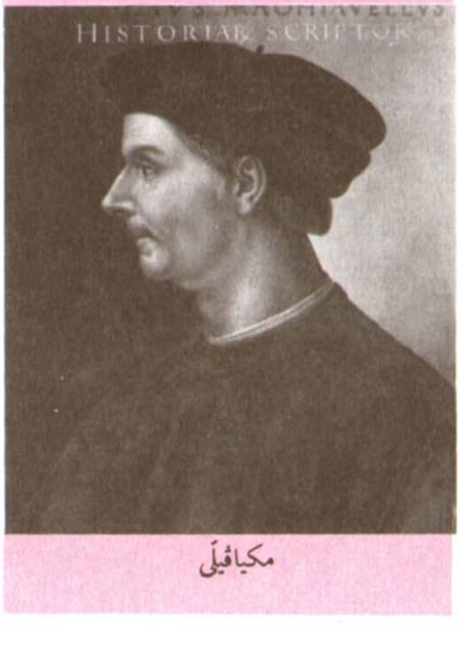

مكيافيلّي

ڤيلّون

بوكاتشيو

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

وفي النثر يطالعنا اسم «رابليه» (١٤٩٠–١٥٥٣) الكاهن الطبيب. وضع كتابًا هازئًا عن عملاقين ليسلّي مرضاه. ويُستوحى من كتابه الطريقة التعليميّة التي تسعى الى تلقف المعارف دونما إصرار على هضمها. أما مونتين (١٥٣٣–١٥٩٢) فقد استحق عن جدارة لقب المفكر في كتابه «التجارب». وناقض فكرة «رابليه» في التعليم، اذ شدد على هضم المعلومات اكثر من تشديده على جمعها.

ج – في انكلترا: وفي انكلترا تقدم الادب القومي بخطى كبيرة. فبرز اسم «تشوسر» (١٣٤٠–١٤٠٠) كشاعر ثمَّ ككاتب عندما وضع مجموعة قصص سمّاها «حكايات كانتربوري». ومن بعده مرَّ الادب الانكليزيّ بفترة ركود حتى ظهور «سپنسر» (١٥٢٢–١٥٩٥).

وتميز احد وزراء هنري الثامن «توماس مور» (١٤٧٨–١٥٣٥) بانسانيته الجريئة. ووضع كتاب «الطوبى» (Utopie) تخيّل فيه أفضل المجتمعات. ولكن جرأته وايمانه كلّفاه حياته عندما رفض ان يماشي هنري الثامن في اصلاحاته الدينيّة. اما «كريستوفر مارلو» (١٥٦٤–١٥٩٣) فقد اهتمَّ بالمسرحيّات. وبلغ من التحرر الأدبيّ ان نظم شعرًا غير مقفىً.

واخيرًا ظهر «شكسپير» (١٥٦٤–١٦١٦) الذي جمع في شخصه امكانات ادبية لا حصر لها. فلم يُسِفّ في اي من فنون الشعر. ووضع المسرحيات فحلّق ولم يُجَارَ. وحبا اشخاص مسرحيّاته قوة مثالية حتى نخالهم احياء يرزقون. واشهر مسرحياته: عطيل، ومكبث، والملك لير، وهاملت، وروميو وجوليت.

د – في اسپانيا: اطلعت النهضة الاسپانية «سِرْفَنْتِس» (١٥٤٧–١٦١٦) واضع قصة «دون كيشوت»، حيث امتزج الواقع بالخيال، وضمّنها نقدًا للاوضاع الشاذة السائدة في عصره.

وبينما كان الأدباء والشعراء يعبّرون بلغاتهم القومية. كان «إرسموس» (١٤٦٦–١٥٣٦) الهولنديّ المولد والاوروپيّ الفكر يفضل التعبير باللّغة اللاتينية. وبالرغم من سعة اطلاعه، وامكاناته النادِرة في الكتابة، ظل تأثيره مقصورًا على فئة معينة، قادرة على قراءة اللّغة اللاتينيَّة. ولا تنكر محاولاته في التوفيق بين «الثقافة الانسانيّة» والتيار الدّيني.

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

تاسّو

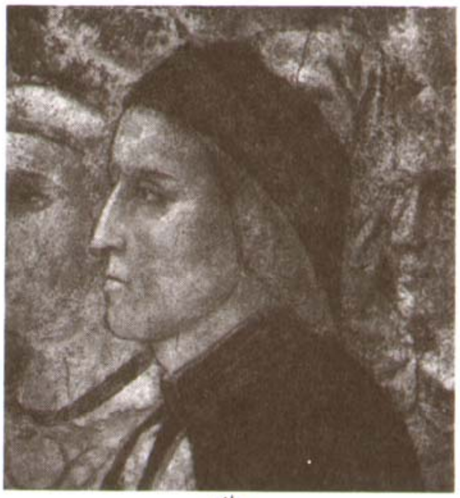

دانتي

سرفنتس

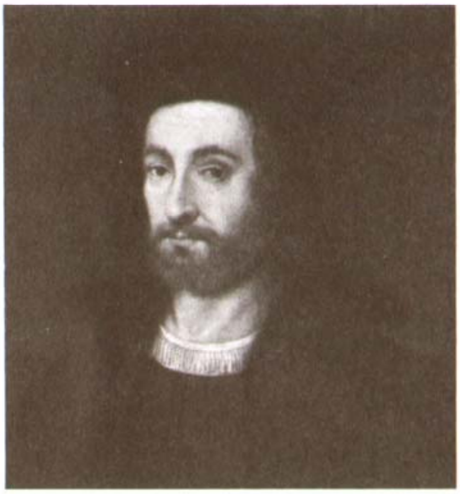

رابليه

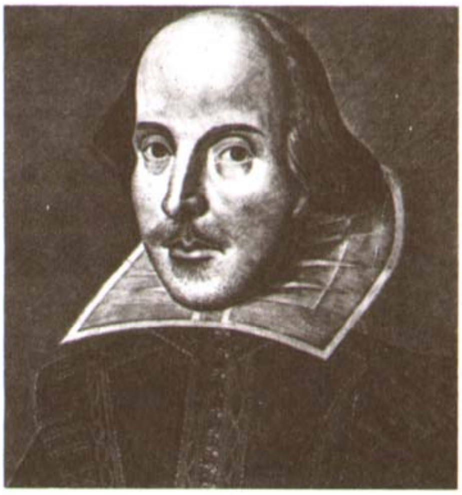

شكسبير

پترارك

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

٤٨ نهضة الفنون والعلوم

أ – في ايطاليا استفاد الفن الايطالي من سخاء الأثرياء وحماية المتنفّذين أو «الميسين»، (Mécènes) تشبهًا بوزير «أغسطس قيصر» المعروف باسم «ميسين». وأفاد الفنّانون من الاوضاع السياسيّة والاجتماعيّة والفكريّة. فسبقت الحواضر الايطاليّة مثل فلورنسا وروما والبندقيّة غيرها من المدن الى الخلق والابداع.

ففي الرسم كان «مازاتشيو» (Mazaccio) (١٤٠١–١٤٢٩)، على قصر عمره، الرائد الأول من حيث بُعد التأثير والتعبير الداخليّ ومن حيث التقيد بقانون الأبعاد (perspective) في جدرانياته. ومعه بدأت انطلاقة الفنّ الحديث في الرسم. ثم الراهب «فرا انجليكو» (Fra Angelico) (١٣٨٧–١٤٥٥) الذي رسم الوجوه القدّيسة المعبّرة والمؤثرة. أما بوتيشللي (Boticelli) (١٤٤٥–١٥١٠) فكان نقطة تحول، لانه اهتم بالموضوعات العلمانية، وضجّت لوحاته بالالوان الزاهية والطبيعة فكأنه في قلب النهضة.

ورافقت نهضة الرسم أعمال ضخمة في ميدانَي النحت والبناء، وأبرز الأقدمين من النحّاتين «جيبرتي» (Ghiberti) (١٣٧٨–١٤٥٥) ثم «دوناتلّو» (Donatello) (١٣٨٦–١٤٦٦) الذي امتاز بالقدرة التعبيرية. واستوحى المهندسون امثال «برونلّتشي» (Brunelleschi) من النماذج القديمة، رومانيّة كانت أم اغريقيه. فمهدّ بذلك الطريق امام «برامانت» (Bramante) و «پالّاديو» (Palladio)

هكذا يكون القرن الخامس عشر او «الكاترو شنتو» قد أعدَّ لمجيء الأعلام الكبار من امثال دي ڤنشي، ورافايل، وميكال انجلو... الذين توجوا النهضة في القرن السادس عشر.

وليوناردو دي ڤنشي (١٤٥٢–١٥١٩) لم يكن لعبقريته حدود، وامتازت بالشمول. فقد اهتم بجميع الموضوعات الفكريّة والعلميّة والفنيّة. ترك القليل من اللوحات، ولكنه رسمها بقدرة فائقة. اشهرها «الموناليزا» والعشاء السري. واحاط اشخاصه بإطار من الغموض السحريّ، سواء في نظرتهم وابتسامتهم أم في الجو المحيط بهم.

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

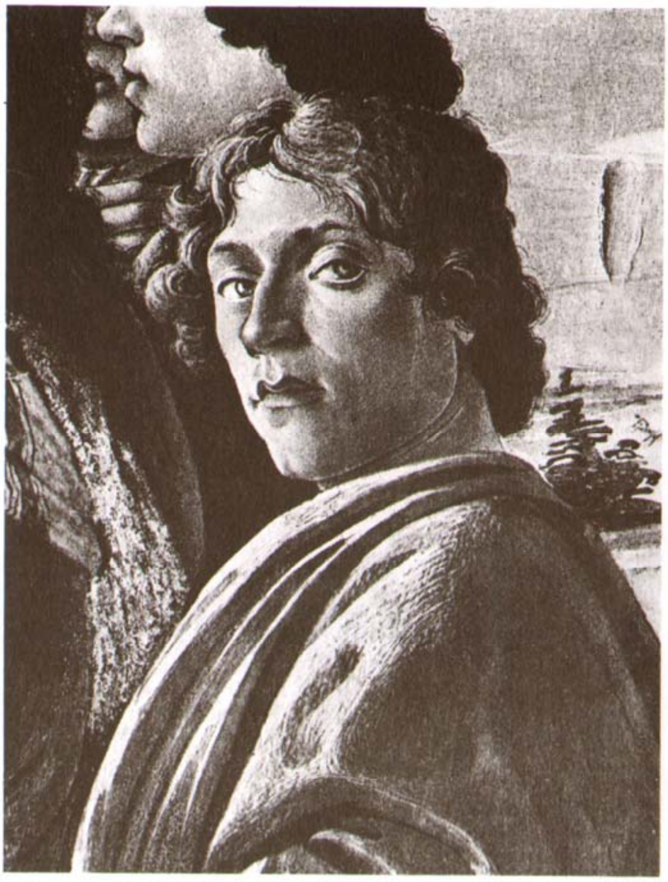

بوتشيللي ، بريشته

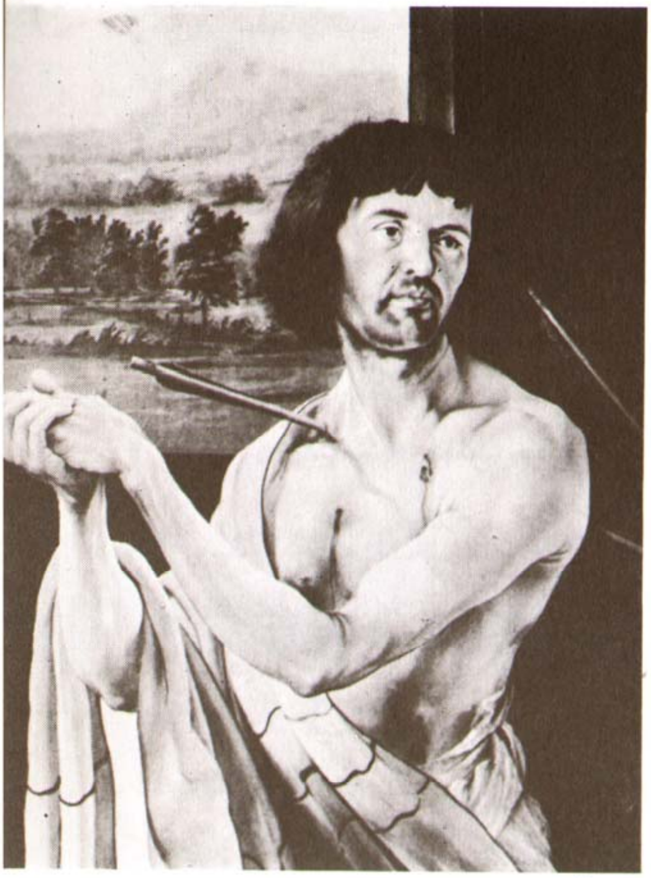

غرينوالد ، بريشته

دورير ، بريشته

ڤيرونيز ، بريشته

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

أما رافايل (١٤٨٣–١٥٢٠) فقد عمل ردحًا طويلًا في تزيين «الڤاتيكان». أُعطي موهبة العمل ببساطة وسهولة نادرتين، فنطقت وجوه أشخاصه بالنبل والجمال. ولعل شخصيته الهادئة هي وراء تعابير ابطاله.

وميكال انجلو (١٤٧٥–١٥٦٤) نفسيّة مضطربة شديدة الحساسيّة. عاش حياته الفنيّة في ظل عقدة الإتيان باعمال نادرة. فتملّكه الغرور ولم يرضَ عن اعماله على عظمتها. اهتم بالنحت اولًا ثم بالرسم والهندسة، فبزَّ جميع اقرانه. وتهافت عليه اثرياء فلورنسا من آل مدتشي، فنقش لهم التماثيل ونحت القبور، واستدعاه البابا يوليوس الثاني للعمل في روما. فاقام القبة الشهيرة فوق كاتدرائية القديس بطرس، ولكن الوفاة عاجلته قبل الانتهاء من نحت قبر البابا يوليوس الثاني. (انظر ص ٣٤١).

أما «تيتيان» (Titien) فقد ترك حوالى اربعة آلاف لوحة، وڤيرونيز (Veronese) اشهر ما لديه لوحة «عرس قانا»، ومعهما نذكر كوريجيو (Corrège).

٢ – ميزة الفنّ الايطالي البارز في نهضة الفن في ايطاليا انها عدّدت من مصادر الايحاء، فكانت موضوعاتها علمانيّة ودينيّة، حديثة وقديمة. ولم تنقد انقيادًا اعمىً لسيطرة الدّين كما في القرون الوسطى. وخرج الفنّان من عزلته ليوقّع لوحاته ويباهي بها. وفي ذلك بروز «للفرديّة» لم يكن في السابق، حيث طمس النسيان شهرة الكثيرين.

وفي البناء عادت الأشكال الرومانيّة والاغريقيّة الى البروز، وولّى عهد الفنّ القوطي باقواسه العالية وزجاجياته، مما يلائم الأجواء الغائمة والضباب في غربي اوروپا وشماليها، لا سماء ايطاليا الزرقاء وشمسها الساطعة. وبرزت الأعمدة والافاريز والنقوش على الطريقة القديمة. وانفصل النحت عن البناء ليصبح فنًّا مستقلًا بذاته. واهتم النحّاتون بابراز جمال الجسد بعد ان اطّرحوا «الحياء المسيحي» الذي فرض على الفنان ستر الجسم دائمًا وستر الشعر احيانًا.

وليس كالنهضة الايطالية قدرة على الانتاج؛ فما انبتته ايطاليا خلال هذه الحقبة قصَّرت عنه بقية العصور والامم. واستطاع الفنّان الايطاليّ

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

ان يتمتع بشهرة جاوزت حدود بلاده الى العالم الاوسع .

وتعدّدت منابت النهضة نتيجة لليسار المادّي ، فلم تقتصر على مدينة معيّنة ، بل حاول كل ثريّ ان يفاخر بقدرته على الإتيان بمنجزات جميلة واستضافة مشاهير الفنّانين القادرين على ارضاء غروره . وما الاعلام الذين ذكرنا إلّا قلّة من المجلّين ، عرفت ايطاليا الالوف من المتشبهين بهم .

٣ – الفنون خارج ايطاليا

أ – التشبّه بايطاليا : وما لبثت ايطاليا ان اضحت محجّة الفنّانين الاوروبّيين ، فتهافتوا عليها من كل صوب ، يستوحون آياتها ويعودون إلى ديارهم بافكار جديدة . وسرعان ما تبلورت في أعمالِهم التأثيرات الايطاليّة . فتجرأ النحّاتون على السموّ بفنهم ليجعلوه كما في ايطاليا مستقلّاً عن البناء بعد ان كانا متلازمَين في البدء . فاشبعوا بذلك غرور المتنفذين ممن ارادوا أن تكون لهم تماثيلهم الخاصّة . ومثل النحّاتين فعل الرسّامون فتهافت عليهم الأثرياء . وكان في كل ذلك زخم جديد تَطَعَّم به الفنّ الأوروبيّ .

ولكن مقابلة النهضة الايطاليّة بما كانت عليه في سائر بلدان اوروبا تبرز العجز الكبير والتقصير عن مجاراة الفنّان الإيطالي . وليس معنى ذلك انها لا تستحق التقدير ، بل أتت اعمالًا جميلة لا تزال موضع فخار بالنسبة لفرنسا والمانيا والبلاد المنخفضة واسپانيا .

ب – في فرنسا : يعود الفضل الى حروب فرنسوا الاول والايطاليّين في جعل الفرنسيين على احتكاك مباشر مع ايطاليا . فلمّا آب فرنسوا الاول من ايطاليا اصطحب معه ليوناردو دي ڤنشي ، ومثله فعل خلفاؤه مع فنّانين اقل شأنًا . وكان من التأثير الايطالي أن عرف فن البناء مزجًا بين الاتجاهين ، الفرنسيّ والايطاليّ ، مما يتجلّى في «قصور اللوار» . ولم تنتصر المدرسة الايطاليّة إلا فيما بعد ، عند بناء قصور باريس وضواحيها ومنها فونتينبلو واللوڤر والتويلري وغيرها ... وبرز اسم المهندس پيار لسكو (Pierre Lescot) .

كذلك شأن النحت ، فلم يتقبّل التأثير الخارجيّ دفعة واحدة ، بل عمد النحّاتون الى الاستيحاء مع الاحتفاظ بالتقاليد الفرنسيّة ، ولم يأخذوا عن إيطاليا إلا النقوش الزخرفيّة . وبرز إسما ريشيه (Richier) وكولومب (Colombe) كمحافظين واسم «غوجون» (goujon) كمتحرر . أما في

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

٢ – علوم النهضة وانطلاقاً من هذا المبدأ، عزّز «الانسانيون» محاولاتهم واخضعوا كل ما وصل اليهم لامتحان العقل والاختبار. وذهبوا في منحاهم هذا الى دراسة فقه اللّغات القديمة، ليتعرفوا عن كثب الى مؤلفات الاقدمين فيأخذوا عنها مباشرة دون المرور بوسيط.

ومن علماء النهضة البارزين دي ڤنشي نفسه. فقد ترك ابحاثاً في الحِيَل والنبات والجيولوجيا والطائرات والمظلّات والغوّاصات والمصفّحات والمدافع، فسبق عصره باشواط. وتقدم علم الفلك على يد كوپرنيكوس الذي اكّد كروية الأرض ودورانها وقال بالنظام الشمسي دون ان يقدّر معاصروه قيمة اعماله. وخطى الطبّ والتشريح خطوات واسعة على يد ڤيزال (Vesale) و پاري (Paré) وبرزت محاولات جديّة لتطوير الرياضيّات والجبر والكيمياء. واهتمّ الرسّامون أنفسهم بعلم التشريح لما له من علاقة في تصوير اعضاء الجسد وعضلاته.

وافادت الرحلات الجغرافيّة من تقدم العلم، فتجرّأ ڤاسكو دي غاما على الدوران حول افريقيا للوصول الى الشرق الاقصى. وبلغ من ثقة كولومبس بما كتبه العالم توسكانيللي عن كروية الارض ان خاض غمار الأطلسي فوصل الى «الهند الغربية». وكذلك شأن ماجيلّان عندما أكّد اميركو ڤسپوتشي ان ما اكتشفه كولومبس هو قارة جديدة وليس جزراً قريبة من اليابان.

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

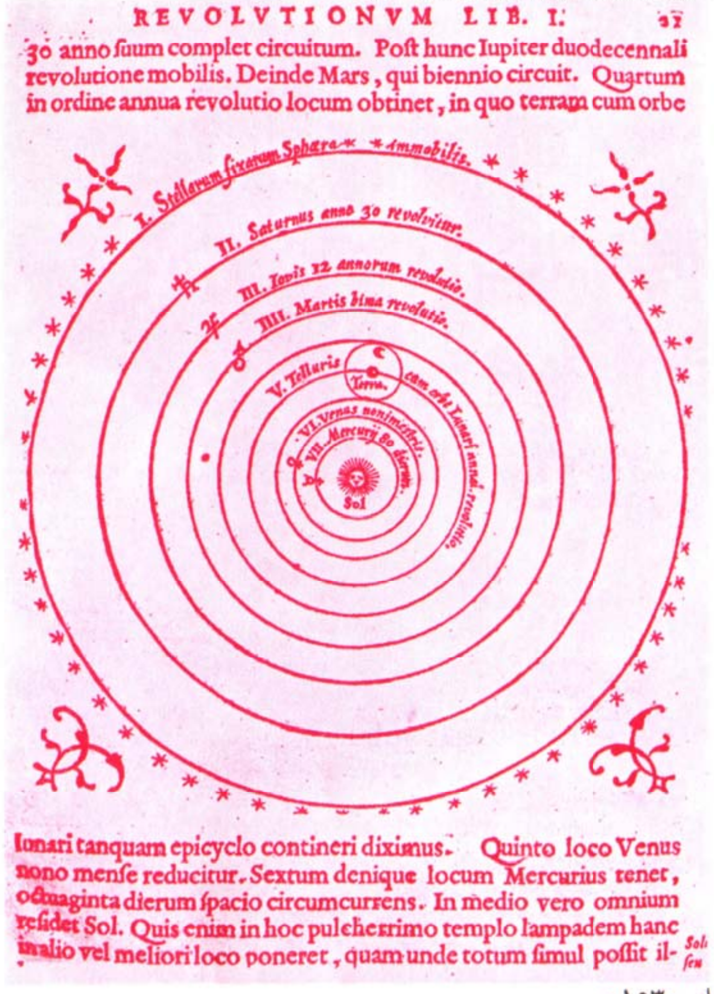

REVOLVTIONVM LIB. I. 31

30 anno suum complet circuitum. Post hunc Iupiter duodecennali revolutione mobilis. Deinde Mars, qui biennio circuit. Quartum in ordine annua revolutio locum obtinet, in quo terram cum orbe

lunari tanquam epicyclo contineri diximus. Quinto loco Venus nono mense reducitur. Sextum denique locum Mercurius tenet, octuaginta dierum spacio circumcurrens. In medio vero omnium residet Sol. Quis enim in hoc pulcherrimo templo lampadem hanc in alio vel meliori loco poneret, quam unde totum simul possit il-

النظام الشمسي
حسب كوپرنيكوس

العالم كوپرنيكوس

خريطة العالم وضعها اوروتس فين وهي تعود الى العام ١٥٣٠م.

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

محتويات الكتاب

	صفحة
الحضارة المصريّة	٦
المصريون وتاريخهم	٦
المجتمع المصري	١٠
الكتابة والأدب والعلوم	١٨
الديانة والفنون	٢٤
حضارات ما بين النهرين	٣٤
البلاد والدول	٣٤
الديانة والفنون	٤٠
الفكر والعلوم	٤٨
المجتمع والجيش	٥٦
الحضارة الفارسية	٦٢
فارس وتاريخها	٦٢
مظاهر الحضارة الفارسيّة	٦٦
الحضارة الفينيقيّة	٧٤
فينيقيا وتاريخها	٧٤
ديانة الفينيقيين	٨٢
الأبجدية واللغة والأدب	٨٨
الزراعة والصناعة	٩٤
الملاحة والتجارة	١٠٠
الفنون والعلوم	١٠٦
التنظيم السياسي	١١٦
المجتمع الفينيقي	١٢٢
الحضارة الاغريقية	١٢٨
طلائع هذه الحضارة	١٢٨
المدن والمستعمرات اليونانية	١٣٤
بزوغ الديمقراطيّة	١٤٠
ممارسة الديمقراطيّة	١٤٦
ديانة الاغريق	١٥٢
الآداب والفلسفة	١٦٠
الفنون والعلوم	١٦٨
هلينة الشرق	١٧٦

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

الحضارة الرومانيّة	١٨٤
الرومان	١٨٤
المجتمع الروماني	١٩٠
ديانة الرومان وظهور المسيحية	١٩٨
الحياة الاقتصادية	٢٠٨
الآداب والفنون والعمران	٢١٤
الدولة البيزنطيّة	٢٢٠
الحضارة العربيّة	٢٢٦
قبل الاسلام (١)	٢٢٦
قبل الاسلام (٢)	٢٣٤
ظهور الاسلام	٢٤٠
الخلافة والإدارة والماليّة	٢٤٦
القضاء والجيش	٢٥٤
المجتمع والاقتصاد	٢٦٢
الآداب والفلسفة	٢٧٠
العلوم	٢٨٠
الفنون	٢٩٠
الفِرَق الدينيّة	٢٩٦
الحضارة الهندية	٣٠٤
تاريخ الهند	٣٠٤
تراث الهند	٣٠٨
الحضارة الصينيّة	٣١٤
تاريخ الصين	٣١٤
تراث الصين	٣١٨
النهضة في الغرب	٣٢٨
نهضة الآداب	٣٢٨
نهضة الفنون والعلوم	٣٣٦

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

أنجزت مطبعة أيس ديزاين أند برنتنغ سنتر ش م م

طباعة هذا الكتاب

في الخامس عشر من آب ٢٠٠٨

١٦٠٦ -٤ - ٢٠٠٨/٨/١٥

مدونة الكتب الحصرية https://www.facebook.com/koutoubhasria/

ليس هذا الكتاب إلّا محاولة متعدّدة الجوانب مع إصرار على هدف واحد. ولذا فقد حرص كلّ من المؤلف والمخرج والناشر على إعطائه حلّة مميّزة تمدّ المطالع بمادّة وفيرة، كما تراعي المنهج المدرسي.

فموضوعات هذا الكتاب مطابقة للمواد المقرّرة في السّنة الاولى الثانوية من المنهج الرسمي اللبناني. وبإمكان الطالب أن يطمئن الى عناوينه المعبّرة وفقراته الواضحة. كما بإمكان المطالع أن يعتمده، بصرف النظر عن تلك العناوين الصغرى التي حُشرت في الهوامش والتي تبقى، على كل حال، ملموسة الفائدة لدلالتها على تركيز في البحث.

وعلى الرغم من وفرة الموضوعات المطروقة، فقد حرصنا على عرضها في صفحات معقولة نسبيًا، بحيث لم يتعدّ عددها مع المستندات الثلاثمائة والأربعين صفحة، دون إهمال التركيز على أبرز مظاهر كل من هذه الحضارات.

منشورات:
دار المشرق - ص.ب. ١٦٦٧٧٨
الأشرفية، بيروت ٢١٥٠ ١١٠٠، لبنان

التوزيع:
المكتبة الشرقية ش.م.ل.
ص.ب. ٥٥٢٠٦ - بيروت، لبنان

ISBN 2-7214-7074-4